



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مَجْمَعُ الْبَيْتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي تَحْيَى الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

مُسْتَوْجِبٌ وَتَوْجِيهٌ وَتَسْبِيحٌ

مَكْتَبَةُ مَطْبَعَةِ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ وَ مَكْتَبَةُ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ
تَمَامٌ مِنْهَا

الجزء التاسع

دار المعرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجمع البيان فى تفسير القرآن

كاتب:

طبرسى (معروف) ، امين الاسلام ابو على فضل بن حسن
(صاحب مجمع البيان و اعلام الورى و...)

نشرت فى الطباعة:

دار المعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٦	مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ٩
٢٦	اشاره
٢٦	اشاره
٢٩	(٤١) سورة فصلت مكيه و آياتها أربع و خمسون (٥٤)
٢٩	اشاره
٢٩	اشاره
٢٩	عدد آياتها
٢٩	اختلافها
٢٩	فضلها
٢٩	تفسيرها
٣٠	[سورة فصلت (٤١): الآيات ١ الى ١٥]
٣٠	اشاره
٣٠	الإعراب
٣٠	المعنى
٣٢	[سورة فصلت (٤١): الآيات ٦ الى ١٠]
٣٢	اشاره
٣٢	القراءة
٣٢	الحجه
٣٢	المعنى
٣٤	[سورة فصلت (٤١): الآيات ١١ الى ١٥]
٣٤	اشاره
٣٤	الإعراب
٣٥	المعنى
٣٧	[سورة فصلت (٤١): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٣٧	اشاره
٣٧	القراءة
٣٧	الحجه
٣٨	اللغه
٣٨	الإعراب
٣٨	المعنى
٤٠	[سورة فصلت (٤١): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٤٠	اشاره
٤٠	القراءة
٤٠	الحجه
٤٠	اللغه
٤١	المعنى
٤٣	[سورة فصلت (٤١): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
٤٣	اشاره
٤٣	اللغه

- الإعراب ٤٣
- المعنى ٤٣
- أسوره فصلت (٤١): الآيات ٣١ الى ٣٥ ٤٥
- اشاره ٤٥
- الإعراب ٤٥
- المعنى ٤٥
- أسوره فصلت (٤١): الآيات ٣٦ الى ٤٢ ٤٨
- اشاره ٤٨
- اللغه ٤٨
- الإعراب ٤٨
- المعنى ٤٨
- أسوره فصلت (٤١): الآيات ٤٣ الى ٤٥ ٥١
- اشاره ٥١
- القراءه ٥١
- الحجه ٥١
- المعنى ٥٢
- أسوره فصلت (٤١): الآيات ٤٦ الى ٥٠ ٥٤
- اشاره ٥٤
- القراءه ٥٤
- الحجه ٥٤
- اللغه ٥٤
- المعنى ٥٤
- أسوره فصلت (٤١): الآيات ٥١ الى ٥٤ ٥٦
- اشاره ٥٦
- المعنى ٥٦
- (٤٢) سوره الشورى مكيه و آياتها ثلاث و خمسون (٥٣) ٥٩
- اشاره ٥٩
- اشاره ٥٩
- عدد آياتها ٥٩
- فضلها ٥٩
- تفسيرها ٥٩
- أسوره الشورى (٤٢): الآيات ١ الى ٥ ٦٠
- اشاره ٦٠
- القراءه ٦٠
- الحجه ٦٠
- المعنى ٦٠
- أسوره الشورى (٤٢): الآيات ٦ الى ١٠ ٦٢
- اشاره ٦٢
- المعنى ٦٢
- أسوره الشورى (٤٢): الآيات ١١ الى ١٥ ٦٤
- اشاره ٦٤

- ٦٤ اللغة
- ٦٤ الإعراب
- ٦٤ المعنى
- ٦٨ أسوره الشورى (٤٢): الآيات ١٦ الى ٢٠
- ٦٨ اشاره
- ٦٨ المعنى
- ٧١ أسوره الشورى (٤٢): الآيات ٢١ الى ٢٥
- ٧١ اشاره
- ٧١ القراءه
- ٧١ الإعراب
- ٧١ المعنى
- ٧٤ أسوره الشورى (٤٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠
- ٧٤ اشاره
- ٧٤ القراءه
- ٧٤ الحجه
- ٧٥ المعنى
- ٧٦ أسوره الشورى (٤٢): الآيات ٣١ الى ٣٥
- ٧٦ اشاره
- ٧٧ القراءه
- ٧٧ الحجه
- ٧٧ اللغة
- ٧٨ المعنى
- ٧٩ أسوره الشورى (٤٢): الآيات ٣٦ الى ٤٠
- ٧٩ اشاره
- ٧٩ القراءه
- ٧٩ الحجه
- ٧٩ الإعراب
- ٧٩ المعنى
- ٨٢ أسوره الشورى (٤٢): الآيات ٤١ الى ٤٥
- ٨٢ اشاره
- ٨٢ الإعراب
- ٨٢ المعنى
- ٨٤ أسوره الشورى (٤٢): الآيات ٤٦ الى ٥٠
- ٨٤ اشاره
- ٨٤ المعنى
- ٨٥ أسوره الشورى (٤٢): الآيات ٥١ الى ٥٣
- ٨٥ اشاره
- ٨٥ القراءه
- ٨٥ الحجه
- ٨٧ المعنى
- ٨٩ (٤٣) سورة الزخرف مكيه و آياتها تسع و ثمانون (٨٩)

٨٩	اشاره
٨٩	اشاره
٨٩	عدد آياتها
٨٩	اختلافها
٨٩	فضلها
٨٩	تفسيرها
٨٩	سوره الزخرف (٤٣): الآيات ١ الى ٥
٨٩	اشاره
٩٠	القرآءه
٩٠	الحججه
٩٠	اللغه
٩٠	المعنى
٩١	سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٦ الى ١٠
٩١	اشاره
٩١	المعنى
٩٢	سوره الزخرف (٤٣): الآيات ١١ الى ١٥
٩٢	اشاره
٩٢	اللغه
٩٣	المعنى
٩٤	سوره الزخرف (٤٣): الآيات ١٦ الى ٢٠
٩٤	اشاره
٩٤	القرآءه
٩٥	الحججه
٩٦	المعنى
٩٧	سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٢١ الى ٢٥
٩٧	اشاره
٩٧	القرآءه
٩٧	الحججه
٩٧	المعنى
٩٨	سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠
٩٨	اشاره
٩٨	اللغه
٩٩	المعنى
١٠٠	سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٣١ الى ٣٥
١٠٠	اشاره
١٠٠	القرآءه
١٠٠	الحججه
١٠١	اللغه
١٠٣	سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠
١٠٣	اشاره
١٠٣	القرآءه

١٠٣	الحججه
١٠٣	اللغه
١٠٣	المعنى
١٠٥	أسوره الزخرف (٤٣): الآيات ٤١ الى ٤٥
١٠٥	اشاره
١٠٥	الإعراب
١٠٥	المعنى
١٠٧	أسوره الزخرف (٤٣): الآيات ٤٦ الى ٥٤
١٠٧	اشاره
١٠٧	القراءه
١٠٧	الحججه
١٠٧	المعنى
١١٠	أسوره الزخرف (٤٣): الآيات ٥٥ الى ٦٠
١١٠	اشاره
١١٠	القراءه
١١٠	الحججه
١١١	اللغه
١١١	المعنى
١١٣	أسوره الزخرف (٤٣): الآيات ٦١ الى ٦٥
١١٣	اشاره
١١٣	القراءه
١١٣	المعنى
١١٥	أسوره الزخرف (٤٣): الآيات ٦٦ الى ٧٥
١١٥	اشاره
١١٥	القراءه
١١٥	الحججه
١١٥	اللغه
١١٨	أسوره الزخرف (٤٣): الآيات ٧٦ الى ٨٥
١١٨	اشاره
١١٨	القراءه
١١٨	الحججه
١١٩	الإعراب
١١٩	المعنى
١٢١	أسوره الزخرف (٤٣): الآيات ٨٦ الى ٨٩
١٢١	اشاره
١٢١	القراءه
١٢١	الحججه
١٢٢	المعنى
١٢٣	(٤٤) سوره الدخان مكيه و آياتها تسع و خمسون (٥٩)
١٢٣	اشاره
١٢٣	عدد آياتها

١٢٣	اختلافها
١٢٣	فضلها
١٢٣	تفسيرها
١٢٤	سوره الدخان (٤٤): الآيات ١ الى ١١
١٢٤	اشاره
١٢٤	القراءه
١٢٤	الحجه
١٢٤	الإعراب
١٢٤	المعنى
١٢٧	سوره الدخان (٤٤): الآيات ١٢ الى ٢١
١٢٧	اشاره
١٢٧	الإعراب
١٢٨	المعنى
١٢٩	سوره الدخان (٤٤): الآيات ٢٢ الى ٢٩
١٢٩	اشاره
١٢٩	اللغه
١٢٩	الإعراب
١٣٠	المعنى
١٣٢	سوره الدخان (٤٤): الآيات ٣٠ الى ٤٠
١٣٢	اشاره
١٣٢	الإعراب
١٣٢	المعنى
١٣٤	سوره الدخان (٤٤): الآيات ٤١ الى ٥٠
١٣٤	اشاره
١٣٤	القراءه
١٣٥	الحجه
١٣٥	المعنى
١٣٦	سوره الدخان (٤٤): الآيات ٥١ الى ٥٩
١٣٦	اشاره
١٣٦	القراءه
١٣٦	الحجه
١٣٧	اللغه
١٣٧	الإعراب
١٣٧	المعنى
١٣٩	سوره الجاثيه مكيه إلا آيه ١٤ فمدنيه و آياتها سبع و ثلاثون (٣٧)
١٣٩	اشاره
١٣٩	اشاره
١٣٩	عدد آياتها
١٣٩	اختلافها
١٣٩	فضلها
١٣٩	تفسيرها

١٤٠ أسوره الجاثيه (٤٥): الآيات ١ الى ١٥

١٤٠ اشاره

١٤٠ القراءه

١٤٠ الحجه

١٤٢ المعنى

١٤٣ أسوره الجاثيه (٤٥): الآيات ١٦ الى ١٠

١٤٣ اشاره

١٤٣ القراءه

١٤٤ الحجه

١٤٤ المعنى

١٤٥ أسوره الجاثيه (٤٥): الآيات ١١ الى ١٥

١٤٥ اشاره

١٤٥ القراءه

١٤٥ الحجه

١٤٦ المعنى

١٤٧ أسوره الجاثيه (٤٥): الآيات ١٦ الى ٢٠

١٤٧ اشاره

١٤٧ المعنى

١٤٩ أسوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٢١ الى ٢٥

١٤٩ اشاره

١٤٩ القراءه

١٤٩ الحجه

١٥٠ اللغة

١٥١ المعنى

١٥٢ أسوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٢٦ الى ٣٠

١٥٢ اشاره

١٥٢ القراءه

١٥٢ الحجه

١٥٢ المعنى

١٥٥ أسوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٣١ الى ٣٧

١٥٥ اشاره

١٥٥ القراءه

١٥٥ الحجه

١٥٥ المعنى

١٥٧ سورة الأحقاف مكيه و آياتها خمس و ثلاثون (٣٥)

١٥٧ اشاره

١٥٧ اشاره

١٥٧ عدد آياتها

١٥٧ اختلافها

١٥٧ فضلها

١٥٧ تفسيرها

١٥٨ [سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ١ الى ٥]

١٥٨ اشاره

١٥٨ القراءه

١٥٨ الحجه

١٥٨ المعنى

١٦٠ [سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٦ الى ١٠]

١٦٠ اشاره

١٦٠ اللغه

١٦١ المعنى

١٦٣ [سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ١١ الى ١٥]

١٦٣ اشاره

١٦٣ القراءه

١٦٣ الحجه

١٦٥ اللغه

١٦٥ الإعراب

١٦٥ المعنى

١٦٧ [سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ١٦ الى ٢٠]

١٦٧ اشاره

١٦٧ القراءه

١٦٧ الحجه

١٦٧ الإعراب

١٦٧ المعنى

١٧١ [سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٢١ الى ٢٥]

١٧١ اشاره

١٧١ القراءه

١٧٢ الحجه

١٧٢ اللغه

١٧٤ [سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

١٧٤ اشاره

١٧٤ القراءه

١٧٤ الحجه

١٧٥ اللغه

١٧٥ الإعراب

١٧٥ المعنى

١٧٨ [سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٣١ الى ٣٥]

١٧٨ اشاره

١٧٨ القراءه

١٧٨ الحجه

١٧٩ المعنى

١٨١ [سوره محمد مدنيه و آياتها ثمان و ثلاثون (٣٨)]

١٨١ اشاره

١٨١	اشاره
١٨١	عدد آياتها
١٨١	اختلافها
١٨١	فضلها
١٨١	تفسيرها
١٨٢	[سوره محمد (٤٧): الآيات ١ الى ٦]
١٨٢	اشاره
١٨٢	القراءه
١٨٢	الحجه
١٨٢	اللغه
١٨٣	المعنى
١٨٥	[سوره محمد (٤٧): الآيات ٧ الى ١٠]
١٨٥	اشاره
١٨٥	اللغه
١٨٦	المعنى
١٨٧	[سوره محمد (٤٧): الآيات ١١ الى ١٥]
١٨٧	اشاره
١٨٧	القراءه
١٨٧	الحجه
١٨٧	اللغه
١٨٨	الإعراب
١٨٨	المعنى
١٩٠	[سوره محمد (٤٧): الآيات ١٦ الى ٢٠]
١٩٠	اشاره
١٩٠	القراءه
١٩٠	الحجه
١٩٠	اللغه
١٩٢	المعنى
١٩٤	[سوره محمد (٤٧): الآيات ٢١ الى ٢٥]
١٩٤	اشاره
١٩٥	القراءه
١٩٥	الحجه
١٩٥	المعنى
١٩٨	[سوره محمد (٤٧): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
١٩٨	اشاره
١٩٨	القراءه
١٩٨	الحجه
١٩٨	اللغه
٢٠٠	المعنى
٢٠١	[سوره محمد (٤٧): الآيات ٣١ الى ٣٥]
٢٠١	اشاره

٢٠١	القراءة
٢٠١	الحججه
٢٠١	اللغه
٢٠١	المعنى
٢٠٣	أسوره محمد (٤٧): الآيات ٣٦ الى ٣٨
٢٠٣	اشاره
٢٠٣	القراءة
٢٠٤	الحججه
٢٠٤	اللغه
٢٠٤	الإعراب
٢٠٤	المعنى
٢٠٦	(٤٨) سورة الفتح مدنيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩)
٢٠٦	اشاره
٢٠٦	عدد آياتها
٢٠٦	فضلها
٢٠٦	تفسيرها
٢٠٧	أسوره الفتح (٤٨): الآيات ١ الى ٥
٢٠٧	اشاره
٢٠٧	اللغه
٢٠٧	المعنى
٢١١	أسوره الفتح (٤٨): الآيات ٦ الى ١٠
٢١١	اشاره
٢١١	القراءة
٢١١	الحججه
٢١١	المعنى
٢١٤	أسوره الفتح (٤٨): الآيات ١١ الى ١٥
٢١٤	اشاره
٢١٤	القراءة
٢١٤	الحججه
٢١٤	اللغه
٢١٧	أسوره الفتح (٤٨): الآيات ١٦ الى ٢٠
٢١٧	اشاره
٢١٧	القراءة
٢١٧	المعنى
٢٢٨	أسوره الفتح (٤٨): الآيات ٢١ الى ٢٥
٢٢٨	اشاره
٢٢٨	القراءة
٢٢٨	الحججه
٢٢٨	اللغه
٢٢٨	الإعراب
٢٢٩	المعنى

- ٢٣١ أسوره الفتح (٤٨): الآيات ٢٦ الى ٢٩
- ٢٣١ اشاره
- ٢٣١ القراءه
- ٢٣٢ الحجه
- ٢٣٢ اللغه
- ٢٣٢ المعنى
- ٢٣٧ (٤٩) سوره الحجرات مدنيه و آياتها ثمانى عشره (١٨)
- ٢٣٧ اشاره
- ٢٣٧ أتوضیح
- ٢٣٧ عدد آيها
- ٢٣٧ فضلها
- ٢٣٧ تفسيرها
- ٢٣٨ (سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١ الى ٥)
- ٢٣٨ اشاره
- ٢٣٨ القراءه
- ٢٣٨ الحجه
- ٢٣٨ اللغه
- ٢٤٠ المعنى
- ٢٤٣ (سوره الحجرات (٤٩): الآيات ٦ الى ١٠)
- ٢٤٣ اشاره
- ٢٤٣ القراءه
- ٢٤٣ اللغه
- ٢٤٣ الإعراب
- ٢٤٥ المعنى
- ٢٤٨ (سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١١ الى ١٤)
- ٢٤٨ اشاره
- ٢٤٨ القراءه
- ٢٤٨ الحجه
- ٢٤٨ اللغه
- ٢٥١ المعنى
- ٢٥٥ (سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١٥ الى ١٨)
- ٢٥٥ اشاره
- ٢٥٥ القراءه
- ٢٥٥ الحجه
- ٢٥٥ الإعراب
- ٢٥٥ المعنى
- ٢٥٧ (٥٠) سوره قى مكيه و آياتها خمس و أربعون (٤٥)
- ٢٥٧ اشاره
- ٢٥٧ اشاره
- ٢٥٧ فضلها
- ٢٥٧ تفسيرها

٢٥٧ أسوره ق (٥٠): الآيات ١ الى ٥

٢٥٧ اشاره

٢٥٨ اللغة

٢٥٨ الإعراب

٢٥٨ المعنى

٢٥٩ أسوره ق (٥٠): الآيات ٦ الى ١١

٢٥٩ اشاره

٢٥٩ اللغة

٢٦٠ الإعراب

٢٦٠ المعنى

٢٦١ أسوره ق (٥٠): الآيات ١٢ الى ٢٠

٢٦١ اشاره

٢٦١ القراءه

٢٦١ الحجه

٢٦٢ اللغة

٢٦٢ المعنى

٢٦٥ أسوره ق (٥٠): الآيات ٢١ الى ٣٠

٢٦٥ اشاره

٢٦٥ القراءه

٢٦٥ الحجه

٢٦٥ اللغة

٢٦٥ الإعراب

٢٦٧ المعنى

٢٧٠ أسوره ق (٥٠): الآيات ٣١ الى ٤٠

٢٧٠ اشاره

٢٧٠ القراءه

٢٧٠ الحجه

٢٧١ اللغة

٢٧١ الإعراب

٢٧١ المعنى

٢٧٤ أسوره ق (٥٠): الآيات ٤١ الى ٤٥

٢٧٤ اشاره

٢٧٤ الإعراب

٢٧٤ المعنى

٢٧٦ (٥١) سورة الذاريات مكيه و آياتها ستون (٦٠)

٢٧٦ اشاره

٢٧٦ اشاره

٢٧٦ فضلها

٢٧٦ تفسيرها

٢٧٧ أسوره الذاريات (٥١): الآيات ١ الى ١٤

٢٧٧ اشاره

٢٧٧	اللغة
٢٧٧	الإعراب
٢٧٨	المعنى
٢٨٠	سورة الذاريات (٥١): الآيات ١٥ إلى ٢٣
٢٨٠	إشاره
٢٨٠	القراءه
٢٨٠	الحجه
٢٨١	الإعراب
٢٨٢	المعنى
٢٨٤	سورة الذاريات (٥١): الآيات ٢٤ إلى ٣٧
٢٨٤	إشاره
٢٨٤	اللغة
٢٨٥	المعنى
٢٨٧	سورة الذاريات (٥١): الآيات ٣٨ إلى ٤٦
٢٨٧	إشاره
٢٨٧	القراءه
٢٨٧	الحجه
٢٨٨	اللغة
٢٨٨	المعنى
٢٨٩	سورة الذاريات (٥١): الآيات ٤٧ إلى ٦٠
٢٨٩	إشاره
٢٨٩	القراءه
٢٨٩	الحجه
٢٩٠	اللغة
٢٩٣	(٥٢) سورة الطور مكيه و آياتها تسع و أربعون (٤٩)
٢٩٣	إشاره
٢٩٣	عدد آياتها
٢٩٣	فضلها
٢٩٣	تفسيرها
٢٩٤	سورة الطور (٥٢): الآيات ١ إلى ١٦
٢٩٤	إشاره
٢٩٤	اللغة
٢٩٤	الإعراب
٢٩٥	المعنى
٢٩٧	سورة الطور (٥٢): الآيات ١٧ إلى ٢٨
٢٩٧	إشاره
٢٩٧	القراءه
٢٩٧	الحجه
٣٠٠	سورة الطور (٥٢): الآيات ٢٩ إلى ٤٠
٣٠٠	إشاره
٣٠١	القراءه

٣٠١ الحجه

٣٠١ اللغة

٣٠١ المعنى

٣٠٣ [سوره الطور (٥٢): الآيات ٤١ الى ٤٩]

٣٠٣ اشاره

٣٠٣ القراءه

٣٠٤ الحجه

٣٠٤ اللغة

٣٠٤ المعنى

٣٠٦ (٥٣) سوره النجم مكيه و آياتها ثنتان و ستون (٦٢)

٣٠٦ اشاره

٣٠٦ اشاره

٣٠٦ عدد آياتها

٣٠٦ اختلافها

٣٠٦ فضلها

٣٠٦ تفسيرها

٣٠٧ [سوره النجم (٥٣): الآيات ١ الى ١٠]

٣٠٧ اشاره

٣٠٧ القراءه

٣٠٧ الحجه

٣٠٧ اللغة

٣٠٩ الإعراب

٣٠٩ المعنى

٣١٢ [سوره النجم (٥٣): الآيات ١١ الى ٢٠]

٣١٢ اشاره

٣١٢ القراءه

٣١٢ الحجه

٣١٣ المعنى

٣١٦ [سوره النجم (٥٣): الآيات ٢١ الى ٣٠]

٣١٦ اشاره

٣١٦ القراءه

٣١٦ الحجه

٣١٧ المعنى

٣١٩ [سوره النجم (٥٣): الآيات ٣١ الى ٤١]

٣١٩ اشاره

٣١٩ اللغة

٣١٩ الإعراب

٣٢١ المعنى

٣٢٤ [سوره النجم (٥٣): الآيات ٤٢ الى ٦٢]

٣٢٤ اشاره

٣٢٤ القراءه

٣٢٤	الحجّه
٣٢٤	اللغه
٣٢٧	المعنى
٣٣٠	سوره القمر مكيه و آياتها خمس و خمسون (٥٥)
٣٣٠	اشاره
٣٣٠	اشاره
٣٣٠	فضلها
٣٣٠	تفسيرها
٣٣١	سوره القمر (٥٤): الآيات ١ الى ١٠
٣٣١	اشاره
٣٣١	القراءه
٣٣١	الحجّه
٣٣٣	اللغه
٣٣٣	الإعراب
٣٣٣	المعنى
٣٣٤	سوره القمر (٥٤): الآيات ١١ الى ٢١
٣٣٤	اشاره
٣٣٤	القراءه
٣٣٤	الحجّه
٣٣٧	اللغه
٣٣٧	الإعراب
٣٣٧	المعنى
٣٤٠	سوره القمر (٥٤): الآيات ٢٢ الى ٣١
٣٤٠	اشاره
٣٤٠	القراءه
٣٤٠	الحجّه
٣٤٠	اللغه
٣٤٠	الإعراب
٣٤١	المعنى
٣٤٣	سوره القمر (٥٤): الآيات ٣٢ الى ٤٢
٣٤٣	اشاره
٣٤٣	الإعراب
٣٤٣	المعنى
٣٤٥	سوره القمر (٥٤): الآيات ٤٣ الى ٥٥
٣٤٥	اشاره
٣٤٥	القراءه
٣٤٥	الحجّه
٣٤٦	المعنى
٣٤٩	سوره الرحمن مدنيه و آياتها ثمان و سبعون (٧٨)
٣٤٩	اشاره
٣٤٩	اشاره

عدد آياتها ٣٤٩

اختلافها ٣٤٩

فضلها ٣٤٩

تفسيرها ٣٥٠

أسوره الرحمن (٥٥): الآيات ١ الى ١٣] ٣٥٠

اشاره ٣٥٠

القراءه ٣٥٠

الحجه ٣٥٠

اللغه ٣٥١

الإعراب ٣٥٢

المعنى ٣٥٢

أسوره الرحمن (٥٥): الآيات ١٤ الى ٣٠] ٣٥٦

اشاره ٣٥٦

القراءه ٣٥٦

الحجه ٣٥٦

اللغه ٣٥٦

المعنى ٣٥٨

أسوره الرحمن (٥٥): الآيات ٣١ الى ٤٥] ٣٦١

اشاره ٣٦١

القراءه ٣٦١

الحجه ٣٦٢

اللغه ٣٦٣

المعنى ٣٦٤

أسوره الرحمن (٥٥): الآيات ٤٦ الى ٦١] ٣٦٧

اشاره ٣٦٧

القراءه ٣٦٧

الحجه ٣٦٧

اللغه ٣٦٧

المعنى ٣٦٩

أسوره الرحمن (٥٥): الآيات ٦٢ الى ٧٨] ٣٧١

اشاره ٣٧١

القراءه ٣٧١

الحجه ٣٧١

اللغه ٣٧٢

المعنى ٣٧٣

(٥٦) سورة الواقعة مكيه و آياتها ست و تسعون (٩٦) ٣٧٦

اشاره ٣٧٦

اشاره ٣٧٦

عدد آياتها ٣٧٦

اختلافها ٣٧٦

فضلها ٣٧٦

٣٧٧	تفسيرها
٣٧٧	أسوره الواقعة (٥٦): الآيات ١ الى ١٦
٣٧٧	اشاره
٣٧٧	القراءه
٣٧٧	الحجه
٣٧٧	اللغه
٣٧٩	الإعراب
٣٨٠	المعنى
٣٨٢	أسوره الواقعة (٥٦): الآيات ١٧ الى ٢٦
٣٨٢	اشاره
٣٨٢	القراءه
٣٨٢	الحجه
٣٨٤	أسوره الواقعة (٥٦): الآيات ٢٧ الى ٤٠
٣٨٤	اشاره
٣٨٤	القراءه
٣٨٤	الحجه
٣٨٥	اللغه
٣٨٩	أسوره الواقعة (٥٦): الآيات ٤١ الى ٥٦
٣٨٩	اشاره
٣٨٩	القراءه
٣٨٩	الحجه
٣٩٠	اللغه
٣٩٠	المعنى
٣٩٢	أسوره الواقعة (٥٦): الآيات ٥٧ الى ٧٤
٣٩٢	اشاره
٣٩٢	القراءه
٣٩٢	الحجه
٣٩٢	اللغه
٣٩٦	أسوره الواقعة (٥٦): الآيات ٧٥ الى ٨٧
٣٩٦	اشاره
٣٩٦	القراءه
٣٩٦	الحجه
٣٩٧	اللغه
٣٩٧	الإعراب
٣٩٨	المعنى
٤٠٠	أسوره الواقعة (٥٦): الآيات ٨٨ الى ٩٦
٤٠٠	اشاره
٤٠٠	القراءه
٤٠٠	الحجه
٤٠٠	الإعراب
٤٠١	المعنى

٤٠٣ سورة الحديد مدنيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩)
٤٠٣ اشاره
٤٠٣ عدد آياتها
٤٠٣ اختلافها
٤٠٣ فضلها
٤٠٣ تفسيرها
٤٠٤ [سورة الحديد (٥٧): الآيات ١ الى ٦]
٤٠٤ اشاره
٤٠٤ المعنى
٤٠٦ [سورة الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٠]
٤٠٦ اشاره
٤٠٦ القراءة
٤٠٦ الحجه
٤٠٧ المعنى
٤٠٩ [سورة الحديد (٥٧): الآيات ١١ الى ١٥]
٤٠٩ اشاره
٤٠٩ القراءة
٤٠٩ القراءة في فيضاعفه و الاختلاف فيه قد مضى ذكره في سورة البقره و قرأ حمزه أنظرونا بقطع الهمزه و فتحها و كسر الظاء و الباقون «نُظْرُونَا» بهمزه الوصل و ضم الظاء و قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب لا تؤخذ منكم بالياء و الباقون بالياء و في الشواذ قرأه سهل بن شعيب و بإيمانهم بك الحجه
٤١١ اللغة
٤١١ الإعراب
٤١١ المعنى
٤١٤ [سورة الحديد (٥٧): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٤١٤ اشاره
٤١٤ القراءة
٤١٤ الحجه
٤١٥ اللغة
٤١٦ المعنى
٤١٨ [سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٤١٨ اشاره
٤١٨ القراءة
٤١٨ الحجه
٤١٩ اللغة
٤١٩ الإعراب
٤١٩ المعنى
٤٢٢ [سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢٦ الى ٢٩]
٤٢٢ اشاره
٤٢٢ اللغة
٤٢٣ الإعراب
٤٢٣ المعنى
٤٢٧ [سورة المجادلة مدنيه و آياتها ثنتان و عشرون (٢٢)]

٤٢٧ اشاره

٤٢٧ عدد أيها

٤٢٧ اختلافها

٤٢٧ فضلها

٤٢٧ تفسيرها

٤٢٨ [سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١ إلى ٥]

٤٢٨ اشاره

٤٢٨ القراءة

٤٢٨ الحجته

٤٢٨ اللغة

٤٢٠ المعنى

٤٢٣ [سورة المجادلة (٥٨): الآيات ٦ إلى ١٠]

٤٢٣ اشاره

٤٢٣ القراءة

٤٢٣ الحجته

٤٢٤ اللغة

٤٢٤ الإعراب

٤٢٤ المعنى

٤٢٧ [سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١١ إلى ١٥]

٤٢٧ اشاره

٤٢٧ القراءة

٤٢٧ الحجته

٤٢٧ اللغة

٤٣٩ المعنى

٤٤١ [سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١٦ إلى ٢٢]

٤٤١ اشاره

٤٤١ القراءة

٤٤١ الحجته

٤٤٢ اللغة

٤٤٢ المعنى

٤٤٤ [سورة الحشر مدنيه و آياتها أربع و عشرون (٢٤)]

٤٤٤ اشاره

٤٤٤ عدد أيها

٤٤٤ فضلها

٤٤٤ تفسيرها

٤٤٥ [سورة الحشر (٥٩): الآيات ١ إلى ٥]

٤٤٥ اشاره

٤٤٥ القراءة

٤٤٥ الحجته

٤٤٥ اللغة

٤٤٧ الإعراب

٤٤٨	المعنى
٤٥١	أسوره الحشر (٥٩): الآيات ٦ الى ١٠
٤٥١	اشاره
٤٥١	القراءه
٤٥١	الحجه
٤٥١	اللغه
٤٥٣	المعنى
٤٥٦	أسوره الحشر (٥٩): الآيات ١١ الى ١٥
٤٥٦	اشاره
٤٥٦	القراءه
٤٥٦	الحجه
٤٥٧	الإعراب
٤٥٧	المعنى
٤٥٩	أسوره الحشر (٥٩): الآيات ١٦ الى ٢٠
٤٥٩	اشاره
٤٥٩	اللغه
٤٥٩	المعنى
٤٦١	أسوره الحشر (٥٩): الآيات ٢١ الى ٢٤
٤٦١	اشاره
٤٦١	فضلها
٤٦١	اللغه
٤٦١	المعنى
٤٦٥	(٦٠) سورة الممتحنه مدنيه و آياتها ثلاث عشره (١٣)
٤٦٥	اشاره
٤٦٥	أوضح
٤٦٥	فضلها
٤٦٥	تفسيرها
٤٦٦	أسوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١ الى ٥
٤٦٦	اشاره
٤٦٦	القراءه
٤٦٦	الحجه
٤٦٧	الإعراب
٤٦٨	المعنى
٤٧١	أسوره الممتحنه (٦٠): الآيات ٦ الى ٩
٤٧١	اشاره
٤٧١	المعنى
٤٧٤	أسوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٠ الى ١١
٤٧٤	اشاره
٤٧٤	القراءه
٤٧٤	الحجه
٤٧٤	المعنى

٤٧٨ [سوره الممتحنه (٤٠): الآيات ١٢ الى ١٣]

٤٧٨ اشاره

٤٧٨ الإعراب

٤٧٨ المعنى

٤٨١ (٤١) سوره الصف مدنيه و آياتها أربع عشره (١٤)

٤٨١ اشاره

٤٨١ اشاره

٤٨١ فضلها

٤٨١ تفسيرها

٤٨٢ [سوره الصف (٤١): الآيات ١ الى ٥]

٤٨٢ اشاره

٤٨٢ اللغة

٤٨٢ الإعراب

٤٨٢ المعنى

٤٨٥ [سوره الصف (٤١): الآيات ٦ الى ٩]

٤٨٥ اشاره

٤٨٥ القراءه

٤٨٥ الحججه

٤٨٥ الإعراب

٤٨٥ المعنى

٤٨٧ [سوره الصف (٤١): الآيات ١٠ الى ١٤]

٤٨٧ اشاره

٤٨٧ القراءه

٤٨٧ الحججه

٤٨٧ اللغة

٤٨٧ الإعراب

٤٨٨ المعنى

٤٩١ تعريف مركز

مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ٩

اشاره

سرشناسه: طبرسي، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان في تفسير القرآن

تاليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسي

مصصح: هاشم رسولي

مصصح: فضل الله يزدي طباطبائي

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهري: ١٠ ج.

يادداشت: عربي

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصحح: هاشم رسولى

مصحح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

(٢١) سورة فصلت مكيه و آياتها أربع و خمسون (٥٤)

اشاره

اشاره

نزلت بعد غافر

عدد آياتها

أربع و خمسون آيه كوفي ثلاث حجازي آيتان بصري شامي.

اختلافها

آيتان «حم» كوفي «عادٍ وَ ثَمُودَ» حجازي كوفي.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأ حم السجده أعطى بعدد كل حرف منها عشر حسنات

و

روي ذريح المحاربي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ حم السجده كانت له نورا يوم القيامة مد بصره و سرورا و عاش في هذه الدنيا مغبوطا محمودا.

تفسيرها

ختم الله سورة المؤمن بذكر المنكرين لآيات الله و افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

ص: ٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)

الإعراب

قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره «كِتَابٌ فُصِّلَتْ» هذا مذهب البصريين وقال الفراء يجوز أن يكون تنزيل يرتفع بحم و يجوز أن يرتفع بإضمار هذا والمعنى هذا تنزيل أو هو تنزيل وقوله «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» نصب قرآنا على الحال بمعنى بينت آياته في حال جمعه وبشيرا ونذيرا من صفته.

المعنى

«حم» قد تقدم القول فيه وقيل في وجه الاشتراك في افتتاح هذه السور السبع بحم أنه للمشاكله التي بينها بما يختص به وليس غيرها وذلك أن كل واحده منها استفتحت بصفه الكتاب مع تقاربها في الطول ومع شدة تشاكل الكلام في النظم «تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» نزل به جبرائيل على محمد ص «كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ» وصف الكتاب بالتفصيل دون الإجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان أي الذي بينت آياته بيانا تاما والتبيين فيه على وجوه منها تبيين الواجب مما ليس بواجب وتبيين الأولى في الحكمه مما ليس بأولى وتبيين الجائز مما ليس بجائز وتبيين الحق من الباطل وتبيين الدليل على الحق مما ليس بدليل وتبيين ما يرغب فيه مما لا يرغب فيه وتبيين ما يحذر منه مما لا يحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه وقيل فصلت آياته بالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواعظ والأمثال وقيل فصلت أي نظمت آياته على أحسن نظام وأوضح بيان «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» وصفه بأنه قرآن لأنه جمع بعضه إلى بعض وبأنه عربي لأنه يخالف جميع اللغات التي ليست بعربية وكل ذلك يدل على حدوث القرآن «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» اللسان العربي ويعجزون عن مثله فيعرفون إعجازه وقيل يعلمون أن القرآن من عند الله نزل. عن الضحاك «بَشِيرًا وَنَذِيرًا» يبشر المؤمن بما فيه من الوعد وينذر الكافر بما فيه من الوعيد «فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ» يعني أهل مكة عدلوا عن الإيمان بالله والتدبر فيه «فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ» أي لا يسمعونه سمع تفكر وقبول فكأنهم لا يسمعون حقيقه «وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ» أي في أغطيه عن مجاهد والسدى «مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ» فلا نفقه ما تقول وإنما قالوا ذلك ليؤيسوا النبي ص من قبولهم دينه فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل إليه شيء مما وراءه «وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ» أي ثقل عن استماع القرآن وصمم «وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ» أي بيننا وبينك فرقه في الدين وحاجز في النحله فلا نوافقك على ما تقول عن الزجاج وقيل إنه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الإجابة عن على بن عيسى «فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ» قيل أن أبا جهل رفع ثوبا بينه وبين النبي ص فقال يا محمد أنت من ذلك الجانب ونحن من هذا

الجانب فاعمل أنت على دينك و مذهبك إننا عاملون على ديننا و مذهبنا عن مقاتل و قيل معناه فاعمل فى هلاكنا إننا عاملون فى هلاكك عن الفراء و قيل فاعمل به فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك و هذا غايه فى العناد.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فَسَوْءَ مَا تَعْبَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر سواء بالرفع وقرأ يعقوب سواء بالجر و الباقر بالنصب «سواء».

الحجه

من قرأ سواء بالرفع جعله خبر مبتدأ محذوف أى هى سواء و من قرأ سواء بالجر جعله صفه أيام التقدير فى أربه أيام مستويات تامات و أما النصب فعلى المصدر على معنى استوت سواء و استواء.

المعنى

ثم قال لنبىه ص «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» من ولد آدم لحم و دم و إنما خصنى الله تعالى بنبوته و ميزنى منكم بأن أوحى إلى و لو لا الوحى ما دعوتكم و هو قوله «يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ» لا شريك له فى العباده «فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ» أى لا- تميلوا عن سبيله و توجهوا إليه بالطاعه كما يقال استقم إلى منزلك أى لا- تعدل عنه إلى غيره «وَاسْتَغْفِرُوهُ» من الشرك و اطلبوا المغفره لذنوبكم من جهته ثم أوعدهم فقال «وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» أى لا يعطون الزكاه المفروضه

وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالشرائع وهذا هو الظاهر وقيل معناه لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقول لا إله إلا الله فإنها زكاه الأنفس عن عطاء عن ابن عباس وهذا كما يقال أعطى فلان من نفسه الطاعة أى ألزمها نفسه وقد وصف سبحانه الكفر بالنجاسة بقوله إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ وذكر الزكاه بمعنى التطهير فى قوله خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ وقيل معناه لا يقرون بالزكاه ولا يرون إيتاءها ولا يؤمنون بها عن الحسن وقاده وعن الكلبي عابهم الله بها وقد كانوا يحجون ويعتمرون وقيل لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون عن الضحاک ومقاتل وكان يقول الزكاه قنطره الإسلام وقال الفراء الزكاه فى هذا الموضع أن قريشا كانت تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ص «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» وهم مع ذلك يجحدون بما أخبر الله تعالى به من أحوال الآخرة ثم عقب سبحانه ما ذكره من وعيد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بأمر الآخرة من الثواب والعقاب «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متصل دائم ويجوز أن يكون معناه أنه لا أذى فيه من المن الذى يكدر الصنيعه ثم وبخهم سبحانه على كفرهم فقال «قُلْ» يا محمد لهم على وجه الإنكار عليهم «أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ» وهذا استفهام تعجب أى كيف تستجيزون أن تكفروا وتجحدوا نعمه من خلق الأرض «فِي يَوْمَيْنِ» أى فى مقدار يومين «وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا» أى أمثالا وأشباها تعبدونهم وفى هذا دلالة على أنه سبحانه إنما يستدل على إثبات ذاته وصفاته بأفعاله فهى داله على إثبات صفاته إما بنفسها كما يدل صحه الفعل على كونه قادرا وأحكامه على كونه عالما وإما بواسطة كما يدل كونه قادرا عالما على كونه حيا موجودا سميعا بصيرا «ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أى ذلك الذى خلق الأرض فى يومين خالق العالمين ومالك التصرف فيهم «وَجَعَلَ فِيهَا» أى فى الأرض «رَوَاسِيَ» أى جبالا- راسيات ثابتات «مِنْ فَوْقِهَا» أى من فوق الأرض «وَبَارَكَ فِيهَا» بما خلق فيها من المنافع وقيل بأن أنبت شجرها من غير غرس وأخرج نبتها من غير زرع وبذر وأودعها مما ينتفع به العباد عن السدى «وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» أى قدر فى الأرض أرزاق أهلها على حسب الحاجة إليها فى قوام أبدان الناس وسائر الحيوان وقيل قدر فى كل بلده منها ما لم يجعله فى أخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجاره من بلد إلى بلد «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» أى فى تتمه أربعة أيام من حين ابتداء الخلق فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول خرجت من البصره إلى بغداد فى عشره أيام وإلى الكوفه فى خمسه عشر يوما أى فى تتمه خمسه عشر يوما «سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ» أى مستويه كامله من غير زياده ولا نقصان للسائلين عن مده خلق الأرض وقيل معناه للذين

يسألون الله أرزاقهم و يطلبون أقواتهم فإن كلا يطلب القوت و يسأله عن قتاده و السدى و اختلف فى عله خلق الأرض و ما فيها فى أربعه أيام فليل إنما خلق ذلك شيئاً بعد شىء فى هذه الأيام الأربعة ليعلم الخلق أن من الصواب التأنى فى الأمور و ترك الاستعجال فيها فإنه سبحانه كان قادراً على أن يخلق ذلك فى لحظه واحده عن الزجاج و قيل إنما خلق ذلك فى هذه المده ليعلم بذلك أنها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح و بوجوه الأحكام إذ لو صدرت عن مطبوع أو موجب لحصلت فى حاله واحده و

روى عكرمه عن ابن عباس عن النبى ص أنه قال إن الله تعالى خلق الأرض فى يوم الأحد و الإثنين و خلق الجبال يوم الثلاثاء و خلق الشجر و الماء و العمران و الخراب يوم الأربعاء فتلك أربعه أيام و خلق يوم الخميس السماء و خلق يوم الجمعة الشمس و القمر و النجوم و الملائكه و آدم.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ١١ الى ١٥]

اشاره

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حَفِظْنَا ذَلِكَ تَعْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنِ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)

الإعراب

طوعاً و كرها مصدران وضعاً موضع الحال التقدير ائتيا تطيعان إطاعه أو

تكرهان كرها و طائعين يدل على ذلك و هو منصوب على الحال. «سَيَجَّ سَمَاوَاتٍ» أيضا منصوب على الحال بعد الفراغ من الفعل.

المعنى

ثم ذكر سبحانه خلق السماوات فقال «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ» أى ثم قصد إلى خلق السماء و كانت السماء دخانا و قال ابن عباس كانت بخار الأرض و أصل الاستواء الاستقامة و القصد للتدبير المستقيم تسويه له و قيل معناه ثم استوى أمره إلى السماء عن الحسن «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انْتَبِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس و القمر و النجوم و أتت الأرض بما فيها من الأنهار و الأشجار و الثمار و ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة و لا جواب لذلك القول بل أخبر الله سبحانه عن اختراعه السماوات و الأرض و إنشائه لهما من غير تعذر و لا- كلفه و لا- مشقه بمنزله ما يقال للمأمور افعل فيفعل من غير تلبث و لا توقف فعبّر عن ذلك بالأمر و الطاعة و هو كقوله إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و إنما قال «أَتَيْنَا طَائِعِينَ» و لم يقل أتينا طائعتين لأن المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء عن قطرب و قيل أنه لما خاطب من يعقل جمع من يعقل كما قال وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ و مثله كثير فى كلامهم قال:

فأجهشت للبوابه حين رأيتة و كبر للرحمن حين رآنى

فقلت له أين الذين رأيتهم بجنبك فى خفض و طيب زمان

فقال مضوا و استودعوني بلادهم و من ذا الذى يبقى على الحدثان

و قال آخر:

ألا أنعم صباحا أيها الرسم و أنطق و حدث حديث الحى إن شئت و أصدق

و قد ذكرنا فيما تقدم من أمثال ذلك ما فيه كفايه و قوله سبحانه «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ» يفيد أنه خلق السماء بعد الأرض و خلق الأقوات فيها و قال سبحانه فى موضع آخر وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا و على هذا فتكون الفائدة فيه أن الأرض كانت مخلوقه غير مدحوه فلما خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض و بسطها و إنما جعل الله السماء أولا دخانا ثم سموات أطباقا

ثم زينها بالمصاييح ليدل ذلك على أنه سبحانه قادر لنفسه لا يعجزه شىء. عالم لذاته لا يخفى عليه شىء. غنى لا يحتاج و كلما سواه محتاج إليه سبحانه و تعالى «فَقَضَاهُنَّ» أى صنعهن و أحكمنهن و فرغ من خلقهن «سَبَّحَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ» يوم الخميس و الجمعة قال السدى إنما سمي جمعه لأنه جمع فيه خلق السماوات و الأرض «وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» أى خلق فيها ما أراد من ملك و غيره عن السدى و قتاده و قيل معناه و أمر فى كل سماء بما أراد عن مقاتل و قيل و أوحى إلى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة عن على بن عيسى «وَ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» سمي الكواكب مصاييح لأنه يقع الاهتداء بها كقوله «وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» «وَ حِفْظًا» أى و حفظناها من استماع الشياطين قيل بالكواكب حفظًا «ذَلِكَ» الذى ذكر «تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ» فى ملكه لا يمتنع عليه شىء «الْعَلِيمِ» بمصالح خلقه لا يخفى عليه شىء ثم عقب سبحانه دلائل التوحيد بذكر الوعيد لأهل الشرك و الجحود من العبيد فقال «فَإِنْ أَعْرَضُوا» عن الإيمان بك بعد هذا البيان «فَقُلْ» يا محمد لهم مخوفًا إياهم «أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ» أى استعدوا للعذاب فقد خوفتكم عذابًا مثل عذاب عاد و ثمود لما أعرضوا عن الإيمان و الصاعقه المهلكه من كل شىء و هى فى العرف اسم للنار التى تنزل من السماء فتحرق «إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ». إذ متعلقه بقوله «صَاعِقَةً» و التقدير نزلت بهم حين أتتهم الرسل من قبلهم و من بعدهم عن ابن عباس يعنى به الرسل الذين جاءوا آباءهم و الرسل الذين جاءوهم فى أنفسهم لأنهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرسل فىكون الهاء و الميم فى من خلفهم للرسل و قيل معناه أن منهم من تقدم زمانهم و منهم من تأخر قال البلخى و يجوز أن يكون المراد: أتاهم أخبار الرسل من هاهنا و من هاهنا «أَلَّا تَعْبُدُوا» أى أرسلناهم بأن لا تعبدوا «إِلَّا اللَّهَ» وحده و لا تشركوا بعبادته غيره «قَالُوا» أى فقال المشركون عند ذلك «لَوْ شَاءَ رَبُّنَا» أن نؤمن به و نخلع الأنداد «لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً» تدعوننا إلى ذلك و لم يبعث بشرا مثلنا و كأنهم أنفوا من الانقياد لبشر مثلهم و جهلوا أن الله تعالى يبعث الأنبياء على حسب ما يعلمه من مصالح عباده و يعلم من يصلح للقيام بأعباء النبوه «فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» أى أظهروا الكفر بهم و الجحود ثم فصل سبحانه أخبارهم فقال «فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا» أى تجبروا و عتوا «فِي الْأَرْضِ» و تكبروا على أهلها «بِغَيْرِ الْحَقِّ» أى بغير حق جعله الله لهم بل للكفر المحض و الظلم الصراح «وَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» اغتروا

بقوتهم لما هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بفضل قوتنا إذ لا أحد أشد منا قوه فقال الله سبحانه ردا عليهم «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً» أى أو لم يعلموا أن الله الذى خلقهم وخلق فيهم هذه القوه اعظم اقتدارا منهم فلو شاء أهلكتهم «وَكَانُوا بِآيَاتِنَا» أى بدلالاتنا «يَجْحَدُونَ» ينكرونها ولا يعترفون بها.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشاره

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِيرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَبْدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصِرُونَ (١٦) وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)

القرءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و أهل الكوفه «نَحْسَاتٍ» بكسر الحاء و الباقون نحسات بسكونها و قرأ نافع و يعقوب نحشر بالنون أعداء الله بالنصب و الباقون «يُحْشَرُ» بالياء على ما لم يسم فاعله «أَعْدَاءُ اللَّهِ» بالرفع.

الحجه

قال أبو على النحس كلمه يكون على ضربين (أحدهما) أن يكون اسما (و الآخر) أن يكون وصفا مما جاء فيه اسما مصدرا قوله فى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ فالإضافه إليه يدل على أنه اسم ليس بوصف لا يضاف إليه الموصوف و قال المفسرون فى نحسات قولين (أحدهما) الشديده البرد (و الآخر) أنها المشئومه عليهم فتقدير قوله فى يَوْمِ نَحْسٍ فى يوم مشئوم و قالوا يوم نحس و يوم نحس فمن أضافه كان مثل ما فى التنزيل و من أجراه على الأول احتمال أمرين (أحدهما) أن يكون وصفا مثل فسل و رذل (و الآخر) أن يكون

مصدرا وصف به نحو رجل عدل فمن قرأ في أيام نحسات فأسكن الحاء أسكنها لأنه صفه مثل الخزعبلات و صعبات و يجوز أن يكون جمع المصدر و تركه على إسكانه في الجمع كما قالوا زوره و عدله قال أبو الحسن لم أسمع في النحس إلا الإسكان و قال أبو عبيده نحسات ذوات نحس فيمكن أن يكون من كسر العين جعله صفه من باب فرق و نزع و جمع على ذلك و من قرأ نحشر أعداء الله فحجته أنه معطوف على قوله «وَ نَجَّيْنَا» و يقويه قوله يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً و من قرأ «يُحْشِرُ» فبنى الفعل للمفعول به يقويه قوله «فَهُمْ يُوزَعُونَ» و كلا الأمرين حسن.

اللغة

اشتقاق الصرصر من الصرير ضوعف اللفظ إشعارا بمضاعفه المعنى يقال صر صر صر صريرا و صرصر يصرصر صرصره و ربح صرصر شديده الصوت و أصله صرر ثم قلبت الراء صاددا كما يقال نههه و نههه و كفكه و كففه قال النابغه:

أكفكف عبره غلبت عزائي إذا نههتها عادت ذباحا

الخزى: الهوان الذى يستحى من مثله خوفا من الفضيحة و الهون: الهوان و الوزع:

المنع و الكف و منه قول الحسن " لا بد للناس من وزعه".

الإعراب

قوله: «وَ يَوْمَ يُحْشِرُ» انتصب الظرف بمدلول قوله «فَهُمْ يُوزَعُونَ» لأن يوما بمنزله إذا و لا ينتصب بقوله «وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا» لأنه ماض و قوله «وَ يَوْمَ يُحْشِرُ» مستقبل فلا يعمل فيه الماضى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن إهلاكهم بقوله «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا» أى عاصفا شديده الصوت من الصره و هى الصيحه و قيل هى الباردة من الصر و هو البرد عن ابن عباس و قتاده و قال الفراء هى الباردة تحرق كما تحرق النار «فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ» أى نكدات مشئومات ذوات نحوس عن مجاهد و قتاده و السدى و النحس سبب الشر و السعد سبب الخير و بذلك سميت سعود النجوم و نحوسها و قيل نحسات ذوات غبار و تراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضا عن الجبائى و قيل نحسات باردات و العرب تسمى البرد نحسا عن أبى مسلم

«لِنَذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاهِ الدُّنْيَا» أى فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الهون والذل وهو العذاب الذى يجزون فى الدنيا فوقنوا بقوه معذبهم وبقدرته عليهم و يظهر ذلك لمن رأى حالهم «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى» و أفضح من ذلك «وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ» أى لا يدفع عنهم العذاب الذى ينزل بهم ثم ذكر قصه ثمود فقال «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» أى بينا لهم سبيل الخير والشر عن قتاده وقيل دللناهم و بينا لهم الحق عن ابن عباس والسدى وابن زيد «فَأَسْتَجَبُوا لِعَمَى عَلَى الْهُدَى» فاختاروا العمى فى الدين على قبول الهدى وبئس الاختيار ذلك عن الحسن. وقيل اختاروا الكفر على الإيمان عن ابن زيد والفراء «فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ» أى ذى الهون وهو الذى يهينهم ويخزيهم وقد قيل أن كل عذاب صاعقه لأن كل من يسمعها يصعق لها «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقه «وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» الشرك أى ونجينا صالحا و من آمن به من العذاب ثم أخبر سبحانه عن أحوال الكفار يوم القيامة فقال «وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرقوا والمعنى إذا حشروا وقفوا «حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُهَا» أى جاءوا النار التى حشروا إليها «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوا من الآيات الداله على وحدانيه الله فلم يؤمنوا و سائر جلودهم بما باشروه من المعاصى والأفعال القبيحه وقيل فى شهادة الجوارح قولان (أحدهما) أن الله تعالى بينها بنيه الحى و يلجئها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله أصحابه (و الآخر) أن الله يفعل فيها الشهاده و إنما أضاف الشهاده إليها مجازا وقيل فى ذلك أيضا وجه ثالث وهو أنه يظهر فيها أمارات داله على كون أصحابها مستحقين للنار فسمى ذلك شهادة مجازا كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقيل أن المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكنايه عن ابن عباس والمفسرين.

إشاره

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَ مَا كُنْتُمْ تَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَ ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصَيْبَ مِنْ خَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصِيرُوا فَعَلْنَا مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَ قَيَضْنَا لَهُمْ قُرْءَاءً فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ أَعْيُنُهُمْ وَ مَا خَلَقْنَاهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)

القراءة

فى الشواذ قراءة الحسن و عمرو بن عبيد و إن يستعتبوا بضم الياء و فتح التاء فما هم من المعتبين بكسر التاء.

الحججه

قال ابن جنى معناه لو استعطفوا لما عطفوا لأنه لا غناء عندهم و لا خير فيهم فيجيبوا إلى جميل.

اللغه

الإنطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالإلجاء إلى النطق أو الدعاء إليه و النطق إداره اللسان فى الفم بالكلام و لذلك لا يوصف سبحانه بأنه ناطق و إن وصف بأنه متكلم و الإرداء الإهلاك يقال أرادته فردى يردى فهو رد قال الأعشى:

أفى الطوف خفت على الردى و كم من رد أهله لم يرم

و الاستعتاب طلب العتبي و هى الرضاء و هو الاسترضاء و الإعتاب الإرضاء و أصل الإعتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته فى الدباغ ثم استعير فيما يستعطف به البعض بعضا لإعادته ما كان من الألفه و أصل التقييض التبديل و منه المقايضه و هى مبادله مال بمال قال الشماخ:

تذكرت لما أثقل الدين كأهلى و عاب بزيد ما أردت تعذرا

رجالا مضوا منى فليست مقايضا بهم أبدا من سائر الناس معشرا

. الإعراب

«وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ» ذلكم مبتدأ و ظنكم خبره و أرداكم خبر بعد خبر و إن أضمرت قد فجعلته حالا- جاز أى ذلكم ظنكم مرديا إياكم و يجوز أن يكون ذلكم مبتدأ و ظنكم بدلا منه و أرداكم خبر المبتدأ.

المعنى

ثم حكى سبحانه عنهم بقوله «وَقَالُوا» يعنى الكفار «لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا» أى يعاتبون أعضاءهم فيقولون لها لم شهدتم علينا «قَالُوا» أى فتقول جلودهم فى جوابهم «أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» أى مما ينطق و المعنى أعطانا الله آله النطق و القدره على النطق و تم الكلام ثم قال سبحانه «وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى الآخرة أى إلى حيث لا يملك أحد الأمر و النهى سواه تعالى و ليس هذا من جواب الجلود «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَيْرُونَ أَنْ يَشْهَدَ» أى من أن يشهد «عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لَا أَبْصَارُكُمْ وَ لَا- جُلُودُكُمْ» معناه و ما كنتم تستخفون أى لم يكن يتهيا لكم أن تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنكم كنتم بها تعملون فجعلها الله شاهده عليكم فى القيامة و قيل معناه و ما كنتم تتركون المعاصى حذرا أن تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك «وَ لَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا- يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ» لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصى لذاك و روى عن ابن مسعود أنها نزلت فى ثلاثة نفر تساروا و قالوا أ ترى الله يسمع سرارنا.

و يجوز أن يكون المعنى إنكم عملتم عمل من ظن أن عمله يخفى على الله كما يقال أهلكت نفسى أى عملت عمل من أهلك النفس و قيل: إن الكفار كانوا يقولون إن الله لا يعلم ما فى أنفسنا و لكنه يعلم ما يظهر عن ابن عباس «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ» ذلكم مبتدأ و ظنكم خبره و أرداكم خبر ثان و يجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم و يكون المعنى و ظنكم الذى ظننتم بربكم أنه لا- يعلم كثيرا مما تعملون أهلككم إذ هون عليكم أمر المعاصى و أدى بكم إلى الكفر «فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أى فظللتم من جملة من خسرت تجارته لأنكم خسرت الجنة و حصلتم فى النار

قال الصادق (عليه السلام) ينبغى للمؤمن أن يخاف الله خوفا كأنه يشرف على النار و يرجوه رجاء كأنه من أهل الجنة أن الله تعالى يقول «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ» الآية ثم قال إن الله عند ظن عبده به إن خيرا فخير و إن شرا فشر

ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال «فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» أى فإن يصبر هؤلاء على النار و آلامها و ليس المراد به الصبر المحمود و لكنه الإمساك عن إظهار الشكوى و عن الاستغاثة

ص: ١٥

فالنار مسكن لهم «وَأِنْ يَسْتَعْثِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ» أى و إن يطلبوا العتبي و سألوا الله تعالى أن يرضى عنهم فليس لهم طريق إلى الإعتاب فما هم ممن يقبل عذرهم و يرضى عنهم و تقدير الآيه أنهم إن صبروا و سكتوا أو جزعوا فالنار مأواهم كما قال سبحانه: «اضِلُّوا بِمَا كَفَرُوا فَمَا ضَيُّوا أَوْ لَآ تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ» و المعتب هو الذى يقبل عتابه و يجاب إلى ما سأل و قيل معناه و إن يستغيثوا فما هم من المغاثين «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ» أى هيأنا لهم قرناء من الشياطين عن مقاتل و معناه بدلناهم قرناء: سوء من الجن و الإنس مكان قرناء الصدق الذين أمروا بمقارنتهم فلم يفعلوا بين الله سبحانه إنه إنما فعل ذلك عقوبه لهم على مخالفتهم و نظيره وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَىٰ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَالِيًّا و قيل: معناه خيلنا بينهم و بين قرناء السوء بما استوجبوه من الخذلان عن الحسن «فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» أى زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروه و عملوا له و ما خلفهم من أمر الآخرة بدعائهم إلى أنه لا- بعث و لا- جزاء عن الحسن و السدى و قيل فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة فقالوا لا- جنه و لا نار و لا بعث و لا حساب و ما خلفهم من أمر الدنيا من جمع الأموال و ترك النفقه فى وجوه البر عن الفراء و قيل: ما بين أيديهم ما قدموه من أفعالهم السيئه حتى ارتكبوها و ما خلفهم ما سنوه لغيرهم ممن يأتى بعدهم «وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أى وجب عليهم الوعيد و العذاب «فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ» أى صاروا فى أمة أمثالهم كذبوا لتكذيبهم قد مضوا قبلهم وجب عليهم العذاب بعصيانهم ثم قال سبحانه «إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» خسروا الجنة و نعيمها.

إشاره

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضِلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)

اللغه

اللغو الكلام الذى لا معنى له يستفاد و إلغاء الكلمه إسقاط عملها يقال لغى يلغى و يلغو لغوا و لغا يلغى لغا قال عن اللغا و رفث التكلم.

الإعراب

ذلك مبتدأ و «جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ» خبره و النار بدل من قوله «جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ» و يجوز أن تكون النار تفسيراً كأنه قيل ما هو فقيل يقول هو النار قال الزجاج قوله: «لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ» أى لهم فى النار دار الخلد و النار هى الدار كما تقول لك فى هذه الدار دار سرور و أنت تعى الدار بعينها كما قال الشاعر:

أخو رغائب يعطيها و يسألها يأبى الظلامه منه النوفل الزفر

فيكون ذلك من باب التجريد و موضع «أَلَّا تَخَافُوا» نصب تقديره تتنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الكفار فقال «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى قال رؤساؤهم لأتباعهم أو قال بعضهم لبعض يعنى كفار قريش «لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ» الذى يقرؤه محمد و لا تصغوا إليه «وَ الْغَوْا فِيهِ» أى عارضوه باللغو و الباطل و بما لا يعتد به من الكلام «لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ» أى لتغلبوه باللغو و الباطل و لا- يتمكن أصحابه من الاستماع و قيل الغوا فيه بالتخليط فى القول و المكاء و الصفير عن مجاهد و قيل: معناه ارفعوا أصواتكم فى وجهه بالشعر و الرجز عن ابن عباس و السدى لما عجزوا عن معارضه القرآن احتالوا فى اللبس على غيرهم و تواصلوا بترك استماعه و الإلغاء عنه فيه عند قراءته ثم أوعدهم

الله سبحانه فقال «فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا» في الدنيا بالأسر و القتل يوم بدر و قيل في الآخرة «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى نجازيهم بأقبح الجزاء على أقبح معاصيهم و هو الكفر و الشرك و خص الأوسا بالذكر للمبالغه فى الزجر و قيل: معناه لنجزينهم بأوسا أعمالهم و هى المعاصى دون غيرها مما لا يستحق به العذاب «ذَلِكَ» يعنى ما تقدم الوعيد به «جزاءً أَعِيدَ اللَّهُ» الذين عادوه بالعصيان و الكفر و عادوا أولياءه من الأنبياء و المؤمنين «النَّارُ» و هى النار و الكون فيها «لَهُمْ فِيهَا دَارٌ الْخُلْدِ» أى منزل الدوام و التأييد «جزاءً» لهم و عقوبه «بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» يعنى القرآن يجحدون بأنه من عند الله عن مقاتل «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى و يقول الكفار فى النار «رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»

يعنون إبليس الأبالسه و قابيل بن آدم أول من أبدع المعصيه روى ذلك عن على (عليه السلام)

و قيل المراد بذلك كل من أبدع الكفر و الضلاله من الجن و الإنس و المراد بالذين جنس الجن و الإنس كما فى قوله وَ الَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْإِنْسِ فَلْيَنْزِلْ» تمنوا لشده عداوتهم لهم و بغضهم إياهم بما أضلوهم و أغوهم أن يجعلوهم تحت أقدامهم فى الدرك الأسفل من النار و قيل: إن المراد به ندوسهما و نطاؤهما بأقدامنا إذلالا لهما ليكونا من الأسفلين الأذلين قال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا و لما ذكر سبحانه و عيد الكفار عقبه بذكر الوعد للمؤمنين الأبرار فقال «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ» أى وحدوا الله تعالى بلسانهم و اعترفوا به و صدقوا أنبياءه «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» أى استمروا على أن الله ربهم وحده لم يشركوا به شيئا عن مجاهد و قيل معناه ثم استقاموا على طاعته و أداء فرائضه عن ابن عباس و الحسن و قتاده و ابن زيد و قيل ثم استقاموا فى أفعالهم كما استقاموا فى أقوالهم و قيل ثم استقاموا على ما توجهه الربوبيه من عبادته عن ابن مسلم و

روى عن أنس قال قرأ علينا رسول الله ص هذه الآية ثم قال قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها

و

روى محمد بن الفضيل قال سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن الاستقامه فقال هى و الله ما أنتم عليه

«تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» يعنى عند الموت عن مجاهد و السدى و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل تستقبلهم الملائكه إذا خرجوا من قبورهم فى الموقف بالبشاره من الله عن الحسن و ثابت و قتاده و قيل فى القيامه عن الجبائى و أبى مسلم و قيل أن البشرى تكون فى ثلاثه مواطن عند الموت و فى القبر و عند البعث عن وكيع بن الجراح «أَلَا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُونَ» أى تقولون لهم لا تخافوا عقاب الله و لا تحزنوا لفوات الثواب و قيل لا تخافوا مما أمامكم من أمور الآخرة و لا تحزنوا على ما وراءكم و على ما خلفتم من أهل و ولد عن عكرمه و مجاهد و قيل لا تخافوا و لا تحزنوا على

ذنوبكم فياني أغفرها لكم عن عطاء بن أبي رباح و قيل أن الخوف يتناول المستقبل و الحزن يتناول الماضي و كان المعنى لا تخافوا فيما يستقبل من الأوقات و لا تحزنوا على ما مضى و هذا نهاية المطلوب «و أَبَشِّرُوا بِأَلْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» بها في دار الدنيا على ألسنة الأنبياء.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشاره

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا- مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمَلٍ صَالِحًا وَ قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَ لَا تَسْتَوِيَ الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)

الإعراب

نزلا- نصب على المصدر و تقديره أنزلكم ربكم فيما تشتهون نزلا و يجوز أن يكون نصبا على الحال و تقديره و لكم فيها ما تشتهى أنفسكم منزلا- نزلا- كما يقال جاء زيد مشيا أى ماشيا و القولان جميعا يرجعان إلى كونه مصدرا و قال أبو على نزلا يحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون جمع نازل كقوله:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإننا معشر نزل

و يكون حالا- من الضمير فى تدعون أى ما تدعون من غفور رحيم نازلين (و الآخر) أن يراد به القوت الذى يقام للنازل أو الضيف حالا مما تدعون أى لكم ما تدعون «نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» صفة نزل و فيه ضمير يعود إليه و قولنا نصب على التفسير و قوله «وَ لَا السَّيِّئَةُ» لا هاهنا زائده مؤكده لتباعد المساواه.

المعنى

ثم حكى سبحانه أن الملائكة تقول للمؤمنين الذين استقاموا بعد البشاره

«نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ» أى نحن معاشر الملائكة أنصاركم و أحبائكم «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» نتولى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله تعالى «و فِي الْآخِرَةِ» فلا- نفارقكم حتى ندخلكم الجنة عن مجاهد و قيل كنا نتولى حفظكم فى الدنيا بأنواع المعونه و فى الآخرة نتولاكم بأنواع الإكرام و المثوبه و

قيل نحن أولياؤكم فى الحياه الدنيا أى نحرصكم فى الدنيا و عند الموت و فى الآخرة عن أبى جعفر (عليه السلام)

«و لَكُمْ فِيهَا» أى فى الآخرة «مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ» من الملاذ و تتمنونه من المنافع «و لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ» أنه لكم فإن الله سبحانه يحكم لكم بذلك و قيل أن المراد بقوله «مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ» البقاء لأنهم كانوا يشتهون البقاء فى الدنيا أى لكم فيها ما كنتم تشتهون من البقاء و لكم فيها ما كنتم تتمنونه من النعيم عن ابن زيد «نُزُلًا مِنْ عَفْوٍ رَحِيمٍ» معناه أن هذا الموعود به مع جلالته فى نفسه له جلاله بمعطيه إذ هو عطاء لكم و رزق يجرى عليكم ممن يغفر الذنوب و يستر العيوب رحمه منه لعباده فهو أهنا لكم و أكمل لسروركم قال الحسن أرادوا أن جميع ذلك من الله و ليس منا و فى هذه الآيه بشاره للمؤمنين بموده الملائكه لهم و فيها بشاره بنيل مشتهياتهم فى الجنة و فيها دلالة على أن الملائكه تتردد إلى من كان مستقيما على الطاعات و على شرف الاستقامه أيضا تتولى الملائكه صاحبها من أجلها «و مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا» صورته صورته الاستفهام و المراد به النفسى تقديره و ليس أحد أحسن قولاً- ممن دعا إلى طاعه الله و أضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحه «و قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» أى و يقول مع ذلك أننى من المستسلمين لأمر الله المتقادين إلى طاعته و قيل: معناه و يقول إننى من جمله المسلمين كما قال إبراهيم وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ وَ هذا الداعى هو رسول الله ص عن الحسن و ابن زيد و السدى و قيل هو و جميع الأئمه الدعاه الهداه إلى الحق عن مقاتل و جماعه من المفسرين و قيل هم المؤذنون عن عائشه و عكرمه و فى هذه الآيه رد على من قال أنا مؤمن إن شاء الله لأنه مدح من قال إننى من المسلمين من غير أن يقرنه بالمشيئه و فى هذه الآيه دلالة على أن الدعاء إلى الدين من أعظم الطاعات و أجل الواجبات و فيها دلالة على أن الداعى يجب أن يكون عاملا بعلمه ليكون الناس إلى القبول منه أقرب و إليه أسكن ثم قال سبحانه «و لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ» قيل معناه لا تستوى المله الحسنه التى هى الإسلام و المله السيئه التى هى الكفر و قيل معناه لا تستوى الأعمال الحسنه و لا الأعمال القبيحه و قيل: لا تستوى الخصله الحسنه و السيئه فلا يستوى الصبر و الغضب و الحلم و الجهل و المداراه و الغلظه و العفو و الإساءه ثم بين سبحانه ما يلزم على الداعى من الرفق بالمدعو فقال «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» [خاطب النبى ص فقال للنبي ص ادفع بالتي هى

أحسن] خاطب النبي ص فقال ادفع بحقك باطلهم و بحلمك جهلهم و بعفوك إساءتهم «فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلَيْتِي حَمِيمٌ» معناه فإنك إذا دفعت خصومك بلين و رفق و مداراه صار عدوك الذي يعاديك في الدين بصوره وليك القريب
فكأنه وليك في الدين و حميمك في النسب و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) إن الحسنه التقيه و السيئه الإذاعه

«وَمَا يُلْقَاهَا» أى و ما يلقى هذه الفعله و هذه الحاله التى هى دفع السيئه بالحسنه «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا» على كظم الغيظ و احتمال
المكروه و قيل إلا-الذين صبروا فى الدنيا على الأذى عن أبى عبد الله (عليه السلام) «وَمَا يُلْقَاهَا» أى و ما يلقى هذه الخصله
المذكوره و لا- يؤتاها «إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» أى ذو نصيب وافر من الرأى و العقل و قيل إلا ذو نصيب عظيم من الثواب و الخير و
قيل: الحظ العظيم الجنه عن قتاده و ما يلقاها إلا من وجبت له الجنه و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و ما يلقاها إلا كل ذى حظ عظيم.

النظم

اتصل قوله «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ» الآيه بما قبله من قوله «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ»
الآيه فكأنه قال إلا تتعجبون من إعراض الكفار عن استماع القرآن و توأصيهم فيما بينهم باللغو فى قراءته و لا قائل أحسن قولاً
من محمد ص يدعوكم إلى من تقرون أنه خالقكم ثم أنه قد عمل فى دينه بما دعاكم إليه فانتفت عنه التهمه من جميع الوجوه.

ص: ٢١

إشارة

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابًا عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)

اللغة

النزغ النخس بما يدعو إلى الفساد يقال نزغ ينزغ و فلان ينزغ فلانا كأنه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب و أُلحد: مال عن الحق و يقال لحد يلحد أيضا بمعناه و يسمى القرآن ذكرا لأنه ذكر فيه الدلائل و الأحكام.

الإعراب

«وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ» هي إن التي للجزاء زيد عليها ما تأكيداً فأشبهه لذلك القسم فلذلك دخل الفعل نون التأكيد «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ» لم يذكر لأن خبراً و التقدير إن الذين كفروا بالذكر مبتدأ الخبر معذبون فحذف الخبر و يجوز أن يكون الخبر أولئك يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.

المعنى

ثم أمر نبيه ص أن يستعيذ بالله إذا صرفه الشيطان عن الاحتمال فقال «وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ» أن ما يدعونك نزغ من الشيطان بالوسوسة «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» أى فاطلب الاعتصام من شره بالله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» الآية مفسره فى آخر سوره الأعراف ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال «وَمِنْ آيَاتِهِ» أى حججه الداله على وحدانيته و أدلته على صفاته التى باين بها جميع خلقه «اللَّيْلِ» بذهاب الشمس عن بسيط الأرض «وَالنَّهَارِ» بطلوعها على وجهها و تقديرهما على وجه مستقر و تدبيرهما على نظام مستمر «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» و ما اختصا به من النور و ظهر فيهما من التدبير فى المسير

و التعريف فى فلك التدوير «لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ» و إن كان فىهما منافع كثيرة لأنهما ليسا بخالقين «وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ» و أنشأهن و إنما قال «خَلَقَهُنَّ» لوجهين (أحدهما) أن ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث تقول هذا كباشك فسقها و إن شئت قلت فسقهن (و الآخر) أن الضمير يرجع إلى معنى الآيات لأنه قال «وَ مِنْ آيَاتِهِ» هذه الأشياء «وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ» إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون فاسجدوا لله دون غيره ثم قال «فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا» عن توجيه العبادة إلى الله وحده «فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» و هم الملائكة «يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ» أى لا يملون و لا يفترون و هو مفسر فى سورة الأعراف و المروى عن ابن عباس و قتاده و ابن المسيب أن موضع السجود عند قوله «وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ» و

عن ابن مسعود و الحسن أنه عند قوله «إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» و هو اختيار أبى عمرو بن العلاء- و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

وَ مِنْ آيَاتِهِ» أى من أدلته الداله على ربوبيته «أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً» أى غرباء دارسه متهشمه عن قتاده و السدى أى كان حالها حال الخاضع المتواضع و قيل ميته يابسه لا نبات فيها قال الأزهرى إذا يبست الأرض و لم تمطر قيل قد خشعت «فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ» أى تحركت بالنبات «وَ رَبَّتْ» أى انتفخت و ارتفعت قبل أن تنبت و قيل «اهْتَزَّتْ» بالنبات «وَ رَبَّتْ» بكثرة ريعها عن الكلبي «إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا» أى أحيا الأرض بما أنزله من المطر «لَمْحَى الْمَوْتِ» فى الآخره مثل ذلك «إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ظاهر المعنى «إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ» أى إن الذين يميلون من الإيمان بآياتنا «لا- يَخْفُونَ عَلَيْنَا» بأشخاصهم و أقوالهم و أفعالهم و هذا و عييد عن قتاده و ابن زيد و السدى و قد قيل أن معنى الإلحاد فى آيات الله هو ما كانوا يفعلونه من المكاء و الصفير عن مجاهد و قيل: هو تبديلهم ذلك و وضعه فى غير موضعه عن ابن عباس و قال بعض المفسرين أن المراد بالآيات هنا دلالات التوحيد و الإلحاد فيها الانحراف عنها و ترك الاستدلال بها ثم قال سبحانه على وجه الإنكار عليهم و التهجين لفعالهم و التهديد لهم «أَفَمَنْ يُلْقَى فى النَّارِ خَيْرٌ» و هم الملحدون «أَمْ مَنْ يَأْتِى آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» من عذاب الله و هم المؤمنون المطيعون و هذا استفهام تقرير معناه أنهما لا يستويان و قيل إن الذى يلقي فى النار أبو جهل و الذى يأتى آمنا يوم القيامة رسول الله ص عن مقاتل و قيل: هو عمار بن ياسر عن عكرمه و الصحيح أن الآيه على العموم و المراد بهما المؤمن و الكافر ثم قال سبحانه «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» لفظه لفظ الأمر و معناه

الوعيد و التهديد أى فإذا علمتم أنهما لا يستويان فليختر كل واحد منكم لنفسه ما شاء من الأمرين فإن العاقل لا يختار الإلقاء فى النار فإذا لم يختر ذلك فلا بد أن يؤمن بالآيات فلا يلحد فيها «إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى بأعمالكم «بَصِيرٌ» عالم لا يخفى عليه شىء منها ثم أخبر سبحانه عنهم مهجنا لهم فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ» الذى هو القرآن و جحدوه «لَمَّا جَاءَهُمْ» أى حين جاءهم ثم أخذ سبحانه فى وصف الذكر و ترك خبر إن على تقدير إن الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم و نحو ذلك و قيل إن خبره "أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ" عن أبى عمرو بن العلاء و قيل إن قوله «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ» فى موضع الخبر و التقدير الكتاب الذى جاءهم عزيز و أما قوله «وَإِنَّهُ» فالهاء يعود إلى القرآن الذى هو الذكر و المعنى إن الذكر لكتاب عزيز بأنه لا يقدر أحد من العباد على أن يأتى بمثله و قيل إنه عزيز بإعزاز الله عز و جل إياه إذا حفظه من التغيير و التبديل و قيل هو عزيز إذ جعله الله على أتم صفات الأحكام و قيل عزيز بأنه يجب أن يعز و يجل بالانتهاء إلى ما فيه و ترك الإعراض عنه و قيل عزيز أى كريم على الله عز و جل عن ابن عباس «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ» قيل فيه أقوال (أحدها) إن الباطل الشيطان و معناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقاً أو يزيد فيه باطلا عن قتاده و السدى (و ثانيها) إنه لا يأتى ما يبطله من بين يديه أى من الكتب التى قبله و لا من خلفه أى لا يجىء من بعده كتاب يبطله أى ينسخه عن ابن عباس و الكلبي و مقاتل (و ثالثها)

معناه أنه ليس فى إخباره عما مضى باطل و لا فى إخباره عما يكون فى المستقبل باطل بل إخباره كلها موافقه لمخبراتها و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

(و رابعها) لا يأتى الباطل من أول تنزيله و لا من آخره عن الحسن و (خامسها) لا يأتى الباطل من جهة من الجهات فلا تناقض فى ألفاظه و لا كذب فى أخباره و لا يعارض و لا يزداد فيه و لا يغير بل هو محفوظ حجه على المكلفين إلى يوم القيامة و يؤيده قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و «تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ» أى هو تنزيل من عالم بوجوه الحكمة «حَمِيدٍ» مستحق للحمد على خلقه بالإنعام عليهم و القرآن هو من أعظم نعمه فاستحق به الحمد و الشكر.

اشاره

ما يُقَالُ لِمَكَ إِلَّا- ما قَدَّ قَيْلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَيْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَمَذُومٌ مَغْفِرٌ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءٌ وَ الَّذِينَ لَا- يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير حفص أ أعجمي بهمزتين وقرأ هشام عن ابن عامر بهمزه واحده وقرأ الباقون بهمزه واحده ممدوده.

الحجه

قال أبو على الأعمى الذى لا- يفصح من العرب كان أو من العجم قالوا زياد الأعمى لآفه كانت فى لسانه و كان عربيا و قالوا صلاه النهار عجماء أى تخفى فيها القراءة و لا تبين و يجمع الأعمى على عجم أنشد أبو زيد:

يقول الخنا و أبغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

أى أبغض صوت العجم صوت الحمار و تسمى العرب من لم يبين كلامه من أى صنف كان من الناس أعجم و منه قول ابن الأخرز:

سلوم لو أصبحت وسط الأعمى بالروم أو بالترك أو بالديلم

فقال لو كنت وسط الأعمى و لم يقل وسط العجم لأنه جعل كل من لم يبين كلامه أعجم فكأنه قال وسط القبيل الأعمى و العجم خلاف العرب و العجمى خلاف العربى منسوب إلى العجم و إنما قوبل الأعمى بالعربى فى الآيه و خلاف العربى العجمى لأن الأعمى فى أنه لا يبين مثل العجمى عندهم فمن حيث اجتماعا فى أنهما لا يبينان قوبل به العربى فى قوله «أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ» و ينبغى أن يكون الأعمى الياء فيه للنسب نسب إلى

الأعجم الذى لا يفصح و هو فى المعنى كالعجمى و إن كانا يختلفان فى النسبه فيكون الأعجمى عربيا و يجوز أن يقال للرجل أعجمى و يراد به ما يراد بأعجم بغير ياء النسب كما يقال أحمر و أحمرى و دوار و دوارى و قوله وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ مما جمع على إرادته ياء النسب فيه مثل قولهم النميرون و لو لا- ذلك لم يجز جمعه بالواو و النون أ لا ترى أنك لا تقول فى الأحمر إذا كان صفه أحمر و إنما جاز الأعجمون لما ذكرنا فأما الأعاجم فينبغى أن تكون تكسير أعجمى كما كان المسامعه تكسير مسمعى و قد استعمل هذا الوصف استعمال الأسماء فمن ذلك قوله:

" حزق يمانيه لأعجم طمطم "

فينبغى أن يكون من باب الأجارع و الأباطح و أما قوله تعالى أعجمى و عربى فالمعنى المنزل أعجمى و المنزل عليه عربى فقوله أعجمى و عربى يرتفع كل منهما على أنه خبر مبتدأ محذوف و هذه الآيه فى المعنى كقوله «وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ».

المعنى

ثم عزى سبحانه نبيه ص على تكذيبهم فقال «ما يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ» أى ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا ما قد قيل للأنبياء قبلك من التكذيب و الجحد لنبوتهم عن قتاده و السدى و الجبائى و قيل معناه ما يقول الله لك إلا ما قد قاله للرسول من قبلك و هو الأمر بالدعاء إلى الحق فى عباده الله و لزوم طاعته فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب و قيل معناه ما حكاه تعالى بعده من «إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ» فيكون على جهه الوعد و الوعيد أى أنه لذو مغفره لمن آمن بك و ذو عقاب أليم لمن كذب بك «وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا» أى لو جعلنا هذا الكتاب الذى تقرأه على الناس بغير لغه العرب «لَقَالُوا لَوْ لَّا- فَصَّلْتَ آيَاتُهُ» أى هلا- بينت بلسان العرب حتى نفهمه «ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ» أى كتاب أعجمى و نبي عربى و هذا استفهام على وجه الإنكار و المعنى أنهم كانوا يقولون المنزل عليه عربى و المنزل أعجمى و كان ذلك أشد لتكذيبهم فبين الله سبحانه أنه أنزل الكتاب بلغتهم و أرسل الرسول من عشيرتهم ليكون أبلغ فى الحججه و أقطع للمعذره «قُلْ» يا محمد لهم «هُوَ» أى القرآن «لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى» من الضلاله «وَ شِفَاءً» من الأوجاع و قيل و شفاء للقلوب من كل شك و ريب و شبهه و سمي اليقين شفاء كما سمي الشك مرضا فى قوله «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»* «وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ» أى ثقل

و صمم عن سماعه من حيث يثقل عليهم استماعه فلا- ينتفعون به فكأنهم صم عنه «وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى» عميت قلوبهم عنه عن السدى يعنى أنهم لما ضلوا عنه و حاروا عن تدبره فكأنه عمى لهم «أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» أى أنهم لا يسمعون و لا يفهمون كما أن من دعى من مكان بعيد لم يسمع و لم يفهم و إنما قال ذلك لبعده أفهامهم و شده إعراضهم عنه و قيل لبعده عن قلوبهم عن مجاهد و قيل ينادى الرجل منهم فى الآخرة بأشنع اسمه عن الضحاک «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» أى التوراه «فَاخْتَلَفَ فِيهِ» لأنه آمن به قوم و كذب به آخرون و هذه تسليه للنبي ص أيضا عن جحود قومه له و إنكارهم لنبوته «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» فى تأخير العذاب عن قومك و أنه لا يعذبهم و أنت فيهم «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» أى لفرغ من عذابهم و استئصالهم و قيل: معناه لو لا حكم سبق من ربك بتأخيرهم العذاب إلى وقت انقضاء آجالهم لقضى بينهم قبل انقضاء آجالهم فيظهر المحق من المبطل «وَأِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ» أى و إن قومك لفى شك مما ذكرناه موقع لهم الريبه و هو أفضع الشك.

إشارة

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ مَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨) لَا- يَشِيءُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُوسِسْ قَنُوطٌ (٤٩) وَ لَئِنْ أَدْقْنَا رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنِ فَلَنَبْتَشِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنَذِيقَنَّهِمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)

القراءة

قرأ أهل المدينة و الشام و حفص «مِنْ ثَمَرَاتٍ» على الجمع و الباقون من ثمره على التوحيد.

الحجة

قال أبو على من ثمره إذا أفرده يدل على الكثرة و استغنى به عن الجمع و يقوى الإفراد قوله «وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى» * و حجه من جمع أن الجمع صحيح و أن المعنى على ذلك.

اللغة

الأكمام جمع كم و كم جمع كمة عن ابن خالويه و قيل هي جمع كمة عن أبي عبيده و هي الكفري و تكمم الرجل في ثوبه إذا تلفف به و الإيدان الإعلام.

المعنى

ثم احتج سبحانه عليهم بأن قال «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ» أى من عمل طاعه فلنفسه لأن ثواب ذلك واصل إليه و منفعة تكون له دون غيره «وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» أى من عمل معصيه فعلى نفسه وبال ذلك و عقابه يلحقه دون غيره «وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» و هذا على وجه المبالغة فى نفي الظلم عن نفسه للعبيد و إنما قال ذلك مع أنه لا يظلم مثقال ذره لأمرين (أحدهما) أن من فعل الظلم و إن قل و هو عالم بقبحه و بأنه غنى عنه لكان ظلما (و الآخر) أنه على طريق الجواب لمن زعم أنه يظلم العباد فيأخذ أحدا بذنوب غيره و يشبهه بطاعه غيره ثم بين سبحانه أنه العالم بوقت قيامه فقال «إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ» التى يقع فيها الجزاء للمطيع و العاصى و هو يوم القيامة «وَ مَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا» أى و ما تخرج ثمره من أوعيتها و غلفها «وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» أى و لا تحمل أنثى من حمل ذكرها كان أو أنثى و لا تضع أنثى إلا فى الوقت الذى علم سبحانه أنها تحمل فيه و تضع فيه فيعلم سبحانه قدر الثمار و كلفتها و أجزاءها و طعومها و روائحها و يعلم ما فى بطون الحبالى و كيفية انتقالها حالا بعد حال حتى يصير بشرا سويا «وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ» أى ينادى الله المشركين «أَيْنَ شُرَكَائِيَ» أى فى قولكم و زعمكم كما قال أين شركائى الذين كنتم تزعمون «قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ» أى يقولون أعلمناك ما منا شاهد بأن لك شريكا يتبرءون يومئذ من أن يكون مع

الله شريك «وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ»

ص: ٢٨

أى بطل عنهم و ذهب ما كانوا أملوه من أصنامهم «وَظَنُوا» أى أيقنوا «مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ» أى من مهرب و ملجأ دخل الظن على ما التى للنفى كما تدخل على لام الابتداء و كلاهما له صدر الكلام و المعنى أنهم علموا أن لا مخلص لهم من عذاب الله و قد يعبر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان ثم بين سبحانه طريقتهم فى الدنيا فقال «لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ» قال الكلبي الإنسان هاهنا يراد به الكافر أى لا يمل الكافر من دعائه الخير و لا يزال يسأل ربه الخير الذى هو المال و الغنى و الصحة و الولد «وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ» أى البلاء و الشده و الفقر «فَيُؤَسِّسُ» أى فهو يؤوس شديد اليأس من الخير «فَنُوطٌ» من الرحمة و قيل يؤوس من إجابته الدعاء فنوط سىء الظن بربه «وَ لَيْسَ أَذْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا» أى خيرا و عافيه و غنى «مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي» أى هذا بعملى و أنا محقوق به عن مجاهد قال و كل هذا من أخلاق الكافر و قيل معناه هذا لى دائما أبدا «وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» أى كائنه على ما يقوله المسلمون «وَ لَيْسَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى» أى لست على يقين من البعث فإن كان الأمر على ذلك و رددت إلى ربي إن لى عنده الحاله الحسنى و المتزله الحسنى و هى الجنه سيعطينى فى الآخره مثل ما أعطانى فى الدنيا ثم هدد سبحانه من هذه صفته بأن قال «فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا» أى لنقنهم يوم القيامة على مساوى أعمالهم عن ابن عباس «وَ لَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ» أى شديد متراكم.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ٥١ الى ٥٤]

اشاره

وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن جهل الإنسان الذى تقدم وصفه بمواقع نعم الله

سبحانه فقال «وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ» عن الشكر «وَ نَأَى بِجَانِبِهِ» أى بعد بجانبه تكبرا و تجبرا عن الاعتراف بنعم الله تعالى و من قرأ ناء فإنه مقلوب من نأى كما فى قول الشاعر:

أقول و قد ناءت بها غربه النوى نوى خيتعور: لا تشط ديارك

«وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ» أى الضر أو الفقر أو المرض «فَدُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» أى فهو ذو دعاء كثير عند ذلك عن السدى و إنما قال «فَدُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» و لم يقل طويل لأنه أبلغ فإن العرض يدل على الطول و الطول لا يدل على العرض إذ قد يصح طويل و لا عرض له و لا يصح عريض و لا طول له فإن العرض الانبساط فى خلاف جهه الطول و الطول الامتداد فى أى جهه كان و فى الآيه دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر القائلين بأنه ليس الله على الكافر نعمه فإن الله سبحانه أخبر بأنه ينعم على الكافر و أنه يعرض عن موجبها من الشكر و المراد بالآيه أن الكافر يسأل ربه بالتضرع و الدعاء أن يكشف ما به من الضر و البلاء و يعرض عن الدعاء فى الرخاء «قُلْ» يا محمد «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ» القرآن «مِنَ عِنْدِ اللَّهِ» و قيل إن كان هذا الإنعام من عند الله «ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ» و جحدتموه «مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» أى فى خلاف للحق بعيد عنه و هو أنتم و الشقاق و المشاقه الميل إلى شق العداوه أى فلا أحد أضل منكم «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن المعنى سنريهم حججنا و دلالتنا على التوحيد فى آفاق العالم و أقطار السماء و الأرض من الشمس و القمر و النجوم و النبات و الأشجار و البحار و الجبال و فى أنفسهم و ما فيها من لطائف الصنعه و بدائع الحكمة «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ» أى يظهر لهم «أَنَّهُ الْحَقُّ» أى أن الله هو الحق عن عطاء و ابن زيد (و ثانيها) إن معناه سنريهم آياتنا و دلالتنا على صدق محمد ص و صحه نبوته فى الآفاق أى بما يفتح من القرى عليه و على المسلمين فى أقطار الأرض و فى أنفسهم يعنى فتح مكة عن السدى و الحسن و مجاهد و قالوا هو ظهور محمد ص على الآفاق و على مكة حتى يعرفوا أن ما أتى به من القرآن حق و من عند الله لأنهم بذلك يعرفون أنه مؤيد من قبل الله تعالى بعد أن كان واحدا لا ناصر له (و ثالثها) أن المراد بقوله «فِي الْآفَاقِ» وقائع الله فى الأمم «وَ فِي أَنْفُسِهِمْ» وقعه يوم بدر عن قتاده (و رابعها) أن معناه سنريهم آياتنا فى

الآفاق بصدق ما كان يخبرهم به النبي ص من الحوادث فيها و في أنفسهم يعني ما كان بمكة من انشقاق القمر حتى يعلموا أن خبره حق من قبل الله سبحانه (و خامسها) أن المراد سنريهم آثار من مضى من قبلهم ممن كذب الرسل من الأمم و آثار خلق الله في كل البلاد و في أنفسهم من أنهم كانوا نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم كسيت لحمًا ثم نقلوا إلى التمييز و العقل و ذلك كله دليل على أن الذي فعله واحد ليس كمثل شىء عن الزجاج «أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» موضع قوله «بِرَبِّكَ» رفع و المعنى أ و لم يكف ربك و «أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» في موضع رفع أيضا على البدل و إن حملته على اللفظ فهو في موضع جر و المفعول محذوف و تقديره أ و لم يكف شهادته ربك على كل شىء و معنى الكفاية هنا أنه سبحانه بين للناس ما فيه كفاية من الدلالة على توحيده و تصحيح نبوه رسله قال مقاتل معناه أ و لم يكف ربك شاهدا أن القرآن من عند الله و قيل معناه أ و لم يكف ربك لأنه على كل شىء شهود أي عليم بالأشياء شاهد لجميعها لا يغيب عنه شىء «أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ» ألا- كلمه تنبيه و تأكيد أن الكفار في شك من لقاء ثواب ربهم و عقابه أي في شك من مجازاه ربهم و في هذا تسفيه لهم في إضافه العيب إلى الله «أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» أي أحاط علمه بكل شىء فلا يخفى عليه شىء.

اشاره

اشاره

و تسمى سورة حم عسق أيضا و هي مكيه عن الحسن إلا- قوله «و الَّذِينَ اسْتَجَابُوا» و الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ «لَا- يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» و عن ابن عباس و قتاده إلا- أربع آيات منها نزلن بالمدينه «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قال ابن عباس و لما نزلت هذه الآية قال رجل و الله ما أنزل الله هذه الآية فأنزل الله «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» ثم أن الرجل تاب و ندم فنزل «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» إلى قوله «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ».

عدد آياتها

ثلاث و خمسون آيه كوفى و خمسون فى الباقي.

اختلافها

ثلاث آيات «حم عسق» «كَالْأَعْلَامِ» ثلثهن كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة و يستغفرون له و يسترحمون

و

روى سيف بن عميره عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ حم عسق بعثه الله يوم القيامة و وجهه كالقمر ليله البدر حتى يقف بين يدى الله عز و جل فيقول عبدى أدمنت قراءه حم عسق و لم تدر ما ثوابها أما لو دريت ما هى و ما ثوابها لما مللت من قراءتها و لكن سأجزيك جزاءك أذخلوه الجنة و له فيها قصر من ياقوته حمراء أبوابها و شرفها و درجها منها يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها و له فيها حوراوان من الحور العين و ألف جاريه و ألف غلام من الولدان المخلدن الذين وصفهم الله.

تفسيرها

ختم الله سورة حم السجده بذكر القرآن و افتتح هذه السوره بذكره أيضا فقال:

ص: ٣٢

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)

القراءه

قرأ ابن كثير كذلك يوحى إليك بفتح الحاء و الباقون «يُوحى» بكسر الحاء و فى الشواذ روايه الأعمش عن ابن مسعود حم سق بغير عين.

الحجه

قال أبو على من قرأ يوحى فبنى الفعل للمفعول به احتمل أمرين (أحدهما) أن المعنى يوحى إليك السوره كما أوحى إلى الذين من قبلك زعموا أن هذه السوره قد أوحى إلى الأنبياء قبل (و الآخر) أن يكون الجار و المجرور يقومان مقام الفاعل و يجوز أن يكون قوله تعالى «اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» تبييناً للفاعل كقوله يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ثُمَّ قَالَ رِجَالٌ كَأَنَّهُ قِيلَ مِنْ يَسْبِحُ فَقَالَ رِجَالٌ وَ مِنْ قَرَأَ «يُوحى إِلَيْكَ» على بناء الفعل للفاعل فإن اسم الله يرتفع بفعله و أما اختلاف القراء فى «يَتَفَطَّرْنَ» و ينفطرن و الوجه فى ذلك قد مر ذكره فى سوره مريم و قال ابن جنى قراءه ابن مسعود حم سق مما يؤكدها الغرض فى هذه الفواتح إنما هو لكونها فواصل بين السور و لو كان فى أسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شىء منها بل كانت مؤداه بأعيانها و قد كان ابن عباس قد قرأها بلا عين أيضاً و كان يقول السين كل فرقه تكون و القاف كل جماعه تكون.

المعنى

«حم» قد مضى تفسيره «عسق» قيل إنما فضلت هذه السوره من بين سائر الحواميم بعسق لأن جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه فذكر عسق ليكون دلالة على الكتاب دلالة التضمين و إن لم يدل عليه دلالة التصريح و هو معنى قول قتاده فإنه قال هو اسم من أسماء القرآن و قيل لأن هذه السوره انفردت بأن معانيها أوحيت إلى سائر الأنبياء فلذلك خصت بهذه التسميه و قال عطا: هى حروف مقطعه من حوادث آتية فالحاء من حرب و الميم من تحويل ملكك و العين من عدو مقهور و السين من الاستئصال بسنين كسنى يوسف و القاف من قدره الله فى ملوك الأرض و سائر الأقوال فى ذلك المذكوره فى أول البقره «كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ» أى كالوحي الذى تقدم يوحى إليك أخبار الغيب

و ما يكون قبل أن يكون و إلى الذين من قبلك من الأنبياء عن عطا عن ابن عباس قال و ما من نبي أنزل الله عليه الكتاب إلا أنزل عليه معاني هذه السوره بلغاتهم و قيل معناه كهذا الوحي الذي يأتي في هذه السوره يوحى إليك لأن ما لم يكن حاضرا تراه صلح فيه هذا لقرب وقته و ذلك لبعده في نفسه و معنى التشبيه في كذلك أن بعضه كبعض في أنه حكمه و صواب بما تضمنه من الحجج و المواعظ و الفوائد «اللَّهُ» الذي تحق له العباده «الْعَزِيزُ» القادر الذي لا يغالب «الْحَكِيمُ» المحكم لأفعاله «لَهُ ما فى السَّمَاوَاتِ وَ ما فى الأَرْضِ وَ هُوَ الْعَلِيُّ» المستعلى على كل قادر «الْعَظِيمُ» شأنه «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ» أى تكاد كل واحده من السماوات تنشق من فوق التى تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا استعظاما لذلك عن ابن عباس و الحسن و قيل معناه تكاد السماوات يتشققن فرقا من عظمه الله و جلاله من فوقهن تقديره ممن فوقهن أى من عظمه من فوقهن عن الضحاك و قتاده و الزجاج و قيل من فوقهن أى من فوق الأرضين و هذا على طريق التمثيل و المعنى لو كانت السماوات تنفطر لشيء لانفطرت لهذا «وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى ينزهونه عما لا يجوز عليه فى صفاته و يعظمونه عما لا يليق به فى ذاته و أفعاله و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و الملائكة و من حول العرش يسبحون بحمد ربهم لا يفترون

«وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فى الأَرْضِ» من المؤمنين «ألا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ» و المعنى ظاهر.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن إمهاله الكفار بعد تقديم الإنذار فقال «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أى آلهه عبدوها من دون الله يعنى كفار مكة «اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ» أى حافظ عليهم أعمالهم لا يعزب شىء منها عنه ليجازيهم على ذلك كله «وَمَا أَنْتَ» يا محمد «عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» أى وما أنت بمسلط عليهم لتدخلهم فى الإيمان قهرا وقيل معناه إنك لم توكل بحفظ أعمالهم وإنما بعثت نذيرا لهم داعيا إلى الله مبينا سبيل الرشداى فلا يضيعن صدرك بتكذيبهم إياك وفيه تسليه للنبي ص «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» أى ومثل ما أوحينا إلى من تقدمك من الأنبياء بالكتب التى أنزلناها عليهم بلغه قومهم أوحينا إليك قرآنا بلغه العرب ليفقهوا ما فيه «لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا» أى لتنذر أهل أم القرى وهى مكة ومن حولها من سائر الناس وقرى الأرض كلها «وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ» أى وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السماوات والأرضين فيوم الجمع مفعول ثان لتنذر وليس بظرف «لَا- رَبِّ فِيهِ» أى لا شك فى كونه ثم قسم سبحانه أهل يوم الجمع فقال «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» أى فريق منهم فى الجنة بطاعتهم وفريق منهم فى النار بمعصيتهم «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى ولو شاء الله أن يحملهم على دين واحد وهو الإسلام بأن يلجئهم إليه لفعله ولكنه لم يفعل له لأنه لئلا يهدى إلى إبطال التكليف والتكليف إنما يثبت مع الاختيار عن الجبائى وقيل إن معناه ولو شاء الله لسوى بين الناس فى المنزلة بأن يخلقهم فى الجنة ولكنه اختار لهم أعلى الدرجتين وهو استحقاق الثواب «وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ» وهم المؤمنون «وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ» يواليهم «وَلَا نَصِيرٍ» يمنع عنهم عذاب الله «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أى بل اتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام والأوثان يوالونهم «فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ» معناه أن المستحق للولاية فى الحقيقة هو الله تعالى دون غيره لأنه المالك للنعف والضرر «وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ» أى يعيئهم للجزاء «وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من الإحياء والإماتة وغير ذلك «وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه أن الذى تختلفون فيه من أمور دينكم ودنياكم وتنازعون فيه فحكمه إلى الله فإنه الفاصل بين المحق والمبطل فيه فيحكم للمحق بالثواب والمدح وللمبطل بالعقاب والذم وقيل معناه بيان الصواب إلى الله بنصب الأدله وقيل فحكمه إلى الله يوم القيامة فيجازى كل أحد بما يستحقه «ذَلِكُمُ اللَّهُ» الذى يحكم بين المختلفين «رَبِّي»

أى هو ربي «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» فى مهماتى «وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» أى إله أرجع فى جميع أمورى.

ص: ٣٦

إشارة

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)

اللغة

الذرا إظهار الخلق بإيجاده يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ومنه ملح ذرأني لظهور بياضه ويقال أنمى الله ذراك و ذروك أى ذريتك عن الأزهرى و شرع الله الدين أى بين و أظهر ومنه المشرعه و الشريعة لأنهما فى مكان معلوم ظاهر من الأنهار فالشريعة و الشرعه الظاهر المستقيم من المذاهب التى شرعها الله.

الإعراب

«أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ» يجوز أن يكون موضعه رفعا و نصبا و جرا فالرفع على معنى هو أن أقيموا الدين و النصب على معنى شرع لكم أن أقيموا الدين و الجر على البدل من الهاء فى به و جائر أيضا أن يكون أن أقيموا الدين تفسيرا لما وصى به نوحا و لقوله «وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» و لقوله «وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ» فيكون المعنى شرع لكم و لمن قبلكم إقامة الدين و ترك الفرقة فيه.

المعنى

ثم وصف سبحانه نفسه بما يوجب أن لا يعبد غيره فقال: «فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى خالقهما و مبدعهما ابتداء «جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا» أى أشكالا مع كل ذكر أنثى يسكن إليها و يألفها «وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا» أى ذكورا و إناثا لتكامل منافعكم بها كما قال ثمانية أزواج من الضأن اثنين إلى آخره «يَذُرُّكُمْ فِيهِ» أى يخلقكم فى هذا الوجه الذى ذكر من جعل الأزواج فالهاء فى فيه يعود إلى الجعل المراد بقوله «جَعَلَ لَكُمْ» و قيل معناه يذرؤكم فى التزواج لتكثروا به لدلاله الكلام عليه و هو ذكر الأزواج و مثله قول ذى الرمة:

و فيه أحسن الثقلين جيدا و سالفه و أحسنه قذالا

أى و أحسن من ذكر يعنى الثقلين و قال الزجاج و الفراء معناه يذرؤكم به أى يكثركم بأن جعل من أنفسكم أزواجا و من الأنعام أزواجا و أنشد الأزهرى فى ذلك:

و أرغب فيها عن لقيط و أهله و لكننى عن سنبس لست أرغب

أى أرغب بها عن لقيط «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» أى ليس مثله شىء و الكاف زائده مؤكده لمعنى النفى قال أوس بن حجر:

و قتلى كمثل جذوع النخيل يغشاهم سبل منهمر

ص: ٣٧

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم فى الناس من أحد

و قيل معناه إنه لو قدر الله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل لما تقرر فى العقول أن الله تعالى متفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فلو كان له مثل لتفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فكان هو الله و قد دل الدليل على أنه ليس مع الله إله آخر و قيل: فيه حذف مضاف و مثل بمعنى الصفة تقديره ليس كصاحب صفته شىء و صاحب صفته هو أى ليس كهو شىء و الوجه هو الأول «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» لما نفى أن يكون له نظير و شبهه على وجه من الوجوه بين أنه مع ذلك سميع بصير فإنما المدح فى أنه لا مثل له مع كونه سميعاً بصيراً لجميع المسموعات و المبصرات «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى مفاتيح أرزاق السماوات و الأرض و أسبابها فتمطر السماء بأمره و تنبت الأرض بإذنه عن مجاهد و قيل معناه خزائن السماوات و الأرض عن السدى «يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» أى يوسع الرزق لمن يشاء و يضيق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح للعباد «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فيفعل ذلك بحسب المصالح ثم خاطب سبحانه خلقه فقال «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا» أى بين لكم و نهج و أوضح من الدين و التوحيد و البراءة من الشرك ما وصى به نوحا «وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» أى و هو الذى أوحينا إليك يا محمد «وَ» و هو «مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى» ثم بين ذلك بقوله «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» و إقامه الدين التمسك به و العمل بموجبه و الدوام عليه و الدعاء إليه و لا تتفرقوا أى و لا تختلفوا فيه و ائتلفوا فيه و اتفقوا و كونوا عباد الله إخوانا «كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» من توحيد الله و الإخلاص له و رفض الأوثان و ترك دين الآباء لأنهم قالوا أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا و معناه ثقل عليهم و عظم اختيارنا لك بما تدعوهم إليه و تخصيصك بالوحى و النبوه دونهم «اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ» أى ليس إليهم الاختيار لأن الله يصطفى لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرساله و تحمله لها فاجتباك الله لها كما اجتبى من قبلك من الأنبياء و قيل معناه الله يصطفى من عباده لدينه من يشاء «وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» أى و يرشد إلى دينه من يقبل إلى طاعته و هذا كقوله وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى و قيل يهدى إلى جنته و ثوابه من يرجع إليه بالنيه و الإخلاص ثم قال «وَ مَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» معناه و إن هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك

إلا بعد أن أتاهم طريق العلم بصحة نبوتك فعدلوا عن النظر فيه «بَغِيًّا بَيْنَهُمْ» أى فعلوا ذلك للظلم والحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وقيل معناه وما تفرقوا عنه أى عن محمد ص إلا بعد أن علموا أنه حق ولكنهم تفرقوا عنه حسدا له و خوفا أن تذهب رئاستهم «وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَيِّبَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» معناه و لو لا وعد الله تعالى و إخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم و تأخر العذاب عنهم فى الحال لفصل بينهم الحكم و أنزل عليهم العذاب الذى استحقوه عاجلا و قيل معناه و لو لا وعد الله بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة و هو الأجل المسمى لقضى بينهم بإهلاك المبطل و إثابه المحق «وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ» معناه و إن اليهود و النصارى الذين أورثوا الكتاب من بعد قوم نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و من بعد أحبارهم لفى شك من القرآن أو من محمد ص مؤد إلى الريه عن السدى بين بذلك أن أحبارهم أنكروا الحق عن معرفته و إن عوامهم كانوا شاكين فيه يدل عليه قوله الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ* و قيل معناه و إن الذين أورثوا الكتاب أى القرآن و هم العرب من بعدهم أى من بعد اليهود و النصارى لفى شك منه بليغ و لو استقصوا فى النظر أدى بهم إلى اليقين و الرشد «فَلِذَلِكَ فَادُّعُ» أى فى ذلك فادع عن الفراء و الزجاج يقال دعوت لفلان و إلى فلان و ذلك إشاره إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد و معناه فى الدين الذى شرعه الله تعالى و وصى به أنبياءه فادع الخلق يا محمد و قيل إن اللام للتعليل أى فلأجل الشك الذى هم فيه فادعهم إلى الحق حتى تزيل شكهم «وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» أى فاثبت على أمر الله و تمسك به و اعمل بموجبه و قيل و استقم على تبليغ الرساله «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» يعنى أهواء المشركين فى ترك التبليغ «وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ» أى آمنت بكتب الله التى أنزلها على الأنبياء قبلى كلها «وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» أى كى أعدل بينكم أى أسوى بينكم فى الدين و الدعاء إلى الحق و لا أحابى أحدا و قيل معناه أمرت بالعدل بينكم فى جميع الأشياء و

فى الحديث ثلاث منجيات و ثلاث مهلكات فالمنجيات العدل فى الرضاء و الغضب و القصد فى الغنى و الفقر و خشيه الله فى السر و العلانيه و المهلكات شح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه

«اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ» أى و قل لهم أيضا الله مدبرنا و مدبركم و مصرفنا و مصرفكم و المنعم علينا و عليكم و إنما قال ذلك لأن المشركين قد اعترفوا بأن الله هو الخالق «لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أى لا يضرنا إصراركم على الكفر فإن جزاء أعمالنا لنا و جزاء أعمالكم لكم لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره «لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ» أى لا خصومه بيننا و بينكم عن مجاهد و ابن زيد و المعنى أن الحق قد ظهر فسقط الجدل و الخصومه و كنى بالحجه عن الخصومه لاحتجاج أحد الخصمين على الآخر و هذا قبل أن يؤمر بالقتال و إذا لم يؤمر بالقتال

و أمر بالدعوه لم تكن بينه و بين من لا- يجيب خصومه و قيل معناه لا حجه بيننا و بينكم لظهور أمركم فى البغى علينا و العداوه لنا و المعانده لا على طريق الشبهه و ليس ذلك تحريما لإقامه الحجه لأنه لا يلزم قبول الدعوه إلا بالحجه التى يظهر بها المحق من المبطل فإذا صار الإنسان إلى البغى و العداوه سقط الحجاج بينه و بين أهل الحق «اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا» يوم القيامة لفصل القضاء «وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» يحكم بيننا بالحق و فى هذا غايه التهديد.

[سوره الشورى (٤٢): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشاره

وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)

المعنى

لما تقدم ظهور الحجه و انقطاع المحاجه عقبه بذكر من يحاج بالباطل فقال سبحانه «وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ» أى يخاصمون النبى ص و المسلمين فى دين الله و توحيده و هم اليهود و النصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم و نبينا قبل نبيكم و نحن خير منكم و أولى بالحق عن مجاهد و قتاده و إنما قصدوا بما قالوا ليدفعوا ما أتى به محمد ص «مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ» أى من بعد ما دخل الناس فى الإسلام و أجابوه إلى ما دعاهم إليه «حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى خصومتهم باطله حيث زعموا أن دينهم أفضل من الإسلام و لأن ما ذكروه لا يمنع

من صحه نبوه نبينا بأن ينسخ الله كتابهم و شريعته نبيهم و قيل معناه و الذين يجادلون فى الله بنصره مذهبهم من بعد ما استجيب للنبي ص دعاؤه فى كفار بدر حتى قتلهم الله بأيدى المؤمنين و استجيب دعاؤه على أهل مكة و على مضر حتى قحطوا و دعاؤه للمستضعفين حتى خلصهم الله من أيدى قريش و غير ذلك مما يطول تعداده عن الجبائى و قيل من بعد ما استجيب لمحمد ص دعاؤه فى إظهار المعجزات و إقامتها و قيل من بعد ما استجيب له بأن أقروا به قبل مبعثه فلما بعث جحدوه كما قال و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا و إنما سمي سبحانه شبهتهم حجه على اعتقادهم و لشبهها بالحجه أجرى عليها اسمها من غير إطلاق الصفه بها «و عَلَيْهِمْ غَضَبٌ» أى غضب الله عليهم لأجل كفرهم «و لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» دائم يوم القيامة «اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ» أى القرآن «بِالْحَقِّ» أى بالصدق فيما أخبر به من ماض و مستقبل و قيل بالحق أى بالأمر و النهى و الفرائض و الأحكام و كله حق من الله «و الْمِيزَانَ» أى و أنزل الله العدل و الميزان عباره عن العدل كنى به عنه عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و مقاتل و إنما سمي العدل ميزانا لأن الميزان آله الإنصاف و التسويه بين الخلق و قيل أراد به الميزان المعروف و أنزله الله من السماء و عرفهم كيف يعملون به بالحق و كيف يزنون به عن الجبائى و قيل الميزان محمد ص يقضى بينهم بالكتاب عن علقمه و يكون على التوسع و التشبيه و لما ذكر العدل أتبعه بذكر الساعه فقال «و مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ» أى و ما يدريك يا محمد و لا غيرك لعل مجىء الساعه قريب و إنما أخفى الله الساعه و وقت مجيئها على العباد ليكونوا على خوف و ليبادروا إلى التوبه و لو عرفهم مجيئها لكانوا مغرين بالقباح قبل ذلك تعويلا على التلافي بالتوبه «بَشِّرْ تَعْجَلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا» لجهلهم بأحوالها و أهوالها فلا يخافون ما فيها إذ لم يؤمنوا بها فهم يطلبون قيامها إبعادا لكونها «و الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا» أى خائفون من مجيئها و هم غير متأهين لها «و يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ» أى أن مجيئها الحق الذى لا خلف فيه «أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ» أى تدخلهم المريبه و الشك «فِي السَّاعَةِ» فيخاصمون فى مجيئها على وجه الإنكار لها «لَفِي ضَلَالٍ» عن الصواب «بَعِيدٍ» حين لم يذكروا فيعلموا أن الذى خلقهم أولا قادر على بعثهم ثم قال:

«اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ» أى حفى بار بهم رفيق عن ابن عباس و عكرمه و السدى و قيل اللطيف العالم بخفيات الأمور و الغيوب و المراد به هنا الموصل المنافع إلى العباد من وجه يدق إدراكه و ذلك فى الأرزاق التى قسمها الله لعباده و صرف الآفات عنهم و إيصال السرور و الملاذ إليهم و تمكينهم بالقدر و الآلات إلى غير ذلك من أطفاه التى لا يوقف على كنهها لغموضها ثم قال سبحانه «يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ» أى يوسع الرزق على من يشاء يقال فلان مرزوق إذا وصف بسعه

الرزق وقيل معناه يرزق من يشاء في خفض ودعه و من يشاء في كد و مشقه و متعبه و كل من رزقه الله من ذى روح فهو ممن شاء الله أن يرزقه «وَهُوَ الْقَوِيُّ» القادر الذى لا يعجز «الْعَزِيزُ» الغالب الذى لا يغالب «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ» معنى الحرث فى اللغه الكسب و فلائن يحرث لعياله و يحترث أى يكتسب أى من كان يريد بعمله نفع الآخرة و يعمل لها نجاهه بعمله و نضاعف له ثواب عمله فنعطيه على الواحد عشره و نزيد على ذلك ما نشاء «وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» أى و من كان يريد بعمله نفع الدنيا نعطه نصيبا من الدنيا لا جميع ما يريده بل على حسب ما تقتضيه الحكمة كما قال سبحانه عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ «وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» و قيل معناه من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الغانمين و الثواب فى الآخرة و من قصد به الغنيمه لم يحرم ذلك و حصل له سهمه من الغنيمه و لكن لا نصيب له من الثواب فى الآخرة و

روى عن النبى ص أنه قال من كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره و جعل الفقر بين عينيه و لم يأتته من الدنيا إلا ما كتب له و من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله و جعل غناه فى قلبه و أتته الدنيا و هى راغمه

و قيل من كان يعمل للآخرة نال الدنيا و الآخرة و من عمل للدنيا فلا حظ له فى ثواب الآخرة لأن الأعلى لا يجعل تبعا للأدون عن الحسن.

إشارة

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَقَعَ بِهِمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسَيْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَغْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو و حمزه و الكسائي و خلف يبشر الله بفتح الياء و سكون الباء و ضم الشين و الباقون «يُبَشِّرُ اللَّهَ» بضم الياء و فتح الباء و كسر الشين مشدده و قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» بالياء على الخطاب و الباقون بالياء.

الإعراب

«ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ» تقديره الذي يبشر الله به عباده فحذف الباء ثم حذف الهاء و يجوز أن يكون الذي حكمه حكم ما التي تكون مصدرية أي ذلك تبشير الله عباده و «يَمْحُحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ» ليس بمعطوف على يختم لأن محو الباطل واجب فلا يكون معلقا بالشرط.

المعنى

لما أخبر الله سبحانه أن من يطلب الدنيا بأعماله فلا حظ له في خير الآخرة قال «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ» أي بل لهؤلاء الكفار شركاء فيما كانوا يفعلونه «شَرَعُوا لَهُمْ» أي بينوا لهم و نهجوا لهم «مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» أي ما لم يأمر به الله و لا أذن فيه أي شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام عن ابن عباس «وَ لَوْ لَا - كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ» أي لو لا أن الله حكم في كلمه الفصل بين الخلق بتأخير العذاب لهذه الأمة إلى الآخرة لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا «وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ» الذين يكذبونك «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» في الآخرة «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ» أي خائفين «مِمَّا كَسَبُوا» أي من جزاء ما كسبوا من المعاصي و هو العقاب الذي استحقوه «وَ هُوَ وَقَعَ بِهِمْ» لا محاله لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه و الإشفاق الخوف من جهة الرقة على المخوف عليه من وقوع الأمر «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ» فالروضه الأرض الخضرة بحسن النبات و الجنة و الأرض التي يحفها الشجر «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أي لهم ما يتمنون و يشتهون يوم القيامة الذي لا يملك فيه الأمر و النهي غير ربهم و لا يريد بعند قرب المسافة لأن ذلك من صفات الأجسام و قيل عند ربهم أي في حكم ربهم «ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» أي ذلك الثواب هو الفضل العظيم من الله إذ نالوا نعيماً لا ينقطع بعمل قليل منقطع ثم قال «ذَلِكَ» الفضل

الكبير «الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا من شدد الشين أراد به التكثير و من خفف فلائنه يدل على القليل و الكثير ثم قال سبحانه «قُلْ» لهم يا محمد «لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» اختلف في معناه على أقوال (أحدها) لا أسألكم على تبليغ الرسالة و تعليم الشريعة أجرا إلا التواد و التحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح عن الحسن و الجبائي و أبي مسلم قالوا هو التقرب إلى الله تعالى و التودد إليه بالطاعة (و ثانيها) أن معناه إلا أن تودوني في قرابتي منكم و تحفظوني لها عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و جماعه قالوا و كل قریش كانت بينه و بين رسول الله ص قرابه و هذا لقریش خاصه و المعنى أن لم تودوني لأجل النبوه فودوني لأجل القرابه التي بيني و بينكم (و ثالثها)

أن معناه إلا أن تودوا قربتي و عترتي و تحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (عليه السلام) و سعيد بن جبیر و عمرو بن شعيب و جماعه و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام)

و أخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال أخبرنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثني القاضي أبو بكر الحميري قال أخبرنا أبو العباس الضبعي قال أخبرنا الحسن بن علي بن زياد السري قال أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى قال حدثنا حسين الأشتر قال أخبرنا قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال لما نزلت «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم قال علي و فاطمه و ولدهما

و أخبرنا السيد أبو الحمد قال أخبرنا الحاكم أبو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل مرفوعا إلى أبي أمامه الباهلي قال قال رسول الله ص إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى و خلقت أنا و علي من شجره واحده فأنا أصلها و علي فرعها و فاطمه لقاحها و الحسن و الحسين ثمارها و أشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا و من زاغ عنها هوى و لو أن عبدا عبد الله بين الصفا و المروه ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالى ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخره في النار ثم تلا «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»

و روى زاذان عن علي (عليه السلام) قال فينا في آل حم آيه لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن قم قرأ هذه الآيه

و إلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حم آيه تأولها منا تقى و معرب

و على الأقوال الثلاثة فقد قيل في «إِلَّا الْمَوَدَّةَ» قولان: (أحدهما) أنه استثناء منقطع لأن

هذا مما يجب بالإسلام فلا يكون أجرا للنبوه (و الآخر) أنه استثناء متصل و المعنى لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا فقد رضيت به أجرا كما أنك تسأل غيرك حاجه فيعرض المسئول عليك برا فتقول له اجعل برى قضاء حاجتى و على هذا يجوز أن يكون المعنى لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا و نفعه أيضا عائد عليكم فكأنى لم أسألكم أجرا كما مر بيانه فى قوله قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ و

ذكر أبو حمزه الثمالى فى تفسيره حدثنى عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ص حين قدم المدينة و استحکم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها نأتى رسول الله ص فنقول له إن تعرك أمور فهذه أموالنا تحکم فيها غير حرج و لا- محظور عليك فأتوه فى ذلك فنزلت «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فقرأها عليهم و قال تودون قرابتى من بعدى فخرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون إن هذا لشيء افتراء فى مجلسه أراد بذلك أن يذلنا لقرابته من بعده فنزلت أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِم فَتَلَاها عَلَيْهِمْ فَبَكَوا و اشتد عليهم فأنزل الله وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ الْآيَةَ فَأَرْسَلْنَا فِي إِثْرِهِمْ بَشْرَهُمْ و قال وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا و هم الذين سلموا لقوله

ثم قال سبحانه «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسَيْنًا» أى و من فعل طاعه نزد له فى تلك الطاعه حسنا بأن نوجب له الثواب و ذكر أبو حمزه الثمالى عن السدى قال إن اقرار الحسنه الموده لآل محمد ص و صح

عن الحسن بن على (عليه السلام) أنه خطب الناس فقال فى خطبته إنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى و مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» فاقرار الحسنه مودتنا أهل البيت

و

روى إسماعيل بن عبد الخالق عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال إنها نزلت فىنا أهل البيت أصحاب الكساء

«إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» أى غفور للسيئات شكور للطاعات يعامل عباده معاملة الشاكر فى توفيه الحق حتى كأنه ممن وصل إليه النفع فشكره «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى بل يقولون افترى محمد على الله كذبا فى ادعائه الرساله عن الله «فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ» أى لو حدثت نفسك بأن تفترى على الله كذبا لطبع الله على قلبك و لأنسك القرآن فكيف تقدر أن تفترى على الله و هذا كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك و قيل معناه فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك قولهم إنه مفتر و ساحر عن مجاهد و مقاتل فعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار و حذف ثم أخبر سبحانه أنه يذهب ما يقولونه باطلا فقال «وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ» أى يزيله و يرفعه بإقامه الدلائل على بطلانه و حذف الواو من يمحو فى المصاحف

كما حذف من قوله سَدَّ دَعْوَةَ الرَّبَّانِيَّةِ عَلَى اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين و ليس بعطف على قوله «يَخْتِمُ» لأنه مرفوع يدل عليه قوله «وَ يُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» أى و يثبت الحق بأقواله التى ينزلها على نبيه ص و هو هذا القرآن المعجز «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى بضمائر القلوب «وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» و إن جلت معاصيهم فكأنه قال من نسب محمدا ص إلى الافتراء ثم تاب قبلت توبته و إن جلت معصيته «وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» من خير و شر فيجازيهم على ذلك.

[سوره الشورى (٤٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشارة

وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)

القرء

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و ما أصابكم من مصيبه بما كسبت أيديكم بغير فاء و الباقون بالفاء.

الحجة

قال أبو على القول فى ذلك أن أصاب فى قوله «وَ مَا أَصَابَكُمْ» يحتمل أمرين يجوز أن يكون صله ما و يجوز أن يكون شرطا فى موضع جزم فمن قدره شرطا لم يجر حذف الفاء منه على قول سيبويه و قد تأول أبو الحسن بعض الآى على حذف الفاء فى جواب الشرط و قال بعض البغداديين حذف الفاء من الجواب جائز و استدل على ذلك بقوله «وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ»

إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ و إذا كان صله فالإثبات و الحذف جائزان على معنيين مختلفين أما إذا ثبت الفاء ففيه دليل على أن الأمر الثانى واجب بالأول و إذا لم يذكر الفاء جاز أن يكون الثانى واجب للأول و جاز أن يكون لغيره.

المعنى

لما تقدم وعيد أهل العصيان عقبه سبحانه بالوعد لأهل الطاعة فقال «وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى يجيبهم إلى ما يسألونه و قيل معناه يجيبهم فى دعاء بعضهم لبعض عن معاذ بن جبل و قيل معناه يقبل طاعاتهم و عباداتهم و يزيدهم من فضله على ما يستحقونه من الثواب و قيل معناه و يستجيب الذين آمنوا بأن يشفعهم فى إخوانهم «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» و يشفعهم فى إخوان إخوانهم عن ابن عباس و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله ص فى قوله «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» الشفاعة لمن وجبت له النار ممن أحسن إليهم فى الدنيا

«وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» ظاهر المعنى و لما بين سبحانه أنه يزيد المؤمنين من فضله أخير عقبيه أن الزيادة فى الأرزاق فى الدنيا تكون على حسب المصالح فقال «وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ» أى لو وسع الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه لبطروا نعمته و تنافسوا و تغالبوا و ظلموا فى الأرض و تغلب بعضهم على بعض و خرجوا عن الطاعة قال ابن عباس بغيمهم فى الأرض طلبهم منزله بعد منزله و دابه بعد دابه و ملبسا بعد ملبس «وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ» أى و لكنه ينزل من الرزق قدر صلاحهم ما يشاء نظرا منه لهم عن قتاده و المعنى أنه يوسع الرزق على من تكون مصلحته فيه و يضيق على من يكون مصلحته فيه و يؤيده الحديث الذى

رواه أنس عن النبى ص عن جبرائيل (عليه السلام) عن الله إن من عبادى من لا يصلحه إلا السقم و لو صححته لأفسده و إن من عبادى من لا يصلحه إلا الصحة و لو أسقمته لأفسده و إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى و لو أفقرته لأفسده و إن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر و لو أغنيته لأفسده و ذلك أنى أدبر عبادى لعلمى بقلوبهم

و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة و متى قيل نحن نرى كثيرا ممن يوسع عليه الرزق يبغى فى الأرض قلنا إنا إذا علمنا على الجملة أنه سبحانه يدبر أمور عباده بحسب ما يعلم من مصالحهم ففعل هؤلاء كان يستوى حالهم فى البغى وسع عليهم أو لم يوسع أو لعلهم لو لم يوسع عليهم لكانوا أسوأ حالا- فى البغى فلذلك وسع عليهم و الله أعلم بتفاصيل أحوالهم «إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» أى عليم بأحوالهم بصير بما يصلحهم و ما يفسدهم ثم بين سبحانه حسن نظره بعباده فقال «وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا» أى ينزله عليهم من بعد ما يئسوا من نزوله و الغيث ما كان نافعاً فى وقته و المطر قد يكون نافعاً و قد يكون ضاراً فى وقته و غير وقته و وجه إنزاله بعد القنوط أنه أدعى إلى شكر الآتى به

و تعظيمه و المعرفه بموقع إحسانه «و يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ» أى و يفرق نعمته و يبسطها بإخراج النبات و الثمار التى يكون سببها المطر «و هُوَ الْوَلِيُّ» الذى يتولى تدبير عباده و تقدير أمورهم و مصالحهم المالك لهم. «الْحَمِيدُ» المحمود على جميع أفعاله لكون جميعها إحسانا و منافع «و مِنْ آيَاتِهِ» الداله على وحدانيته و صفاته التى باين بها خلقه «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب و الأجناس التى لا يقدر عليها القادر بقدرته «وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ» و الدابه ما تدب فيدخل فيه جميع الحيوانات «و هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» أى و هو على حشرهم إلى الموقف بعد إماتتهم قادر لا يتعذر عليه ذلك ثم قال سبحانه «وَمَا أَصَابَكُمْ» معاشر الخلق «مِنْ مُصِيبَةٍ» من بلوى فى نفس أو مال «فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» من المعاصى «وَيَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» منها فلا يعاقب بها قال الحسن: الآيه خاصه بالحدود التى تستحق على وجه العقوبه و قال قتاده هى عامه

و روى عن على (عليه السلام) أنه قال قال رسول الله ص خير آيه فى كتاب الله هذه الآيه يا على ما من خدش عود و لا نكبه قدم إلا بذنب و ما عفا الله عنه فى الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه و ما عاقب عليه فى الدنيا فهو أعدل من أن يثنى على عبده

و قال أهل التحقيق إن ذلك خاص و إن خرج مخرج العموم لما يلحق من مصائب الأطفال و المجانين و من لا ذنب له من المؤمنين و لأن الأنبياء و الأئمه يمتحنون بالمصائب و إن كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب.

النظم

و الوجه فى اتصال هذه الآيه بما قبلها إن الله تعالى لما بين عظيم إنعامه على العباد بين بعده أن لا يعاقبهم إلا على معاصيهم.

[سوره الشورى (٤٢): الآيات ٣١ الى ٣٥]

اشاره

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٣١) وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَ يَغْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَ يَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥)

ص: ٤٨

قرأ أهل الكوفه و ابن عامر «الجوار» بحذف الياء فى الوصل و الوقف و قرأ الباقون الجوارى بإثبات الياء فى الوصل و ابن كثير و يعقوب فى الوقف أيضا و قرأ أهل المدينه و ابن عامر يعلم الذين يجادلون بالرفع و الباقون و «يَعْلَم» بالنصب.

الحجه

قال أبو على القياس الجوارى و من حذف فلان حذف هذه الياءات و إن كانت لاما قد كثر فى كلامهم فصار كالقياس المستمر و من قرأ يعلم بالرفع استأنف لأنه موضع استئناف من حيث جاء من بعد الجماعه إن شئت جعلته خير مبتدأ محذوف و من نصب فلان قبله شرط و جزاء و كل واحد منهما غير واجب تقول فى الشرط إن تأتني و تعطيني أكرمك فتنصب تعطيني و تقديره إن يكن إتيان منك و إعطاء أكرمك فالنصب بعد الشرط إذا عطفت عليه بالفاء أمثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فأما قوله:

و من لا يقدم رجله مطمئنه فيثبتها فى مستوى الأرض يزلق

فالنصب فيه حسن لمكان النفي فأما العطف على الشرط نحو إن تأتني و تكرمني فأكرمك فالذى يختار سيبويه النصب فى العطف على جزاء الشرط فيختار «وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ» إذا لم يقطعه من الأول فيرفعه و يزعم أن المعطوف على جزاء الشرط شبيه بقوله:

" و الحق بالحجاز فاستريحا"

قال إلا- أن من ينصب فى العطف على جزاء الشرط أمثل من ذلك لأنه ليس يوقع فعلا إلا بأن يكون من غيره فعل فصار بمنزله غير الواجب و زعم سيبويه أن بعضهم قرأ يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالنصب و أنشد للأعشى فى نصب ما عطف بالفاء على الجزاء:

و من يغترب عن أهله لم يزل يرى مصارع مظلوم مجرا و مسحبا

و تدفن منه الصالحات و إن يسيء ما أساء النار فى رأس كبكبا

فهذا حجه لمن قرأ «وَيَعْلَمُ».

اللغه

الأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء:

و إن صخرًا لتأتم الهداه به كأنه علم فى رأسه نار

فيظللن أى يدمن و يقمن يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهارا و الرواكد الثوابت و الإيباق الإهلاك و الإيتلاف و وبق الرجل يبق و وبق يوبق إذا هلك و المحيص المعدل و الملجأ.

المعنى

ثم قال سبحانه «و ما أنتم» يا معشر المشركين «بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» أى لا- تعجزوننى حيث ما كنتم فلا تسبقوننى هربا فى الأرض و فى هذا استدعاء إلى العباده و ترغيب فيما أمر به و ترهيب عما نهى عنه «و ما لكم من دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» يدفع عنكم عقابه «و لا نصير» ينصركم عليه «و من آياته» أى و من حججه الداله على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره «الجوار» أى السفن الجاريه «فى البَحْرِ كَالْأَعْلَامِ» أى كالجبال الطوال «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ» أى إن يشأ الله يسكن الريح فتبقى السفن راكده واقفه على ظهر الماء لا- يبرحن من المكان لأن ماء البحر يكون راكدا فلو لم تجىء الريح لوقفت السفينه فى البحر و لم تجر فالله سبحانه جعل الريح سببا لجريها فيه و جعل هبوبها فى الجهه التى تسير إليها السفينه «إِنَّ فِي ذَلِكَ» الذى ذكر «لآياتٍ» أى حججا واضحات «لِكُلِّ صَبَّارٍ» على أمر الله «شَكُورٍ» على نعمته و قيل صبار على ركوبها شكور على جريها و النجاه من البحر «أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ» معناه إن يشاء إسكان الريح يسكن الريح أو أن يشأ يجعل الريح عاصفه فيهلك السفن أى أهلها بالغرق فى الماء عقوبه لهم بما كسبوا من المعاصى «و يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ» من أهلها فلا- يغرقيهم و لا- يعاجلهم بعقوبه معاصيهم «و يَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا» أى فى إبطال آياتنا و دفعها «ما لهم من مَحِيصٍ» أى ملجأ يلجئون إليه عن السدى.

إشارة

فَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَلْبَقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشِ وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم هنا و فى سورة و النجم كبير الإثم على التوحيد و الباقون «كَبَائِرِ الْإِثْمِ» على الجمع.

الحجة

حجة الجمع قوله إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَ مَنْ قَالَ كَبِيرَ فَأَفْرَدَ جَازَ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْجَمْعَ كَقَوْلِهِ وَ إِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُوهَا* وَ

فى الحديث منعت العراق درهمها و قفيزها.

الإعراب

«وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» يجوز أن يكون هم تأكيداً للضمير فى غضبوا و يغفرون جواب إذا و يجوز أن يكون هم ابتداء و يغفرون خبره و كذا «هُمْ يَنْتَصِرُونَ» و إن شئت كان هم وصفا للمنصوب قبله و إن شئت كان مبتدأ و قياس قول سيبويه أن يرتفع هم بفعل مضمر دل عليه «هُمْ يَنْتَصِرُونَ».

المعنى

ثم خاطب سبحانه من تقدم و صنفهم فقال «فَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى الذى أعطيتموه من شىء من الأموال «فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى فهو متاع الحياة الدنيا تتمتعون به أياما ثم تموتون فىبقى عنكم أو يهلك المال قبل موتكم «وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب و النعيم و ما أعده للجزاء على الطاعة «خَيْرٌ وَ أَلْبَقَى» من هذه المنافع القليلة «لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بتوحيد الله و بما يجب التصديق به «وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» و التوكل على الله تفويض الأمور إليه باعتقاد أنها جارية من قبله على أحسن التدبير مع الفزع إليه بالصداء من كل ما ينوب «وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ» يجوز أن يكون موضع الذين جرا عطفاً على قوله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» فىكون المعنى و ما عند الله خير و أبقى للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبائر الإثم «وَ الْفَوَاحِشِ» و يجوز أن يكون فى موضع رفع بالابتداء و يكون الخبر محذوفاً فىكون المعنى و الذين يجتنبون الكبائر و الفواحش «وَ إِذَا مَا غَضِبُوا» مما يفعل بهم من الظلم «هُمْ يَغْفِرُونَ» و يتجاوزون عنه لهم مثل ذلك و الفواحش جمع فاحشه و هى أقبح القبيح و المغفرة فى الآيه المراد بها ما يتعلق بالإساءة إلى نفوسهم فمتى عفوا عنها كانوا ممدوحين فأما ما يتعلق بحقوق الله و واجبات حدوده فليس للإمام تركها و لا العفو

عنها ولا يجوز له العفو عن المرتد و عمن جرى مجراه ثم زاد سبحانه فى صفاتهم فقال «وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ» أى أجابوه فيما دعاهم إليه من أمور الدين «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» أى أداموها فى أوقاتها بشرائطها «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» يقال صار هذا الشىء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه و هو فعلى من المشاوره و هى المفاوضه فى

ص: ٥١

الكلام ليظهر الحق أى لا يتفردون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه و قيل إن المعنى بالآيه الأنصار كانوا إذا أرادوا أمرا قبل الإسلام و قبل قدوم النبي ص اجتمعوا و تشاوروا ثم عملوا عليه فأثنى الله عليهم بذلك و قيل هو تشاورهم حين سمعوا بظهور النبي ص و ورود النقباء عليه حتى اجتمعوا فى دار أبى أيوب على الإيمان به و النصره له عن الضحاك و فى هذا دلالة على فضل المشاوره فى الأمور و

قد روى عن النبي ص أنه قال ما من رجل يشاور أحدا إلا هدى إلى الرشده

«وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» فى طاعه الله تعالى و سبيل الخير «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ» من غيرهم «هُمْ يَنْتَصِرُونَ» ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا عن السدى و قيل ينتصرون أى يتناصرون ينصر بعضهم بعضا نحو يختصمون و يتخاصمون عن أبى مسلم و قيل يعنى به المؤمنين الذين أخرجهم الكفار من مكه و بغوا عليهم ثم مكنهم الله فى الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم عن عطاء و قيل جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظلمهم و هم الذين ذكروا قبل هذه الآيه و هو قوله «وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» و صنف ينتصرون ممن ظلمهم و هم الذين ذكروا فى هذه الآيه فمن انتصر و أخذ بحقه و لم يجاوز فى ذلك ما حد الله فهو مطيع لله و من أطاع الله فهو محمود عن ابن زيد ثم ذكر سبحانه حد الانتصار فقال «وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» قيل هو جواب القبيح إذا قال أخزأك الله تقول أخزأك الله من غير أن تعتدى عن ابن نجيح و السدى و مجاهد و قيل يعنى القصاص فى الجراحات و الدماء عن مقاتل و سمي الثانية سيئه لأنها فى مقابله الأولى كما قال فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ثم ذكر سبحانه العفو فقال «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» أى فمن عفا عما له المؤاخذه به و أصلح أمره فيما بينه و بين ربه فتوابه على الله «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» ثم بين سبحانه أنه لم يرغب المظلوم فى العفو عن الظالم لميله إلى الظالم أو لوجه إياه و لكن ليعرضه بذلك لجزيل الثواب و لوجه الإحسان و الفضل و قيل إنه لا يحب الظالم فى قصاص و غيره بتعديه عما هو له إلى ما ليس له و قيل إن الآيه الأولى عامه فى وجوب التناصر بين المسلمين و هذه الآيه فى خاصه الرجل يجازى من ظلمه بمثل ما فعله أو يعفو و قد

روى عن النبي ص أنه قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذى أجره على الله فيقال العافون عن الناس فيدخلون الجنة بغير حساب.

إشارة

وَلَمَنْ اتَّصَرَ بِعَدَاةٍ ظَلَمَهُ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥)

الإعراب

«إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» جواب القسم الذى دل عليه قوله «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ» كما قال سبحانه «لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ» وقيل بل هى جملة فى موضع خبر المبتدأ الذى هو من صبر و غفر و التقدير إن ذلك منه لمن عزم الأمور و حسن الحذف لطول الكلام و قوله «خاشِعِينَ» منصوب على الحال من يعرضون و يعرضون فى موضع النصب على الحال من تراهم.

المعنى

ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال «وَلَمَنْ اتَّصَرَ بِعَدَاةٍ ظَلَمَهُ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ» معناه من انتصر لنفسه و انتصف من ظالمه بعد ظلمه أضاف الظلم إلى المظلوم أى بعد أن ظلم و تعدى عليه فأخذ لنفسه بحقه فالمنتصرون ما عليهم من إثم و عقوبه و ذم و مثله فى إضافه المصدر إلى المفعول قوله مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ «إِنَّمَا السَّبِيلُ» أى الإثم و العقاب «عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ» ابتداء «وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجه «وَلَمَنْ صَبَرَ» أى تحمل المشقة فى رضاء الله «وَ غَفَرَ» فلم ينتصر ف «إِنَّ ذَلِكَ» الصبر و التجاوز «لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أى من ثابت الأمور التى أمر الله تعالى بها فلم تنسخ و قيل عزم الأمور هو الأخذ بأعلاها فى باب نيل الثواب و الأجر «وَمَنْ

يُضِلُّهُ اللَّهُ» أَي و من يضلله الله عن رحمته و جنته «فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ» أَي معين «مِنْ بَعْدِهِ» أَي سواه و قيل من عذبه الله عقوبه له على عناده و جحوده فما له من ولى يلى أمره و يدفع عذاب الله عنه «وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» أَي ترى الظالمين يا محمد إذا شاهدوا عذاب النار «يَقُولُونَ هَيْلٌ إِلَى مَرَدٍّ» أَي رجوع و رد إلى دار الدنيا «مِنْ سَبِيلٍ» تمنيا منهم لذلك «وَ تَرَاهُمْ» يا محمد «يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا» أَي على النار قبل دخولهم النار «خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ» أَي ساكنين متواضعين فى حال العرض «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ» أَي خفى النظر لما عليهم من الهوان يسارقون النظر إلى النار خوفا منها و ذله فى نفوسهم عن الحسن و قتاده و قيل خفى دليل عن ابن عباس و مجاهد و قيل من عين لا تفتح كلها و إنما نظروا ببعضها إلى النار «وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا» لما رأوا عظيم ما نزل بالظالمين «إِنَّ الْخَاسِرِينَ» فى الحقيقه هم «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» بأن فوتوها الانتفاع بنعيم الجنة «وَ أَهْلِيهِمْ» أَي و أولادهم و أزواجهم و أقاربهم لا ينتفعون بهم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» لما حيل بينهم و بينهم و قيل و أهليهم من الحور العين فى الجنة لو آمنوا «أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فى عَذَابٍ مُّقِيمٍ» هذا من قول الله تعالى و المقيم الدائم الذى لا زوال له.

إشارة

وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُنصِرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا الْبَلَاغُ وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَ إِنْ تُصِصْ بِهِنَّ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الظالمين الذين ذكرهم فقال «وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ» لا فيما عبده من دونه و لا فيمن أطاعوه فى معصيته أى نصار «يُنصِرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و يدفعون عنهم عقابه «وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ» يوصله إلى الجنة ثم قال سبحانه «اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ» أى أجبوا داعى ربكم يعنى محمدا ص فيما دعاكم إليه و رغبتكم فيه من المصير إلى طاعته و الانقياد لأمره «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ» أى لا رجوع بعده إلى الدنيا و قيل معناه لا يقدر أحد على رده و دفعه و هو يوم القيامة عن الجبائى و قيل معناه لا يرد و لا يؤخر عن وقته و هو يوم الموت عن أبى مسلم «مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ» أى معقل يعصمكم من العذاب «وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ» أى إنكار و تغيير للعذاب و قيل من نصير منكر ما يحل بكم ثم قال لنبىه ص «فَإِنْ أَعْرَضُوا» يعنى الكفار أى عدلوا عما دعوتهم إليه «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» أى مأمورا بحفظهم لئلا يخرجوا عما دعوتهم إليه كما يحفظ الراعى غنمه لئلا يتفرقوا أى فلا- تحزن لإعراضهم «إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» أى ليس عليك إلا إيصال المعنى إلى أفهامهم و البيان لما فيه رشدهم «وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً» و أوصلنا إليه نعمه «فَرِحَ بِهَا» أى بطر لأن الفرح المراد هنا ما قارنه أشر أو جحودا و إنكار لأنه خرج مخرج الدم و قيل أن الرحمه هنا العافيه «وَ إِنْ تُصِصْ بِهِنَّ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ» أى قحط أو فقر أو مرض أو غير ذلك مما يسوءهم «فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ» بعدد المصيبة و يجحد النعم ثم بين سبحانه أن النعم كلها منه فقال «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى له التصرف فيهما و فيما بينهما و سياستها بما تقتضيه الحكمة «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» من أنواع الخلق «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ» من خلقه «إِنَاثًا» فلا يولد له ذكر «وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ» البنين فلا يولد له أنثى «أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا» معناه أو يجمع لهم بين البنين و البنات تقول العرب زوجت إبلى أى جمعت بين صغارها و كبارها قال مجاهد هو أن تلد المرأه غلاما ثم جاريه ثم غلاما ثم جاريه و قيل: هو أن تلد توأما ذكرا و أنثى

أو ذكرا و ذكرا أو أنثى و أنثى عن ابن زيد و قيل هو أن يجمع فى الرحم الذكر و الأنثى عن محمد بن الحنفية «وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ» من الرجال و النساء «عَقِيمًا» لا يلد و لا يولد له «إِنَّهُ عَلِيمٌ» بما خلق «قَدِيرٌ» على خلق من يشاء.

[سوره الشورى (٤٢): الآيات ٥١ الى ٥٣]

اشاره

وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا- وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ (٥١) وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)

القرءه

قرأ نافع أو يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء و الباقيون «أَوْ يُرْسِلَ» «فَيُوحِي» بالنصب.

الحجه

قال أبو علي من نصب «أَوْ يُرْسِلَ» فلا يخلو من أن يكون محمولاً على أن في قوله «أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ» أو على غيره فلا يجوز أن يكون محمولاً عليه لأنه يصير تقديره ما كان لبشر أن يكلمه الله أو أن يرسل رسولا إليه و لم يخل قوله «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا» من أن يكون المراد أو يرسله رسولا- أو يكون أو يرسل إليه رسولا و التقديران جميعا فاسدان ألا ترى أن كثيرا من البشر قد أرسل رسولا و كثيرا منهم قد أرسل إليه الرسل فإذا لم يخل من هذين التقديرين و لم يصح واحد منهما علمت أن المعنى ليس عليه و التقدير على غيره فالذى عليه المعنى و التقدير الصحيح ما ذهب إليه الخليل من أن يحمل يرسل على أن يوحى الذى يدل عليه و حيا فصار التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا- أن يوحى و حيا أو يرسل رسولا- فيوحي و يجوز فى قوله «إِلَّا وَحْيًا» أمران (أحدهما) أن يكون استثناء منقطعا (و الآخر) أن يكون حالا فإن قدرته استثناء منقطعا لم يكن فى الكلام شىء يوصل بمن لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما

بعده لأن حرف الاستثناء فى معنى حرف النفى أ لا ترى أنك إذا قلت قام القوم إلا زيدا فالمعنى قام القوم لا زيد فكما لا يعمل ما قبل حرف النفى فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاما تاما فيما بعده إذ كان بمعنى النفى و كذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد إلا فيما قبلها نحو ما أنا الخبز إلا آكل كما لم يعمل ما بعد حرف ماضى فيما قبله فإذا كان كذلك لم يتصل الجار بما قبل إلا- و يمتنع أن يتصل به الجار من وجه آخر و هو أن قوله «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» فى صله وحي الذى هو بمعنى أن يوحى فإذا كان كذلك لم يجوز أن يحمل الجار الذى هو من قوله «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» على «أَوْ يُرْسَلُ» لأنك تفصل بين الصلة و الموصول بما ليس منهما أ لا- ترى أن المعطوف على الصلة فى الصلة فإذا حملت على العطف على ما ليس فى الصلة فصلت بين الصلة و الموصول بالأجنبى الذى ليس منهما فإذا لم يجوز حمله على يكلمه من قوله «ما كان لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ» و لم يكن بد من أن يعلق الجار بشىء و لم يكن فى اللفظ شىء تحمله عليه أضمرت يكلم و جعلت الجار فى قوله «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» متعلقا بفعل مراد فى الصلة محذوف منها للدلالة عليه و قد يحذف من الصلة أشياء للدلالة عليها و يكون فى المعنى معطوفا على الفعل المقدر صله لأن الموصول و هى يوحى فىكون التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه أو يكلمه من وراء حجاب فحذف يكلم من الصلة لأن ذكره قد جرى و إن كان خارجا من الصلة فحسن ذلك حذفه من الصلة و سوغه أ لا- ترى أن ما قبل حرف الاستفهام مثل ما قبل الصلة فى أنه لا يعمل فى الصلة كما لا يعمل ما قبل الاستفهام فيما كان من حيز الاستفهام و قد جاء آلآن وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ و المعنى الآن آمنت و قد عصيت قبل فلما كان ذكر الفعل قد جرى فى الكلام أضمر و لا- يجوز أن يقدر عطف «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» على الفعل الخارج من الصلة فيفصل بين الصلة و الموصول بالأجنبى منهما كما فصل فى قوله «إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيِّتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمًا خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ» ثم قال «أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِعَيْبِ اللَّهِ بِهِ» فعطف بأو على ما فى الصلة بعد ما فصل بين الصلة و الموصول بقوله «فَإِنَّهُ رِجْسٌ» لأن قوله فَإِنَّهُ رِجْسٌ من الاعتراض الذى يسد ما فى الصلة و يوضحه فصار بذلك بمنزلة الصفه لما فى الصفه من التبيين و التخصيص و مثل هذا فى الفصل فى الصلة قوله تعالى «وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئِهِ بِمِثْلِهَا وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» و فصل بقوله جزاء بمثلها و عطف عليه قوله «وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» على الصلة مع هذا الفصل من حيث قوله «جَزَاءُ سَيِّئِهِ بِمِثْلِهَا» يسد ما الصلة و أما من رفع فقال أو يرسل رسولا

فجعل يرسل حالا فإن الجار في قوله «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» متعلق بمحذوف و يكون في الظرف ذكر من ذى الحال فيكون قوله «إِلَّا وَحِيًّا» على هذا التقدير مصدرا وقع موقع الحال كقولك جئت ركضا و أتيت عدوا و يكون من فى أنه مع ما انجر به فى موضع الحال كقوله «وَمِنَ الصَّالِحِينَ» بعد قوله «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا» و معنى «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» فمن قدر الكلام استثناء منقطعا أو حالا يكلمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد أن كلامه يسمع و يحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين و ليس أن ثم حجابا يفصل موضعا من موضع فيدل ذلك على تحديد المحجوب و من رفع يرسل كان فى موضع نصب على الحال و المعنى هذا كلامه إياهم كما يقول تحيتك الضرب و عتابك السيف.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أجل النعم و هى النبوه فقال «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ» أى ليس لأحد من البشر أن يكلمه الله «إِلَّا» أن يوحى إليه «وَحِيًّا» و هو داود أوحى فى صدره فزبر الزبور «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» أى و يكلمه من وراء حجاب و هو موسى (عليه السلام) «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا» و هو جبرائيل أرسل إلى محمد ص عن مجاهد و قيل معناه ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بمثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته و النهى عن معاصيه و تنبيه إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام و ما أشبه ذلك على سبيل الوحي و سماه وحيا لأن الوحي فى اللغة ما جرى مجرى الإيماء و التنبيه على الشىء من غير أن يفصح به «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» و هو أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى (عليه السلام) لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا عن موسى (عليه السلام) وحده و فى المره الثانيه حجه عن جميع الخلق إلا عن موسى و السبعين الذين كانوا معه و قد يقال أنه حجب عنهم موضع الكلام الذى أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأن الكلام عرض لا يقوم إلا فى جسم و لا يجوز أن يكون أراد بقوله أن الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدوده و عنى بقوله «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ» إرساله ملائكته بكتبه و كلامه إلى أنبيائه ليبلغوا ذلك عنه عباده فهذا أيضا ضرب من الكلام الذى يكلم الله به عباده و يأمرهم فيه و ينهاهم من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى و هو خلاف الوحي الذى ذكر فى أول الآيه لأنه تنبيه خاطر و ليس فيه إفصاح عن أبى على الجبائى و قال الزجاج معناه أن كلام الله للبشر إما أن يكون بإلهام يلهمهم أو بكلام من وراء حجاب كما كلم موسى أو برسالة ملك إليهم فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء الله «إِنَّهُ عَلِيمٌ» عن الإدراك بالأبصار «حَكِيمٌ» فى

جميع أفعاله «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» و أى مثل ما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك «رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» يعنى الوحي بأمرنا و معناه القرآن لأنه يهتدى به ففيه حياه من موت الكفر عن قتاده و الجبائى و غيرهما و قيل هو روح القدس عن السدى و

قيل هو ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل كان مع رسول الله ص عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) قالوا و لم يصعد إلى السماء و أنه لفينا

«مَا كُنْتُ تَدْرِي» يا محمد قبل الوحي «مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ» أى ما القرآن و لا الشرائع و معالم الإيمان و قيل معناه و لا أهل الإيمان أى من الذى يؤمن و من الذى لا يؤمن و هذا من باب حذف المضاف «وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا» أى جعلنا الروح الذى هو القرآن نورا لأن فيه معالم الدين عن السدى و قيل جعلنا الإيمان نورا لأنه طريق النجاه عن ابن عباس «نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» أى نرشده إلى الجنة «وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى ترشد و تدعو إلى طريق مفض إلى الحق و هو الإيمان ثم فسر ذلك الصراط بقوله «صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» ملكا و خلقا «أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ» أى إليه ترجع الأمور و التدبير يوم القيامة فلا يملكك ذلك غيره.

(٤٣) سورة الزخرف مكيه و آياتها تسع و ثمانون (٨٩)

اشاره

اشاره

مكيه كلها و قيل إلا آيه منها «وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا» الآية نزلت ببيت المقدس عن مقاتل.

عدد آياتها

ثمان و ثمانون آيه شامى تسع فى الباقيين.

اختلافها

آيتان «حم» كوفى «هُوَ مَهِينٌ» حجازى بصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة «يا عبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» أدخلوا الجنة بغير حساب

و عن أبى بصير قال قال أبو جعفر (عليه السلام) من أذمن قراءة حم الزخرف آمنه الله فى قبره من هوام الأرض و من ضمه القبر حتى يقف بين يدي الله عز و جل ثم جاءت حتى تكون هى التى تدخله الجنة بأمر الله عز و جل.

تفسيرها

لما ختم الله سورة حمعسق بذكر القرآن و الوحي افتتح هذه السوره بذلك أيضا فقال:

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ (٤)

أَفَنضِرْبُ عَنْكُمْ الذُّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥)

ص: ٦٠

قرأ أهل المدينة و الكوفه غير عاصم إن كنتم بكسر الهمزه و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو علي من قال «أَنْ كُنْتُمْ» فالمعنى لأن كنتم فأما صفحا فانتصابه من باب صنع الله لأن قوله «أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذُّكْرَ» يدل على أن نصفح عنكم صفحا و كان قولهم صفحت عنه أى عرضت عنه و وليته صفحه العنق فالمعنى أفضرب عنكم ذكر الانتقام منكم و العقوبه لكم لأن كنتم قوما مسرفين و هذا يقرب من قوله «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى» و الكسر على أنه جزاء استغنى عن جوابه بما تقدمه مثل أنت ظالم إن فعلت كذا كأنه قال: إن كنتم مسرفين نضرب.

اللغه

يقال ضربت عنه و أضربت عنه أى تركته و أمسكت عنه و يقال صفح عنى بوجهه قال كثير و ذكر امرأه:

صفوحا فما تلقاك إلا بخيله فمن مل منها ذلك الوصل ملت

أى معرضه بوجهها و الصفوح فى صفات الله تعالى معناه العفو عن الذنب كأنه أعرض عن مجازاته تفضلا يقال صفح عن ذنبه إذا عفا و الإسراف مجاوزه الحد فى العصيان.

المعنى

«حم» مر معناه «وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أقسم بالقرآن المبين للحلال و الحرام المبين ما يحتاج إليه الأنام من شرائع الإسلام «إِنَّا جَعَلْنَاهُ» أى أنزلناه عن السدى و قيل قلناه عن مجاهد و نظيره وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبُنَاتِ أى يقولون «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» أى بلسان العرب و المعنى جعلناه على طريقه العرب فى مذاهبهم فى الحروف و المفهوم و مع ذلك فإنه لا يتمكن أحد منهم من إنشاء مثله و الابتداء بما يقاربه من علو طبقته فى البلاغه و الفصاحه إما لعدم علمهم بذلك أو لأنهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلماء فيه «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى لكى تعقلوا و تتفكروا فيه فتعلموا صدق من ظهر على يده و فى هذه الآيه دلالة على حدوث القرآن لأن المجعول هو المحدث بعينه «وَ إِنَّهُ» يعنى القرآن «فِي أُمِّ الْكِتَابِ» أى فى اللوح المحفوظ و إنما سمي أما لأن سائر الكتب تنسخ منه و قيل لأن أصل كل شىء أمه و القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ عن الزجاج و هو الكتاب الذى كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما رأى فى ذلك من صلاح

ملائكته بالنظر فيه و علم فيه من لطف المكلفين بالإخبار عنه «لَمَدِينَا» أى الذى عندنا عن ابن عباس «لَعَلِّي» أى عال فى البلاغه مظهر ما بالعباد إليه من الحاجة و قيل: معناه يعلو كل كتاب بما اختص به من كونه معجزا و ناسخا للكتب و بوجوب إدامه العمل به و بما تضمنه من الفوائد و قيل على أن عظيم الشأن رفيع الدرجة تعظمه الملائكه و المؤمنون «حَكِيمٌ» أى مظهر للحكمه البالغه و قيل حكيم دلالة على كل حق و صواب فهو بمنزله الحكيم الذى لا ينطق إلا بالحق وصف الله تعالى القرآن بهاتين الصفتين على سبيل التوسع لأنهما من صفات الحى ثم خاطب سبحانه من لم يعتبر بالقرآن و جحد ما فيه من الحكمه و البيان فقال «أَفَنضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا» و المراد بالذكر هنا القرآن أى أفتترك عنكم الوحي صفحا فلا تأمركم و لا ننهاكم و لا نرسل إليكم رسولا- «أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ» أى لأن كنتم و المعنى أفتمسك عن إنزال القرآن و نهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم من أجل إنكم أسرفتم فى كفركم و هذا استفهام إنكار و معناه إنا لا نفعل ذلك و أصل ضربت عنه الذكر أن الراكب إذا ركب دابه فأراد أن يصرفه عن جهه ضربه بعضى أو سوط ليعدل به إلى جهه أخرى ثم وضع الضرب موضع الصرف و العدل و قيل أن الذكر بمعنى العذاب و معناه أحسبتم أنا لا نعذبكم أبدا عن السدى.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٦ الى ١٠]

إشاره

وَ كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَ مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) وَ لئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ جَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)

المعنى

ثم عزى سبحانه نبيه ص بقوله «وَ كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ» أى فى الأمم الماضيه «وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» يعنى أن الأمم الخاليه التى ذكرناها كفرت بالأنبياء و سخرت منهم لفرط جهالتهم و غباوتهم و استهزأت بهم كما استهزأ قومك بك أى فلم تضرب عنهم صفحا لاستهزائهم برسلمهم بل كررنا الحجج و أعدنا الرسل «فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا» أى فأهلكنا من أولئك الأمم بأنواع العذاب من كان أشد قوه

و منعه من قومك فلا يغتر هؤلاء المشركون بالقوه و النجده «و مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ» أى سبق فيما أنزلنا إليك شبه حال الكفار الماضيه بحال هؤلاء فى التكذيب و لما أهلكوا أولئك بتكذيبهم رسلهم فعاقبه هؤلاء أيضا الإهلاك «و لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ» أى إن سألت قومك يا محمد «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» أى أنشأهما و اخترعهما «لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» أى لم يكن جوابهم فى ذلك إلا أن يقولوا خلقهن يعنى السماوات و الأرض العزيز القادر الذى لا يقهر، العليم بمصالح الخلق و هو الله تعالى لأنهم لا يمكنهم أن يحيلوا فى ذلك على الأصنام و الأوثان و هذا إخبار عن غايه جهلهم إذ اعترفوا بأن الله خلق السماوات و الأرض ثم عبدوا معه غيره و أنكروا قدرته على البعث ثم وصف سبحانه نفسه فقال «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا» و قرئ مهادا و قد مضى ذكره فى طه «و جَعَلْ لَكُم فِيهَا سُبُلًا» تسلكونها «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» لكى تهتدوا إلى مقاصدكم فى أسفاركم و قيل معناه لتهتدوا إلى الحق فى الدين بالاعتبار الذى حصل لكم بالنظر فيها.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ١١ الى ١٥]

إشاره

و الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَ الْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) وَ جَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥)

اللغه

يقال أنشر الله الخلق فنشروا أى أحياهم فحيوا قال الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحرها عاش و لم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر

المعنى

ثم أكد سبحانه ما قدمه بقوله «وَ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «بِقَدَرٍ» أى بقدر الحاجه لا زائدا عليها فيفسد و لا ناقصا عنها فيضر و لا ينفع و فى ذلك دلالة على أنه واقع من قادر مختار قد قدره على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بذلك «فَأَنْشَرْنَا» أى فأحيينا «بِهِ» أى بذلك المطر «بَلَدَةً مَّيْتًا» أى جافه يابسه بإخراج النبات و الأشجار و الزروع و الثمار «كَذَلِكَ» أى مثل ما أخرج النبات من الأرض اليابسه «تُخْرِجُونَ» من قبوركم يوم البعث «وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» يعنى أزواج الحيوان من ذكر و أنثى و قيل معناه خلق الأشكال جميعها من الحيوان و الجماد فمن الحيوان الذكر و الأنثى و من غير الحيوان مما هو كالمقابل كالحلو و المر و الرطب و اليابس و غير ذلك و قيل الأزواج الشتاء و الصيف و الليل و النهار و الشمس و القمر و السماء و الأرض و الجنة و النار عن الحسن «وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ» أى السفن «وَ الْأَنْعَامِ» من الإبل و البقر عن سعيد بن جبير و قيل الإبل «مَا تَرَكَبُونَ» فى البحر و البر «لِتَشِيبُوا عَلَى ظُهُورِهِ» بين سبحانه أن الغرض فى خلق ما ذكر لتستوا على ظهور ما جعل لكم فالضمير فى ظهوره يعود إلى لفظ ما «ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ» فتشكروا على تلك النعمة التى هى تسخير ذلك المركب «وَ تَقُولُوا» معترفين بنعمه منزهين له عن شبه المخلوقين «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا» المركب أى ذلله لنا حتى ركبناه «وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» أى مطيقين مقاومين فى القوه «وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» أى و لتقولوا أيضا ذلك و معناه و إنا إلى الله راجعون فى آخر عمرنا على مركب آخر و هو الجنازه قال قتاده قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتم و

روى عن ابن عمر أن رسول الله ص كان إذا استوى على بعيره خارجا فى سفر كبر ثلاثا و قال «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر و التقوى و العمل بما ترضى اللهم هون علينا سفرنا و اطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر و الخليفة فى الأهل و المال اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر و كآبه المنقلب و سوء المنظر فى الأهل و المال و إذا رجع قال آثبون تائبون لربنا حامدون أورده مسلم فى الصحيح

و روى العياشى بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ذكر النعمة أن تقول الحمد لله الذى هدانا للإسلام و علمنا القرآن و من علينا بمحمد ص و تقول بعده «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا» إلى آخره

ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال «وَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا»

أى نصيباً يعنى حكموا بأن بعض عباده و هم الملائكة له أولاد و معنى الجعل هنا الحكم و هذا معنى قول ابن عباس و مجاهد و الحسن قالوا زعموا أن الملائكة بنات الله قال الزجاج قد أنشد بعض أهل اللغة بيتا يدل على أن معنى جزء معنى الإناث و هو:

إن أجزأت حره يوماً فلا عجب قد تجزئ الحره المذكار أحياناً

أى أنت و قيل أن معناه و جعلوا الله من مال عباده نصيباً فيكون كقوله وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَحَدَفَ الْمِضَافِ «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفُورٍ مُّبِينٍ» أى جاحد لنعم الله مظهر لكفره غير مستتر به.

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشارة

أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَ أَصْفَاكُمُ بِالْبَنِينَ (١٦) وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ (١٧) أَوْ مَنْ يُنشأُ فِي الْحَلِيِّ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَ يُسْأَلُونَ (١٩) وَ قَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبى بكر «يُنشأ» بضم الياء و فتح النون و تشديد الشين و الباقون ينشأ بفتح الياء و سكون النون و التخفيف وقرأ أهل الكوفة و أبو عمرو «عِبَادُ الرَّحْمَنِ» و الباقون عند الرحمن وقرأ أهل المدينة أ أشهدوا على أفعالوا بضم الهمزة و سكون الشين و قبلها همزة الاستفهام مفتوحة ثم تخفف الثانية من غير أن يدخل بينهما ألف و بعضهم يدخل

بينهما ألفا وقرأ الباقون «أشهدوا» بفتح الألف و الشين.

الحج

قال أبو علي يقال نشأت السحابه و نشأ الغلام فإذا نقل هذا الفعل بالهمزه كقوله يُنشئ السحاب الثقال ثم أنشأناه خلقاً آخر تعدى إلى مفعول و من قرأ «يُنشئوا» كان مثل فرح و أفرح و غرم و أغرم و موضع من نصب على تقدير اتخذوا له من ينشأ في الحليه على وجه التقريع لهم بما افتروه كما قال تعالى أم له البنات و لكم البنون و حجه من قرأ «عباد الرحمن» قوله «بل عباد مكرمون» و حجه من قرأ عند الرحمن قوله «و من عند لا- يسي تكبرون عين عبادته و لا- يستحسرون» و قوله «إن الذين عند ربك لا يسي تكبرون» و في هذا دلالة على رفع المنزلة و التقريب كما قال «و لما الملائكة المقرَّبون» و ليس من قرب المسافه و شهدت تستعمل على ضربين (أحدهما) بمعنى الحضور (و الآخر) بمعنى العلم و الذي بمعنى الحضور يتعدى إلى مفعول به يدللك على ذلك قوله:

" و يوم شهدناه سليما و عامرا "

تقديره شهدنا فيه سليما و من ذلك قوله:

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبه يد الدهر إلا جبرئيل أمامها

فهذا محذوف المفعول و التقدير فيه شهدنا المعركة فهذا الضرب إذا نقل بالهمزه تعدى إلى مفعولين تقول شهد زيد المعركة و أشهدته إياها و من ذلك قوله «ما أشهدتُهُم خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و أما شهدت الذي بمعنى علمت فيستعمل على ضربين (أحدهما) أن يكون قسما (و الآخر) أن يكون غير قسم فاستعمالهم إياه قسما كاستعمالهم علم الله و يعلم الله قسمين تقول علم الله لأفعلن فيتلقاه ما يتلقى الأقسام و أنشد سيبويه:

و لقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها

و حكى أن زفر كان يذهب إلى أنه إذا قال أشهد بالله كان يمينا و إن قال أشهد و لم يقل بالله لم يره يمينا و قال محمد الشيباني أشهد غير موصوله بقوله بالله مثل أشهد موصوله بقولك بالله في أنه يمينا و استشهد على ذلك بقوله «قالوا نشهد إنك لرسول الله» ثم قال «و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة» فجعله يمينا و لم يوصل بقوله بالله و أما شهدت الذي يراد به علمت و لا يراد به حضرت فهو ضرب من العلم مخصوص بكل شهادة علم و ليس كل علم شهاده و مما يدل على اختصاصه في العلم أنه لو قال عند الحاكم أعلم أن لزيد على عمرو عشره لم يحكم بها حتى يقول أشهد فالشهادة مثل التيقن في أنه ضرب

من العلم مخصوص و ليس كل علم تيقنا و إن كان كل تيقن علما فكان معنى أشهد أيها الحاكم على كذا أعلمه علما يحضرني وقد تذل لي فلا- أتوقف فيه لوضوحه عندي و تينه لي و ليس كذلك سبيل المعلومات كلها أ لا ترى أن منها ما يحتاج إلى توقف فيه و استدلال عليه و أما قوله «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ» فمن الشهادة التي هي الحضور كأنهم وبخوا على أن قالوا ما لم يحضروه مما حكمه أن يعلم بالمشاهدة و من قال أشهدوا خلقهم فالمعنى أحضروا ذلك و كان الفعل متعديا إلى مفعولين فلما بنى للمفعول به نقص مفعولا- فتعدى الفعل إلى مفعول واحد و يقوى هذه القراءة ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أما قوله إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَ أَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ فَحذف المفعول الأول على حد ضربني و ضربت و هذا منقول من شهد بكذا إلا أن حرف الجر يحذف مع أن و أن.

المعنى

ثم أنكر سبحانه عليهم قولهم فقال «أم» و هذا استفهام إنكار و توبيخ و معناه بل «اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ» أى اتخذ ربكم لنفسه البنات «وَ أَصِيْفَاكُمْ» أى أخلصكم «بِالْبَنِينَ» و هذا كقوله أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ الآيه ثم زاد فى الاحتجاج عليهم بأن قال «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا» أى بما جعل لله شبيها و ذلك أن ولد كل شىء شبيهه و جنسه فالمعنى و إذا بشر أحدهم بولادة ابنه له «ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا» بما يلحقه من الغم بذلك «وَ هُوَ كَظِيمٌ» أى مملوء كربا و غيظا ثم وبخهم بما افتروه فقال «أَوْ مَرِيْنٌ يَنْشَوْنَ فِي الْحِلْيَةِ» أى أ و جعلوا من ينشؤا فى الحلية أى فى زينة النساء لله عز و جل يعنى البنات «وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ» يعنى المخاصمه «غَيْرُ مُبِينٍ» للحجه قال قتاده قل ما تتكلم امرأه بحجتها إلا تكلمت بالحجه عليها أى لا يمكنها أن تبين الحجه عند الخصومه لضعفها و سفهها و قيل معناه أ و تعبدون من ينشأ فى الحلية و لا- يمكنه أن ينطق بحجته و يعجز عن الجواب و هم الأصنام فإنهم كانوا يحلون بها بالحلى عن ابن زيد و إنما قال «وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ» و لم يقل و هى لأنه حمله على لفظ من «وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا» بأن زعموا أنهم بنات الله «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ» هذا رد عليهم أى أحضروا خلقهم حتى علموا أنهم إناث و هذا كقوله أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَ هُمْ شَاهِدُونَ «سَيُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ» بذلك «وَ يُسْأَلُونَ» عنها يوم القيامة «وَ قَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ» أى لو شاء الرحمن أن لا نعبدهم ما عبدناهم فإنما عبدناهم بمشيئه الله «مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ» أى لا يعلمون

صححه ما يقولون هذا إشاره إلى بطلان قولهم لما لم يصدر عن دليل و علم «إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» أى ما هم إلا كاذبون قال أبو حامد كذبهم الله تعالى لأنهم أنكروا التوحيد بإضافتهم الولد إليه سبحانه و فارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئه الله تعالى.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشاره

أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّهٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّهٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الْمُكذِبِينَ (٢٥)

القراءه

قرأ ابن عامر و حفص قال أَوْ لَوْ و قرأ الباقون «قل أَوْ لَوْ» و قرأ أبو جعفر جئناكم و الباقون «جئتكم».

الحجه

قال أبو على من قرأ قال فالمعنى قال لهم النذير أَوْ لَوْ جئتكم و من قرأ «قل» فإنه يكون حكاية ما أوحى إلى النذير كأنه أوحينا إليه فقلنا له قل لهم أَوْ لَوْ جئتكم بأهدى من ذلك.

المعنى

لما حكى الله سبحانه تخرص من أضاف عباده الأصنام و الملائكة إلى مشيئه الله قال «أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا» و هو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطيهم و التقدير أ هذا الذى ذكره شىء تخرصوه و افتعلوه أم آتيناهم كتابا «مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ» أى مستمسكون بذلك فإذا لم يمكنهم ادعاء أن الله تعالى أنزل بذلك كتابا علم أن ذلك من تخرصهم و دل أم على حذف حرف الاستفهام لأنه المعادله له ثم أعلم أنهم اتبعوا آباءهم فى

الضلاله فقال ليس الأمر كذلك «يَلْ قَالُوا إِنَّا وَحَدِّدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّه» أى على مله و طريقه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و السدى و قيل على جماعه أى كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه عن الجبائى «وَ إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ» نهتدى بهداهم ثم قال سبحانه «وَ كَذَلِكَ» أى و مثل ما قال هؤلاء فى الحواله على تقليد آباءهم فى الكفر «مَا أُرْسِلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «فِي قَرْيَةٍ» و مجمع من الناس «مِنْ نَذِيرٍ» أى نذيرا لأن من زائده «إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا» و هم المتنعمون الذين آثروا الترفه على طلب الحجه يريد الرؤساء «إِنَّا وَحَدِّدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّه وَ إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» نقتدى بهم فلا نخالفهم و أحال جميعهم على التقليد للآباء فحسب دون الحجه و التقليد قبيح فى العقول إذ لو كان جائزا لكان يلزم فى ذلك أن يكون الحق فى الشىء و نقيضه فكل فريق يقلد أسلافه مع أن كلا منهم يعتقد أن من سواه على خطأ و ضلال و هذا باطل لا شبهه فى بطلانه فإذا لا بد من الرجوع إلى حجه عقليه أو سمعيه ثم قال سبحانه للنذير «قل» لهم «أَوْ لَوْ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَحَدِّدْتُمْ عَلَیْهِ آبَاءُكُمْ» تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم و لا تقبلون ما جئتمكم به و فى هذا أحسن التلطف فى الاستدعاء إلى الحق و هو أنه لو كان ما يدعونه حقا و هدى و كان ما جئتمكم به من الحق أهدى منه كان أوجب أن يتبع و يرجع إليه ثم أخبر أنهم أبوا أن يقبلوا ذلك و «قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ» أيها الرسل «كَاْفِرُونَ» ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم فقال «فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ» بأن أهلكناهم و عجلنا عقوبتهم «فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ» أنبياء الله و الجاحدين لهم و فى هذا إشاره إلى أن العاقبه المحموده تكون لأهل الحق و المصدقين لرسول الله.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشارة

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَنَّتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِ كَاْفِرُونَ (٣٠)

اللغة

تقول العرب إنا براء منك و نحن براء منك الذكر و الأنثى و الاثنان و الجماعه

فيه سواء والمعنى أنا ذو براء منك كما قالوا رجل عدل وقوم عدل أى ذو عدل و ذوو عدل.

المعنى

«وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ» حين رآهم يعبدون الأصنام والكواكب «إِنِّي بَرَاءٌ» أى برىء «مِمَّا تَعْبُدُونَ» ثم استثنى خالقه من جملة ما كانوا يعبدون فقال «إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي» أى سوى الله الذى خلقنى و ابتدأنى و تقديره إلا من الذى فطرنى قال قتاده: كانوا يقولون الله ربنا مع عبادتهم الأوثان «فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ» إلى طريق الجنة بلطف من لطفه و قيل سيهدينى إلى الحق بما نصب لى من الأدله و فيه بيان ثقته بالله تعالى و دعاء لقومه إلى أن يطلبوا الهدايه من عنده «وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ» أى جعل كلمه التوحيد و هى قول لا إله إلا الله كلمه باقيه فى ذريه إبراهيم و نسله فلم يزل فيهم من يقولها عن قتاده و مجاهد و السدى و قيل جعل هذه الكلمه التى قالها إبراهيم و هو براءه من الشرك باقيه فى ولده من بعده و

قيل الكلمه الباقيه فى عقبه هى الإمامه إلى يوم الدين عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و اختلف فى عقبه من هم فقيل ذريته و ولده عن ابن عباس و مجاهد و قيل ولده إلى يوم القيامة عن الحسن و قيل هم آل محمد عن السدى «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى لعلهم يتوبون و يرجعون عما هم عليه إلى الاقتداء بأبيهم إبراهيم فى توحيد الله تعالى كما اقتدى الكفار بأبائهم عن الفراء و الحسن و قيل لعلهم يرجعون عما هم عليه إلى عباد الله تعالى ثم ذكر سبحانه نعمه على قريش فقال «يَلِئَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ» المشركين بأنفسهم و أموالهم و أنواع النعم و لم أعاجلهم بالعقوبه لكفرهم «حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ» أى القرآن عن السدى و قيل الآيات الداله على الصدق «وَ رَسُولٌ مُّبِينٌ» يبين الحق و يظهره و هو محمد ص «وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ» أى القرآن «قَالُوا هَذَا سِحْرٌ» أى حيله خفيه و تمويه «وَ إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ» جاحدون لكونه من قبل الله تعالى.

النظم

وجه اتصال قصه إبراهيم (عليه السلام) بما قبلها أنه سبحانه لما ذم التقليد و أوجب اتباع الحق و الدليل أتبعه بذكر إبراهيم الخليل حيث أتبع الحججه و أوضح المحججه و قيل أنه سبحانه لما ذم التقليد و ذكر أن الكفار أبوا إلا ذلك ذكر أن تقليد إبراهيم أولى لأنهم من أولاده و ذريته و يدعون إنهم على طريقتة و إنما اتصل قوله «يَلِئَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ» بما تقدمه من ذكر إعراضهم عن الحججه و تعويلهم على التقليد فبين سبحانه أنهم أتوا من قبل نفوسهم فقد أزيحت علتهم بأن أمهلوا و متعوا ثم جاءهم الحق فلم يؤمنوا.

إشارة

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَا - أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَ لِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَّكَبُونَ (٣٤) وَ زُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو جعفر سقفا بفتح السين و الباقون «سُقْفًا» بضم السين و القاف و قرأ عاصم و حمزه «وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا» بتشديد الميم و الباقون لما خفيفه الميم.

الحجة

قال أبو علي سقف جمع سقف مثل رهن و رهن و يخفف فيقال رهن و فعل في الجمع يخفف و سقف واحد يدل على الجمع أ لا ترى أنه علم بقوله «لِيُوتِيَهُمْ» إن لكل بيت سقفا و من شدد «لَمَّا» كانت أن عنده بمنزله ما النافية فالمعنى ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا و لما في معنى إلا حكي سبويه نشدتك الله لما فعلت و حملة على إلا و هذه الآية تدل على فساد قول من قال إن قوله «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ» إن المعنى لمن هو جميع لدينا حاضرون و زعموا أن في حرف أبي و ما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا و من قرأ لما بالتخفيف فإن إن في قوله «وَإِنْ كُلُّ» هي المخففة من الثقيلة و اللام فيها هي التي تدخل لتفصل بين النفي و الإيجاب في قوله:

" هبلك أمك أن قتلت لفارسا "

و من نصب بها مخففة فقال إن زيدا لمنطلق استغنى عن هذه اللام لأن النافية لا ينتصب بعدها اسم فلا يقع اللبس و ما فيه زيادة و المعنى و إن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا.

المعارج الدرج واحدها معرج و العروج الصعود و ظهر عليه إذا علاه و صعده قال النابغه الجعدى:

بلغنا السماء مجدنا و جدودنا و إنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

و السرر جمع سرير و يجمع على أسره أيضا و الزخرف كمال حسن الشىء و منه قيل للذهب زخرف و يقال زخرفه زخرفه إذا حسنه و زينه و منه قيل للنقوش و التصاوير زخرف و

فى الحديث أنه ص لم يدخل الكعبه حتى أمر بالزخرف فنحى

. المعنى

«وَقَالُوا» أى و قال هؤلاء الكفار «لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ» يعنون بالقريتين مكه و الطائف و تقدير الآيه على رجل عظيم من القريتين أى من إحدى القريتين فحذف المضاف و يعنون بالرجل العظيم من إحدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكه و أبا مسعود عروه بن مسعود الثقفى من الطائف عن قتاده و قيل عتبه بن أبى ربيعه من مكه و ابن عبد ياليل من الطائف عن مجاهد و قيل الوليد بن المغيرة من مكه و حبيب بن عمر الثقفى من الطائف عن ابن عباس و إنما قالوا ذلك لأن الرجلين كانا عظيمى قومهما و ذوى الأموال الجسيمه فيهما فدخلت الشبهه عليهم حتى اعتقدوا أن من كان كذلك كان أولى بالنبوه فقال سبحانه ردا عليهم «أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ» يعنى النبوه بين الخلق بين سبحانه أنه هو الذى يقسم النبوه لا غيره و المعنى أبايديهم مفاتيح الرساله فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل ثم قال سبحانه «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى نحن قسمنا الرزق فى المعيشه على حسب ما علمناه من مصالح عبادنا فليس لأحد أن يتحكم فى شىء من ذلك فكما فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق فكذلك اصطفينا للرساله من نشاء و قوله «وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ» معناه أفقرنا البعض و أغنينا البعض فتلقى ضعيف الحيله عيب اللسان و هو مبسوط له و تلقى شديد الحيله بسيط اللسان و هو مقتر عليه و لم نفوض ذلك إليهم مع قله خطره بل جعلناه على ما توجه الحكمه و المصلحه فكيف نفوض اختيار النبوه إليهم مع عظم محلها و شرف قدرها و قوله «لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سِيْرِيًّا» معناه أن الوجه فى اختلاف الرزق بين العباد فى الضيق و السعه زياده على ما فيه من المصلحه أن فى ذلك تسخيرا من بعض العباد لبعض باحواجهم إليهم

يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم وقيل معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتخذونهم عبداً وماليك عن قتاده والضحاك «وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» أى ورحمه الله سبحانه ونعمته من الثواب والجنه خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا وقيل معناه والنبوه لك من ربك خير مما يجمعونه من الأموال عن ابن عباس ثم أخبر سبحانه عن هوان الدنيا عليه وقله مقدارها عنده فقال «وَلَوْ لَا أَنَّ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى لو لا أن يجتمع الناس على الكفر فيكونوا كلهم كفارا على دين واحد لميلهم إلى الدنيا وحرصهم عليها عن ابن عباس والحسن و قتاده والسدى وقيل معناه و لو لا أن يجتمع الناس على اختيار الدنيا على الدين عن ابن زيد «لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سِقْفًا مِنْ فَضِّهِ» قوله «لِيُؤْتِيَهُمْ» بدل من قوله «لِمَنْ يَكْفُرُ» والمعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن سقفا من فضه فالسقف إذا كان من فضه فالحيطان من فضه وقيل إن اللام الثانيه بمعنى على فكأنه قال لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفا من فضه وقال مجاهد ما يكون من السماء فهو سقف بالفتح و ما يكون من البيت فهو سقف بضمين و منه قوله «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا» «وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» أى وجعلنا درجا و سلاليم من فضه لتلك السقف عليها يعلون و يصعدون «وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا» أى وجعلنا لبيوتهم أبوابا و سررا من فضه «عَلَيْهَا» أى على تلك السرر «يَتَكَيُّونَ وَزُخْرُفًا» أى ذهباً عن ابن عباس والضحاك و قتاده و هو منصوب بفعل مضمر أى وجعلنا لهم مع ذلك ذهباً وقيل الزخرف النقوش عن الحسن وقيل هو الفرش و متاع البيت عن ابن زيد و المعنى لأعطى الكافر فى الدنيا غايه ما يتمناه فيها لقلتها و حقارتها عنده و لكنه سبحانه لم يفعل ذلك لما فيه من المفسده ثم أخبر سبحانه أن جميع ذلك إنما يتمتع به فى الدنيا فقال «وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» و قد مر بيانه «وَالْآخِرَةُ» أى الجنه الباقيه «عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» خاصه لهم قال الحسن و الله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها و ما فعل سبحانه ذلك فكيف لو فعله و فى هذه الآيه دلالة على اللطف و أنه تعالى لا يفعل المفسده و ما يدعو إلى الكفر و إذا لم يفعل ما يؤدي إلى الكفر فلان لا يفعل الكفر و لا يريده أولى.

إشارة

وَمِنْ يَعِشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصِيدُونَ مِنَ السَّيْلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَ بَيْنَكَ بُعِيدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَ مَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٠)

القراءة

قرأ عاصم فى روايه حماد و يعقوب يقيض بالياء و الباقون «نُقِيضُ» بالنون و قرأ أهل العراق غير أبى بكر «حَتَّى إِذَا جَاءَنَا» على الواحد و الباقون جاءانا على الاثنين.

الحججه

من قرأ يقيض بالياء فالضمير يعود إلى الرحمن و من قرأ بالنون فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه أخبر عن نفسه بنون العظمه و من قرأ جاءانا على التنبيه فهو الكافر و قرينه و من قرأ جاءانا فهو الكافر لأنه أفرد بالخطاب فى الدنيا و أقيمت عليه الحججه بإنفاذ الرسول إليه فاجتزئ بالواحد عن الاثنين كما قال لِيَتَّبِدَنَّ فِي الْحُطَمَةِ و المراد لينبذن هو و ماله.

اللغه

العشو أصله النظر ببصر ضعيف يقال عشا يعشو عشوا و عشوا إذا ضعف بصره و أظلمت عينه كان عليها غشاوه و قال الأعشى:

متى تآته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و إذا ذهب البصر قيل عشى يعشى عشا و الرجل أعشى و قرأ فى الشواذ و من يعيش بفتح الشين و معناه يعم و يقال عشا إلى النار إذا أتاها و قصد لها و عشا عنها إذا عرض عنها قاصدا لغيرها كقولهم مال إليه و مال عنه و التقييض الإتاحة. الأزهرى قىض الله فلانا لفلان جاء به.

المعنى

لما تقدم ذكر الوعد للمتقين عقبه بذكر الوعيد لمن هو على ضد صفتهم فقال «وَمَنْ يَعِشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» أى يعرض عنه عن قتاده و السدى و قيل معناه و من يعم عنه عن ابن عباس و ابن زيد قال الجبائى شبههم بالأعمى لما لم يبصروا الحق و الذكر هو القرآن و قيل هو الآيات و الأدله «نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» أى نخل بينه و بين الشيطان الذى يغويه و يدعوه إلى الضلاله فيصلير قرينه عوضا عن ذكر الله عن الحسن و أبى مسلم قال الحسن و هو الخذلان عقوبه له عن الإعراض حين علم أنه لا يفلح و قيل معناه نقرن به شيطانا

فى الآخره يلزمه فيذهب به إلى النار كما أن المؤمن يقرن به ملكك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة عن قتاده و قيل أراد به شياطين الإنس نحو علماء سوء و رؤساء الضلالة يصدونهم عن سبيل الله فيتبعونهم «وَإِنَّهُمْ» يعنى و إن الشياطين و إنما جمع لأن قوله «وَ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا» فى مذهب جمع و إن كان اللفظ على الواحد «لَيُصَدُّونَهُمْ» أى يصرفون هؤلاء الكفار «عَنِ السَّبِيلِ» أى عن طريق الجنة «وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ» أى و يحسب الكفار أنهم على الهدى فيتبعونهم «حَتَّى إِذَا جَاءَنَا» من قرأ على التثنيه فالمعنى جاءنا الشيطان و من أغواه يوم القيامة الذى يتولى سبحانه حساب الخلق فيه و من قرأ على التوحيد فالمعنى حتى إذا جاءنا الكافر و علم ما يستحقه من العقاب «قَالَ» فى ذلك الوقت لقرينه الذى أغواه «يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ» يعنى المشرق و المغرب فغلب أحدهما كما قال الشاعر:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمرها و النجوم الطوالع

يعنى الشمس و القمر و قيل يعنى محمدا ص و إبراهيم (عليه السلام) و قيل أراد بالمشرقين مشرق الشتاء و مشرق الصيف كما فى قوله «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ» و المراد يا ليت بينى و بينك هذا البعد مسافه فلم أرك و لا اغتررت بك «فَبَسَّ الْقَرَيْنُ» كنت لى فى الدنيا حيث أضللتنى و أوردتنى النار و بسَّ القرين أنت لى اليوم فإنهما يكونان مشدودين فى سلسله واحده زياده عقوبه و غم عن ابن عباس و يقول الله سبحانه فى ذلك اليوم للكفار «وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» أى لا يخفف الاشتراك عنكم شيئا من العذاب لأن لكل واحد من الكفار و الشياطين الحظ الأوفر من العذاب و قيل معناه أنه لا تسلى لهم عما هم فيه بما يرونه بغيرهم من العذاب لأنه قد يتسلى الإنسان عن المحنه إذا رأى إن عدوه فى مثلها ثم قال لنبه ص «أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الضُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَى» شبه الكفار فى عدم انتفاعهم بما يسمعونه و يرونه بالصم و العمى «وَ مَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أى بين ظاهر مضاف معناه لا يضيقت صدرك فإنك لا تقدر على إكراههم على الإيمان.

إشارة

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ (٤٤) وَسِئْلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)

الإعراب

لما دخل ما على حرف الشرط أشبه القسم في التأكيد والإيدان بطلب التصديق فدخلت النون في الكلام لذلك لأن النون يلزم في جواب القسم ولا يلزم في الجزاء لأنه به مشبه.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» أى فإما نتوفينك فإننا منهم منتقمون من أمتك بعدك «أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ» معناه أو نبينك و نرينك فى حياتك ما وعدناهم من العذاب «فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ» أى قادرون على الانتقام منهم و عقوبتهم فى حياتك و بعد وفاتك قال الحسن و قتاده أن الله أكرم نبيه ص بأن لم يره تلك النقمه و لم ير فى أمته إلا ما قرت به عينه و قد كان بعده نقمه شديده

و قد روى أنه ص أرى ما تلقى أمته بعده فما زال منقبضا و لم ينبسط ضاحكا حتى لقي الله تعالى

و روى جابر بن عبد الله الأنصارى قال إني لأدناهم من رسول الله ص فى حجه الوداع بمنى حتى قال لا ألفتكم ترجعون بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض و أيم الله لئن فعلتموها لتعرفننى فى الكتيبه التى تضار بكم ثم التفت إلى خلفه فقال أو على أو على ثلاث مرات فرأينا أن جبرائيل غمزه فأنزل الله على أثر ذلك «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» بعلى بن أبى طالب (عليه السلام)

و قيل إن النبى ص أرى الانتقام منهم و هو ما كان من نقمه الله من المشركين يوم بدر بعد أن أخرجوه من مكه فقد أسر منهم و قتل من قله أصحابه و ضعف منتهم و كثره الكفار و شده شوكتهم ثم أمره سبحانه بالتمسك بالقرآن فقال «فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ» من القرآن بأن تتلوه حق تلاوته و تتبع أوامره و تنتهى عما نهى فيه عنه «إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى على دين حق و صواب و هو دين الإسلام «وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ» أى و إن القرآن الذى أوحى إليك لشرف لك و لقومك من قريش عن ابن عباس و السدى و قيل لقومك أى للعرب لأن القرآن نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص من العرب حتى يكون الشرف لقريش أكثر من غيرهم ثم لبني هاشم أكثر مما يكون لقريش «وَ سَوْفَ

تُسَيِّئُونَ» عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف عن الكلبى و الزجاج و غيرهما و قيل تسألون عن القرآن و عما يلزمكم من القيام بحقه «وَسَيِّئٌ مَّنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» معناه سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلنا إليهم الرسل هل جاء تهم الرسل إلا بالتوحيد و هو قول أكثر المفسرين و التقدير سل أمم من أرسلنا أو أتباع من أرسلنا فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و قيل إن المراد سل أهل الكتابين التوراه و الإنجيل و إن كانوا كفارا فإن الحججه تقوم بتواتر خبرهم و الخطاب و إن توجه إلى النبى ص فالمراد به الأمه أى سلوا من ذكرنا «أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» أى هل جعلنا فيما مضى معبودا سوى الله يعبده قوم فإنهم يقولون إنا لم نأمرهم بذلك و لا تعبده هم به و قيل معناه و سل الأنبياء و هم الذين جمعوا له ليله الأسرى و كانوا تسعين نبيا منهم موسى و عيسى و لم يسألهم ص لأنه كان أعلم بالله منهم عن الزهرى و سعيد بن جبير و ابن زيد.

إشارة

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠)

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)

القراءه

قرأ حفص و يعقوب و سهل «آسُورَةٌ» و الباقون أساوره.

الحجه

الأسورة جمع سوار مثل سقاء و أسقيه و خوان و أخونه و من قرأ أساوره جعله جمع أسوار فتكون الهاء عوضا عن الياء التي كانت ينبغي أن تلحق في جمع أسوار على حد أعصار و أعاصير و يجوز في أساوره أن يكون جمع أسوره فيكون مثل أسقيه و أساق و لحق الهاء كما لحق في قشعم و قشاعمه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (عليه السلام) فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا» أي بالحجج الباهره و المعجزات القاهره «إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ» أي أشراف قومه و خص الملاء بالذكر و إن كان أيضا مرسلًا إلى غيرهم لأن من عداهم تبع لهم «فَقَالَ» موسى «إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أرسلني إليكم «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا» أي فلما أظهر المعجزات التي هي اليد البيضاء و العصا «إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ» استهزاء و استخفافا و جهلا منهم بما عليهم من ترك النظر فيها و بما لهم من النفع بحصول العلم بها «وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا» المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و الطمس و كانت كل آية من هذه الآيات أكبر من التي قبلها و هي العذاب المذكور في قوله «وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» لأنهم عذبوا بهذه الآيات و كانت عذابا لهم و معجزات لموسى (عليه السلام) فغلب عليهم الشقاء و لم يؤمنوا «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ» يعنون بذلك يا أيها العالم و كان الساحر عندهم عظيما يعظمونه و لم يكن صفه ذم عن الكلبى و الجبائى و قيل إنما قالوا استهزاء بموسى (عليه السلام) عن الحسن و قيل معناه يا أيها الذى سلبتنا بسحره تقول العرب خاصمته فخصمته و حاججته فحججته فكذلك ساحرته و أرادوا أنه غالب السحره فغلبهم بسحره «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ» أي بما زعمت أنه عهد عندك و هو أنه ضمن لنا أننا إذا آمننا بك أن يكشف العذاب عنا «إِنَّا لَمُهْتَدُونَ» أي راجعون إلى الحق الذى تدعوننا إليه متى كشف عنا العذاب و فى الكلام حذف لأن التقدير فدعا موسى و سأل ربه أن يكشف عنهم ذلك العذاب فكشف الله عنهم ذلك «فَلَمَّا

كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ» أَى يَغْدِرُونَ وَ يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ وَ فَى هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِىِّ ص وَ الْمَعْنَى فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أذى قَوْمِكَ فَإِنِ حَالِكَ مَعَهُمْ كَحَالِ مُوسَى مَعَ قَوْمِهِ فَيُؤْوَلُ أَمْرَكَ إِلَى الْاِسْتِعْلَاءِ

ص: ٧٨

على قومك كما آل أمره إلى ذلك «وَ نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ» معناه أنه لما رأى أمر موسى يزيد على الأيام ظهورا و اعتلاء خاف على مملكته فأظهر الخداع فخطب الناس بعد ما اجتمعوا و «قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ» أتصرف فيها كما أشاء أراد بذلك إظهار بسطته في الملك و المال «وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ» مثل النيل و غيرها «تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» أى من تحت أمرى و قيل إنها كانت تجرى تحت قصره و هو مشرف عليها «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» هذا الملك العظيم و قوتى و ضعف موسى «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ» أى ضعيف حقير يعنى به موسى قال سيبويه و الخليل عطف أنا بأم على قوله «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» لأن معنى أم أنا خير معنى أم تبصرون فكأنه قال أفلا تبصرون أم تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير منه فقد صاروا بصراء عنده و قيل المهين الفقير الذى يمتهن نفسه فى جميع ما يحتاج إليه ليس له من يكفيه أمره «وَ لَا يَكَادُ يُبَيِّنُ» أى و لا يكاد يفصح بكلامه و حججه للعقده التى فى لسانه و قال الحسن كانت العقده زالت عن لسانه حين أرسله الله كما قال مخبرا عن نفسه وَ أَحْلَلْ عُقْدَهُ مِنْ لِسَانِي ثُمَّ قَالَ قَدْ أُوتِيَتْ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى و إنما عيره بما كان فى لسانه قبل و قيل كان فى لسانه لثغه فرفعه الله تعالى و بقى فيه ثقل عن الجبائى «فَلَوْ لَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ» أى هلا- طرح عليه أسوره من ذهب إن كان صادقا فى نبوته و كان إذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب و طوقه بطوق من ذهب «أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ» متتابعين يعينونه على أمره الذى بعث له و يشهدون له بصدقه و قيل متعاضدين متناصرين كل واحد منهم يمالئ صاحبه «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ» و معناه إن فرعون استخف عقول قومه «فَأَطَاعُوهُ» فيما دعاهم إليه لأنه احتج عليهم بما ليس بدليل و هو قوله «أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ» إلى آخره و لو عقلوا لقالوا ليس فى ملك الإنسان دلالة على أنه محق و ليس يجب أن يأتى مع الرسل ملائكة لأن الذى يدل على صدق الرسل هو المعجز دون غيره «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» أى خارجين عن طاعه الله تعالى.

النظم

وجه اتصال قصه موسى (عليه السلام) بما قبلها أنه لما تقدم السؤال عن أحوال الرسل و ما جاءوا به اتصل به حديث موسى و عيسى (عليه السلام) لأن أهل الكتابين إليهما ينتسبون و قيل أنه لما تقدم ذكر محمد ص و تكذيب قومه إياه ذكر حديث موسى تسليه له و تطيبا لقلبه ص.

إشارة

فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦) وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا خَيْدًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَيْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)

وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠)

القراءة

قرأ حمزه و الكسائي سلفا بضم السين و اللام و قرأ الباقون بفتحهما و قرأ أهل المدينة و ابن عامر و الأعشى و البرجمي و الكسائي و خلف يصدون بضم الصاد و الباقون بكسر الصاد.

الحج

من قرأ سلفا جاز أن يكون جمعا لسلف مثل أسد و أسد و وثن و وثن و من قرأ «سَيْلَفًا» فلأن فعلا قد جاء في حروف يراد بها الكثيره فكأنه اسم من أسماء الجمع قالوا خادم و خدام و طالب و طلب و حارس و حرس و كذلك المثل واحد يراد به الجمع و لذلك عطف على سلف في قوله «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَ مَثَلًا» و معنى يصدون و «يَصِدُّونَ» جميعا يضجون عن أبي عبيده قال و الكسر أجود و يقال صد عن كذا فيوصل بعن كما قال الشاعر:

صدت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمين

و صَيَّدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ* فمن ذهب في يصدون إلى معنى يعدلون كان المعنى إذا قومك منه أي من أجل المثل يصدون و لم يوصل يصدون بعن و من قال يصدون يضجون جعل من متصله ييضج كما تقول ييضج من كذا و قال بعض المفسرين معنى يصدون يضجون و المعنى أنه لما نزل إِنْكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ الآية لأنها اتخذت آلهه و عبادت فعيسى في حكمهم قال و لما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك في هذا الذي قالوه منه

يضحكون لما أتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى و بين آلهتهم و ما ضربوه إلا إرادته للمجادله لأنهم قد علموا أن المراد بحصب جهنم ما اتخذوا من الموات.

اللغة

يقال آسفه فأسف بأسفا أى أغضبه فغضب و أحزنه فحزن و يقال الأسف الغيظ من المغتم إلا أنه هاهنا بمعنى الغضب و السلف المتقدم على غيره قبل مجىء وقته و منه السلف فى البيع و السلف نقيض الخلف و الجدل مقابل الحجة بالحجة و قيل الجدل اللدد فى الخصام و أصله من جدل الحبل و هو شدة قتله و رجل مجدول الخلق أى شديده و قيل أصله من الجداله و هى الأرض كان كل واحد من الخصمين يروم إلقاء صاحبه على الجداله.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن انتقامه من فرعون و قومه فقال «فَلَمَّا آسَفُونَا» أى أغضبونا عن ابن عباس و مجاهد و غضب الله سبحانه على العصاه إرادته عقوبتهم و رضاه عن المطيعين إرادته ثوابهم الذى يستحقونه على طاعتهم و قيل معناه آسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا- يجوز على الله سبحانه «انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ» أى انتقمنا لأولائنا منهم «فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» ما نجا منهم أحد «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا» أى متقدمين إلى النار «وَمَثَلًا» أى عبره و موعظه «لِلْآخِرِينَ» أى لمن جاء بعدهم يتعظون بهم و المعنى أن حال غيرهم يشبه حالهم إذا أقاموا على العصيان «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا» اختلف فى المراد به على وجوه (أحدها أن معناه و لما وصف ابن مريم شبها فى العذاب بالآلهه أى فيما قالوه على زعمهم و ذلك أنه لما نزل قوله «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» قال المشركون قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى و ذلك قوله «إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» أى يضجون ضجيج المجادله حيث خاصموك و هو قوله «وَقَالُوا أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» أى ليست آلهتنا خيرا من عيسى فإن كان عيسى فى النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا عن ابن عباس و مقاتل (و ثانيها) أن معناه لما ضرب الله المسيح مثلا بآدم فى قوله «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» أى من قدر على أن ينشئ آدم من غير أب و أم قادر على إنشاء المسيح من غير أب اعترض على النبى ص بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآية (و ثالثها) أن معناه أن النبى ص لما مدح المسيح و أمه و أنه كآدم فى الخاصيه قالوا إن محمدا يريد أن نعبد كما عبدت النصارى عيسى عن قتاده (و رابعها)

ما رواه ساده أهل البيت عن على عليهم أفضل الصلوات أنه قال جئت إلى رسول الله ص يوما فوجدته فى ملأ من قريش فنظر إلى ثم قال يا على إنما مثلك فى هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم أحبه قوم فأفرطوا فى حبه فهلكوا و أبغضه قوم فأفرطوا فى بغضه فهلكوا و اقتصد فيه قوم فنجوا

فعظم

ذلك عليهم فضحكوا وقالوا يشبهه بالأنبياء و الرسل فنزلت الآية «وَقَالُوا أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» أى آلهتنا أفضل أم المسيح فإذا كان المسيح فى النار رضينا أن تكون آلهتنا معه عن السدى و ابن زيد و قيل معناه أن آلهتنا خير من المسيح فإذا عبد المسيح جاز أن تعبد آلهتنا عن الجبائى و قيل هو كناية عن محمد ص و المعنى آلهتنا خير من محمد ص و هو يأمرنا بأن نعبده كما عبد النصرارى المسيح و نطيعه و نترك آلهتنا عن قتاده و قال على بن عيسى معنى سؤالهم بقولهم «أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» أنهم ألزموا ما لا يلزم على ظن منهم و توهم كأنهم قالوا و مثلنا فيما نعبد مثل ما يعبد المسيح فأیما خير عباده آلهتنا أم عباده المسيح على أنه إن قال عباده المسيح أقر عباده غير الله و كذلك أن قال عباده الأوثان و إن قال ليس فى عباده المسيح خير قصر به عن المنزله التى أبین لأجلها من سائر العباد و جوابهم عن ذلك أن اختصاص المسيح بضرب من التشريف و الإنعام عليه لا يوجب العباده له كما لا- يوجب أن ينعم عليه بأعلى مراتب النعمه «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا» أى ما ضربوا هذا المثل لك إلا ليجادلوك به و يخاصموك و يدفعوك به عن الحق لأن المتجادلين لا بد أن يكون أحدهما مبطلا بخلاف المتناظرين لأن المناظره قد تكون بين المحققين «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» أى جادلون فى دفع الحق بالباطل ثم وصف سبحانه المسيح فقال «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ» أى ما هو إلا عبد أنعمنا عليه بالخلق من غير أب و بالنبوه «وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» أى آيه لهم و دلاله يعرفون بها قدره الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب فهو مثل لهم يشبهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله ثم قال سبحانه دالا على كمال قدرته و على أنه لا- يفعل إلا الأصلاح «وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ» أى بدلا منكم معاشر بنى آدم «مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ» بنى آدم أى يكونون خلفاء منهم و المعنى لو نشاء أهلكناكم و جعلنا الملائكه بدلکم سكان الأرض يعمرونها و يعبدون الله و مثل قوله «مِنْكُمْ» فى الآيه ما فى قول الشاعر:

فليت لنا من ماء زمزم شربه مبرده باتت على الطهيان

و قيل معناه و لو نشاء لجعلناكم أيها البشر ملائكه فيكون من باب التجريد و فيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنيه البشر إلى بنيه الملائكه «يَخْلُقُونَ» أى يخلف بعضهم بعضا.

إشارة

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٤١) وَلَا يَصِدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٤٢) وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأَيِّبَنَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (٤٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٤٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ (٤٥)

القراءة

فى الشواذ قراءة ابن عباس و قتاده و الضحاك و أنه لعلم بفتح العين و اللام أى أماره و علامه.

المعنى

ثم رجع سبحانه إلى ذكر عيسى (عليه السلام) فقال «وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ» يعنى أن نزول عيسى (عليه السلام) من أشراط الساعة يعلم بها قربها «فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا» أى بالساعة فلا تكذبوا بها و لا تشكوا فيها عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و الضحاك و السدى و

قال ابن جريح أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبى ص يقول ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه من الله لهذه الأمة أوردته مسلم فى الصحيح

و

فى حديث آخر كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم و إمامكم منكم

و قيل إن الهاء فى قوله «وَإِنَّهُ» يعود إلى القرآن و معناه أن القرآن لدلاله على قيام الساعة و البعث يعلم به ذلك عن الحسن و قيل معناه أن القرآن لدليل الساعة لأنه آخر الكتب أنزل على آخر الأنبياء عن أبى مسلم و قوله «وَ اتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» معناه و اتبعونى فيما أمركم به هذا الذى أنا عليه طريق واضح قيم «وَ لَا يَصِدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» أى و لا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» بين العداوه يدعوكم إلى الضلال الذى هو سبب هلاككم ثم أخبر سبحانه عن حال عيسى (عليه السلام) حين بعثه الله نبيا فقال «وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات الداله على نبوته و قيل بالإنجيل عن قتاده «قَالَ»

لهم

«قَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحِكْمَةِ» أى بالنبوه عن عطاء و قيل بالعلم بالتوحيد و العدل و الشرائع «وَلَا بَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» قيل إن المعنى كل الذى تختلفون فيه كقول لبيد:

" أو يخترم بعض النفوس حمامها "

أى كل النفوس و كقول القطامى:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته و قد يكون من المستعجل الزلل

أى كل حاجته عن أبى عبيده قال الزجاج و الصحيح أن البعض لا يكون فى معنى الكل و الذى جاء به عيسى فى الإنجيل إنما هو بعض الذى اختلفوا فيه و بين لهم فى غير الإنجيل ما احتاجوا إليه و قول الشاعر:

" أو يخترم بعض النفوس حمامها "

إنما يعنى نفسه و قيل معناه لأبين لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور الدنيا «فَاتَّقُوا اللَّهَ» بأن تجتنبوا معاصيه و تعملوا بالطاعات «وَأَطِيعُوا» فيما أَدْعُوكم إليه «إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» الذى تحق له العباده «فَاعْبُدُوهُ» خالصا و لا تشركوا به شيئا «هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» يفضى بكم إلى الجنه و ثواب الله «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» يعنى اليهود و النصارى اختلفوا فى أمر عيسى «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ» قد مر تفسير الآيه فى سوره مريم.

إشارة

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و حفص «ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ» بزيادة الهاء و الباقون تشتهي الأنفس بحذف الهاء.

الحج

قال أبو علي حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كإثباتها إلا أن الحذف يرجح على الإثبات بأن عامه هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف نحو قوله «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» وَ سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى» و يقوى الحذف من جهة القياس أنه اسم قد طال و الأسماء إذا طالت فقد يحذف منها كما يحذف في اشهباب و احميرار و كما حذفوا من كينونه فكما ألزموا الحذف لهذا كذلك حسن أن تحذف الهاء من الصلة.

اللغة

الخبور السرور الذى يظهر فى الوجه أثره و خبرته أى حسنته و الحبار الأثر و الصحف جمع صفحه و هى الجام الذى يؤكل فيه الطعام و الأكواب جمع كوب و هى إناء على صورته الإبريق لا أذن له و لا خرطوم و قيل أنه كالكأس للشراب قال الأعشى:

صريفه طيب طعمها لها زبد بين كوب و دن

. المعنى

قال سبحانه موبخا لهم «هَيْلٌ يَنْظُرُونَ» أى هل ينتظر هؤلاء الكفار بعد ورود الرسل و القرآن «إِلَّا السَّاعَةَ» أى القيامة «أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» أى فجأة «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أى لا يدرون وقت مجيئها «الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» معناه أن الذين تخالوا و تواصلوا فى الدنيا يكون بعضهم أعداء لبعض ذلك اليوم يعنى يوم القيامة و هم الذين تخالوا على الكفر و المعصية و مخالفه النبى ص لما يرى كل واحد منهم من العذاب بسبب تلك المصادقه ثم استثنى من جملة الأخلاء المتقين فقال «إِلَّا الْمُتَّقِينَ» من المؤمنين الموحدن الذى خال بعضهم بعضا على الإيمان و التقوى فإن تلك الخلة تتأكد بينهم يوم القيامة و لا تنقلب عداوه «يا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» أى يقال لهم وقت

الخوف يا عبادى لا- خوف عليكم من العذاب اليوم «وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» من فوات الثواب ثم وصف سبحانه عباده و ميزهم من غيرهم فقال «الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا» أى صدقوا بحججنا و دلائلنا و اتبعوها «وَوَكُنَّا مُسْلِمِينَ» أى مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين و «الَّذِينَ آمَنُوا» فى محل نصب على البدل من عبادى أو الصفة له ثم بين سبحانه ما يقال لهم بقوله «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَزَوَاجِكُمْ» اللاتى كن مؤمنات مثلكم و قيل يعنى أزواجهم من الحور العين فى الجنة «تُحْبَبُونَ» أى تسرون و تكرمون و قد مر تفسيره فى سورة الروم «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ» أى بقصاع «مِنْ ذَهَبٍ» فيها ألوان الأطعمة «وَأَكْوَابٍ» أى كيزان لا عرى لها و قيل بانيه مستديره الرأس اكتفى سبحانه بذكر الصحف و الأ-كواب عن ذكر الطعام و الشراب «وَفِيهَا» أى و فى الجنة «ما تشتهيه الأنفس» من أنواع النعيم المشروبه و المطعومه و الملبوسه و المشمومه و غيرها «وَتَلْعَدُ الْأَعْيُنُ» أى و ما تلذه العيون بالنظر إليه و إنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين و إنما الملتذ على الحقيقه هو الإنسان لأن المناظر الحسنه سبب من أسباب اللذه فإضافه اللذه إلى الموضوع الذى يلد الإنسان به أحسن لما فى ذلك من البيان مع الإيجاز و قد جمع الله سبحانه بقوله «ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين» ما لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما فى الجنة من أنواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمتها هاتان الصفتان «وَأَنْتُمْ فِيهَا» أى فى الجنة و أنواع من الملاذ «خَالِدُونَ» أى دائمون مؤبدون «وَتَلْعَدُ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى أعطيتموها بأعمالكم قال ابن عباس الكافر يرث نار المؤمن و المؤمن يرث جنة الكافر و هذا كقوله «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ» «لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ» جمع لهم بين الطعام و الشراب و الفواكه و بين دوام ذلك فهذه غايه الأمانه ثم أخبر سبحانه عن أحوال أهل النار فقال «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ» دائمون «لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ» العذاب أى لا يخفف عنهم «وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» آيسون من كل خير.

اشاره

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُتُبُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أُبْرِمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ بَلَى وَ رُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَعْدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)

القراءه

قرأ ابن كثير و أهل الكوفه غير عاصم إلا يحيى و روح عن يعقوب و إليه يرجعون بالياء و الباقيون بالتاء و

في الشواذ قراءه ابن مسعود و يحيى و الأعمش يا مال و روى ذلك عن علي (عليه السلام)

و قراءه أبي عبد الرحمن اليماني فأنا أول العبدین بغير ألف و القراءه المشهوره «العابدين».

الحجه

قال أبو علي حجه الياء في يرجعون أن قبله غيبه و هو قوله «فَمَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا» و حجه التاء أن يراد به مع الغيبه مخاطبون فغلب الخطاب على الغيبه أو يكون على قل لهم و إليه ترجعون و قوله يا مال على المذهب المألوف في الترخيم قال الشاعر:

فأبلغ مالكا عنى رسولا و ما يغنى الرسول لديك مال

أى يا مالك قال ابن جنى و فى هذا الموضع سر و هو أنهم لعظم ما هم فيه خفيت قواهم و صغر كلامهم فكان هذا فى موضع الاختصار و قوله «فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» من قولهم عبت من الأمر أعبد عبدا أى أنفت منه قال الفرزدق:

أولئك قومي إن هجوني هجوتهم و أعبد أن تهجى كليب بدارم

و لكن نصفاً إن سببت و سبني بنو عبد شمس من قريش و هاشم.

قوله «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ» ارتفع إله بكونه خبر مبتدأ محذوف من الصلة و تقديره و هو الذى هو فى السماء إله و فى السماء يتعلق بقوله «إِلَهٌ» و موضعه نصب به و إن كان مقدما عليه «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» أى علم وقوع الساعة فالمصدر مضاف إلى المفعول أى يعلم وقوع الساعة.

المعنى

لما بين سبحانه ما يفعله بالمجرمين بين أنه لم يظلمهم بذلك فقال «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ» نفوسهم بما جنوا عليها من العذاب «وَنَادُوا يَا مَالِكُ» أى و يدعون خازن جهنم فيقولون يا مالِك «لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ» أى ليمتنا ربك حتى نتخلص و نستريح من هذا العذاب «قَالَ» أى فيقول مالِك مجيبا لهم «إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ» أى لابتون دائمون فى العذاب قال ابن عباس و السدى إنما يجيبهم مالِك بذلك بعد ألف سنة و قال عبد الله بن عمر بعد أربعين عاما «لَقَدْ جِئْنَاكُمْ» أى يقول الله تعالى لقد أرسلنا إليكم الرسل «بِالْحَقِّ» أى جاءكم رسلنا بالحق و أضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره و قيل هو من قول مالِك و إنما قال «لَقَدْ جِئْنَاكُمْ» لأنه من الملائكة و هم من جنس الرسل عن الجبائى «وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ» معاشر الخلق «لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» لأنكم ألفتكم الباطل فكرهتم مفارقتة «أَمْ أُبْرِمُوا أمراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ» أى بل أحكموا أمرا فى كيد محمد ص و المكر به «فإِنَّا مُبْرِمُونَ» أى محكمون أمرا فى مجازاتهم «أَمْ يَحْسَبُونَ» أى بل أ يظن هؤلاء الكفار «أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ» أى ما يسرونه من غيرهم و يتناجون به بينهم و السر ما يضمه الإنسان فى نفسه و لا يظهره لغيره و النجوى ما يحدث به المحدث غيره فى الخفيه «بلى» نسمع ذلك و ندركه «وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ» ما يقولونه و يفعلونه يعنى الحفظه و سبب نزول الآيه مذكور فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) «قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَ لَمَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن معناه إن كان للرحمن ولد فى قولكم و على زعمكم فأنا أول العابدين أى أول من عبد الله وحده فقد دفع أن يكون له ولد و المعنى فأنا أول الموحدىن لله المنكرىن لقولكم عن مجاهد (و ثانيها) أن إن بمعنى ما النفى و المعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدىن لله المقرىن بذلك عن ابن عباس و قتاده و ابن

زيد (و ثالثها) إن معناه لو كان له ولد لكنت أنا أول الأنفين من عبادته لأن من كان له ولد لا يكون إلا جسما محدثا و من كان كذلك لا يستحق العباده لأنه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العباده عن الجبائي و غيره (و رابعها) أنه يقول كما أنى لست أول من عبد الله فكذلك ليس لله ولد و هذا كما تقول إن كنت كاتباً فأنا حاسب تريد لست كاتباً و لا أنا حاسب عن سفيان بن عيينه (و خامسها) أن معناه لو كان له ولد لكنت أول من يعبده بأن له ولداً و لكن لا ولد له عن السدي و أبي مسلم و هذا كما يقال لو دعت الحكمة إلى عباده غيره لعبدته لكن الحكمة لا تدعو إلى عباده غيره و لو دل الدليل على أن له ولداً لقلت به و لكنه لا يدل فهذا تحقيق لنفى الولد و تبعيد له لأنه تعليق محال بمحال ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال «سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» أى تنزيهاً لمالك السماوات و الأرض و خالقهن و خالق العرش و مدبره عما يصفونه به من اتخاذ الولد لأن من قدر على ذلك استغنى عن اتخاذ الولد ثم خاطب سبحانه نبيه ص على وجه التهديد للكفار فقال «فَمَذَرَهُمْ يَخُوضُوا» فى باطلهم «وَ يَلْعَبُوا» فى دنياهم «حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» فيه بعداب الأبد و هو يوم القيامة «وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ» أى هو الذى تحقق له العباده فى السماء و تحقق له العباده فى الأرض و إنما كرر لفظ إله لأمرين (أحدهما) التأكيد ليتمكن المعنى فى النفس (و الثانى) لأن المعنى هو إله فى السماء يجب على الملائكة عبادته و إله فى الأرض يجب على الإنس و الجن عبادته «وَ هُوَ الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله «الْعَلِيمُ» بمصالح عباده «وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا» أى دامت بركته فمنه البركات و إيصال السعادات و جل عن أن يكون له ولد أو شبيه من له التصرف فى السماوات و الأرض و فيما بينهما بلا دافع و لا منازع «وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» أى علم يوم القيامة لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره «وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة فيجازى كلا على قدر عمله.

إشارة

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَآتَى يُؤْفِكُونَ (٨٧) وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)

القراءة

قرأ عاصم و حمزه و قيله بالجـ و الباقون بالنصب و فى الشواذ قراءة الأـعرج و مجاهد و قيله بالرفع و قرأ أهل المدينة و الشام فسوف تعلمون بالتاء و الباقون بالياء.

الحجـه

قال أبو على وجه الجـ فى «وَقِيلَ» أنه معطوف على قوله «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» و علم قيله أى يعلم الساعة و من يصدق بها و يعلم قيله و معنى يعلم قيله أى يعلم أن الدعاء مندوب إليه نحو قوله «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» و «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً» و أما من نصب حمـه على موضع وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ لأن الساعة مفعول بها و ليست بظرف فالمصدر مضاف إلى المفعول به و مثل ذلك قوله:

قد كنت داينت بها حسانا مخافه الإفلاس و الليانا

يحسن بيع الأصل و القيانا

فكما أن القيان و الليان محمولان على ما أضيف إليه المصدر من المفعول به فكذلك قوله تعالى «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» لما كان معناه يعلم الساعة حملت قيله على ذلك و يجوز أن تحمله على يقول قيله فيدل انتصاب المصدر على فعله و كذلك قول كعب:

يسعى الوشاه جنابها و قيلهم إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول

أى و يقولون حقا و وجه ثالث أن يحمل على قوله «يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهُمْ وَ نَجِوَاهُمْ» و قيله و من قرأ و قيله بالرفع احتمال ضربين (أحدهما) أن يجعل الخبر و قيله قيل يا رب فيحذف (و الآخر) أن يجعل الخبر و قيله يا رب مسموع و متقبل فيا رب منصوب الموضع بقيله المذكور و على القول الآخر بقيله المضمـر و هو من صلته و لا- يمتنع ذلك من حيث امتنع أن يحذف بعض الموصول و يبقى بعضه لأن حذف القول قد كثر حتى صار بمنزله المذكور و قد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين و قال ابن جنى هو معطوف على علم أى و علم قيله فحذف المضاف فالمصدر الذى هو قيل مضاف إلى الهاء الذى هو مفعول فى المعنى و التقدير و عنده علم أن يقال يا رب أن هؤلاء قوم لا يؤمنون و من قرأ فسوف

تعلمون بالتاء فالوجه فيه أنه على تقدير قل لهم فسوف تعلمون ووجه الياء أن يحمل على الغيبة التي هي فاصفح عنهم وقوله «وَقُلْ سَلَامٌ» تقديره وقل أمرنا و أمركم سلام أى متاركه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أنه لا- شفاعه لمعبوديههم فقال «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» أى الذى يدعوه الكفار إليها و يوجهون عبادتهم إليه من الأصنام و غيرها «الشَّفَاعَةَ» لمن يعبدهم كما توهمه الكفار و هى مسأله الطالب العفو عن غيره و إسقاط العقاب عنه «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ» و هم عيسى بن مريم و عزيز و الملائكه استثناهم سبحانه ممن عبد من دون الله فإن لهم عند الله منزله الشفاعه عن قتاده و قيل معناه لا يملك أحد من الملائكه و غيرهم الشفاعه إلا لمن شهد بالحق أى شهد أن لا إله إلا الله و ذلك أن النضر بن الحارث و نفر من قريش قالوا إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن نتولى الملائكه و هم أحق بالشفاعه لنا منه فنزلت الآيه فالمعنى أنهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أى يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم و فى هذا دلالة على أن حقيقه الإيمان هو الاعتقاد بالقلب و المعرفه لأن الله شرط مع الشهاده العلم و هو ما اقتضى طمأنينه القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكك إذا شكك و لا يضطرب إذا حرك «وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ» يا محمد «مَنْ خَلَقَهُمْ» أى أخرجهم من العدم إلى الوجود «لَيَقُولَنَّ اللَّهُ» لأنهم يعلمون ضروره أن أصنامهم لم تخلقهم «فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» أى فكيف يصرفون عن عبادته إلى عباده غيره «وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ» قال قتاده هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه و ينكر عليهم تخلفهم عن الإيمان و ذكر أن قراءه عبد الله و قال الرسول يا رب أن هؤلاء قوم لا يؤمنون و على هذا فالهاء فى «وَقِيلِهِ» يعود إلى النبى ص «فَاصْرِفْ عَنْهُمْ» أى فأعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك كما قال و أَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ «وَقُلْ سَلَامٌ» أى مداراه و متاركه و قيل هو سلام هجران و مجانبه لا سلام تحيه و كرامه كقوله «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغَى الْجَاهِلِينَ» و قيل معناه قل ما تسلم به من شرهم و أذاهم و هذا منسوخ بآيه السيف عن قتاده و قيل معناه فاصفح عن سفههم و لا تقابلهم بمثله. ندبه سبحانه إلى الحلم فلا يكون منسوخا عن الحسن ثم هددهم سبحانه بقوله «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» يعنى يوم القيامه إذا عاينوا ما يحل بهم من العذاب.

(٤٤) سورة الدخان مكيه و آياتها تسع و خمسون (٥٩)

اشاره

عدد آياتها

تسع و خمسون آيه كوفي سبع بصرى ست فى الباقيين.

اختلافها

أربع آيات «حم» و «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ» كوفي «شَجَرَةَ الزُّقُومِ» عراقى شامى و المدنى الأول «فِي الْبُطُونِ» عراقى مكى و المدنى الأخير.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص و من قرأ الدخان فى ليله الجمعة غفر له

أبو هريره عن النبى ص قال من قرأ سورة الدخان فى ليله أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك.

و عنه عن النبى ص قال و من قرأها فى ليله الجمعة أصبح مغفورا له.

أبو أمامه عن النبى ص قال و من قرأ سورة الدخان ليله الجمعة و يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة.

و روى أبو حمزه الثمالى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة الدخان فى فرائضه و نوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة و أظله تحت ظل عرشه و حاسبه حسابا يسيرا و أعطى كتابه بيمينه.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الزخرف بالوعيد و التهديد و افتتح هذه السوره أيضا بمثل ذلك فى الإنذار بالعذاب الشديد فقال:

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)

أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١)

إحدى عشره آية كوفى فى غيرهم.

القراءة

قرأ أهل الكوفة رب السماوات بالجر و الباقون بالرفع.

الحج

الرفع فيه على أحد أمرين إما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو رب السماوات و إما أن يكون مبتدأ و خبره الجملة التى عاد الذكر منها إليه و هو قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و يقويه قوله «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ و من قرأ بالجر جعله بدلا «مِنْ رَبِّكَ» المتقدم ذكره قال أبو الحسن الرفع أحسن و به يقرأ.

الإعراب

«إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» جواب القسم دون قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» لأنك لا تقسم بالشئ على نفسه فإن القسم تأكيد خبر بخبر آخر فقوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» اعتراض بين القسم و جوابه أمرا من عندنا فى انتصابه و جهان (أحدهما) أن يكون نصبا على الحال و تقديره إنا أنزلناه آمرين أمرا كما يقال جاء فلان مشيا و ركضا أى ماشيا و راكضا و على هذا فىكون مصدرا موضوعا موضع الحال و هذا اختيار الأخفش و يجوز أن يكون تقديره ذا أمر فحذف المضاف كما قال وَ لَكِنَّ الْبِرَّ بِمَعْنَى ذَا الْبِرِّ (و الثانى) أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله «فِيهَا يُفْرَقُ» فيها يؤمر قد دل يفرق على يؤمر و قوله «رَحْمَةً» منصوب على أنه مفعول له أى أنزلناه للرحمة و قال الأخفش هو منصوب على الحال أى راحمين رحمة.

المعنى

«حم» مر بيانه «وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أقسم سبحانه بالقرآن الدال على صحه نبوه نبينا ص و فيه بيان الأحكام و الفصل بين الحلال و الحرام و جواب القسم «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» أى إنا أنزلنا القرآن و

الليله المباركه هى ليله القدر عن ابن عباس

ص: ٩٣

و قتاده و ابن زيد و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل هي ليله النصف من شعبان عن عكرمه و الأصح الأول و يدل عليه قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» و قوله «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» و اختلف في كيفية إنزاله ف قيل أنزل إلى السماء الدنيا في ليله القدر ثم أنزل نجوماً إلى النبي ص و قيل أنه كان ينزل جميع ما يحتاج في كل سنة في تلك الليلة ثم كان ينزلها جبرائيل (عليه السلام) شيئاً فشيئاً وقت وقوع الحاجه إليه و قيل كان بدء إنزاله في ليله القدر و روى عن ابن عباس أنه قال قد كلم الله جبرائيل في ليله واحده و هي ليله القدر فسمعه جبرائيل و حفظه بقلبه و جاء به إلى السماء الدنيا إلى الكتبه و كتبه ثم نزل على محمد ص بالنجوم في ثلاث و عشرين سنة و قيل في عشرين سنة و إنما وصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لأن فيها يقسم الله نعمه على عباده من السنة إلى السنة فتدوم بركاتها و البركة نماء الخير و ضدها الشؤم و هو نماء الشر فالليلة التي أنزل فيها كتاب الله مباركة ينمي الخير فيها على ما دبر الله سبحانه لها من علو مرتبتها و استجابته الدعاء فيها «إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» أى مخوفين بما أنزلناه من تعذيب العصاة و الإنذار الأعلام بموضع الخوف ليتقى و موضع الأمن ليجتنبى فالله عز اسمه قد أنذر عباده بأنهم الإنذار من طريق العقل و السمع «فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» أى في هذه الليلة يفصل و يبين و المعنى يقضى كل أمر محكم لا- تلحقه الزيادة و النقصان و هو أنه يقسم فيها الآجال و الأرزاق و غيرها من أمور السنه إلى مثلها من العام القابل عن ابن عباس و الحسن و قتاده و عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال إنك لترى الرجل يمشى فى الأسواق و قد وقع اسمه فى الموتى و قال عكرمه هي ليله النصف من شعبان يرم فيها أمر السنه و ينسخ الأحياء من الأموات و يكتب الحاج فلا يزيد فيهم أحد و لا ينقص منهم أحد «أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا» معناه إنا نأمر ببيان ذلك و نسخه من اللوح المحفوظ «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» محمداً إلى عبادنا كمن كان قبله من الأنبياء «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» أى رأفه منا بخلقنا و نعمه منا عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل عن ابن عباس «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لمن دعاه من عباده «الْعَلِيمُ» بمصالحهم «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما و مدبرهما «وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤَقِّنِينَ» بهذا الخبر محققين له و هو أنه «لا- إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لا يستحق العباده سواه «يُحْيِي» الخلق بعد موتهم «وَ يُمِيتُ» أى و يميتهم بعد إحيائهم «رَبُّكُمْ» الذى خلقكم و دبركم «وَ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ» الذين سبقوكم ثم ذكر سبحانه الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ» مما أخبرناك به «يَلْعَبُونَ» مع ذلك و يستهزءون بك و بالقرآن إذا قرئ عليهم عن الجبائى و قيل يلعبون أى يشتغلون بالدنيا و يترددون فى أحوالها ثم خاطب نبيه ص فقال «فَارْتَقِبْ» أى فانتظر يا محمد «يَوْمَ تَأْتِي

أن رسول الله ص دعا على قومه لما كذبوه فقال اللهم سنينا كسنى يوسف فأجدبت الأرض فأصابت قريشا المجاعة و كان الرجل لما به من الجوع يرى بينه و بين السماء كالدخان و أكلوا الميتة و العظام ثم جاءوا إلى النبي ص و قالوا يا محمد جئت تأمر بصله الرحم و قومك قد هلكوا فسأل الله تعالى لهم بالخصب و السعه فكشف عنهم ثم عادوا إلى الكفر

عن ابن مسعود و الضحاك و قيل إن الدخان آيه من أشراط الساعة تدخل فى مسامع الكفار و المنافقين و هو لم يأت بعد و إنه يأتى قبل قيام الساعة فيدخل أسماعهم حتى أن رءوسهم تكون كالرأس الحنيد و يصيب المؤمن منه مثل الزكمه و تكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص و يمكث ذلك أربعين يوما عن ابن عباس و ابن عمر و الحسن و الجبائى «يَغْشَى النَّاسَ» يعنى أن الدخان يعم جميع الناس و على القول الأول المراد بالناس أهل مكة و هم الذين يقولون «هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجه مؤلم.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ١٢ الى ٢١]

اشاره

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَننَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادَ اللَّهِ إِننَىٰ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِننَىٰ آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَ إِننَىٰ عُدْتُ بِرَبِّى وَ رَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ (٢٠) وَ إِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لى فَاَعْتَرِلُونِ (٢١)

الإعراب

«يَوْمَ نَبْطِشُ» منصوب بقوله «إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا» و يجوز أن

ينتصب بمضمر دل عليه منتقمون ولا ينتصب بقوله «مُتَّقِمُونَ» لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبله.

المعنى

ثم لما أخبر سبحانه أن الدخان يغشى الناس عذابا لهم وأنهم قالوا ويقولون على ما فيه من الخلاف هذا عذاب أليم حكى عنهم أيضا قولهم «رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ» بمحمد ص والقرآن قال سبحانه «أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى» أى من أين لهم التذکر و الاعتاظ و كيف يتذكرون و يتعظون «وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ» أى و حالهم أنهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق و الدلالة «ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ» أى أعرضوا عنه و لم يقبلوا قوله «وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ» أى هو معلم يعلمه بشر مجنون بادعاء النبوه ثم قال سبحانه «إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ» أى عذاب الجوع و الدخان «قَلِيلًا» أى زمانا قليلا يسيرا إلى يوم بدر عن مقاتل «إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» فى كفرکم و تكذيبکم فلما كشف الله سبحانه ذلك عنهم بدعاء النبى ص و استسقائه لهم عادوا إلى تكذبيه هذا على تأويل من قال إن ذلك الدخان كان وقت النبى ص فأما على القول الآخر فمعناه أنکم عائدون إلى العذاب الأكبر و هو عذاب جهنم و القليل مده ما بين العذابين «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى» أى و اذکر لهم ذلك اليوم يعنى يوم بدر على القول الأول قالوا لما كشف عنهم الجوع عادوا إلى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر و على القول الآخر البطشه الكبرى تكون يوم القيامة و البطش هو الأخذ بشده وقع الألم «إِنَّا مُتَّقِمُونَ» منهم ذلك اليوم ثم قال سبحانه «وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ» أقسم سبحانه أنه فتن قبل كفار قوم النبى ص «قَوْمَ فِرْعَوْنَ» أى اختبرهم و شدد عليهم التكليف لأن الفتنة شدة التعب و أصلها الإحراق بالنار لخلاص الذهب من الغش و قيل إن الفتنة معامله المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لا يظهر «وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ» أى كريم الأخلاق و الأفعال بالتجاوز و الصفح و الدعاء إلى الصلاح و الرشد و قيل كريم عند الله بما استحق بطاعته من الإكرام و الإعظام و قيل كريم شريف فى قومه من بنى إسرائيل «أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ» هذا من قول موسى (عليه السلام) لفرعون و قومه و المعنى أطلقوا بنى إسرائيل من العذاب و التسخير فإنهم أحرار فهو كقوله «فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» فيكون عباد الله مفعول أدوا و قال الفراء معناه أدوا إلى ما أمرکم به يا عباد الله «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» على ما أؤديه و أدعوکم إليه «وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ» أى لا- تتجبروا على الله بترك طاعته عن الحسن و قيل لا تتكبروا على أولياء الله بالبغي عليهم و قيل: لا تبغوا عليه بكفران نعمه و افتراء الكذب عليه عن ابن عباس و قتاده «إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى بحجه واضحة يظهر الحق معها و قيل بمعجز ظاهر

يبين صحه نبوتى و صدق مقالتي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل و الرجم فقال «وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ» أى لذت بمالكي و مالكم و التجأت إليه «أَنْ تَرْجُمُونِ» أى من أن ترموني بالحجاره عن قتاده و قيل إن الرجم الذى استعاذ منه موسى هو الشتم كقولهم هو ساحر كذاب و نحوه عن ابن عباس و أبى صالح «وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ» أى إن لم تصدقوني فاتركوني لا معى و لا على و قيل معناه فاعتزلوا أذى عن ابن عباس.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ٢٢ الى ٢٩]

اشاره

فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ (٢٣) وَ اتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكَوا مِنْ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ (٢٥) وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦)

وَ نَعْمَهُ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاها قَوْمًا آخِرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)

اللغه

الرهو السهل الساكن يقال عيش رآه أى خافض وادع قال الشاعر:

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذله و لا الصدور على الأعجاز تتكل

و قيل الرهو الدمث ليس برمل و لا- حزن عن الأزهري يقال جاءت الخيل رهوا أى مسابقه قال ابن الأعرابي الرهو من الطير و الخيل السراع قال الشاعر:

طيرا رأت بازيا نضخ الدماء به و أمه خرجت رهوا إلى عيد.

الإعراب

رهوا نصب على الحال من البحر و يكون حالا بعد الفراغ من الفعل كقولهم قطعت الثوب قباء و هذا يدل على أن البحر كان قبل تركه و بعد تركه رهوا و كم فى

قوله «كَمْ تَرَكُوا» في موضع نصب بأنه صفة موصوف محذوف و هو مفعول تركوا و تقديره شيئاً كثيراً تركوا كذلك خبر مبتداً محذوف أى الأمر كذلك.

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام قصه موسى بأن قال «فَدَعَا رَبَّهُ» أى فدعا موسى ربه حين يئس من قومه أن يؤمنوا به فقال «أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ» أى مشركون لا يؤمنون عن الكلبى و مقاتل فكأنه قال اللهم عجل لهم مما يستحقونه بكفرهم ما يكونون به نكالا لمن بعدهم و ما دعا عليهم إلا بعد أن أذن له فى ذلك و قوله «فَأَسْرِبِ بَعَادَى لَيْلًا» الفاء وقعت موقع الجواب و التقدير فأجيب بأن قيل له فأسر بعبادى أمره سبحانه أن يسير بأهله و بالمؤمنين به ليلا حتى لا يردهم فرعون إذا خرجوا نهارا و أعلمه بأنه سيتبعهم فرعون بجنوده بقوله «إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ وَ اتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا» أى ساكنا على ما هو به إذا قطعته و عبرته و كان قد ضربه بالعصا فانفلق لبنى إسرائيل فأمره الله سبحانه أن يتركه كما هو ليغرق فرعون و قومه عن ابن عباس و مجاهد و قيل رهوا أى منفتحا منكشفا حتى يطمع فرعون فى دخوله عن أبى مسلم قال قتاده لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم و خاف أن يتبعه فرعون و جنوده فقيل له و اترك البحر رهوا أى كما هو طريقا يابسا «إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ» سيغرقهم الله تعالى ثم أخبر سبحانه عن حالهم بعد إهلا-كهم فقال «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ رَائِعَةٍ وَ عُيُونٍ جَارِيَةٍ وَ زُرُوعٍ كَثِيرَةٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ» أى مجالس شريفه و منازل خطيره و قيل هى المناظر الحسنه و مجالس الملوك عن مجاهد و قيل منابر الخطباء عن ابن عباس و قيل المقام الكريم الذى يعطى اللذه كما يعطى الرجل الكريم الصله عن على بن عيسى «وَ نَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ» أى و تنعم وسعه فى العيش كانوا ناعمين متمتعين كما يتمتع الأكل بأنواع الفواكه «كَذَلِكَ» قال الكلبى معناه كذلك أفعل بمن عصانى «وَ أَوْزَنَّاها قَوْمًا آخِرِينَ» إيرات النعمة تصيرها إلى الثانى بعد الأول بغير مشقه كما يصير الميراث إلى أهله على تلك الصفه فلما كانت نعمه قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم كان ذلك إيراثا من الله لهم و أراد بقوم آخرين بنى إسرائيل لأنهم رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن معناه لم تبك عليهم أهل السماء و الأرض لكونهم مسخوطا عليهم عن الحسن فيكون مثل قوله حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا أى أصحاب الحرب و نحوه قول الحطيئة:

و شر المنايا ميت وسط أهله كهلك الفتى قد أسلم الحى حاضره

أى و شر المنايا ميتة ميت و قال ذو الرمة:

لهم مجلس صهب السبال أذله سواسيه أحرارها و عبيدها

أى لهم أهل مجلس (و ثانيها) أنه سبحانه أراد المبالغه فى وصف القوم بصغر القدر فإن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت بكاه السماء و الأرض و أظلم لفقده الشمس و القمر قال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز:

الشمس طالعه ليست بكاسفه تبكى عليك نجوم الليل و القمر

أى ليست مع طلوعها كاسفه نجوم الليل و القمر لأن عظم المصيبة قد سلبها ضوءها و قال النابغه:

تبدو كواكبه و الشمس طالعه لا النور نور و لا الإظلام إظلام

و ثالثها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء و قد روى عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقليل و هل يبكيان على أحد قال نعم مصلاه فى الأرض و مصعد عمله فى السماء و

روى أنس عن النبى ص قال ما من مؤمن إلا و له باب يصعد منه عمله و باب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه

فعلى هذا يكون معنى البكاء الإخبار عن الاختلال بعده كما قال مزاحم العقيلي:

بكت دارهم من أجلهم فتهللت دموعى فأى الجازعين ألوم

أ مستعبرا يبكى من الهون و البلى أم آخر يبكى شجوه و يهيم

و قال السدى لما قتل الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام) بكت السماء عليه و بكأؤها حمرة أطرافها و

روى زراره بن أعين عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال بكت السماء على يحيى

بن زكريا و على الحسين بن على (عليه السلام) أربعين صباحا و لم تبك إلا عليهما قلت و ما بكأوها قال كانت تطلع حمراء و تغيب حمراء

«و ما كانوا مُنْظِرِينَ» أى عوجلوا بالعقوبه و لم يمهلوا.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ٣٠ الى ٤٠]

إشاره

وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَ لَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَ آتَيْنَاهُمْ مِنَ آيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤)

إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَ مَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَآتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِاعْيَبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠)

الإعراب

«مِنْ فِرْعَوْنَ» أى من عذاب فرعون فحذف المضاف و يجوز أن يكون حالا- من العذاب المهين أى ثابتا من فرعون فلا يكون على حذف المضاف. «أ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يجوز أن يكون الذين من قبلهم مبتدأ و أهلكتناهم خبره و يجوز أن يكون منتصبا بفعل مضمّر دل عليه أهلكتناهم و يجوز أن يكون رفعا بالعطف على قوم تبع فعلى هذا تقف على قبلهم و يكون أهلكتناهم فى تقدير و أهلكتناهم أى و المهلكون من قبلهم.

المعنى

ثم أقسم سبحانه بقوله «وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» الذين آمنوا بموسى «مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ» يعنى قتل الأبناء و استخدام النساء و الاستعباد و تكليف المشاق «مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا» أى متجبرا متكبرا متغلبا «مِنَ الْمُسْرِفِينَ» أى المجاوزين الحد فى الطغيان وصفه بأنه عال و إن جاز أن يكون عال صفه مدح لأنه قيده بأنه عال فى الإسراف

لأن العالی فی الإحسان ممدوح و العالی فی الإساءة مذموم «وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ» أى اخترنا موسى و قومه بنى إسرائيل و فضلناهم بالتوراه و كثره الأنبياء منهم «عَلَى عِلْمٍ» أى على بصيره منا باستحقاقهم التفضيل و الاختيار «عَلَى الْعَالَمِينَ» أى على عالمى زمانهم عن قتاده و الحسن و مجاهد و يدل عليه قوله تعالى لأمه نبينا ص كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و قيل فضلناهم على جميع العالمين فى أمر كانوا مخصوصين به و هو كثره الأنبياء منهم «وَآتَيْنَاهُمْ» أى و أعطيناهم «مِنَ الْآيَاتِ» يعنى الدلالات و المعجزات مثل فلق البحر و تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى «مَا فِيهِ بَلْؤًا مُّبِينٌ» أى ما فيه النعمة الظاهره عن الحسن و قيل ما فيه شده و امتحان مثل العصا و اليد البيضاء فالبلاء يكون بالشده و الرخاء عن ابن زيد فيكون فى الآيات نعمه على الأنبياء و قومهم و شده على الكفار المكذبين بهم ثم أخبر سبحانه عن كفار قوم نبينا ص الذين ذكرهم فى أول السوره فقال «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى» أى ما الموته إلا موته نموتها فى الدنيا ثم لا نبعث بعدها و هو قوله «وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ» أى بمبعوثين و لا معادين «فَأْتُوا بِآبَائِنَا» الذين ماتوا قبلنا و أعيدوهم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى أن الله تعالى يقدر على إعادة الأموات و إحيائهم و قيل إن قائل هذا أبو جهل بن هشام قال إن كنت صادقا فابعث جدك قصى بن كلاب فإنه كان رجلا صادقا لنسأله عما يكون بعد الموت و هذا القول جهل من أبى جهل من وجهين (أحدهما) أن الإعادة إنما هى للجزاء لا للتكليف و ليست هذه الدار بدار جزاء و لكنها دار تكليف فكأنه قال: إن كنت صادقا فى إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف (و الثانى) أن الإحياء فى دار الدنيا إنما يكون للمصلحه فلا يقف ذلك على اقتراحهم لأنه ربما تعلق بذلك مفسده و لما تركوا الحججه و عدلوا إلى الشبهه جهلا عدل سبحانه فى إجابتهم إلى الوعيد و الوعظ فقال «أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ» أى أ مشركو قريش أظهر نعمه و أكثر أموالا و أعز فى القوه و القدره أم قوم تبع الحميرى الذى سار بالجيوش حتى حير الحيره ثم أتى سمرقند فهدمها ثم بناها و كان إذا كتب كتب باسم الذى ملك برا و بحرا و ضحا و ريحا عن قتاده و سمي تبعا لكثرة أتباعه من الناس و قيل سمي تبعا لأنه تبع من قبله من ملوك اليمن و التبابعة اسم ملوك اليمن فتبع لقب له كما يقال خاقان لملك الترك و قيصر لملك الروم و اسمه أسعد أبو كرب و

روى سهل بن سعد عن النبى ص أنه قال لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم

و قال كعب نعم الرجل الصالح ذم الله قومه

ص: ١٠١

روى الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إن تبعنا قال للأوس و الخزرج كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي أما أنا لو أدركته لخدمته و خرجت معه

«وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى من تقدمهم من قوم نوح و عاد و ثمود «أَهْلَكْنَاهُمْ» معناه أنهم ليسوا بأفضل منهم و قد أهلكناهم بكفرهم و هؤلاء مثلهم بل أولئك كانوا أكثر قوه و عددا فأهلك هؤلاء أيسر «إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ» أي كافرين فليحذر هؤلاء أن ينالهم مثل ما نال أولئك «وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعْبِينَ» أي لم نخلق ذلك لا لغرض حكى بل خلقناهما لغرض حكى و هو أن ننفع المكلفين بذلك و نعرضهم للثواب و ننفع سائر الحيوانات بضروب المنافع و اللذات و «مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» أي إلا بالعلم الداعى إلى خلقهما و العلم لا يدعو إلا إلى الصواب و الحق و قيل معناه ما خلقناهما إلا للحق و هو الامتحان بالأمر و النهى و التمييز بين المحسن و المسىء لقوله لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْآيَةَ و قيل معناه ما خلقناهما إلا على الحق الذى يستحق به الحمد خلاف الباطل الذى يستحق به الذم «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» صحه ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه و لا استدلال على صحته «إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ» يعنى اليوم الذى يفصل فيه بين المحق و المبطل و هو يوم القيامة و قيل معناه يوم الحكم ميقات قوم فرعون و قوم تبع و من قبلهم و مشركى قريش و موعدهم.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ٤١ الى ٥٠]

إشارة

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامٌ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥)

كَغَلِي الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صِدُّوا فَوَقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)

القراءة

قرأ أهل مكة و حفص و رويس «يَغْلِي» بالياء و الباقون تغلى بالتاء و قرأ أهل الكوفة و أبو جعفر و أبو عمرو فاعتلوه بكسر التاء و الباقون بضمها و قرأ الكسائي وحده ذق أنك بفتح الهمزة و الباقون «إِنَّكَ» بكسرها.

من قرأ تغلى بالتاء فعلى الشجره كان الشجره تغلى و من قرأ بالياء حملة على الطعام و هو الشجره فى المعنى و يعتل و يعتل مثل يعكف و يعكف و يفسق و يفسق فى أنهما لغتان و معنى فاعتلوه قودوه بعنف و من قرأ «إِنَّكَ» بالكسر فالمعنى إنك أنت العزيز الكريم فى زعمك فأجرى ذلك على حسب ما كان يذكره أو يذكر به و من قرأ أنك بالفتح فالمعنى ذق بأنك.

المعنى

لما ذكر سبحانه أن يوم الفصل ميعات الخلق يحشرهم فيه بين أى يوم هو فقال «يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً» فالمولى صاحب الذى من شأنه أن يتولى معونه صاحبه على أموره فيدخل فى ذلك ابن العم و الناصر و الحليف و غيرهم ممن هذه صفته و المعنى أن ذلك اليوم يوم لا يغنى فيه ولى عن ولى شيئاً و لا يدفع عنه عذاب الله تعالى «وَلَا هُمْ يُنصِرُونَ» و هذا لا ينافى ما يذهب إليه أكثر الأمة من إثبات الشفاعة للنبي ص و الأئمة (عليه السلام) و المؤمنين لأن الشفاعة لا تحصل إلا بأمر الله تعالى و إذنه و المراد بالآيه أنه ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله و ينصرهم من غير أن يأذن الله له فيه و قد بين ما أشرنا إليه باستثناءه من رحمه منهم فقال «إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ» أى إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين فإنه إما أن يسقط عقابهم ابتداءً أو يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له لشفاعته «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ» فى انتقاله من أعدائه «الرَّحِيمُ» بالمؤمنين ثم وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين فقال «إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ» و قد مر تفسيره فى سورة الصافات «طَعَامُ الْأَثِيمِ» أى الآثم و هو أبو جهل و

روى أن أبا جهل أتى بتمر و زبد فجمع بينهما و أكل و قال هذا هو الزقوم الذى يخوفنا محمد به نحن نترقمه

أى نملاً أفواهنا به فقال سبحانه «كَالْمُهْلِ» و هو المذاب من النحاس أو الرصاص أو الذهب أو الفضة و قيل هو دردى الزيت «يَغْلَى فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ» أى إذا حصلت فى أجواف أهل النار تغلى كغلى الماء الحار الشديد الحرارة قال أبو على الفارسي لا يجوز أن يكون المعنى يغلى المهل فى البطن لأن المهل إنما ذكر للتشبيه به فى الذوب أ لا ترى أن المهل لا يغلى فى البطن و إنما يغلى ما شبع به «حُدُوءُ» أى يقال للزبانية خذوا الأثيم «فَاعْتَلَوْهُ» أى زرعوه و ادفعوه بعنف و منه قول الشاعر:

فيا ضيعه الفتیان إذ يعتلونه ببطن الثرى مثل الفنيق المسدم

وقيل معناه جروه على وجهه عن مجاهد «إلى سِوَاءِ الْجَحِيمِ» أى إلى وسط النار عن قتاده وسمى وسط الشىء سواء لاستواء المسافه بينه وبين أطرافه المحيطه به و السواء العدل «ثُمَّ صُيِّبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ» قال مقاتل إن خازن النار يمر به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه «مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ» وهو الماء الذى قد انتهى حره و يقول له «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» و ذلك أنه كان يقول أنا أعز أهل الوادى و أكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم فى زعمك و فيما كنت تقول و قيل إنه على معنى النقيض فكأنه قيل إنك أنت الذليل المهين إلا أنه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به و قيل معناه إنك أنت العزيز فى قومك الكريم عليهم فما أغنى ذلك عنك «إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ» أى ثم يقال لهم إن هذا لعذاب ما كنتم تشكون فيه فى دار الدنيا.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ٥١ الى ٥٩]

إشارة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥)

لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَ وَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسْرُنَاةً بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر فى مقام بالضم و الباقون «فى مَقَامٍ» بالفتح.

الحجج

من فتح الميم أراد به المجلس و المشهد كما قال فى مَقْعِدِ صِدْقٍ و وصفه بالأمن يقوى أن المراد به المكان و من ضم فإنه يحتمل أن يريد به المكان من أقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحدا و يجوز أن يجعله مصدرا و يقدر المضاف محذوفا أى موضع إقامه.

السندس الحرير و الإستبرق الديباج الغليظ الصفيق قال الزجاج إنما قيل له إستبرق لشده بريقه و الحور جمع حوراء من الحور و هو شده البياض و هن البيض الوجوه و قال أبو عبيده الحوراء الشديده بياض العين الشديده سوادها و العين جمع العيناء و هى العظيمة العينين.

الإعراب

كذلك جار و مجرور فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ التقدير الأمر كذلك متقابلين نصب على الحال من يلبسون و يلبسون يجوز أن يكون خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون حالا- من الظرف الذى هو قوله «فى مقام» لأن التقدير أن المتقين ثبتوا فى مقام و مفعول يلبسون محذوف و تقديره يلبسون ثيابا من سندس فآمنين حال من يدعون الموتة الأولى نصب على الاستثناء قال الزجاج معناه سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا كقوله «و لا تَنكِحُوا ما نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» المعنى سوى ما قد سلف و أقول إن سوى لا يكون إلا ظرفا و إلا حرف فكيف يكون بمعناه فالأولى أن يكون إلا هنا مع ما بعدها صفه أو بدلا بمعنى غير تقديره و لا- يذوقون فيها الموت غير الموتة الأولى إذ الموتة الأولى و قد انقضت فلا- يمكن أن يستثنى من الموت الذى لا يذوقونه فى الجنة إذ ليست بداخله فيه و قوله «فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ» مفعول له تقديره فعل الله ذلك بهم فضلا منه و تفضلا منه و يجوز أن يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره و أعطاهم فضلا و يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا لما قبله لأن ما ذكره قبله تفضل منه سبحانه كقول امرء القيس:

" و رضت فذلت صعبه أى إذلال "

على معنى أذلتته أى إذلال فاستغنى عن أذلتته بذكر رضت.

المعنى

ثم عقب سبحانه الوعيد بذكر الوعد فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين يجتنبون معاصى الله لكونها قبائح و يفعلون الطاعات لكونها طاعات «فى مقام أمين» أمنوا فيه الغير من الموت و الحوادث و قيل أمنوا فيه من الشيطان و الأ-حزان عن قتاده «فى جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ» أى بساتين و عيون ماء نابعه فيها «يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ» خاطب العرب فوعدهم من الثياب بما عظم عندهم و اشتتهه أنفسهم و قيل السندس ما يلبسونه و الإستبرق ما يفترشونه «مُتَقَابِلِينَ» فى المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل يقابل بعضا و قيل معناه متقابلين بالمحبه لا- متدابرين بالبغضه «كَذَلِكَ» حال أهل الجنة «وَ زَوْجَانُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» قال الأخفش المراد به التزويج المعروف يقال زوجته امرأه و بامرأه و قال غيره لا يكون فى الجنة

تزيج و المعنى و قرناهم بحور عين «يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ» أى يستدعون فيها أى ثمره شاءوا و اشتهاوا غير خائفين فوتها آمين من نفاذاها و مضرتها و قيل آمين من التخم و الأسقام و الأوجاع «لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ» شبه الموت بالطعام الذى يذاق و يتكره عند المذاق ثم نفى أن يكون ذلك فى الجنه و إنما خصهم بأنهم لا يذوقون الموت مع أن جميع أهل الآخرة لا يذوقون الموت لما فى ذلك من البشاره لهم بالحياه الهنيئه فى الجنه فأما من يكون فيما هو كالموت فى الشده فإنه لا يطلق له هذه الصفه لأنه يموت موتات كثيره بما يقاسيه من العقوبه «إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى» قيل معناه بعد الموتة الأولى و قيل معناه لكن الموتة الأولى قد ذاقوها و قيل سوى الموتة الأولى و قد بينا ما عندنا فيه «وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» أى فصرف عنهم عذاب النار. استدلت المعتزله بهذا على أن الفاسق الملى لا يخرج من النار لأنه يكون قد وقى النار و الجواب عن ذلك أن هذه الآية يجوز أن تكون مختصه بمن لا يستحق دخول النار فلا يدخلها أو بمن استحق النار فتفضل عليه بالعفو فلم يدخلها و يجوز أن يكون المراد و وقاهم عذاب الجحيم على وجه التأييد أو على الوجه الذى يعذب عليه الكفار «فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ» أى فعل الله ذلك بهم تفضلا منه لأنه سبحانه خلقهم و أنعم عليهم و ركب فيهم العقل و كلفهم و بين لهم من الآيات ما استدلوا به على وحدانيه الله تعالى و حسن الطاعات فاستحقوا به النعم العظيمه ثم جزاهم بالحسنه عشر أمثالها فكان ذلك فضلا منه عز اسمه و قيل إنما سماه فضلا و إن كان مستحقا لأن سبب الاستحقاق هو التكليف و التمكين و هو فضل منه سبحانه «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى الظفر بالمطلوب العظيم الشأن «فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلسَانِكَ» أى سهلنا القرآن فالحاء كناية عن غير مذكور و المعنى هونا القرآن على لسانك و يسرنا قراءته عليك و قيل معناه جعلنا القرآن عربيا ليسهل عليك و على قومك تفهمه «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى ليتذكروا ما فيه من الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و يتفكروا فيه «فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ» أى فإن أعرضوا و لم يقبلوا فانتظر مجىء ما وعدناك به إنهم منتظرون لأنهم فى حكم من ينتظر لأن المحسن يتربع عقبه الإحسان و المسىء يتربع عقبه الإساءه و قيل معناه انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر و قيل انتظر قهرهم و نصرك عليهم فإنهم منتظرون قهرك بزعمهم.

(٤٥) سورة الجاثية مكيه إلا آيه ١٤ فمدنيه و آياتها سبع و ثلاثون (٣٧)

اشاره

اشاره

نزلت بعد الدخان و تسمى أيضا سورة الشريعة لقوله فيها «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ» و هي مكيه قال قتاده إلا آيه منها نزلت بالمدينه «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا» الآية.

عدد آياتها

سبع و ثلاثون آيه كوفى ست فى الباقيين.

اختلافها

آيه «حم» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته و سكن روعته عند الحساب

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها أن لا يرى النار أبدا و لا يسمع زفير جهنم و لا شهيقها و هو مع محمد ص.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القرآن افتتح هذه السوره بذكره أيضا فقال سبحانه:

ص: ١٠٧

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (۱) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (۲) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (۳) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (۴)

وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۵)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي و يعقوب آيات في الموضوعين على النصب و الباقون «آيات» على الرفع فيهما.

الحجه

قال أبو على قوله «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٍ» جاز الرفع في قوله «آيات» من وجهين (أحدهما) العطف على موضع إن و ما عملت فيه فإنه رفع بالابتداء فيحتمل الرفع فيه على الموضع (و الآخر) أن يكون مستأنفاً و يكون الكلام جمله معطوفه على جمله فيكون قوله «آيات» على هذا مرتفعاً بالظرف فهذا وجه من رفع آيات في الموضوعين قال أبو الحسن «مِنْ دَابَّهِ آيَاتٍ» قراءه الناس بالرفع و هي أجود و بها نقرأ لأنه قد صار على كلام آخر نحو إن في الدار زيدا و في البيت عمرو لأنك إنما تعطف الكلام كله على الكلام كله قال و قد قرئ بالنصب و هو عربي انتهت الحكايه عنه و أما قوله «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» إلى آخره آيات فإنك إن تركت الكلام على ظاهره فإن فيه عطفاً على عاملين أحد العاملين الجار الذي هو في من قوله «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ» و العامل الآخر إن نصبت آيات و إن رفعت فالعامل المعطوف عليه الابتداء أو الظرف و وجه قراءه من قرأ آيات بالنصب أنه لم يحمل على موضع إن كما حمل من و رفع آيات في الموضوعين أو قطعه و استأنف و لكن حمل على لفظ أن دون موضعها فحمل آيات في الموضوعين على نصب إن في قوله «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ» فإن قلت إنه يعرض في هذه القراءه العطف على عاملين و ذلك في قوله و اختلاف الليل و النهار آيات و سيويه و كثير من النحويين لا يجيزونه قيل يجوز أن يقدر في قوله و اختلاف الليل و النهار آيات و إن كانت محذوفه من اللفظ و ذلك أن ذكره قد تقدم في قوله «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ» و قوله «وَفِي خَلْقِكُمْ» فلما تقدم ذكر الجار في هذين قدر فيه الإثبات في اللفظ و إن كان محذوفاً منه كما قدر سيويه في قوله:

أكل امرء تحسبين امرءاً و نار تأجج بالليل نارا

أن كل في حكم الملفوظ به و استغنى عن إظهاره بتقدم ذكره و مما يؤكد هذه القراءه في أن آيات محموله على أن ما ذكر عن أبي أنه قرأ في المواضع الثلاثه لآيات فدخول اللامات تدل على أن الكلام محمول على أن و إذا كان محمولاً عليها حسن النصب و صار كل موضع من ذلك كان أن المذكوره فيه بدلاله دخول اللام لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر إن أو على

اسمها و مما يجوز أن يتأول على ما ذكرنا قول الفرزدق:

ص: ١٠٨

و باشر راعيها الصلا بلبانه و كفيه حر النار ما يتحرف

فهذا إن حملت الكلام على ظاهره كان عطفاً على عاملين على الفعل و الباء إن قدرت أن الباء ملفوظ بها لتقدم ذكرها صارت في حكم الثبات في اللفظ و إذا صار كذلك كان العطف على عامل واحد و هو الفعل دون الجار و كذلك قول الآخر:

أوصيت من بره قلباً حراً بالكلب خيراً و الحماء شراً

فإن قدرت الجار في حكم المذكور لدلاله المتقدم عليه لم يكن عطفاً على عاملين كما لم يكن قوله و اختلاف الليل و النهار لآيات كذلك و قد يخرج قوله و اختلاف الليل و النهار آيات من أن يكون عطفاً على عاملين من وجه آخر و هو أن تقدر قوله «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» على في المتقدم ذكرها و تجعل «آيات» متكرره كررتها لما تراخى الكلام و طال كما قال بعض شيوخنا في قوله تعالى أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ أَنْ أَنْهَى الْأُولَى كَرَّرَتْ وَ كَمَا جَاءَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ لَمَّا تَرَخَى عَنْ قَوْلِهِ وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ هَذَا النُّحُو فِي كَلَامِهِمْ غَيْرَ ضَيْقٍ.

المعنى

«حم» قد بينا ما قيل فيه و أجود الأقوال إنه اسم للسوره قال على بن عيسى و في تسميه السوره بحم دلالة على أن هذا القرآن المعجز كله من حروف المعجم لأنه سمي به ليدل عليه بأوصافه و من أوصافه أنه معجز و أنه مفصل قد فصلت كل سوره من أختها و أنه هدى و نور فكأنه قيل هذا اسمه الدال عليه بأوصافه «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ» أضاف التنزيل إلى نفسه في مواضع من السور استفتاحاً بتعظيم شأنه و تفخيم قدره بإضافته إلى نفسه من أكرم الوجوه و أجلها و ما اقتضى هذا المعنى لم يكن تكريراً فقد يقول القائل اللهم اغفر لى اللهم ارحمنى اللهم عافنى اللهم وسع على فى رزقى فىأتى بما يؤذن أن تعظيمه لربه منعقد بكل ما يدعو به و قوله «مِنَ اللَّهِ» يدل على أن ابتداءه من الله تعالى «الْعَزِيزِ» أى القادر الذى لا يغالب «الْحَكِيمِ» العالم الذى أفعاله كلها حكمه و صواب «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ» الذين يصدقون بالله و بأنبيائه لأنهم المنتفعون بالآيات و هى الدلالات و الحجج الداله على أن لهما مدبراً صانعاً قادراً عالماً «وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ مَا يَبُثُّ مِنْ

دَائِهِ آيَاتٌ» معناه و في خلقه إياكم بما فيكم من بدائع الصنعه و عجائب الخلقه و ما يتعاقب عليكم من الأحوال من مبتدأ خلقكم في بطون الأمهات إلى انقضاء الآجال و في خلق ما يفرق على وجه الأرض من الحيوانات على اختلاف أجناسها و منافعها و المقاصد المطلوبه منها دلالات و اوضحات على ما ذكرناه «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» أى يطلبون علم اليقين بالتدبر و التفكير «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أى و في ذهاب الليل و النهار و مجيئها على و تيره واحده و قيل معناه و في اختلاف حالهما من الطول و القصر و قيل اختلافهما في أن أحدهما نور و الآخر ظلمه «وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ» أراد به المطر الذى ينبت به النبات الذى هو رزق الخلائق فسماه رزقا لأنه سبب الرزق «فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أى فأحيا بذلك المطر الأرض بعد يبسها و جفافها «وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ» أى و في تصريف الرياح يجعلها مره جنوبا و أخرى شمالا و مره صبا و أخرى دبورا عن الحسن و قيل يجعلها تاره رحمة و تاره عذابا عن قتاده «آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» وجوه الأدله و يتدبرونها فيعلمون أن لهذه الأشياء مدبرا حكيما قادرا عليما حيا غنيا قديما لا يشبهه شىء .

[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٦ الى ١٠]

إشارة

تَلَمَّكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتَلُّوهُا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأَى حَيْدِثٍ بَعِيدٍ اللَّهُ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيَلُ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص و الأعشى و البرجمى و ابن عامر و يعقوب تؤمنون بالتاء و الباقون بالياء.

قال أبو علي حججه من قرأ بالياء أن قبله غيبه و هو قوله لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و من قرأ بالناء فالتقدير قل لهم فبأى حديث بعد ذلك تؤمنون.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأدله عقب ذلك بالوعيد لمن أعرض عنها و لم يتفكر فيها فقال «تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ» أى ما ذكرناه أدله الله التى نصبها لخلقه المكلفين «تَتْلُوها عَلَيْكَ» أى نقرأها عليك يا محمد لتقرأها عليهم «بِالْحَقِّ» دون الباطل و التلاوه الإتيان بالثانى فى أثر الأول فى القراءة و الحق الذى تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به فى جميع أنواعه «فَبِأَيِّ حَيْدِثٍ بَعَيْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ» معناه إن هؤلاء الكفار إن لم يصدقوا بما تلوناه عليك فبأى حديث بعد حديث الله و هو القرآن و آياته يصدقون و بأى كلام ينتفعون و هذا إشاره إلى أن المعاند لا حيله له و الفرق بين الحديث الذى هو القرآن و بين الآيات أن الحديث قصص يستخرج منه الحق من الباطل و الآيات هى الأدله الفاصله بين الصحيح و الفاسد «وَيُؤَلِّمُ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» الأفاك الفعال من الإفك و هو الكذب و يطلق ذلك على من يكثر كذبه أو يعظم كذبه و إن كان فى خبر واحد ككذب مسيلمه فى ادعاء النبوه و الأثيم ذو الإثم و هو صاحب المعصيه التى يستحق بها العقاب و الويل كلمه وعيد يتلقى بها الكفار و قيل هو واد سائل من صديد جهنم ثم وصف سبحانه الأفاك الأثيم بقوله «يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ» أى يسمع آيات القرآن التى فيها الحججه تقرأ عليه «ثُمَّ يُصِطِرُّ مُسْتَكْبِرًا» أى يقيم على كفره و باطله متعظما عند نفسه عن الانقياد للحق «كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا» أصلا فى عدم القبول لها و الاعتبار بها «فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم «وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَها هُزُوءًا» أى و إذا علم هذا الأفاك الأثيم من حججنا و أدلتنا شيئا استهزأ بها ليرى العوام أنه لا حقيقه لها كما فعله أبو جهل حين سمع قوله «إِنَّ شَجْرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ» أو كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» أى مذل مخز مع ما فيه من الألم «مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ» أى من وراء ما هم فيه من التعزز بالمال و الدنيا جهنم و معناه قدامهم و من بين أيديهم كقوله «كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَأَتْكَ» و وراء اسم يقع على القدام و الخلف فيما توارى عنك فهو وراؤك خلفك كان أو أمامك «وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا شَيْئًا» أى لا يغنى عنهم ما حصلوا و جمعه من المال و الولد شيئا من عذاب الله تعالى «وَ لَا ما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ» من الآلهه التى عبدوها لتكون شفعاءهم عند الله «وَ لَهُمْ» مع ذلك «عَذَابٌ عَظِيمٌ».

اشاره

هذا هُدًى وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)

القراءة

قرأ ابن كثير و حفص «مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ» بالرفع و الباقون أليم بالجر و قرأ أبو جعفر ليجز بضم الياء و فتح الزاى و قرأ ابن عامر و حمزه و الكسائى و خلف لنجزى بالنون و كسر الزاى و النصب و قرأ الباقون «لِيَجْزِيَ» بفتح الياء و كسر الزاى.

الحججه

قال أبو على الرجز العذاب فمن جر فالتقدير بهم من عذاب أليم و من رفع فالمعنى عذاب أليم من عذاب و فيه قولان (أحدهما) أن الصفه قد تجى ء على وجه التأكيد كما أن الحال قد تجى ء كذلك و ذلك نحو قوله نَفَحَهُ وَاحِدَةً وَ مَنَاهَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَى و قولهم أمس الدابر قال:

و أبى الذى ترك الملوك و جمعهم بفعال هامده كأمس الدابر

(و الآخر) أنه محمول على أنه بمعنى الرجس الذى هو النجاسه على البدل للمقاربه و معنى النجاسه فيه قوله وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ فَكَانَ الْمَعْنَى لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ تَجَرُّعِ رَجَسٍ أَوْ شَرْبِ رَجَسٍ فَتَكُونُ مِنْ تَبْيِينِ الْعَذَابِ مِمَّ هُوَ وَ مِنْ قَرَأَ «لِيَجْزِيَ» بِالْيَاءِ فَحِجَّتْهُ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ «لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» فَيَكُونُ فَاعِلٌ يَجْزَى وَ مِنْ قَرَأَ بِالنُّونِ فَالنُّونُ فِي مَعْنَى الْيَاءِ وَ إِنْ كَانَتِ الْيَاءُ أَشَدَّ مُطَابِقَةً لِمَا فِي اللَّفْظِ وَ مِنْ قَرَأَ «لِيَجْزِيَ قَوْماً»

فقال أبو عمرو إنه لحسن ظاهر و ذكر أن الكسائي قال إن معناه ليجزى الجزاء قوما قال الجامع البصير معناه ليجزى الخير قوما فأضمر الخير لدلاله الكلام عليه و ليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل و معك مفعول صحيح فإذا الخير مضمرة كما أضمر الشمس في قوله حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ لأن قوله إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ يدل على توارى الشمس.

المعنى

ثم قال سبحانه «هذا هُدًى» أى هذا القرآن الذى تلوناه و الحديث الذى ذكرناه هدى أى دلاله موصله إلى الفرق بين الحق و الباطل من أمور الدين و الدنيا «و الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» و جحدوها «لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ» مر معناه ثم نبه سبحانه خلقه على وجه الدلاله على توحيده فقال «اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ» أى جعله على هيئته لتجرى السفن فيه «و لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى و لتطلبوا بركوبه فى أسفاركم من الأرباح بالتجارات «و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» له هذه النعمه «و سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» أى سخر لكم مع ذلك معاش الخلق ما فى السماوات من الشمس و القمر و النجوم و المطر و الثلج و البرد و ما فى الأرض من الدواب و الأشجار و النبات و الأثمار و الأنهار و معنى تسخيرها لنا أنه تعالى خلقها جميعا لانتفاعنا بها فهى مسخره لنا من حيث أنا ننتفع بها على الوجه الذى نريده و قوله «جَمِيعاً مِنْهُ» قال ابن عباس أى كل ذلك رحمه منه لكم قال الزجاج كل ذلك منه تفضل و إحسان و يحسن الوقف على قوله «جَمِيعاً» ثم يقول منه أى ذلك التسخير منه لا من غيره فهو فضله و إحسانه و روى عن ابن عباس و عبد الله بن عمر و الجحدري أنهم قرءوا منه منصوبه و منونه و على هذا فيكون من باب تبسّم و ميض البرق فكأنه قال من عليهم منه و روى عن سلمه أنه قرأ منه بالرفع و على هذا فيكون خبر مبتدأ محذوف أى ذلك منه أو هو منه أو يكون على معنى سخر لكم ذلك منه «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ» أى دلالات «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد «لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا» هذا جواب أمر محذوف دل عليه الكلام و تقديره قل لهم اغفروا يغفروا فصار قل لهم على هذا الوجه يعنى عنه عن على بن عيسى و قيل معناه قل للذين آمنوا اغفروا و لكنه شبه بالشرط و الجزاء كقوله قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ عَنِ الْفِرَاءِ و قيل يغفروا تقديره يا هؤلاء اغفروا فحذف المنادى كقوله ألا يا اسجدوا لله و قول الشاعر:

" ألا يا أسلمى ذات الدماليج و العقد "

«لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» أى لا يخافون عذاب الله إذا

نالوكم بالأذى و المكروه و لا- يرجون ثوابه بالكف عنكم و قد مر تفسير أيام الله عند قوله وَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ و معنى يغفروا هاهنا يتركوا مجازاتهم على أذاهم و لا يكافئوهم ليتولى الله مجازاتهم «لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» بيان هذا الجزاء فى الآيه التى تليها و هو قوله «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا» أى طاعه و خيرا و برا «فَلِنَفْسِهِ» لأن ثواب ذلك يعود عليه «وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» أى فوبال إساءته على نفسه «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة أى إلى حيث لا- يملك أحد النفع و الضر و النهى و الأمر غيره سبحانه فيجازى كل إنسان على قدر عمله.

[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعُهَا وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠)

المعنى

لما تقدم ذكر النعمه و مقابلتهم إياها بالكفر و الطغيان بين عقيب ذلك ذكر ما كان من بنى إسرائيل أيضا فى مقابله النعم من الكفران فقال: «وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» يعنى التوراه «وَ الْحُكْمَ» يعنى العلم بالدين و قيل العلم بالفصل بين الخصمين و بين المحق و المبطل «وَ النُّبُوَّةَ» أى و جعلنا فيهم النبوه حتى

روى أنه كان فيهم ألف نبي

«وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» أى و أعطيناهم من أنواع الطيبات «وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» أى عالمى زمانهم و قيل فضلناهم فى كثره الأنبياء منهم على سائر الأمم و إن كانت أمه محمد ص أفضل منهم فى كثره المطيعين لله و كثره العلماء منهم كما يقال هذا أفضل فى علم النحو

و ذاك فى علم الفقه فأمه محمد ص أفضل فى علو منزله نبىها عند الله على سائر الأنبياء و كثره المجتبيين الأخيار من آله و أمته و الفضل الخير الزائد على غيره فأمه محمد ص أفضل بفضل محمد و آله «وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ» أى أعطيناهم دلالات و براهين واضحات من العلم بمبعث محمد ص و ما بين لهم من أمره و قيل يريد بالأمر أحكام التوراه «فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» أى من بعد ما أنزل الله الكتب على أنبيائهم و أعلمهم بما فيها «بَغْيًا بَيْنَهُمْ» أى طلبا للرئاسه و أنفه من الإذعان للحق و قيل بغيا على محمد ص فى جحود ما فى كتابهم من نبوته و صفته «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» ظاهر المعنى «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ» أى ثم جعلناك يا محمد على دين و منهاج و طريقه يعنى بعد موسى و قومه و الشريعه السنه التى من سلك طريقها أدته إلى البغيه كالشريعه التى هى طريق إلى الماء فهى علامه منصوبه على الطريق من الأمر و النهى يؤدى إلى الجنه كما يؤدى ذلك إلى الوصول إلى الماء «فَاتَّبِعْهَا» أى اعمل بهذه الشريعه «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» الحق و لا يفصلون بينه و بين الباطل من أهل الكتاب الذين غيروا التوراه اتباعا لهواهم و حبا للرئاسه و استتباعا للعوام و لا المشركين الذين اتبعوا أهواءهم فى عباده الأصنام «إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أى لن يدفعوا عنك شيئا من عذاب الله إن اتبعت أهواءهم «وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» يعنى أن الكفار بأجمعهم متفقون على معاداتك و بعضهم أنصار بعض عليك «وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ» أى ناصرهم و حافظهم فلا تشغل قلبك بتناصرهم و تعاونهم عليك فإن الله ينصرك عليهم و يحفظك «هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ» أى هذا الذى أنزلته عليك من القرآن بصائر أى معالم فى الدين و عظات و عبر للناس يبصرون بها من أمور دينهم «وَ هُدًى» أى دلالة واضحه «وَ رَحْمَةً» أى و نعمه من الله «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» بثواب الله و عقابه لأنهم هم المنتفعون به.

اشاره

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) أَمْ فَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و روح و زيد سواء بالنصب و الباقون بالرفع و قرأ أهل الكوفه غير عاصم غشوه بفتح الغين بغير ألف و الباقون «غِشَاوَةً» بالألف.

الحجه

قال أبو على ليس الوجه فى الآيه نصب سواء على أن تجريه على ما قبله على حد قولك مررت برجل ضارب أبوه و بزيد خارجا أخوه لأنه ليس باسم فاعل و لا- مشبه به مثل حسن و شديد و نحو ذلك إنما هو مصدر فلا ينبغى أن يجرى على ما قبله كما يجرى اسم الفاعل و ما شبهه به لتعريه من المعانى التى أعمل الفاعل و ما شبهه به عمل الفعل و من قال مررت برجل خير منه أبوه و سرج خز صفته و برجل مائه إبله استجاز أن يجرى سواء أيضا على ما قبله كما أجرى الضرب الأول فأما من قرأ «سواء» بالنصب فإن انتصابه يحتمل ثلاثه أوجه (أحدها) أن يجعل المحيا و الممات بدلا من الضمير المنصوب فى نجعلهم فيصير التقدير إن نجعل محياهم و مماتهم سواء فىنتصب سواء على أنه مفعول ثان لنجعل و يكون انتصاب سواء على هذا القول حسنا لأنه لم يرفع مظهرها و يجوز أيضا أن يجعل محياهم و مماتهم ظرفين من الزمان فيكون كذلك أيضا و يجوز أن يعمل فى الطرفين أحد شيئين (أحدهما) ما فى سواء من معنى الفعل كأنه يستوون فى المحيا و الممات (و الآخر) أن يكون العامل الفعل و لم يعلم الكوفيون الذين نصبوا سواء نصبوا الممات فإذا لم ينصبوه كان النصب فى سواء على غير هذا الوجه و غير هذا الوجه لا يخلو من أن ينتصب على أنه حال أو على أنه المفعول الثانى

لنجعل و على أى هذين الوجهين حملته فقد أعملته عمل الفعل فرفعت به المظهر فإن جعلته حالا- أمكن أن يكون الحال من الضمير فى نجعلهم و يكون المفعول الثانى قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» فإذا جعلت قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» المفعول الثانى أمكن أن يكون سواء منتصبا على الحال مما فى قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» من معنى الفعل فيكون ذو الحال الضمير المرفوع فى قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» و هذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب فى نجعلهم و انتصابه على الحال من هذين الوجهين و يجوز أن لا يجعل قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» المفعول الثانى و لكن يجعل المفعول الثانى قوله «سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ» فيكون جملة فى موضع نصب بكونها فى موضع المفعول الثانى لنجعل و يجوز فيمن قال مررت برجل مائه إبله فاعمل فأعمل عمل الفعل أن ينصب سواء على هذا الوجه أيضا و يرتفع به المحيا كما جاز أن يرتفع به إذا قدرت الجملة فى موضع الحال و الحال فى الجملة التى هى «سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ» يكون من جعل و يكون مما فى قوله «كَالَّذِينَ» من معنى الفعل و قد قيل فى الضمير فى قوله «مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ» قولان (أحدهما) أنه ضمير الكفار دون الذين آمنوا فكان سواء على هذا القول مرتفعا بأنه خبر مبتدأ مقدم تقديره محياهم و مماتهم سواء أى محياهم محيا سوء و مماتهم ممات سوء و لا- يكون النصب على هذا فى سواء لأنه إثبات فى الأخبار بأن محياهم و مماتهم يستويان فى الذم و البعد من رحمه الله (و القول الآخر) أن الضمير فى محياهم و مماتهم للقبيلين فإذا كان كذلك جاز أن ينتصب سواء على أنه المفعول الثانى من نجعل فيمن استجاز أن يعمل فى الظاهر لأنه يلتبس بالقبيلين جميعا و ليس فى الوجه الأول كذلك لأنه للكفار دون المؤمنين و لا يلتبس للمؤمنين من حيث كان للكفار من دونهم و لا يجوز أن ينتصب سواء و لم يكن فيه إلا- الرفع و يكون على هذا الوجه قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فى موضع المفعول الثانى و سواء محياهم استئناف و لا- يكون فى موضع حال من قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» لأنه لا يلتبس بهم و القول فى غشوه و «غشاوة» مذكور فى سورة البقرة.

اللغة

الاجتراح الاكتساب يقال جرح و اجترح و كسب و اكتسب و فلان جارحه قومه أى كاسبه قومه و أصله من الجراح لأن لذلك تأثيرا كتأثير الجراح و مثله الاقتراف و هو مشتق من قرف القرحة و السيئه الفعله القبيحه التى تسوء صاحبها باستحقاق الذم عليها و الحسنه هى التى تسر صاحبها باستحقاق المدح عليها قال على بن عيسى: القبيح ما ليس للقادر عليه أن يفعله و الحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله و كل فعل وقع لا لأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة و لا إلى السفه.

ثم قال سبحانه للكفار على سبيل التوبيخ لهم «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» معناه بل أحسنت وهذا استفهام إنكار وقيل إن هذا معطوف على معنى مضمرة تقديره هذا القرآن بصائر للناس مؤديه إلى الجنة أفعلموا ذلك أم حسب الذين اكتسبوا الشرك والمعاصي أن نجعل منزلتهم منزله الذين صدقوا الله ورسوله وحققوا أقوالهم بأعمالهم «سِوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ» أى يستوى محيا القبيلين ومماتهم يعنى أحسبوا أن حياتهم ومماتهم كحياه المؤمنين وموتهم «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أى ساء ما حكموا على الله تعالى فإنه لا يسوى بينهم ولا يستقيم ذلك فى العقول بل ينصر المؤمنين فى الدنيا ويمكنهم من المشركين ولا ينصر الكافرين ولا يمكنهم من المسلمين وينزل الملائكة عند الموت على المؤمنين بالبشرى وعلى الكافرين يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل أراد محياهم بعد البعث ومماتهم عند حضور الملائكة لقبض أرواحهم وقيل أراد أن المؤمنين محياهم على الإيمان والطاعة ومماتهم على الإيمان والطاعة ومحيا المشركين على الشرك والمعصية ومماتهم كذلك فلا يستويان عن مجاهد وقيل إن الضمير فى مماتهم ومحياهم للكفار والمعنى أنهم يتساوون فى حال كونهم أحياء وفى حال كونهم أمواتا لأن الحى متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميت ثم قال سبحانه «وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» أى لم يخلقهما عبثا وإنما خلقهما لنفع خلقه بأن يكلفهم ويعرضهم للشواب الجزيل «وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» من ثواب على طاعه أو عقاب على معصيه «وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ» أى لا يبخسون حقوقهم ثم قال «أَفَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدٌ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» أى اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه فاتبع هواه فى أموره ولا يحجزه تقوى عن ابن عباس والحسن و قتاده وقيل معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلت الدلالة على أن العبادة تحقق له فإذا استحسن شيئا وهواه اتخذها إلهها وكان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر عن عكرمه وسعيد بن جبير وقيل معناه أفرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده ويرتكب ما يدعوه إليه ولم يرد أنه يعبد هواه ويعتقد أنه تحقق له العبادة لأن ذلك لا يعتقد أحدهم عن على بن عيسى قد أيس الله رسوله من إيمانه هؤلاء بهذا «وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ» أى خذله الله وخلاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وترك تدبره على علم منه باستحقاقه لذلك وقيل أضله الله أى وجده ضالا- على حسب ما عمله فخرج معلومه على وفق ما علمه كما يقال أحمدت فلانا أى وجدته حميدا و كقول عمرو بن معديكرب قاتلناهم فما أجبناهم وسألناهم فما أبخلناهم وقاولناهم فما أفحمناهم أى ما وجدناهم كذلك وقيل معناه أنه ضل عن الله كما قال:

هبونى امراء منكم أضل بعيره له ذمه إن الذمام كبير

أى ضل عنه بعيره «وَ حَتَّم عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً» فسرناه فى سورة البقره «فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ» أى من بعد هدايه الله إياه و المعنى إذا لم يهتد بهدى الله بعد ظهوره و وضوحه فلا طمع فى اهتدائه «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى أفلا تتعظون بهذه المواعظ و هذا استبطاء بالتذكر منهم أى تذكروا و اتعظوا حتى تحصلوا على معرفه الله تعالى ثم أخبر سبحانه عن منكرى البعث فقال «وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» أى ليس الحياه إلا حياتنا التى تحن فيها فى دار الدنيا و لا يكون بعد الموت بعث و لا حساب «نَمُوتُ وَ نَحْيَا» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن تقديره نحيا و نموت فقدم و آخر (و الثانى) أن معناه نموت و نحى أولادنا (و الثالث) يموت بعضنا و يحيا بعضنا كما قال فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أى ليقتل بعضكم بعضا «وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ» أى و ما يميئنا إلا الأيام و الليالى أى مرور الزمان و طول العمر إنكارا منهم للصانع «وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ» نفى سبحانه عنهم العلم أى إنما ينسبون ذلك إلى الدهر لجهلهم و لو علموا أن الذى يميئهم هو الله و أنه قادر على إحيائهم لما نسبوا الفعل إلى الدهر «إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» أى ما هم فيما ذكروه إلا ظانون و إنما الأمر بخلافه و

قد روى فى الحديث عن النبى ص أنه قال لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر

و تأويله أن أهل الجاهليه كانوا ينسبون الحوادث المجحفه و البلايا النازله إلى الدهر فيقولون فعل الدهر كذا و كانوا يسبون الدهر فقال ص إن فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبوا فاعلها و قيل معناه فإن الله مصرف الدهر و مدبره و الوجه الأول أحسن فإن كلامهم مملوء من ذلك ينسبون أفعال الله إلى الدهر قال الأصمعى ذم أعرابى رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر و قال كثير:

و كنت كذى رجلين رجل صحيحه و رجل رمى فيها الزمان فشلت

و قال آخر:

فاستأثر الدهر الغداه بهم و الدهر يرمينى و ما أرمى

يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسرانا و وقرت فى العظم

ثم قال سبحانه «وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ» أى إذا قرأت عليهم حججنا ظاهرات «مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أى لم يكن لهم فى مقابلتها حجه

ص: ١١٩

إلا- مقاتلهم إن كنتم صادقين في أن الله يعيد الأموات و يبعثهم يوم القيامة فأتوا بآبائنا و أحيوهم حتى نعلم أن الله قادر على بعثنا و إنما لم يجبههم الله إلى ذلك لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الرشد.

[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشاره

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَ تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسِيحِينَ مِمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)

القراءه

قرأ يعقوب كل أمه تدعى إلى كتابها بفتح اللام و الباقون بالرفع.

الحجه

الوجه في نصبه أنه بدل من الأول و في الثاني من الإيضاح ما ليس في الأول لأن فيه ذكر السبب الداعي إلى الجثو فلذلك جاز إبداله منه و تكون تدعى في موضع نصب على الحال أو على أنه مفعول ثان على تفصيل معنى ترى.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص رادا على الكفار قولهم فقال «قُلِ» يا محمد «اللَّهُ يُحْيِيكُمْ» في دار الدنيا لأنه لا يقدر على الإحياء أحد سواه لأنه القادر لنفسه «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» عند انقضاء آجالكم «ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» بأن يبعثكم و يعيدكم أحياء «لَا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فيه لقيام الحجه عليه و إنما احتج بالإحياء في دار الدنيا لأن من قدر على فعل الحياه في وقت قدر على فعلها في كل وقت و من عجز عن ذلك في وقت مع ارتفاع الموانع المعقوله و كونه حيا عجز عنه في كل وقت «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ذلك بعدولهم عن النظر الموجب للعلم بصحته «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و هو قادر على البعث و الإعادة «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ» العادلون عن الحق

الفاعلون للباطل أنفسهم وحياتهم في الدنيا لا يحصلون من ذلك إلا على عذاب دائم «وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً» أى و ترى يوم القيامة أهل كل مله باركه على ركبها عن ابن عباس و قيل باركه مستوفزه على ركبها كهيئه قعود الخصوم بين يدى القضاء عن مجاهد و الضحاك و ابن زيد و قيل إن الجثو للكفار خاصه و قيل هو عام للكفار و المؤمنين ينتظرون الحساب «كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا» أى كتاب أعمالها الذى كان يستنسخ لها و قيل إلى كتابها المنزل على رسولها ليسألوا عما عملوا به «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى يقال لهم ذلك «هَذَا كِتَابُنَا» يعنى ديوان الحفظه «يَنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ» أى يشهد عليكم بالحق و المعنى يبينه بيانا شافيا حتى كأنه ناطق «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى نستكتب الحفظه ما كنتم تعملون فى دار الدنيا و الاستنساخ الأمر بالنسخ مثل الاستكتاب الأمر بالكتابه و قيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضى فيه من خير و شر و على هذا فيكون معنى نستنسخ أن الحفظه تستنسخ الخزنه ما هو مدون عندها من أحوال العباد و هو قول ابن عباس «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ» أى جنته و ثوابه «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ» أى الفلاح الظاهر.

إشارة

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ (٣٢) وَيَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكَم بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)

القراءة

قرأ حمزه وحده و الساعه بالنصب و الباوقن بالرفع.

الحجّه

قال أبو على الرفع على وجهين (أحدهما) أن يقطع من الأول فيعطف جمله على جمله (و الآخر) أن يكون محمولا على موضع إن و ما عملت فيه و موضعهما رفع و أما النصب فمحمول على لفظ أن و موضع «لا رَيْبَ فِيهَا» رفع بأنه في موضع خبر إن و قد عاد الذكر إلى الاسم فكأنه قال و الساعه حق لأن قوله «لا رَيْبَ فِيهَا» في معنى حق قال أبو الحسن و الرفع أجود في المعنى و أكثر في كلام العرب إذا جاء بعد خبر إن اسم معطوف و يقويه قوله إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

المعنى

ثم عقب سبحانه الوعد بالوعيد فقال «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ» أي فيقال لهم أفلم تكن حججى و بيناتى تقرأ عليكم من كتابى «فَاسْتَكْبَرْتُمْ» أي تعظمتم عن قبولها «وَ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» أي كافرين كما قال أَ فَجَعَلُ الْمُؤْمِنِينَ كَالْمُجْرِمِينَ و الفاء في قوله «أَفَلَمْ تَكُنْ» داله على جواب أما المحذوف «وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» أي إن ما وعد الله به من الثواب و العقاب كائن لا- محاله «وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا» أي و أن القيامة لا شك في حصولها «قُلْتُمْ» معاشر الكفار «مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ» و أنكرتموها «إِنَّ نَظْرُ إِلَّا ظَنًّا» و نشك فيه «وَ مَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ» في ذلك «وَ يَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا» أي ظهر لهم جزاء معاصيهم التى عملوها «وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» أي جزاء استهزائهم «وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ» أي نترككم فى العقاب «كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا» أي تركتم التأهب للقاء يومكم هذا عن ابن عباس و قيل معناه نحلکم فى العذاب محل المنسى كما أحللتهم هذا اليوم عندكم محل المنسى «وَ مَاوَاكُمُ النَّارُ» أي مستقرکم جهنم «وَ مَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ» يدفعون عنكم عذاب الله «ذَلِكَم» الذى فعلنا بكم «بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا» أي سخریه تسخرون منها «وَ غَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» أي خدعتكم بزینتها فاغتررتم بها «فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا» أي من النار و قرأ أهل الكوفه غير عاصم يخرجون

بفتح الياء كما فى قوله يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا يطلب منهم العتبي و الاعتذار لأن التكليف قد زال و قيل معناه لا يقبل منهم العتبي ثم ذكر سبحانه عظمته فقال «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى الشكر التام و المدحه التى لا يوازيها مدحه لله الذى خلق السماوات و الأرض و دبرهما و خلق العالمين «وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ» أى السلطان القاهر و العظمة القاهره و العلو و الرفعه «فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» لا يستحقهما أحد سواه و

فى الحديث يقول الله سبحانه الكبرياء رداى و العظمة إزارى فمن نازعنى واحده منهما ألقيته فى جهنم

«وَهُوَ الْعَزِيزُ» فى جلاله «الْحَكِيمُ» فى أفعاله و قيل العزيز فى انتقاله من الكفار و الحكيم فيما يفعله بالمؤمنين و الأخيار.

(٤٦) سورة الأحقاف مكيه و آياتها خمس و ثلاثون (٣٥)

اشاره

اشاره

مكيه قال ابن عباس و قتاده إلا آيه منها نزلت بالمدينه «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ.

عدد آياتها

خمس و ثلاثون آيه كوفى أربع فى الباقيين.

اختلافها

آيه «حم» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الأحقاف أعطى من الأجر بعدد كل رمل فى الدنيا عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات

و

عن عبد الله بن أبى يعقوب عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ كل ليله أو كل جمعه سورة الأحقاف لم يصبه الله بروعه فى الدنيا و آمنه من فزعه يوم القيامة.

تفسيرها

لما ختم الله تلك السوره بذكر التوحيد و ذم أهل الشرك و الوعيد افتتح هذه السوره أيضا بالتوحيد ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد فقال:

ص: ١٢٤

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)

القراءه

قرأ على (عليه السلام) و أبو عبد الرحمن السلمى أو أثره بسكون التاء من غير ألف

و قرأ ابن عباس بخلاف و عكرمه و قتاده أو أثره بفتحيتين و القراءه المشهوره «أَوْ أَثَارَهُ» بالألف.

الحججه

قال ابن جنى الأثره و الأثاره البقيه و هى ما يؤثر من قولهم أثر الحديد يَأْثُرُهُ أَثْرًا و أثره و يقولون هل عندك من هذا أثره و أثاره أى أثر و منه سيف مأثور أى عليه أثر الصنعه و طريق العمل و أما الأثره ساكنه التاء فهى أبلغ معنى و ذلك أنها الفعله الواحده من هذا الأصل فهى كقولهم ائتونى بخبر واحد أو حكايه شاذه أى قنعت فى الاحتجاج لكم بهذا الأصل على قلته.

المعنى

«حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» مر تفسيره «مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» أى ما خلقناهما عبثا و لا باطلا و إنما خلقناهما لتعبد سكانهما بالأمر و النهى و نعرضهم للثواب و ضرور النعم فنجازيهم فى الآخره بأعمالهم «وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» يعنى يوم القيامه فإنه أجل مسمى عنده مطوى عن العباد علمه إذا انتهى إليه تناهى و قامت القيامه و قيل هو مسمى للملائكه و فى اللوح المحفوظ «وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ» أى إن الكافرين عما أنذروا من القيامه و الجزاء معرضون عادلون عن التفكير فيه «قُلْ» لهؤلاء الذين كفروا بالله «أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» من الأصنام «أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» فاستحقوا بخلق ذلك العباده الشكر «أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ» أى فى خلقها و تقديره أم لهم شرك و نصيب فى خلق السماوات ثم قال قل لهم «ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا»، القرآن أنزله الله يدل على صحه قولكم «أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ» أى بقيه من علم يؤثر من كتب الأولين يعلمون به أنهم شركاء الله «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما تقولون عن مجاهد و قيل «أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ» أى خبر من الأنبياء عن عكرمه و مقاتل و قيل هو الخط أى بكتاب مكتوب عن ابن عباس و قيل خاصه من علم أوثرتم بها عن قتاده

و المعنى

فها تواتر إحدى هذه الحجج الثلاث أولاها دليل العقل و الثانيه الكتاب و الثالثه الخبر المتواتر فإذا لم يمكنهم شىء من ذلك فقد
وضح بطلان دعواهم «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى من أضل عن طريق الصواب
ممن يدعو من دون الله شيئا لو دعاه إلى يوم القيامة لم يجبه و لم يغته و المراد لا يستجيب له أبدا «وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ» أى
و من يدعونهم مع ذلك لا- علم لهم بدعائهم و لا يسمعون دعاءهم و إنما كنى عن الأصنام بالواو و النون لما أضاف إليها ما
يكون من العقلاء كقوله رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ.

[سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٦ الى ١٠]

إشاره

وَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦) وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ
هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا- تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ
بَيْنَكُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِى مَا يُفَعَّلُ بِي وَ لَا بِيكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَ مَا أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ لَمْ يَأْتِ
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)

اللغه

الآيه الدلاله التى تدل على ما يتعجب منه قال:

بآيه تقدمون الخيل زورا كان على سنا بكها مدا

ص: ١٢٦

أفاض القوم فى الحديث إذا مضوا فيه و أصل الإفاضه الدفع و أفاضوا من عرفات اندفعوا منها و حديث مفاض و مستفاض و مستفيض أى جار شائع و البدع و البديع بمعنى و هو بدع من قوم إبداع قال عدى بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعترى رجالا عرت من بعد بؤس و أسعد

. النزول

قيل نزلت الآيه الأخيره فى عبد الله بن سلام و هو الشاهد من بنى إسرائيل فروى أن عبد الله بن سلام جاء إلى النبى ص فأسلم و قال يا رسول الله سل اليهود عنى فإنهم يقولون هو أعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم إن التوراه داله على نبوتك و إن صفاتك فيها واضحه فلما سألهم قالوا ذلك فحينئذ أظهر عبد الله بن سلام إيمانه فكذبوه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أنه إذا قامت القيامة صارت آلهتهم التى عبدوها أعداء لهم فقال «وَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً» و كذلك قوله وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا «وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» يعنى أن هذه الأوثان التى عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها و يكفروا بعباده الكفار و يجحدوا ذلك ثم وصفهم الله سبحانه فقال «وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ» أى للقرآن و المعجزات التى ظهرت على يد النبى ص «هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى حيله لطيفه ظاهره و خداع بين «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ» يا محمد لهم «إِنْ افْتَرَيْتُهُ» أى إن كذبت على الله و اختلقت القرآن كما زعمتم «فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أى إن كان الأمر على ما تقولون إنى ساحر مفتر فلا يمكنكم أن تمنعوا الله منى إذا أراد إهلاكى على افترائى عليه و المراد كيف أفترى على الله من أجلكم و أنتم لا- تقدرتون على دفع عقابه عنى أن افتريت عليه «هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ» أى إن الله أعلم بما تقولون فى القرآن و تخوضون فيه من التكذيب به و القول فيه أنه سحر «كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ» أن القرآن جاء من عنده «وَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ» فى تأخير العقاب عنكم حين لا يعجل بالعقوبه قال الزجاج هذا دعاء لهم إلى التوبه أى من أتى من الكبائر مثل ما أتيتم به من الافتراء على الله و على ثم تاب فإن الله غفور له رحيم به «قُلْ» يا محمد «مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ» أى لست بأول رسول بعث عن

ص: ١٢٧

ابن عباس و مجاهد و قتاده و البدع الأول من الأمر «وَمَا أَدْرِى مَا يُفَعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ» أى لا أدرى أموت أم أقتل و لا أدرى أيها المكذبون أ ترمون بالحجاره من السماء أم يخسف بكم أم ليس يفعل بكم ما فعل بالأمم المكذبه و هذا إنما هو فى الدنيا و أما فى الآخره فإنه قد علم أنه فى الجنه و أن من كذبه فى النار عن الحسن و السدى و قيل: معناه لست أدعى غير رساله و لا أدعى علم الغيب و لا- معرفه ما يفعله الله تعالى بى و لا- بكم فى الإحياء و الإماتة و المنافع و المضار إلا أن يوحى إلى عن أبى مسلم و قيل ما أدرى ما أومر به و لا ما تؤمرون به عن الضحاك و قيل ما أدرى أ أترك بمكه أم أخرج منها بأن أومر بالتحول عنها إلى بلد آخر و ما أدرى أ أومر بقتالكم أو بالكف عن قتالكم و هل ينزل بكم العذاب أم لا «إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» أى لست أتبع فى أمركم من حرب أو سلم أو أمر أو نهى إلا ما يوحى الله إلى و ما يأمرنى به «وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» أى مخوف لكم ظاهر «قُلْ» يا محمد لهم «أَرَأَيْتُمْ» معناه أخبرونى ما ذا تقولون «إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» أى إن كان هذا القرآن من عند الله هو أنزله و هذا النبى رسوله «وَ كَفَرْتُمْ» أنتم أيها المشركون «بِهِ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعنى عبد الله بن سلام «عَلَى مِثْلِهِ» معناه عليه أى على أنه من عند الله و قيل على مثله أى على التوراه عن مسروق و قيل الشاهد موسى شهد على التوراه كما شهد النبى ص على القرآن لأن السوره مكيهه و ابن سلام أسلم بالمدينه «فَأَمَّنَ» يعنى الشاهد «وَ اسْتَكْبَرْتُمْ» أنتم على الإيمان به و جواب قوله «إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» محذوف و تقديره أ لستم من الظالمين و يدل على هذا المحذوف قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» و قيل جوابه فمن أضل منكم عن الحسن و قيل جوابه أ فتؤمنون عن الزجاج.

إشارة

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْفِكٌ قَدِيمٌ (١١) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) وَصَبْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و ابن عامر و يعقوب لتندر بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أهل الكوفة «إحساناً» و الباقون حسناً و

روى عن علي (عليه السلام) و أبي عبد الرحمن السلمى حسناً بفتح الحاء و السين

و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و الكسائي كرها بفتح الكاف و الباقون بضمها و قرأ يعقوب و فصله و هو قراءه الحسن و أبي رجاء و عاصم و الجحدري و الباقون «وَفِصَالُهُ».

الحج

قال أبو علي حجه من قرأ لتندر بالتاء قوله إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ* و قوله لِنُنذِرَ بِهِ وَ ذِكْرِي وَ حجه الياء لِنُنذِرَ بِأَسْأَ شَدِيداً أَوْ أَسْنَدَ الْإِنذَارِ إِلَى الْكِتَابِ كَمَا أَسْنَدَهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ أَمَا الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ «بِوَالِدَيْهِ» فَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِوَصِينَا بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ* وَ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْإِحْسَانِ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي» وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ فِي الْآيَةِ بِالْإِحْسَانِ لِتَقَدُّمِهَا عَلَى الْمَوْصُولِ وَ لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَضْمَرِ يَفْسِرُهُ الْإِحْسَانُ كَمَا جَازَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ «وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» وَ قَوْلِهِ:

" كان جزائي بالعصا أن أجلدا "

في قول من لم يعلقه بالجزاء. و الإحسان خلاف الإساءة و الحسن خلاف القبح فمن قال إحساناً كان انتصابه على المصدر و ذلك أن معنى قوله وصينا الإنسان بالديه حسناً أمرناه بالإحسان أى لياتى الإحسان إليهما دون الإساءة و لا يجوز أن يكون انتصابه بوصينا لأن وصينا قد استوفى مفعوليه اللذين أحدهما منصوب و الآخر المتعلق بالياء و من قرأ حسناً فمعناه ليات فى أمرهما أما إذا حسن أى ليات الحسن فى أمرهما دون القبيح و يؤيده

قراءه على صلوات الرحمن عليه حسناً

لأن معناه ليات فى أمرهما فعلاً حسناً و أما الكره بالفتح فهو المصدر و الكره بالضم الاسم كأنه الشىء المكروه قال كُتِبَ عَلَيْكُمْ

الْقِتَالُ وَهُوَ كُرَّةٌ لَكُمْ وَ هَذَا بِالضَّمِّ وَقَالَ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا فَهَذَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَالْفَتْحُ فِيهِ أَحْسَنُ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمَا لُغَتَانِ وَ
أَمَّا الْفَصْلُ فَهُوَ بِمَعْنَى الْفَصَالِ إِلَّا أَنْ الْأَكْثَرَ بِالْأَلْفِ وَ

فِي الْحَدِيثِ لَا رِضَاعَ بَعْدَ الْفَصَالِ

يَعْنَى بَعْدَ الْفَطَامِ.

ص: ١٢٩

القديم ما تقادم وجوده و في عرف المتكلمين هو الموجود الذى لا- أول لوجوده و الإيزاع أصله المنع و أوزعنى امنعنى عن الانصراف عن ذلك باللفظ و منه قول الحسن لا بد للناس من وزعه و قال أبو مسلم الإيزاع إيصال الشىء إلى القلب.

الإعراب

إماما منصوب على الحال من الضمير فى الظرف عند سيبويه و من كتاب موسى عند الأخفش و من رفع بالظرف و يجوز أن يرتفع قوله «كِتَابُ مُوسَى» بالعطف على قوله «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى و شهد من قبل القرآن كتاب موسى ففصل بالظرف بين الواو و المعطوف به و رحمه معطوف على قوله «إِمَامًا» و «لِسَانًا عَرَبِيًّا» منصوب على الحال أيضا من قوله «هَذَا كِتَابٌ» و يجوز أن يكون حالا مما فى مصدق من الضمير و تقديره و هذا كتاب مصدق ملفوظا به على لسان العرب و بشرى عطف على قوله «لِيُنذِرَ» و هو مفعول له جزاء مصدر مؤكد لما قبله و تقديره جوزوا جزاء فاستغنى عن ذكر جوزوا لدلاله الجمله قبلها عليها و يجوز أن يكون جزاء مفعولا له و كرها منصوب على الحال أى حملته كارهه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا» بالله و رسوله «لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ» أى لو كان هذا الذى يدعوننا إليه محمد خيرا أى نفعنا عاجلا أو آجلا ما سبقنا هؤلاء الذين آمنوا به إلى ذلك لأننا كنا بذلك أولى و اختلف فيمن قال ذلك فقبل هم اليهود قالوا لو كان دين محمد ص خيرا ما سبقنا إليه عبد الله بن سلام عن أكثر المفسرين و قيل: إن أسلم و جهينه و مزينه و غفارا لما أسلموا قال بنو عامر بن صعصعه و غطفان و أسد و أشجع هذا القول عن الكلبي و نظم الكلام يوجب أن يكون ما سبقتمونا إليه و لكنه على ترك المخاطبه «وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيمٌ» أى فإذا لم يهتدوا بالقرآن من حيث لم يتدبروه فسيقولون هذا القرآن كذب متقادم أى أساطير الأولين ثم قال سبحانه «وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى» أى من قبل القرآن كتاب موسى و هو التوراه «إِمَامًا» يقتدى به «وَرَحْمَةً» من الله للمؤمنين به قبل القرآن و تقدير الكلام و تقدمه كتاب موسى إماما و فى الكلام محذوف يتم به المعنى تقديره فلم يهتدوا به و دل عليه قوله فى الآية الأولى «وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ» و ذلك أن المشركين لم يهتدوا بالتوراه فيتركوا ما هم عليه من عباده الأوثان و يعرفوا منها صفه محمد ص ثم قال «وَهَذَا كِتَابٌ» يعنى القرآن «مُصَدِّقٌ» للكتب التى قبله «لِسَانًا عَرَبِيًّا» ذكر اللسان توكيذا كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا فتذكر رجلا توكيذا لتندر الذين ظلموا أى لتخوفهم يخاطب النبى ص و من قرأ

بالباء أسند الفعل إلى الكتاب «وَبُشِّرَى لِلْمُحْسِنِينَ» و بشاره للمؤمنين و قيل معناه و يبشر بشرى فيكون نصبا على المصدر و يجوز أن يكون فى موضع رفع أى و هو بشرى للمحسنين الموحدين «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» مر تفسيره «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» من العقاب «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» من أهوال يوم القيامة «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» الملازمون لها المنعمون فيها «خَالِدِينَ فِيهَا جزاء بما كانوا يعملون» فى الدنيا من الطاعات و الأعمال الصالحات «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا» مر تفسيره «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا» أى بكره و مشقه عن الحسن و قتاده و مجاهد يعنى حين أثقلت و ثقل عليها الولد «وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا» يريد به شدة الطلق عن ابن عباس «وَوَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» يريد أن أقل مدة الحمل و كمال مدة الرضاع ثلاثون شهرا قال ابن عباس إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحدا و عشرين شهرا و إذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة و عشرين شهرا «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ» و هو ثلاث و ثلاثون سنه عن ابن عباس و قتاده و قيل بلوغ الحلم عن الشعبى و قيل وقت قيام الحجه عليه عن الحسن و قيل هو أربعون سنه و ذلك وقت إنزال الوحي على الأنبياء و لذلك فسر به فقال «وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سِنًا» فيكون هذا بيانا لزمان الأشد و أراد بذلك أنه يكمل له رأيه و يجتمع عليه عقله عند الأربعين سنه «قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي» أى ألهمنى «أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ» قد مر تفسيره فى سورة النمل «وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي» أى اجعل ذريتى صالحين عن الزجاج و قيل أنه دعاء بإصلاح ذريته لبره و طاعته لقوله «أَصْلِحْ لِي» و قيل أنه الدعاء بإصلاحهم لطاعه الله عز و جل و هو عبادته و هو الأشبه لأن طاعتهم لله من بره لأن اسم الذريه يقع على من يكون بعده و قيل معناه اجعلهم لى خلف صدق و لك عبيد حق عن سهل بن عبد الله «إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ» من سيئاتى و ذنوبى «وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» المنقادين لأمرك.

إشارة

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعِدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) وَ الَّذِي قَالَ لَوِ الْإِدْيَهِ أَفُّ لَكُمْ أَ تَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُمَا يَسْتَتِيحَانِ اللَّهُ وَيَلِكُ آمِنْ إِنَّ وَعِدَ اللَّهُ حَقُّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَهَالِيَوْمَ تُعْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «تَقَبَّلُ» و «تَتَجَاوَزُ» بالنون، «أَحْسَنَ» بالنصب و الباقون يتقبل و يتجاوز بضم الياء أحسن بالرفع و قرأ ابن كثير و أبو جعفر و يعقوب أذهبتم بهمزه واحده ممدوده و قرأ ابن عامر ء أذهبتم بهمزتين و الباقون «أَدْهَبْتُمْ» بفتح الهمزة.

الحج

من قرأ يتقبل فلأذن الفعل و إن كان مبنيًا للمفعول به فمعلوم أنه لله تعالى كما جاء في الأخرى إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل و حجه من قرأ «تَقَبَّلُ» بالنون أنه قد تقدم الكلام وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ وَ كَلَامًا حَسَنًا وَ قد ذكرنا اختلافهم في أف في بنى إسرائيل و حجه الاستفهام في أذهبتم أنه قد جاء هذا النحو بالاستفهام نحو أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ* و قوله أَدْهَبْتُمْ بِغَيْرِ إِيمَانِكُمْ و وجه الخبر أن الاستفهام تقرير فهو مثل الخبر أ لا ترى أن التقرير لا يجاب بالفاء كما يجاب بها إذا لم يكن تقريراً فكأنهم يوبخون بهذا الذي يخبرون به و يبكتون و المعنى في القراءة تين يقال لهم هذا فحذف القول كما حذف في نحو قوله «أَدْهَبْتُمْ بِغَيْرِ إِيمَانِكُمْ».

الإعراب

«وَعِدَ الصَّدَقِ» نصب على المصدر تقديره وعدهم الله ذلك وعدا و إضافته إلى الصدق غير حقيقته لأن الصدق في تقديره النصب بأنه صفة وعد و «الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» موصول و صلة في موضع النصب بكونه صفة الوعد و «أَفُّ لَكُمْ» مبتدأ و خبر تقديره هذه الكلمة التي تقال عند الأمور المكروهه كائنه لكما ويلك منصوب لأنه مفعول فعل محذوف تقديره ألزمك الله الويل و قيل تقديره وى لك فهو مبتدأ و خبر كما قلناه في أف و ليوفيهما معطوف على محذوف تقديره و الله أعلم ليجزيهم بما عملوا و ليوفيهما أعمالهم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه بما يستحقه هذا الإنسان من الثواب فقال «أُولَئِكَ»

يعنى أهل هذا القول «الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا» أى يشابون على طاعاتهم و المعنى نقبل بإيجاب الثواب لهم أحسن أعمالهم و هو ما يستحق به الثواب من الواجبات و المندوبات فإن المباح أيضا من قبيل الحسن و لا يوصف بأنه متقبل «و نَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ» التى اقترفوها «فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ» أى فى جملة من يتجاوز عن سيئاتهم و هم أصحاب الجنة فيكون قوله «فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ» فى موضع نصب على الحال «وَعِيدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» أى وعدهم وعد الصدق و هو ما وعد أهل الإيمان بأن يتقبل من محسنهم و يتجاوز عن سيئهم إذا شاء أن يتفضل عليهم بإسقاط عقابهم أو إذا تابوا الوعد الذى كانوا يوعدونه فى الدنيا على ألسنة الرسل «و الَّذِي قَالَ لَوِالَّذِيهِ» إذا دعوه إلى الإيمان «أُفَّ لَكُمْ» و هى كلمة تبرم يقصد بها إظهار التسخط و معناه بعدا لكما و قيل معناه نتنا و قدرا لكما كما يقال عند شم الرائحة المكروهه «أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ» من القبر و أحيا و أبعث «وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي» أى مضت الأمم و ماتوا قبلى فما أخرجوا و لا أعيدوا و قيل معناه خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث «وَهُمَا» يعنى والديه «يَسْتَبْغِيثَانِ اللَّهَ» أى يستصرخان الله و يطلبان منه الغوث ليتلطف له بما يؤمن عنده و يقولان له «وَيَلْمَكَ آمِنٌ» بالقيامه و بما يقوله محمد ص «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بالبعث و النشور و الثواب و العقاب «حَقٌّ فَيَقُولُ» هو فى جوابهما «ما هذا» القرآن و ما تزعمانه و تدعواننى إليه «إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أخبار الأولين و أحاديثهم التى سطورها و ليس لها حقيقة و قيل أن الآيه نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قال له أبواه أسلم و ألحا عليه فقال أحيوا لى عبد الله بن جدعان و مشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون عن ابن عباس و أبى العالى و السدى و مجاهد و قيل الآيه عامه فى كل كافر عاق لوالديه عن الحسن و قتاده و الزجاج قالوا و يدل عليه أنه قال عقيبه «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ» أى حقت عليهم كلمة العذاب فى أمم أى مع أمم «قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ» على مثل حالهم و اعتقادهم قال قتاده قال الحسن الجن لا يموتون فقلت «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ» الآيه تدل على خلافه ثم قال سبحانه مخبرا عن حالهم «إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» لأنفسهم إذ أهلكوها بالمعاصى «وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا» أى لكل واحد ممن تقدم ذكره من المؤمنين البرره و الكافرين الفجرة درجات على مراتبهم و مقادير أعمالهم فدرجات الأبرار فى عليين و درجات الفجار دركات فى سجين عن ابن زيد و أبى مسلم و قيل معناه و لكل مطيع درجات ثواب و إن تفاضلوا فى مقاديرها عن الجبائى و على بن عيسى و لنوفيهم أعمالهم أى جزاء أعمالهم و ثوابها و من قرأ بالياء فالمعنى و ليوفيهم الله أعمالهم «وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ» بعقاب لا

يستحقونه أو بمنع ثواب يستحقونه «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» يعنى يوم القيامة أى يدخلون النار كما يقال عرض فلان على السوط وقيل معناه عرض عليهم النار قبل أن يدخلوها ليروا أهوالها «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا» أى يقال لهم آثرتم طيباتكم ولذاتكم فى الدنيا على طيبات الجنة «وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا» أى انتفعتم بها منهمكين فيها وقيل هى الطيبات من الرزق يقول أنفقتموها فى شهواتكم و فى ملاذ الدنيا و لم تنفقوها فى مرضاه الله و لما وبخ الله سبحانه الكفار بالتمتع بالطيبات و اللذات فى هذه الدار آثر النبى ص و أمير المؤمنين (عليه السلام) الزهد و التقشف و اجتناب الترفه و النعمه و

قد روى فى الحديث أن عمر بن الخطاب قال استأذنت على رسول الله ص فدخلت عليه فى مشربه أم إبراهيم و أنه لمضطجع على خصفه و أن بعضه على التراب و تحت رأسه و سواده محشوه ليفا فسلمت عليه ثم جلست فقلت يا رسول الله أنت نبى الله و صفوته و خيرته من خلقه و كسرى و قيصر على سرر الذهب و فرش الديباج و الحرير فقال رسول الله ص أولئك قوم عجلت طيباتهم و هى وشيكه الانقطاع و إنما أخرت لنا طيباتنا

و

قال على بن أبى طالب ع فى بعض خطبه: و الله لقد رفعت مدرعتى هذه حتى استحيت من راقعها و لقد قال لى قائل ألا تنبذها فقلت اعزب عنى فعند الصباح يحمد القوم السرى

و

روى محمد بن قيس عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال و الله إن كان على (عليه السلام) ليأكل أكله العبد و يجلس جلسه العبد و إن كان يشتري القميصين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز أصابعه قطعه و إذا جاز كعبه حذفه و لقد ولى خمس سنين ما وضع آجره على آجره و لا- لبنه على لبنه و لا- أورث بيضاء و لا- حمراء و إن كان يطعم الناس على خبز البر و اللحم و ينصرف إلى منزله فيأكل خبز الشعير و الزيت و الخل و ما ورد عليه أمران كلاهما لله عز و جل فيه رضى إلا- أخذ بأشدهما على بدنه و لقد أعتق ألف مملوك من كد يمينه تربت منه يداه و عرق فيه وجهه و ما أطاق عمله أحد من الناس بعده و إن كان ليصلى فى اليوم و الليله ألف ركعه و إن كان أقرب الناس شبها به على بن الحسين (عليه السلام) ما أطاق عمله أحد من الناس بعده

ثم أنه

قد اشتهر فى الروايه أنه (عليه السلام) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصره يعوده قال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخى عاصم بن زياد لبس العباءه و تخلى من الدنيا فقال (عليه السلام) على به فلما جاء به قال يا عدى نفسه لقد استهتام بك الخيىث أ ما رحمت أهلك و ولدك أ ترى الله أحل لك الطيبات و هو يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا أنت فى خشونه ملبسك و جشوبه ما كلك قال ويحك

إني لست كانت إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدرُوا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبيخ بالفقير فقره

«فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ» أى العذاب الذى فيه الذل و الخزى و الهوان «بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ» أى باستكباركم عن الانقياد للحق فى الدنيا و تكبركم على أنبياء الله و أوليائه «بِعَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ» أى بخروجكم من طاعه الله إلى معاصيه.

[سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٢١ الى ٢٥]

اشاره

وَ اذْكَرْ اَحا عَادٍ اِذْ اَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْاَحْقَافِ وَ قَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ اَلَّا تَعْبُدُوا اِلَّا اللّٰهَ اِنِّىْ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا اَجِئْتَنَا لِنَاْفِكُنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ (٢٢) قَالَ اِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ وَ اُبَلِّغُكُمْ مَا ارْسَلْتُمْ بِهِ وَ لِكِنِّىْ اَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَاُوْهُ عَارِضًا مُّسِيِّئًا يَّقْبِلُ اَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيْحٌ فِىْهَا عَذَابٌ اَلِيْمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِاَمْرِ رَبِّهَا فَاَصْبَحُوا لَا يَرى اِلَّا مَسَاكِيْنَهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِيْنَ (٢٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير الكسائى و يعقوب و سهل «لا يُرى» بضم الياء «إِلَّا مَسَاكِيْنَهُمْ» بالرفع و قرأ الباقون لا ترى بالتاء إلا مساكينهم بالنصب و فى الشواذ قراءه الحسن و أبى رجاء و قتاده و مالك بن دينار و الأعمش لا ترى بضم التاء «إِلَّا مَسَاكِيْنَهُمْ» بالرفع و قرأ الأعمش مسكنهم.

ص: ١٣٥

قال أبو على تذكير الفعل فى قوله «لا- يُرى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ» حسن و هو أحسن من إلحاق علامه التأنيث الفعل من أجل الجمع و ذلك أنهم حملوا الكلام فى هذا الباب على المعنى فقالوا ما قام إلا هند و لم يقولوا ما قامت لما كان المعنى ما قام أحد و لا يجىء التأنيث فيه إلا فى شذوذ و ضروره فمن ذلك قول الشاعر:

برى النخز و الأجاز ما فى عروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع

و قول ذى الرمه:

كأنها جمل وهم و ما بقيت إلا النحيزه و الألواح و العصب

قال ابن جنى قوله مسكنهم إن شئت جعلته مصدرا و قدرت حذف المضاف أى لا ترى إلا آثار مسكنهم كما قال ذو الرمه:

تقول عجوز مدرجى متروحا على بابها من عند أهلى و غاديا

فالمدرج هنا مصدر ألا تراه قد نصب الحال و إن شئت قلت مسكنهم واحد كفى من جماعه.

اللغه

الأحفاف جمع حقف و هو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ أن يكون جبلا قال المبرد الحقف هو الرمل الكثير لمكتنز غير العظيم و فيه اعوجاج قال العجاج:

" بات على أرطاه حقف أحقفا "

و العارض السحاب يأخذ فى عرض السماء قال الأعشى:

يا من رأى عارضا قد بت أرمقه كأنما البرق فى حافاته شعل

و التدمير الإهلاك و إلقاء بعض الأشياء على بعض حتى يخرب و يهلك قال جرير:

. المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ص «وَ اذْكُرْ» يا محمد لقومك أهل مكة «أخا عادٍ» يعنى هودا «إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ» أى خوفهم بالله تعالى و دعاهم إلى طاعته «بِالْأَحْقَافِ» و هو واد بين عمان و مهرة عن ابن عباس و قيل رمال فيما بين عمان إلى حضرموت عن ابن إسحاق و قيل رمال مشرفه على البحر بالشحر من اليمن عن قتاده و قيل أرض خلالها رمال عن الحسن «وَ قَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ» أى و قد مضت الرسل من قبل هود (عليه السلام) و من بعده «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» أى بأن لا تعبدوا و المعنى إنى لم أبعث قبل هود و لا بعده إلا بالأمر بعبادة الله وحده و هذا اعتراض كلام وقع بين إنذار هود و كلامه لقومه ثم عاد إلى كلام هود لقومه فقال «إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» و تقدير الكلام إذ أنذر قومه بالأحقاف فقال «إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ» الآية ثم حكى ما أجاب به قومه بقوله «قَالُوا أَ جِئْتَنَا يَا هودَ لِتَأْفِكِنَا» أى لتلفتنا و تصرفنا «عَنْ آلِهَتِنَا» أى عن عبادة آلهتنا «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» من العذاب «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أن العذاب نازل بنا «قال» هود «إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ» هو يعلم متى يأتيكم العذاب لا أنا «وَ أبلغكم ما أُرْسِلْتُ بِهِ» إليكم أى و أنا أبلغكم ما أمرت بتبليغه إليكم «وَ لَكِنِّى أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ» حيث لا تجيبون إلى ما فيه صلاحكم و نجاتكم و تستعجلون العذاب الذى فيه هلاككم و هذا لا يفعله إلا الجاهل بالمنافع و المضار «فَلَمَّا رَأَوْهُ» أى فلما رأوا ما يوعدون و الهاء تعود إلى ما تعدنا فى قوله «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» «عارضاً» أى سحابا يعرض فى ناحيه من السماء ثم يطبق السماء «مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا» كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما فساق الله إليهم سحابه سوداء خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم استبشروا و قالوا «هذا عارضٌ مُمطرٌنا» أى سحاب ممطر إيانا هذا تقديره لأنه نكره بدلاله أنه صفة لعارض فقال هود (عليه السلام) «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ» أى ليس هو كما توهمتم بل هو الذى وعدتكم به و طلبتم تعجيله ثم فسره فقال «رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى هو ريح فيها عذاب مؤلم و قيل بل هو قول الله تعالى «تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا» أى تهلك كل شىء مرت به من الناس و الدواب و الأموال و اعتزل هود و من معه فى حظيره لم يصبهم من تلك الرياح إلا ما

تلين على الجلود و تلتذ به الأنفس و أنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء و الأرض حتى نرى الطعينة كأنها جراده عن عمر بن ميمون «فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ» و ما عداها قد هلك و من قرأ بالتاء فهو على وجه الخطاب للنبي ص «كَذَلِكَ» أى مثل ما أهلكتنا أهل الأحقاف و جازيناهم بالعذاب «نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ» أى الكافرين الذين يسلكون مسالكهم.

[سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشاره

وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لَا أَبْصَارُهُمْ وَ لَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَ صَيَّرْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْ لَا نَصَّيْرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَ ذَلِكِ إِفْكَهُمُ وَ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨) وَ إِذْ صَيَّرْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠)

القراءه

فى الشواذ قراءه ابن عباس و عكرمه و أبى عامر أفكهم بفتح الألف و الفاء و الكاف و قراءه عبد الله بن الزبير أفكهم و قراءه ابن عياض أفكهم بالتشديد.

الحجه

قوله إفكهم معناه صرفهم و ثناهم قال:

ص: ١٣٨

إن يك عن أحسن المروءه مأفوكا ففى آخرين قد أفكوا

و آفكهم أفعلمهم منه أى أصارهم إلى الإفكك و يجوز أن يكون فاعلمهم من ذلك مثل خادعهم و أما إفكهم ففعلهم و ذلك لتكثيره ذلك الفعل بهم و روى عن قطرب أن ابن عباس قرأ آفكهم أى صارفهم.

اللغة

التمكين إعطاء ما يتمكن به من الفعل و تدخل فيه قدره و الآله و سائر ما يحتاج إليه الفاعل و قيل التمكين إزاله الموانع و ذلك داخل فى الأول لأنه كما يحتاج الفاعل فى الفعل إلى الآلات يحتاج إلى زوال الموانع فإذا أزيلت عنه العلل كلها فقد مكن و القربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعه أو نسك و الجمع قرابين.

الإعراب

«فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ» إن هنا بمعنى ما و إن فى النفى مع ما الموصوله بمعنى الذى أحسن فى اللفظ من ما ألا ترى أنك لو قلت رغبت فيما ما رغبت فيه لكان أحسن منه أن تقول رغبت فيما أن رغبت فيه لاختلاف اللفظين.

المعنى

ثم خوف سبحانه كفار مكه و ذكر فضل عاد بالأجسام و القوه عليهم فقال «وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِمْ إِنْ مَكَّنَّاكُمْ» أى فى الذى ما مكناكم «فِيهِ» و المعنى فى الشىء الذى لم نمكنكم فيه من قوه الأبدان و بسطه الأجسام و طول العمر و كثره الأموال عن ابن عباس و قتاده و قيل معناه فيما مكناكم فيه و إن مزيده و المعنى مكناهم من الطاعات و جعلناهم قادرين متمكنين بنصب الأدله على التوحيد و التمكين من النظر فيها و الترغيب و التهيب و إزاحه العلل فى جميع ذلك «وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً» ثم أخبر سبحانه عن أولئك أنهم أعرضوا عن قبول الحجج و التفكير فيما يدلهم على التوحيد مع ما أعطاهم الله من الحواس الصحيحه التى بها تدرك الأدله «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لَا أَبْصَارُهُمْ وَ لَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى لم ينفعهم جميع ذلك لأنهم لم يعتبروا ذلك و لا استعملوا أبصارهم و أفئدتهم فى النظر و التدبر «إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» و أدلته «وَ حَاقَ بِهِمْ» أى حل بهم جزاء «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى» معناه و لقد أهلكنا يا أهل مكه ما حولكم و هم قوم هود و كانوا باليمن و قوم صالح بالحجر و قوم لوط على طريقهم إلى الشام «وَ صَيَّرْنَا الْآيَاتِ» تصريف الآيات تصييرها تاره فى الإعجاز و تاره فى الإهلاك و تاره فى التذكير بالنعم و تاره فى التذكير بالنقم و تاره فى وصف الأبرار ليقنتدى بهم و تاره فى وصف

الفجار ليجتنب مثل فعلهم «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى لكى يرجعوا عن الكفر «فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً» أى فهلا نصر هؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم آلهه و زعموا أنهم يعبدونهم تقربا إلى الله تعالى ثم لم ينصروهم لأن هذا استفهام إنكار «بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ» أى ضلت الآلهه وقت الحاجه إليها فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم «وَذَلِكَ إِنْ كُفُّهُمْ» أى اتخذهم الآلهه دون الله كذبهم و افتراؤهم و هو قوله «وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أى يكذبون من أنها آلهه ثم بين سبحانه أن فى الجن مؤمنين و كافرين كما فى الإنس فقال «وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ» معناه و اذكر يا محمد إذ وجهنا إليك جماعه من الجن تستمع القرآن و قيل معناه صرفناهم إليك عن بلادهم بالتوفيق و الألفاف حتى أتوك و قيل صرفناهم إليك عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب و لم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذى حدث فى السماء إلا من أجل شىء قد حدث فى الأرض فضربوا فى الأرض حتى وقفوا على النبی ص ببطن نخله عامدا إلى عكاظ و هو يصلى الفجر فاستمعوا القرآن و نظروا كيف يصلى عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و على هذا فيكون الرمی بالشهب لطفًا للجن «فَلَمَّا حَضَرُوهُ» أى حضروا القرآن أو النبی ص «قَالُوا أَنْصِتُوا» أى قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا و بين القرآن شىء «فَلَمَّا قُضِيَ» أى فرغ من تلاوته «وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ» أى انصرفوا إلى قومهم «مُنذِرِينَ» أى محذرين إياهم عذاب الله إن لم يؤمنوا «قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ» يعنون القرآن «مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أى لما تقدمه من الكتب «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» أى يرشد إلى دين الحق و يدل عليه و يدعو إليه «وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ» يؤدى بسالكة إلى الجنة.

[القصة]

عن الزهرى قال لما توفى أبو طالب (عليه السلام) اشتد البلاء على رسول الله ص فعمد ليقف بالطائف رجاء أن يأووه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة و هم إخوه عبد ياليل و مسعود و حبيب بنو عمرو فعرض عليهم نفسه فقال أحدهم أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشىء قط و قال الآخر أعجز على الله أن يرسل غيرك و قال الآخر و الله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبدا فلئن كنت رسولا- كما تقول فأنت أعظم خطرا من أن يرد عليك الكلام و إن كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك بعد و تهزئوا به و أفشوا فى قومه ما راجعوه به فقعدوا له صفيين على طريقه فلما مر رسول الله ص بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجله و لا

ص: ١٤٠

يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه فخلص منهم و هما يسيلان دما إلى حائط من حوائطهم و استظل في ظل نخله منه و هو مكروب موجه تسيل رجلاه دما فإذا في الحائط عتبه بن ربيعه و شبيهه بن ربيعه فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله و رسوله فلما رأياه أرسل إليه غلاما لهما يدعى عداس معه عنب و هو نصراني من أهل نينوى فلما جاءه قال له رسول الله ص من أى أرض أنت قال من أهل نينوى قال من مدينه العبد الصالح يونس بن متى فقال له عداس و ما يدريك من يونس بن متى قال أنا رسول الله و الله تعالى أخبرنى خبر يونس بن متى فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خر عداس ساجدا لله و لرسول الله ص و جعل يقبل قدميه و هما يسيلان الدماء فلما بصر عتبه و شبيهه ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاها قال ما شأنك سجدت لمحمد و قبلت قدميه و لم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرنى بشىء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى فضحكا و قالوا لا يفتننك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع فرجع رسول الله ص إلى مكة حتى إذا كان بنخله قام فى جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن أهل نصيبين و قيل من اليمن فوجدوه يصلى صلاة الغداة و يتلو القرآن فاستمعوا له و هذا معنى قول سعيد بن جبير و جماعه و قال آخرون أمر رسول الله ص أن ينذر الجن و يدعوهم إلى الله و يقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفرا من الجن من نينوى فقال ص إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعنى فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله و لم يحضر معه أحد غيرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة و دخل نبي الله شعبا يقال له شعب الحجون و خط لى خطا ثم أمرنى أن أجلس فيه و قال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسوده كثيره حتى حالت بينى و بينه حتى لم أسمع صوته ثم انطلقوا و طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهط و فرغ رسول الله ص مع الفجر فانطلق فرز ثم قال هل رأيت شيئا فقلت نعم رأيت رجالا- سودا مستثفري ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين و روى علقمه عن عبد الله قال لم أكن مع رسول الله ص ليلة الجن و وددت أنى كنت معه و روى عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ص رسلا إلى قومهم قال زر بن حبیش كانوا تسعة نفر منهم زوبعه و روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله ص الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئا فقال رسول الله ص الجن كانوا أحسن جوابا منكم لما قرأت عليهم فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ* قالوا لا و لا بشىء من آلائك ربنا نكذب.

إشارة

يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَاللَّيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَلْقُهَا يَحْيِي الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَمَا صَبِرَ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ (٣٥)

القراءة

قرأ يعقوب وحده يقدر بالياء وهو قراءة جده عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعاصم الجحدري ومالك بن دينار وقرأ جميع القراء «بقادر» وفي الشواذ قراءة الحسن وعيسى الثقفي بلاغا بالنصب وقراءة ابن محيصن فهل يهلك بفتح الياء.

الحجج

قال أبو علي قراءة القراء «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» إلى قوله «بقادر» من الحمل على المعنى أدخل الباء لما كان في معنى أ وليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر ومثل ذلك في الحمل على المعنى قول الشاعر:

بادت و غير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء

ثم قال:

" و مشجع أما سواء قذاله "

لما كان غير آيهن مع البلى إلا رواكد بمعنى بها رواكد حمل مشجع على ذلك و كذلك قوله يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ثم قال وَ حُورٌ عِينٌ لما كان يطاف عليهم بكذا معناه لهم فيها كذا و قالوا إن أحدا لا يقول ذلك إلا زيد فأدخل أحدا فى الموجب لما كان معنى الكلام النفى و من قرأ بلاغا فهو على تقدير فعل مضمر أى بلغوا بلاغا كما أن الرفع على تقدير مضمر أى هو بلاغ أو هذا بلاغ و قرأ أبو مجلز بلغ على الأمر.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام خير الجن فقال حاكيا عنهم «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ» يعنون محمدا ص إذ دعاهم إلى توحيدهِ و خلع الأندادِ دونهُ «وَ آمَنُوا بِهِ» أى بالله «يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» أى فإنكم إن آمنتم بالله و رسوله يغفر لكم ذنوبكم «وَ يُجْزِكُمْ» أى و يخلصكم «مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» قال على بن إبراهيم فجاءوا إلى رسول الله ص فآمنوا به و علمهم رسول الله ص شرائع الإسلام و أنزل الله سبحانه قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ و كانوا يفرون إلى رسول الله ص فى كل وقت و فى هذا دلالة على أنه كان مبعوثا إلى الجن كما كان مبعوثا إلى الإنس و لم يبعث الله نبيا إلى الإنس و الجن قبله «وَ مَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ» أى لا يعجز الله فيسبقه و يفوته «وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ» أى أنصار يمنعونه من الله و يدفعون عنه العذاب إذا نزل بهم و يجوز أن يكون هذا من كلام الله تعالى ابتداء ثم قال «أُولَئِكَ» يعنى الذين لا يجيبون داعى الله «فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» أى عدول عن الحق ظاهر ثم قال سبحانه منبها على قدرته على البعث و الإعادة فقال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» أى أ و لم يعلموا «أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و أنشأهما «وَ لَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ» أى لم يصبه فى خلق ذلك إعياء و لا تعب و لم يعجز عنه يقال عيبى فلان بأمره إذا لم يهتد له و لم يقدر عليه «بِقَادِرٍ» الباء زائده و موضعه رفع بأنه خبر إن «عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» أى فخلق السماوات و الأرض أعجب من إحياء الموتى ثم قال «بلى» هو قادر عليه «إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثم عقبه بذكر الوعيد فقال «وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ» أى يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أ ليس هذا الذى جوزيتم به حق لا ظلم فيه «قالوا» أى فيقولون «بلى وَ رَبَّنَا» اعترفوا بذلك

ص: ١٤٣

و حلفوا عليه بعد ما كانوا منكرين «قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» أى بكفركم فى الدنيا و إنكاركم ثم قال لنبىه ص «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» أى فاصبر يا محمد على أذى هؤلاء الكفار و على ترك إجابتهم لك كما صبر الرسل و من هاهنا لتبيين الجنس كما فى قوله «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» و على هذا القول فىكون جميع الأنبياء هم أولو العزم لأنهم عزموا على أداء رسالته و تحمل أعبائها عن ابن زيد و الجبائى و جماعه و قيل أن من هاهنا للتبعيض و هو قول أكثر المفسرين و الظاهر فى روايات أصحابنا ثم اختلفوا

فقيل أولو العزم من الرسل من أتى بشريعه مستأنفه نسخت شريعه من تقدمه و هم خمسة أولهم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ص عن ابن عباس و قتاده و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) قال و هم سادة النبيين و عليهم دارت رحا المرسلين

و قيل هم ستة نوح صبر على أذى قومه و إبراهيم صبر على النار و إسحاق صبر على الذبح و يعقوب صبر على فقد الولد و ذهاب البصر و يوسف صبر فى البئر و السجن و أيوب صبر على الضر و البلوى عن مقاتل و قيل هم الذين أمروا بالجهاد و القتال و أظهروا المكاشفه و جاهدوا فى الدين عن السدى و الكلبي و قيل هم إبراهيم و هود و نوح و رابعهم محمد ص عن أبى العالى و العزم هو الوجوب و الحتم و أولو العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائع و أوجبوا على الناس الأخذ بها و الانقطاع عن غيرها «وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» أى و لا تستعجل لهم العذاب فإنه كائن واقع بهم عن قريب و ما هو كائن فكان قد كان وقع «كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوُّنَ مَا يُوعَدُونَ» أى من العذاب فى الآخرة «لَمْ يَلْبُثُوا» فى الدنيا «إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ» أى إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا و البرزخ كأنه ساعه من نهار لأن ما مضى كأن لم يكن و إن كان طويلا و تم الكلام ثم قال بلاغ أى هذا القرآن و ما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم و البلاغ بمعنى التبليغ و قيل معناه ذلك اللبث «بِلاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ» أى لا يقع العذاب إلا بالعاصين الخارجين من أمر الله تعالى و قيل معناه لا يهلك على الله تعالى إلا هالك مشرك ولى ظهره الإسلام أو منافق صدق بلسانه و خالف بعمله عن قتاده و قيل معناه لا يهلك مع رحمه الله و تفضله إلا القوم الفاسقون عن الزجاج قال و ما جاء فى الرجاء لرحمه الله شىء أقوى من هذه الآيه.

(٤٧) سورة محمد مدنيه و آياتها ثمان و ثلاثون (٣٨)

اشاره

اشاره

و هي مدنيه و قال ابن عباس و قتاده غير آيه منها نزلت على النبي ص و هو يريد التوجه إلى المدينه من مكه و جعل ينظر إلى البيت و هو يبكي حزنا عليه فنزلت «وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ» الآية.

عدد آياتها

أربعون آيه بصرى ثمان و ثلاثون كوفى تسع فى الباقيين.

اختلافها

آيتان «أَوْزَارَهَا» غير الكوفى «لِلشَّارِبِينَ» بصرى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال النبي ص من قرأ سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأها لم يدخله شك فى دينه أبدا و لم يزل محفوظا من الشرك و الكفر أبدا حتى يموت فإذا مات و كل الله به فى قبره ألف ملك يصلون فى قبره و يكون ثواب صلواتهم له و يشيعونه حتى يوقفوه موقف الأمان عند الله و يكون فى أمان الله و أمان محمد ص

و

قال (عليه السلام) من أراد أن يعرف حالنا و حال أعدائنا فليقرأ سورة محمد ص فإنه يراها آيه فينا و آيه فيهم.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بوعيد الكفار و افتتح هذه السوره بمثلها فقال جل ثناؤه:

ص: ١٤٥

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَ كُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤)

سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلِّحَ بِالْهَمِّ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (٦)

القراءة

قرأ أهل البصرة و حفص «وَالَّذِينَ قُتِلُوا» على ما لم يسم فاعله و الباكون قاتلوا بالألف.

الحج

قال أبو علي قاتلوا أعم من قتلوا ألا ترى أن من قاتل و لم يقتل لن يضل عمله كما أن الذي قتل كذلك فهو لعمومه أولى.

اللغة

البال الحال و الشأن و البال القلب أيضا يقال خطر ببالى كذا و البال لا يجمع لأنه أبهم أخواته من الحال و الشأن. و الإثخان إكثار القتل و غلبه العدو و قهرهم و منه أثخنه المرض اشتد عليه و أثخنه الجراح و الوثاق اسم من الإيثاق و يقال أوثقه إيثاقا و وثاقا إذا اشتد أسره كيلا يفك و الأوزار السلاح و أصل الوزر ما يحمله الإنسان فسمى السلاح أوزارا لأنه يحمل قال الأعشى:

و أعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا و خيلا ذكورا

و من نسج داود يحدو بها على أثر الحى عيرا فعيرا

ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك و يجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره ذلك كائن فضرب الرقاب مصدر فعل محذوف تقديره فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل و أضيف المصدر إلى المفعول و هذه الإضافة فى تقدير الانفصال لأن تقديره فضربا الرقاب قال الشاعر:

"فندلا زريق المال ندل الثعالب"

و كذلك قوله «مَنَّا» و «فِدَاءً» تقديره فإما تمنون منا و إما تفدون فداء.

المعنى

«الَّذِينَ كَفَرُوا» بتوحيد الله و عبدوا معه غيره «وَصِيدُوا» الناس «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى عن سبيل الإيمان و الإسلام باستدعائهم إلى تكذيب النبى ص يعنى مشركى العرب «أَصْلًا أَعْمَالُهُمْ» أى أحبط الله أعمالهم التى كان فى زعمهم أنها قربه و أنها تنفعهم كالعق و الصدقة و قرى الضيف و المعنى أذهبها و أبطلها حتى كأنها لم تكن إذ لم يروا لها فى الآخرة ثوبا و قيل نزلت فى المطعمين بيدرو و كانوا عشره أنفس أطعم كل واحد منهم الجند يوما «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى صدقوا بتوحيد الله و أضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة «وَأَمَّنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» من القرآن و العبادات خص الإيمان بمحمد ص بالذكر مع دخوله فى الأصول تشريفا له و تعظيما و لثلا يقول أهل الكتاب نحن آمننا بالله و بأنبيائنا و كتبنا «وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ» أى و ما نزل على محمد ص هو الحق من ربهم لأنه ناسخ للشرائع و الناسخ هو الحق و قيل معناه و محمد الحق من ربهم دون ما يزعمون من أنه سيخرج فى آخر الزمان نبى من العرب فليس هذا هو فرد الله ذلك عليهم «كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أى سترها عنهم بأن غفرها لهم يعنى غفر سيئاتهم المتقدمة بإيمانهم و حكم بإسقاط المستحق عليها من العقاب «وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ» أى أصلح حالهم فى معاشهم و أمر دنياهم عن قتاده و قيل أصلح أمر دينهم و دنياهم بأن نصرهم على أعدائهم فى الدنيا و يدخلهم الجنة فى العقبى ثم بين سبحانه لم فعل ذلك و لم قسمهم هذين القسمين فقال «ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ» أى ذلك الإضلال و الإصلاح باتباع الكافرين الشرك و عبادة الشيطان و اتباع المؤمنين التوحيد و القرآن و ما أمر الله سبحانه باتباعه «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ» أى كالبيان الذى ذكرنا بين الله سبحانه للناس أمثال حسنة المؤمنين و سيئات الكافرين فإن معنى قول القائل ضربت لك مثلا بينت لك ضربا من الأمثال عن الزجاج و قيل أراد به المثل المقرون به فجعل الكافر فى اتباعه الباطل كمن دعاه الباطل إلى نفسه فأجابه و المؤمن كمن دعاه الحق إلى نفسه فأجابه و قيل معناه كما بينت عاقبه الكافر و المؤمن و جزاء كل واحد منهما أضرب للناس أمثالا يستدلون بها فيزيدهم علما و وعظا و أضاف المثل إليهم لأنه مجعول لهم ثم أمر سبحانه بقتال الكفار فقال «فَإِذَا

لَقِيْتُمْ» معاشر المؤمنين «الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى أهل دار الحرب «فَضْرَبَ الرَّقَابِ» أى فاضربوا رقابهم و المعنى اقتلوهم لأن أكثر مواضع القتل ضرب العنق و إن كان يجوز الضرب فى سائر المواضع فإن الغرض قتلهم «حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ» أى أثقلتموهم بالجراح و ظفرتهم بهم و قيل حتى إذا بالغتم فى قتلهم و أكثرتم القتل حتى ضعفوا «فَشُدُّوا الْوُثَاقَ» أى أحكموا وثاقهم فى الأسر. أمر سبحانه بقتلهم و الإثخان فيهم ليدلوا فإذا ذلوا بالقتل أسروا فالأسر يكون بعد المبالغة فى القتل كما قال سبحانه ما كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ «فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِذَا فِتْنَاءُ» أى فأما أن تمنوا عليهم منا بعد أن تأسروهم فتطلقوهم بغير عوض و أما أن تفدوهم فداء و اختلف فى ذلك فقيل كان الأسر محرماً بآيه الأنفال ثم أبيح بهذه الآية لأن هذه السورة نزلت بعدها فإذا أسروا فالإمام مخير بين المن و الفداء بأسارى المسلمين و بالمال و بين القتل و الاستعباد و هو قول الشافعى و أبى يوسف و محمد بن إسحاق و قيل أن الإمام مخير بين المن و الفداء و الاستعباد و ليس له القتل بعد الأسر عن الحسن و كأنه جعل فى الآية تقديمًا و تأخيراً تقديره فاضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها ثم قال حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد و إما فداء و قيل أن حكم الآية منسوخ بقوله فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ و بقوله فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ عَنِ الْقِتَادَةِ و السدى و ابن جريج و قال ابن عباس و الضحاك الفداء منسوخ و قيل أن حكم الآية ثابت غير منسوخ عن ابن عمر و الحسن و عطاء قالوا لأن النبى ص من على أبى غره و قتل عقبه بن أبى معيط و فادى أسارى بدر و

المروى عن أئمة الهدى صلوات الرحمن عليهم أن الأسارى ضربان ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال و الحرب قائمه فهؤلاء يكون الإمام مخيراً بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و يتركهم حتى ينزفوا و لا يجوز المن و لا الفداء.

و الضرب الآخر الذين يؤخذون بعد أن وضعت الحرب أوزارها و انقضى القتال فالإمام مخير فيهم بين المن و الفداء إما بالمال أو بالنفس و بين الاسترقاق و ضرب الرقاب فإذا أسلموا فى الحالين سقط جميع ذلك و كان حكمهم حكم المسلمين

«حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا» أى حتى يضع أهل الحرب أسلحتهم فلا- يقاتلون و قيل حتى لا يبقى أحد من المشركين عن ابن عباس و قيل حتى لا- يبقى دين غير دين الإسلام عن مجاهد و المعنى حتى تضع حربكم و قتالكم أوزار المشركين و قبائح أعمالهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الأديان و لا تعبد الأوثان و هذا كما

جاء فى الحديث و الجهاد ماض مذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال

و قال الفراء المعنى حتى لا- يبقى إلا- مسلم أو مسالم و قال الزجاج أى اقتلوهم و أسروهم حتى يؤمنوا فما دام الكفر فالحرب قائمه أبدا «ذَلِكَ» أى الأمر الذى ذكرنا «وَلَوْ

يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصِرَ مِنْهُمْ» أى من الكفار ياهلاكهم و تعذيبهم بما شاء «وَلَكِنْ» يأمركم بالحرب و بذل الأرواح فى إحياء الدين «لِيُنَالُوا بَعْضَ كُمْ بِبَعْضٍ» أى ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من العاصى و المعنى أنه لو كان الغرض زوال الكفر فقط لأهلك الله سبحانه الكفار بما يشاء من أنواع الهلاك و لكن أراد مع ذلك أن يستحقوا الثواب و ذلك لا يحصل إلا بالتعبد و تحمل المشاق «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى الجهاد فى دين الله يوم أحد عن قتاده و من قرأ قاتلوا فالمعنى جاهدوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا «فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ» أى لن يضيع الله أعمالهم و لن يهلكها بل يقبلها و يجازيهم عليها ثوابا دائما «سَيَهْدِيهِمْ» إلى طريق الجنة و الثواب «وَيُضِلِّحُ بِالْهَمِّ» أى شأنهم و حالهم و الوجه فى تكرير قوله «بِالْهَمِّ» أن المراد بالأول أنه أصلح بالهم فى الدين و الدنيا و بالثانى أنه يصلح حالهم فى نعيم العقبى فالأول سبب النعيم و الثانى نفس النعيم «وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» أى بينها لهم حتى عرفوها إذا دخلوها و تفرقوا إلى منازلهم فكانوا أعرف بها من أهل الجمع إذا انصرفوا إلى منازلهم عن سعيد بن جبیر و أبى سعيد الخدرى و قتاده و مجاهد و ابن زيد و قيل معناه بينها لهم و أعلمهم بوصفها على ما يشوق إليها فيرغبون فيها و يسعون لها عن الجبائى و قيل معناه طيبها لهم عن ابن عباس فى روايه عطاء من العرف و هو الرائحة الطيبة يقال طعم معرف أى مطيب.

[سوره محمد (٤٧): الآيات ٧ الى ١٠]

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصِرُوا اللَّهَ يَنْصِرْكُمْ وَ يُبَيِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْيَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)

اللغه

التعس الانحطاط و العثار و الإتعاس و الإزلال و الإدحاض بمعنى و هو العثار الذى لا يستقل صاحبه فإذا سقط الساقط فأريد به الانتعاش و الاستقامه قيل لعا له و إذا لم يرد

ص: ١٤٩

ذلك قيل تعسا قال الأعشى:

"فالتعس أولى لها من أن أقول لعا".

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ» أى إن تنصروا دين الله و نبي الله بالقتال و الجهاد «يَنصُرْكُمْ» على عدوكم «وَيُجِبَّتْ أقدامكم» أى يشجعكم و يقو قلوبكم لتثبتوا و قيل ينصركم فى الآخرة و يثبت أقدامكم عند الحساب و على الصراط و قيل ينصركم فى الدنيا و الآخرة و يثبت أقدامكم فى الدارين و هو الوجه قال قتاده حق على الله أن ينصر من نصره لقوله «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ» و أن يزيد من شكره لقوله «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» و أن يذكر من ذكره لقوله «فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ» و أن يوفى بعهد من أقام على عهده لقوله «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ» «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ» أى مكروها لهم و سوءا عن المبرد أى أتعسهم الله فتعسا قال ابن عباس يريد فى الدنيا العسره و فى الآخرة التردى فى النار «وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» مر معناه «ذَلِكَ» التعس و الإضلال «بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» على نبيه ص من القرآن و الأحكام و أمرهم بالانقياد فخالفوا ذلك و

قال أبو جعفر (عليه السلام) «كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» فى حق على (عليه السلام) «فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» لأنها لم تقع على الوجه المأمور به

ثم نبههم سبحانه على الاستدلال على صحه ما دعاهم إليه من التوحيد و إخلاص العباده لله فقال «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» حين أرسل الله إليهم الرسل فدعوههم إلى توحيد و إخلاص العباده له فلم يقبلوا منهم و عصوهم أى فهلا-ساروا و رأوا عواقب أولئك «دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أى أهلكتهم ثم قال «وَ لِلْكَافِرِينَ» بك يا محمد «أَمْثَالُهَا» من العذاب إن لم يؤمنوا و يقبلوا ما تدعوههم إليه و المعنى أنهم يستحقون أمثالها و إنما يؤخر الله سبحانه عذابهم إلى الآخرة تفضلا منه.

اشاره

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرَبِيهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)

القراءة

قرأ ابن كثير أسن مقصورا و الباقون «آسِن» بالمد و

قرأ على (عليه السلام) و ابن عباس أمثال الجنة على الجمع.

الحجّه

قال أبو زيد يقال أسن الماء يأسن أسونا إذا تغير و أسن الرجل يأسن أسنا إذا غشى عليه من ريح خبيثه و ربما مات منها قال:

التارك القرن مصفرا أنامله تميل فى الرمح ميل المائح الأسن

قال أبو عبيده الأسن المتغير فحجه ابن كثير أن اسم الفاعل من فعل يفعل على فعل و قال أبو الحسن أسن إنما هو للحال التى تكون عليها و من قرأ «آسِن» على فاعل فإنما يريد أن ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل و قوله أمثال الجنة فيه دليل على أن القراءة العامه التى هى مثل فى معنى الكثره لما فيه من معنى المصدريه.

اللغه

المثوى المنزل من قولهم ثوى بالمكان ثواء إذا أقام به و يقال للمرأة أم المثوى

أى ربه المنزل و المثل و المثل بمعنى مثل الشبه و الشبه و البدل و البدل و الأمعاء جمع معى و

فى الحديث المؤمن يأكل فى معى واحد و الكافر يأكل فى سبعة أمعاء

و فيه وجوه من التأويل (أحدها) أنه قال على (عليه السلام) فى رجل معين (و الثانى) أن المعنى يأكل المؤمن فىسمى الله تعالى فىبارك فى أكله (و الثالث) أن المؤمن يضيق عليه فى الدنيا و الكافر يصيب منها (و الرابع) أنه مثل لزهة المؤمن فى الدنيا و حرص الكافر عليها و هذا أحسن الوجوه.

الإعراب

قال الزجاج «مَثَلُ الْجَنَّةِ» مبتدأ و خبره محذوف تقديره مثل الجنة التى وعد المتقون مما قد عرفتموه من الدنيا جنه فيها أنهار إلى آخره و قوله «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» تقديره أ فمن كان على بينه من ربه و أعطى هذه الأشياء كمن زين له سوء عمله و هو خالد فى النار.

المعنى

ثم قال سبحانه «ذَلِكَ» أى الذى فعلناه فى الفريقين «بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا» يتولى نصرهم و حفظهم و يدفع عنهم «وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ» ينصرهم و لا أحد يدفع عنهم لا عاجلا و لا آجلا ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أشجارها و أنبتها «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ» أى سيرتهم سيره الأنعام آثرو لذات الدنيا و شهواتها و أعرضوا عن العبر يأكلون للشبع و يتمتعون لقضاء الوطر «وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» أى موضع مقامهم يقيمون فيها ثم خوفهم و هددهم سبحانه فقال «وَ كَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ» يا محمد معنى مكة «الَّتِي أَخْرَجْتِكَ» أى أخرجك أهلها و المعنى كم من رجال هم أشد من أهل مكة و لهذا قال «أَهْلَكْنَاهُمْ» فكنى عن الرجال عن ابن عباس «فَلَا ناصِرَ لَهُمْ» يدفع عنهم إهلاكنا إياهم و المعنى فمن الذى يؤمن هؤلاء أن أفعل بهم مثل ذلك ثم قال سبحانه على وجه التهجين و التوبيخ للكفار و المنافقين «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ» أى على يقين من دينه و على حجه واضحة من اعتقاده فى التوحيد و الشرائع «كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ» زين له الشيطان المعاصى و أغواه

«وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» أى شهواتهم و ما تدعوهم إليه طباعهم و هو وصف لمن زين له سوء عمله و هم المشركون و قيل هم المنافقون عن ابن زيد و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

ثم وصف الجنات التى وعدا المؤمنين بقوله «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ» تقدم تفسيره فى سورة الرعد «فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ» أى غير متغير لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا

«وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ» فهو غير حامض و لا قارص و لا يعترية شىء من العوارض التى تصيب الألبان فى الدنيا «وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ» أى لذيده يلتذون بشربها و لا يتأذون بها و لا بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التى لا تخلو من المزازه و السكر و الصداع «وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى» أى خالص من الشمع و الرغوه و القذى و من جميع الأذى و العيوب التى تكون لعسل الدنيا «وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» أى مما يعرفون اسمها و مما لا يعرفون اسمها ميرأه من كل مكروه يكون لثمرات الدنيا «وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ» أى و لهم مع هذا مغفره من ربهم و هو أنه يستر ذنوبهم و ينسيهم سيئاتهم حتى لا يتنغص عليهم نعيم الجنة «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» أى من كان فى هذه النعيم كمن هو خالد فى النار «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا» شديد الحر «فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» إذا دخل أجوافهم و قيل أن قوله «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» معطوف على قوله «كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ» أى كمن زين له سوء عمله و من هو خالد فى النار فحذف الواو كما يقال قصدنى فلان شتمنى ظلمنى.

ص: ١٥٣

إشارة

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مُتَوَكِّمًا (١٩) وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَأِذَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ (٢٠)

القراءة

روى فى بعض الروايات عن ابن كثير أنفا بالقصر و القراءة المشهورة «آنفا» بالمد.

الحجج

قال أبو على أنشد أبو زيد:

وجدنا آل مره حين خفنا جريرتنا هم الأنف الكراما

و يسرح جارهم من حيث يمسى كان عليه مؤتفا حراما

أى كان عليه حرمة شهر مؤتف حرام فحذف و الأنف الذين يأنفون من احتمال الضيم قال أبو على فإذا كان كذلك فقد جمع فعل على فعل لأن واحد أنف بدلاله قول الشاعر:

و حمال المئين إذا ألت بنا الحدثان و الأنف النصور

و ليس الأنف و الأنف فى البيتين مما فى الآيه فى شىء لأن ما فى الشعر من الأنفه و ما فى الآيه من الابتداء و لم يسمع أنف فى معنى ابتداء و يجوز أن يكون توهمه ابن كثير مثل حاذر و حذر و فاكه و فكه و الوجه المد و الأنف الجائى من الائتلاف و هو الابتداء فقوله «آنفا» أى فى أول وقت يقرب منا.

اللغة

الأهواء جمع الهوى و هو شهوه النفس يقال هوى يهوى هوى فهو هو و استهواه هذا الأمر أى دعاه إلى الهوى و الأشراف العلامات و أشرط فلان نفسه للأمر إذا أعلمها بعلامه قال أوس بن حجر:

فأشرط فيها نفسه و هو معصم و ألقى بأسباب له و توكلأ

و واحد الأشراف شرط و الشرط بالتحريك العلامة و أشراف الساعه علاماتها و الشرط

ص: ١٥٤

ترى شرط المعزى مهور نسائهم و فى شرط المعزى لهن مهور

و أصحاب الشرط سموا بذلك للبسهم لباسا يكون علامه لهم و الشرط فى البيع علامه بين المتبايعين.

المعنى

ثم بين سبحانه حال المنافقين فقال: «و مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ» أى و من الكافرين الذين تقدم ذكرهم من يستمع إلى قراءتك و دعوتك و كلامك لأن المنافق كافر «حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» يعنى الذين آتاهم الله العلم و الفهم من المؤمنين قال ابن عباس أنا ممن أوتوا العلم بالقرآن و

عن الأصمغ بن نباته عن على (عليه السلام) قال أنا كنا عند رسول الله ص فيخبرنا بالوحي فأعياه أنا و من يعيه فإذا خرجنا قالوا «ما ذا قال آنفاً»

و قولهم «ما ذا قال آنفاً» أى شىء قال الساعه و إنما قالوه استهزاء أو إظهار أنا لم نشتغل أيضا بوعيه و فهمه و قيل إنما قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه و لم يعلموا ما سمعوه و قيل بل قالوا ذلك تحقيرا لقوله أى لم يقل شيئا فيه فائده و يحتمل أيضا أن يكونوا سألوا رياء و نفاقا أى لم يذهب عنى من قوله إلا هذا فما ذا قال أعده على لأحفظه و إنما قال يستمع إليك ثم قال خرجوا من عندك لأن فى الأول رد الضمير إلى لفظه من و فى الثانى إلى معناه فإنه موحد اللفظ مجموع المعنى ثم قال «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى وسم قلوبهم بسمه الكفار أو خلى بينهم و بين اختيارهم «وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» أى شهوات نفوسهم و ما مالت إليه طباعهم دون ما قامت عليه الحجة ثم وصف سبحانه المؤمنين فقال «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا» بما سمعوا من النبى ص «زَادَهُمْ» الله أو قراءه القرآن أو النبى ص «هُدًى» و قيل زادهم استهزاء المنافقين إيماننا و علما و بصيره و تصديقا لنبیهم ص «وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ» أى وفقهم للتقوى و قيل معناه و آتاهم ثواب تقواهم عن سعيد بن جبیر و أبى على الجبائى و قيل بين لهم ما يتقون و هو ترك الرخص و الأخذ بالعزائم «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ» أى فليس ينتظرون إلا القيامة «أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» أى فجأه فقوله «أَنْ تَأْتِيَهُمْ» بدل من الساعه و تقديره إلا الساعه إتيانها بغته و المعنى إلا إتيان الساعه إياهم بغته «فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا» أى علاماتها قال ابن عباس معالمها و النبى من أشراطها و لقد قال بعثت أنا و الساعه كهاتين و قيل هى إعلامها من انشقاق القمر و الدخان و خروج النبى ص و نزول آخر الكتب عن مقاتل «فَأَنى

لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ» أى فمن أين لهم الذكر و الاعتاظ و التوبه إذا جاءتهم الساعه و موضع ذكراهم رفع مثله فى قوله «يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّى لَهُ الذُّكْرَى» أى ليس تنفعه الذكرى و الذكرى ما أمر الله سبحانه أن يتذكروا به و معناه و كيف لهم بالنجاه إذا جاءتهم الساعه فإنه لا- ينفعهم فى ذلك الوقت الإيمان و الطاعات لزوال التكليف عنهم ثم قال لنيبه ص و المراد به جميع المكلفين «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى أقم على هذا العلم و اثبت عليه و أعلم فى مستقبل عمرك ما تعلمه الآن و يدل عليه ما

روى عن النبى ص أنه قال من مات و هو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم فى الصحيح

و قيل أنه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعه فاعلم أنه لا إله إلا الله أى يبطل الملك عند ذلك فلا ملك و لا حكم لأحد إلا الله و قيل إن هذا إخبار بموته ص و المراد فاعلم أن الحى الذى لا يموت هو الله وحده و قيل أنه كان ضيق الصدر من أذى قومه فقيل له فاعلم أنه لا كاشف لذلك إلا الله «وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» الخطاب له و المراد به الأمه و إنما خوطب بذلك لتستن أمته بسنته و قيل إن المراد بذلك الانقطاع إلى الله تعالى فإن الاستغفار عباده يستحق به الثواب و

قد صح الحديث بالإسناد عن حذيفه بن اليمان قال كنت رجلا- ذرب اللسان على أهلى فقلت يا رسول الله إنى لأخشى أن يدخلنى لسانى فى النار فقال رسول الله ص فأين أنت من الاستغفار إنى لأستغفر الله فى اليوم مائه مره

«وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» أكرمهم الله سبحانه بهذا إذ أمر نبيهم أن يستغفر لذنوبهم و هو الشفيح المجاب فيهم ثم أخبر سبحانه عن علمه و أحوال الخلق و مآلهم فقال «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مُتَوَاكُم» أى متصرفكم فى أعمالكم فى الدنيا و مصيركم فى الآخرة إلى الجنة أو إلى النار عن ابن عباس و قيل يعلم متقلبكم فى أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات و متواكم أى مقامكم فى الأرض عن عكرمه و قيل متقلبكم من ظهر إلى بطن و متواكم فى القبور عن ابن كيسان و قيل يعلم متقلبكم متصرفكم فى النهار و متواكم مضجعكم بالليل و المعنى أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شىء منها ثم قال سبحانه حكايه عن المؤمنين «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ» أى هلا نزلت لأنهم كانوا يأنسون بنزول القرآن و يستوحشون لإبطائه ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم و تعبده لهم «فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً مُحْكَمَةً» ليس فيها متشابهه و لا- تأويل و قيل سوره ناسخه لما قبلها من إباحه التخفيف فى الجهاد قال قتاده كل سوره ذكر فيها الجهاد فهى محكمه و هى أشد القرآن على المنافقين قيل محكمه بوضوح

ألفاظها و على هذا فالقرآن كله محكم و قيل هي التي تتضمن نصا لم يختلف تأويله و لم يتعقبه نص و في قراءة ابن مسعود سورة محدثه أى مجدده «و ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ» أى و أوجب عليهم فى القتال و أمروا به «رَأَيْتَ» يا محمد «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك و نفاق «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» قال الزجاج يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم و ينظرون إليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص بصره عند الموت لثقل ذلك عليهم و عظمه فى نفوسهم «فَأُولَى لَهُمْ» هذا تهديد و وعيد قال الأصمعى معنى قولهم فى التهديد أولى لك وليك و قارنك ما تكره و قال قتاده معناه العقاب لهم و الوعيد لهم و على هذا يكون أولى اسما للتهديد و الوعيد و يكون أولى لهم مبتدأ و خبرا و لا ينصرف أولى لأنه على وزن الفعل و صار اسما للوعيد و قول الأصمعى أن معناه وليك ما تكره لا يريد به أن أولى فعل و إنما فسره على المعنى و قيل معناه أولى لهم طاعه الله و رسوله و قول معروف بالإجابة أى لو أطاعوا فأجابوا كانت الطاعة و الإجابة أولى لهم و هذا معنى قول ابن عباس فى روايه عطاء و اختيار الكسائى فيكون على هذا طاعه و قول معروف متصلا بما قبله و كذلك لو كانت صفه لسوره و تقديره فإذا أنزلت سوره ذات طاعه و قول معروف على ما قاله الزجاج و على القول الأول يكون طاعه مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعه و قول معروف أمثل أو أحسن أو يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أمرنا طاعه و يكون الوقف حسنا عند قوله «فَأُولَى لَهُمْ».

[سوره محمد (٤٧): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشاره

طَاعَهُ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلَى لَهُمْ (٢٥)

ص: ١٥٧

القراءة

قرأ يعقوب و سهل و تقطعوا بفتح التاء و الطاء و سكون القاف و الباقون «وَتُقَطَّعُوا» بالتشديد و ضم التاء و كسر الطاء و قرأ أهل البصرة و أملى لهم بضم الهمزة و فتح الياء و فى روايه رويس عن يعقوب بسكون الياء و قرأ الباقون «وَأَمْلى لَهُمْ» بفتح الهمزة و اللام و

روى عن النبى ص فهل عسيتم إن وليتم

و

عن على (عليه السلام) «إِنْ تَوَلَّيْتُمْ»

قال أبو حاتم معناه إن تولاكم الناس.

الحجج

حججه من قرأ و تقطعوا بالتخفيف قوله تعالى «وَيَقَطَّعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» * و التشديد للمبالغه و قوله وليتم من الولاية و فيه دلالة على أن القراءة المشهورة «تَوَلَّيْتُمْ» معناه توليتم الأمر قال أبو على قالوا انتظرتة مليا من الدهر أى متسعا منه صفة استعمل استعمال الأسماء و قالوا تمليت حبيبا أى عشت معه ملاحوه من الدهر و قالوا الملوان يريدون بهما تكرر الليل و النهار و طول مدتھما قال:

نهار و ليل دائم ملواھما على كل حال المرء يختلفان

فلو كان الليل و النهار لم يضافا إلى ضميرهما من حيث لا يضاف الشىء إلى نفسه و لكن كأنه يراد تكرر الدهر و اتساعه بهما و الضمير فى «أَمْلى لَهُمْ» لاسم الله كما قال و أَمْلى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * فمن قرأ و أملى لهم فبنى الفعل للمفعول به فإنه يحسن فى هذا الموضع للعلم بأنه لا يؤخر أحد مده أحد و لا يوسع له فيها إلا الله سبحانه.

المعنى

«طَاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» قد ذكرنا أن فيه مذهبين (أحدهما) أن يكون كلاما متصلا بما قبله و قد مر ذكره (و الآخر) أن يكون كلاما مبتدأ ثم اختلف فى تقديره على وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ثم قيل إن معناه طاعه و قول معروف أمثل و أليق من أحوال هؤلاء المنافقين و قيل معناه طاعه و قول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد عن الحسن و الوجه الآخر أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره قولوا أمرنا طاعه و قول معروف أى حسن لا ينكره السامع و هذا أمر أمر الله به المنافقين عن مجاهد و قيل هو حكاية عنهم أنهم كانوا يقولون ذلك و يقتضيه قوله «فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» «فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ» معناه فإذا جد الأمر و لزم فرض القتال و صار الأمر معزوما عليه و العزم العقيد على الأمر بالإرادة لأن يفعله فإذا عقد العزم العزم على أن يفعله قيل عزم الأمر على طريق البلاغه و جواب إذا محذوف و يدل عليه قوله «فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» و

تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا و كذبوا فيما وعدوا من أنفسهم فلو صدقوا الله فيما أمرهم به من الجهاد و امتثلوا

ص: ١٥٨

أمره لكان خيرا لهم في دينهم و دنياهم من نفاقهم «فَهَلْ عَسَيْتُمْ» يا معشر المنافقين «إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ» معناه إن توليتكم الأحكام و وليتم أى جعلتم و لانه أن تفسدوا فى الأرض بأخذ الرشاء و سفك الدم الحرام فيقتل بعضكم بعضا و يقطع بعضكم رحم بعض كما قتلت قريش بنى هاشم و قتل بعضهم بعضا و قيل إن توليتم معناه إن أعرضتم عن كتاب الله و العمل بما فيه أن تعودوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهليه فتفسدوا بقتل بعضكم بعضا قال قتاده كيف رأيتم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يسفكوا الدم الحرام و قطعوا الأرحام و عصوا الرحمن ثم ذم الله سبحانه من يريد ذلك فقال «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أى أبعدهم من رحمته «فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ» و معناه أنهم لا يعون الخبر و لا يبصرون ما به يعتبرون فكأنهم صم عمى عن أبى مسلم و قيل أنهم فى الآخرة لا يهتدون إلى الجنة بمنزله الأعمى فى الدنيا عن أبى على الجبائى و لا يجوز حمله على الصمم و العمى فى الجارحه بلا خلاف لأنهم لو كانوا كذلك لما ذموا على أنهم لا يسمعون و لا يبصرون و إنما أطلق الصمم لأنه لا يكون إلا فى الأذن و قرن العمى بالأبصار لأنه قد يكون بالبصر و بالقلب «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ» بأن يتفكروا فيه و يعتبروا به و

قيل أ فلا يتدبرون القرآن فيقضوا ما عليهم من الحق عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أبى الحسن موسى (عليه السلام)

«أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا» معنى تنكير القلوب إرادته قلوب هؤلاء و من كان مثلهم من غيرهم و فى هذا دلاله على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير شىء من ظاهر القرآن إلا بخبر و سمع و فيه تنبيه أيضا على فساد قول من يقول إن الحديث ينبغى أن يروى على ما جاء و إن كان مخالفا لأصول الديانات فى المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر و التفكير و ذلك مناف للتعامى و التجاهل ثم قال سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ» أى رجعوا عن الحق و الإيمان «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ» أى من بعد ما بان لهم طريق الحق و هم المنافقون عن ابن عباس و الضحاك و السدى كانوا يؤمنون عند النبى ص ثم يظهرون الكفر فيما بينهم فتلك رده منهم و قيل هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ص و قد عرفوه و وجدوا نعتة مكتوبا عندهم عن قتاده و ليس فى هذا دلاله على أن المؤمن قد يكفر لأنه لا يمتنع أن يكون المراد من رجع فى باطنه عن الإيمان بعد أن أظهره و قامت الحججه عنده بصحته «الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ» أى زين لهم خطاياهم عن الحسن و قيل أعطاهم سؤلهم و أمنيتهم إذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم و هواهم عن أبى مسلم «وَ أَمَلَىٰ لَهُمْ» أى طول لهم أملهم فاغرتوا به و قيل أوهمهم طول العمر مع الأمن من المكاره و أبعد لهم فى الأمل و الأمنيه.

إشارة

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَمَائِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «إِسْرَارَهُمْ» بالكسر والباقون أسرارهم بالفتح.

الحجة

قال أبو علي حجه من قرأ أسرارهم أنه لما كان مصدرا أفرد و لم يجمع و يقوى الإفراد قوله «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ» فكما أفرد السر و لم يجمع كذلك قال أسرارهم و من فتح الهمزه جعله جمع سر فكأنه جمع لاختلاف ضروب السر و جميع الأجناس يحسن جمعها مع الاختلاف و قد جاء سرهم في قوله «يَعْلَمُ سِرَّهُمْ» على ما عليه معظم المصادر لأنه يتناول جميع ضروبه فأفرد مره و جمع أخرى.

اللغة

الأضغان جمع الضغن و هو الحقد و اللحن أصله إزالة الكلام عن جهته ثم أنه يستعمل على وجهين في الصواب و الخطأ أما في الصواب فمعناه الكناية عن الشىء و العدول عن الإفصاح عنه قال الشاعر:

و لقد وحيت لكم لكيلا تفتنوا و لحت لحننا ليس بالمرتاب

و قيل اللحن هى الفطنه و سرعه الفهم و الفاعل منه لحن يلحن فهو لحن إذا فطن و منه

الحديث لعل أحدكم يكون ألحن بحجته من بعض

أى أفطن لها و أغرض بها و منه قول الشاعر:

منطق صائب و تلحن أحيانا و خير الحديث ما كان لحنا

و إنما يسمى التعريض لحنا لأنه ذهاب بالكلام إلى خلاف جهته و منه قول عمر تعلموا اللحن كما تتعلمون القرآن و أما في الخطأ فإن اللحن إزالة الإعراب عن جهته و الفعل منه

المعنى

ثم بين سبحانه سبب استيلاء الشيطان عليهم فقال «ذَلِكَ» أى التسويل والإملاء «بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ» من القرآن و ما فيه من الأمر والنهى والأحكام و

المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهم بنو أميه كرهوا ما نزل الله فى ولايه على بن أبى طالب (عليه السلام)

«سَيَنْطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ» أى نعمل بعض ما تريدونه «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ» أى ما أسره بعضهم إلى بعض من القول و ما أسروه فى أنفسهم من الاعتقاد «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ» أى فكيف حالهم إذا قبضت الملائكه أرواحهم وإنما حذف تفخيما لشأن ما ينزل بهم فى ذلك الوقت «يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ» على وجه العقوبه لهم ثم ذكر الله سبحانه سبب نزول ذلك الضرب فقال «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ» من المعاصى التى يكرهها الله و يعاقب عليها «وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ» أى سبب رضوانه من الإيمان و طاعه الرسول «فَأَخَيَطَ» الله «أَعْمَالَهُمْ» التى كانوا يعملونها من صلاه و صدقه و غير ذلك لأنها فى غير إيمان ثم قال سبحانه «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ» أى أحقادهم على المؤمنين و لا يبدى عوراتهم للنبي ص «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ» بأعيانهم يا محمد حتى تعرفهم و هو قوله «فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَيِّمَاهُمْ» أى بعلاماتهم التى نصبها لك لكى تعرفهم بها «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» أى و تعرفهم الآن فى فحوى كلامهم و معناه و مقصده و مغزاه لأن كلام الإنسان يدل على ما فى ضميره و عن أبى سعيد الخدرى قال لحن القول بغضهم على بن أبى طالب (عليه السلام) قال و كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ص ببغضهم على بن أبى طالب (عليه السلام) و روى مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصارى و عن عباده بن الصامت قال كنا نبور أولادنا يجب على (عليه السلام) فإذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا أنه لغير رشده و قال أنس ما خفى منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآيه «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ» ظاهرها و باطنها.

اشاره

وَ لَنْبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ شَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ سَيُحِبُّ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)

القراءة

قرأ أبو بكر و ليلونكم و ما بعده بالياء و هو المروى عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)

و الباقر بالنون و قرأ يعقوب و نبلو ساكنه الواو.

الحجه

قال أبو علي وجه الياء إن قبله و الله يعلم أعمالكم و اسم الغيبة أقرب إليه من لفظ الجمع فحمل على الأقرب و وجه النون قوله «وَ لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ».

اللغة

يقال وتره يتره و ترا إذا نقصه و منه

الحديث فكأنه وتر أهله و ماله

و أصله القطع و منه التره القطع بالقتل و منه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره.

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَ لَنْبَلُونَكُمْ» أى نعاملكم معاملة المختبر بما نكلفكم به من الأمور الشاقة «حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ» أى حتى يتميز المجاهدون فى سبيل الله من جملتكم و الصابرون على الجهاد و قيل معناه حتى يعلم أولياؤنا المجاهدين منكم و أضافه إلى نفسه تعظيما لهم و تشريفا كما قال إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أَى يُؤْذُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَ قِيلَ معناه حتى نعلم جهادكم موجودا لأن الغرض أن تفعلوا الجهاد فيشيكم على ذلك «وَ نَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ» أى نختبر أسراركم بما تستقبلونه من أفعالكم «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى امتنعوا عن اتباع دين الله و منعوا غيرهم من اتباعه تاره و بالإغواء أخرى «وَ شَاقُّوا الرَّسُولَ» أى عاندوه و عادوه «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى» أى من بعد ما ظهر لهم أنه الحق و عرفوا أنه رسول الله ص «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ» بذلك «شَيْئًا» و إنما ضرروا أنفسهم «وَ سَيُحِبُّ» الله «أَعْمَالَهُمْ» فلا يرون لها فى الآخرة ثوبا و فى هذه الآية دلالة على أن هؤلاء الكفار كانوا قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه فلم يقبلوه

عنادا و هم المنافقون و قيل أنهم أهل الكتاب ظهر لهم أمر النبي ص فلم يقبلوه و قيل هم رؤساء الضلالة جحدوا الهدى طلبا للجاه و الرياسة لأن العناد يضاف إلى الخواص «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ» بتوحيده «وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ» بتصديقه و قيل أطيعوا الله فى حرمه الرسول و أطيعوا الرسول فى تعظيم أمر الله «وَ لَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ» بالشك و النفاق عن عطاء و قيل بالرياء و السمعه عن الكلبى و قيل بالمعاصى و الكبائر عن الحسن «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ» مضى معناه «ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» أى أصروا على الكفر حتى ماتوا على كفرهم «فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» أبدا لأن لفظ لن للتأيد «فَلَا تَهِنُوا» أى فلا تتوانوا و لا تضعفوا عن القتال «وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ» أى و لا تدعوا الكفار إلى المسالمة و المصالحة «وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أى و أنتم القاهرون الغالبون عن مجاهد و قيل إن الواو للحال أى لا تدعوهم إلى الصلح فى الحال التى تكون الغلبه لكم فيها و قيل إنه ابتداء إخبار من الله عن حال المؤمنين أنهم الأعلون يدا و منزله آخر الأمر و إن غلبوا فى بعض الأحوال «وَ اللَّهُ مَعَكُمْ» أى بالنصره على عدوكم «وَ لَنْ يَتْرُكُمُ أَعْمَالَكُمْ» أى لن ينتصمكم شيئا من ثوابها بل يثيبكم عليها و يزيدكم من فضله عن مجاهد و قيل معناه لن يظلمكم عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد.

[سوره محمد (٤٧): الآيات ٣٦ الى ٣٨]

إشارة

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ إِن تُوْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَ لَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِن يَسْئَلْكُمْ هَا فَيُخْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَ يُخْرِجْ أَمْوَالَكُمْ (٣٧) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَ مَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ وَ اللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَ إِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)

القراءة

فى بعض الروايات عن أبى عمرو و يخرج بالرفع و المشهور عنه و عن الجميع «وَ يُخْرِجْ» بالجزم.

ص: ١٦٣

و هذا يكون على استئناف الكلام أى و هو يخرج أضغانكم على كل حال.

اللغة

الإحفاء الإلحاح فى السؤال حتى ينتهى إلى مثل الحفاء و المشى بغير حذاء يقال أحفاه بالمسأله يحفيه إحفاء و قيل الإحفاء بالمسأله الألفاف فيها عن أبى مسلم و البخل هو منع الواجب و قيل هو منع النفع الذى هو أولى فى العقل عن على بن عيسى.

الإعراب

إِنْ يَشِيءُ تَلْكَمُوهَا فَيُخْفِكُمْ إنما قدم المخاطب على الغائب لأن الابتداء بالأقرب مع أنه المفعول الأول أولى و تقول أن يسألها جماعتكم لأنه غائب مع غائب فالمتصل أولى بأن يلى الفعل من المنفصل و قال «ها أنتم هؤلاء» كرر التنبيه فى الموضوعين للتأكيد و أنتم مبتدأ و هؤلاء بدل منه و تدعون خبر المبتدأ.

المعنى

ثم حض الله سبحانه على طلب الآخرة فقال «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ» أى سريعه الفناء و الانقضاء و من اختار الفانى على الباقي كان جاهلا و منقوصا قال الحسن الذى خلقها هو أعلم بها «وَ إِنْ تُوْمِنُوا» بالله و رسوله «وَ تَتَّقُوا» معاصيه «يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ» أى جزاء أعمالكم فى الآخرة «وَ لَا يَشِيءُ تَلْكَمُوهَا أَمْوَالِكُمْ» كلها فى الصدقه و أن أوجب عليكم الزكاه فى بعض أموالكم عن سفيان بن عيينه و الجبائى و قيل لا- يسألكم أموالكم لأن الأموال كلها لله فهو أملك لها و هو المنعم بإعطائها و قيل لا يسألكم الرسول على أداء رساله أموالكم أن تدفعوها إليه «إِنْ يَشِيءُ تَلْكَمُوهَا فَيُخْفِكُمْ» أى يجهدكم بمسأله جميعها «تَبْخَلُوا» بها فلا تعطوها أى إن يستلکم جميع ما فى أيديكم تبخلوا و قيل فيخفكم أى فليطف فى السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل عن أبى مسلم «وَ يُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ» أى و يظهر بغضكم و عداوتكم لله و رسوله و لكنه فرض عليكم ربع العشر قال قتاده علم الله أن فى مسأله الأموال خروج الأضغان و هى الأحقاد التى فى القلوب و العداوات الباطنه «ها أنتم هؤلاء تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى ما فرض عليهم فى أموالهم أى إنما تؤمرون بإخراج ذلك و إنفاقه فى طاعه الله «فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ» بما فرض عليه من الزكاه «وَ مَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ» لأنه يحرمها مثوبه جسيمه و يلزمها عقوبه عظيمه و هذه إشاره إلى أن معطى المال أحوج إليه من الفقير الآخذ فبخله بخل على نفسه و ذلك أشد البخل قال مقاتل إنما يبخل بالخير و الفضل فى الآخرة عن نفسه و قيل معناه فإنما يبخل بداع عن نفسه يدعوه إلى البخل فإن الله تعالى نهى عن البخل و ذمه فلا يكون البخل بداع من جهته «وَ اللَّهُ الْعَزِيزُ» عما عندكم من الأموال «وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ» إلى ما عند الله من الخير و الرحمه أى لا يأمركم بالإنفاق لحاجته و لكن لتنتفعوا به فى الآخرة «وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا» أى تعرضوا عن طاعته و عن أمر رسوله

«يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ» أمثل و أطوع لله منكم «ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ» بل يكونوا خيرا منكم و أطوع لله و

روى أبو هريره أن ناسا من أصحاب رسول الله ص قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه و كان سلمان إلى جنب رسول الله ص فضرب يده على فخذ سلمان فقال هذا و قومه و الذى نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس

و

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إن تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوما غيركم يعنى الموالى

و

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قد و الله أبدل بهم خيرا منهم الموالى.

ص: ١٦٥

اشاره

عدد آياتها

تسع و عشرون آيه بالإجماع

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأها فكأنما شهد مع محمد ص فتح مكه

و

في روايه أخرى فكأنما كان مع من بايع محمدا ص تحت الشجره

عمر بن الخطاب قال كنا مع رسول الله ص في سفر فقال نزلت على البارحه سوره هي أحب إلى من الدنيا و ما فيها «إِنَّا فَتَحْنَا» إلى قوله «وَمَا تَأَخَّرَ» أورده البخارى في الصحيح.

قتاده عن أنس قال لما رجعنا من غزوه الحديبيه و قد حيل بيننا و بين نسكنا فنحن بين الحزن و الكآبه إذ أنزل الله عز و جل «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» فقال رسول الله ص لقد أنزلت على آيه هي أحب إلى من الدنيا كلها

عبد الله بن مسعود قال أقبل رسول الله ص من الحديبيه فجعلت ناقته تثقل فتقدمنا فأنزل الله عليه «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» فأدر كنا رسول الله ص و به من السرور ما شاء الله فأخبر أنها أنزلت عليه.

عبد الله بن بكير عن أبيه قال قال أبو عبد الله (عليه السلام) حصنوا أموالكم و نساءكم و ما ملكت أيمانكم من التلف بقراءه إنا فتحنا فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق أنت من عبادى المخلصين ألحقوه بالصالحين من عبادى فأسكنوه جنات النعيم و اسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور.

تفسيرها

ختم الله تلك السوره بقوله «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ» و من غناه أنه فتح لنبيه ص ما احتاج إليه فى دينه و دنياه فقال:

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَ يُنْصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)

لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥)

اللغه

الفتح ضد الأغلاق و هو الأصل ثم استعمل في مواضع فمنها الحكم و القضاء و يسمى الحاكم فتاحا و الفتاحه الحكومه و منها النصر و الاستفتاح الاستنصار و منها فتح البلدان و منها العلم و قوله وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ مِنْ ذَلِكَ.

المعنى

«إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» أى قضينا لك قضاء ظاهرا عن قتاده و قيل معناه يسرنا لك يسرا بينا عن مقاتل و قيل معناه أعلمناك علما ظاهرا فيما أنزلناه عليك من القرآن و أخبرناك به من الدين و قيل معناه أرشدناك إلى الإسلام و فتحنا لك أمر الدين عن الزجاج ثم اختلف فى هذا الفتح على وجوه (أحدها) أن المراد به فتح مكة و عدها الله ذلك عام الحديبيه عند انكفائه منها عن أنس و قتاده و جماعه من المفسرين قال قتاده نزلت هذه الآية عند مرجع النبي ص من الحديبيه بشر فى ذلك الوقت بفتح مكة و تقديره إنا فتحنا لك مكة أى قضينا لك بالنصر على أهلها و عن جابر قال ما كنا نعلم فتح مكة إلا يوم الحديبيه (و ثانيها) إن المراد بالفتح هنا صلح الحديبيه و كان فتحا بغير قتال قال الفراء الفتح قد يكون صلحا و معنى الفتح فى اللغه فتح المنغلق و الصلح الذى حصل مع المشركين بالحديبيه كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله و قال الزهرى لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبيه و ذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام فى قلوبهم و أسلم فى ثلاث سنين خلق كثير فكثرت بهم سواد الإسلام و قال الشعبى بويع بالحديبيه و ذلك بيعه الرضوان

و أطعم نخيل خيبر و ظهرت الروم على فارس و فرح المسلمون بظهور أهل الكتاب و هم الروم على المجوس إذ كان فيه مصداق قول الله تعالى إنهم سيغلبون و «يَبْلُغُ الْهَيْدَى مَحَلَّهُ» و الحديدية بئر روى أنه نفذ ماؤها فظهر فيها من أعلام النبوه ما اشتهرت به الروايات قال البراء بن عازب تعدون أنتم الفتح فتح مكه و قد كان فتح مكه فتحا و نحن نعد الفتح بيعه الرضوان يوم الحديدية كنا مع النبي ص أربع عشره مائه و الحديدية بئر فنزحناها فما ترك منها قطره فبلغ ذلك إلى النبي ص فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض و دعا ثم صبه فيها و تركها ثم إنها أصدرتنا نحن و ركابنا و فى حديث سلمه بن الأكواع إما دعا و إما بزق فيها فجاشت فسقينا و أسقينا و

عن محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهرى عن عروه بن الزبير عن المسور بن مخرمه أن رسول الله ص خرج لزياره البيت لا يريد حربا فذكر الحديث إلى أن قال رسول الله ص انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالواذى ماء فأخرج رسول الله ص من كنانته سهما فأعطاه رجلا من أصحابه فقال له أنزل فى بعض هذه القلب فأغرزه فى جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن

و عن عروه و ذكر خروج النبي ص قال و خرجت قريش من مكه فسبقوه إلى بلدح و إلى الماء فنزلوا عليه فلما رأى رسول الله ص أنه قد سبق نزل على الحديدية و ذلك فى حر شديد و ليس فيها إلا بئر واحده فأشفق القوم من الظمأ و القوم كثير فنزل فيها رجال يمتحنونها و دعا رسول الله ص بدلوا من ماء فتوضأ و مضمض فاه ثم مج فيه و أمر أن يصب فى البئر و نزع سهما من كنانته و ألقاه فى البئر فدعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها و هم جلوس على شفتها

و روى سالم بن أبى الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يوم الشجره قال كنا ألفا و خمسمائه و ذكر عطشا أصابهم قال فأتى رسول الله ص بماء فى تور فوضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنه العيون قال فشربنا وسعنا و كفانا قال قلت كم كنتم قال لو كنا مائه ألف كفانا كنا ألفا و خمسمائه

(و ثالثها) أن المراد بالفتح هنا فتح خيبر عن مجاهد و العوفى و روى عن مجمع بن حارثه الأنصارى كان أحد القراء قال شهدنا الحديدية مع رسول الله ص فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزءون الأباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا أوحى إلى رسول الله ص فخرجنا نوجف فوجدنا النبي ص واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس إليه قرأ «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» السوره فقال عمر أفتح هو يا رسول الله قال نعم و الذى نفسى بيده إنه لفتح فقسمت خيبر على أهل الحديدية لم يدخل فيها أحد إلا من

شهدها (و رابعها) أن الفتح الظفر على الأعداء كلهم بالحجج و المعجزات الظاهرة و إعلاء كلمه الإسلام «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ» قد قيل فيه أقوال كلها غير موافق لما يذهب إليه أصحابنا أن الأنبياء معصومون من الذنوب كلها صغيرها و كبيرها قبل النبوه و بعدها (فمنها) أنهم قالوا معناه ما تقدم من معاصيك قبل النبوه و ما تأخر عنها (و منها) قولهم ما تقدم الفتح و ما تأخر عنه (و منها) قولهم ما وقع و ما لم يقع على الوعد بأنه يغفره له إذا وقع (و منها) قولهم ما تقدم من ذنب أبويك آدم و حواء ببركتك و ما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك و الكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا ص و من حمل ذلك على الصغائر التي تقع محبطه عندهم فالذي يبطل قولهم إن الصغائر إذا سقط عقابها وقعت مكفره فكيف يجوز أن يمن الله سبحانه على نبيه ص بأن يغفرها له و إنما يصح الامتنان و التفضل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به لا بما لو عاقب به لكان ظالما عندهم فوضح فساد قولهم و لأصحابنا فيه وجهان من التأويل (أحدهما) أن المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك و ما تأخر بشفاعتك و أراد بذكر التقدم و التأخر ما تقدم زمانه و ما تأخر كما يقول القائل لغيره صفحت عن السالف و الآنف من ذنوبك و حسنت إضافة ذنوب أمته إليه للاتصال و السبب بينه و بين أمته و يؤيد هذا الجواب

ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال سأله رجل عن هذه الآية فقال و الله ما كان له ذنب و لكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعه على (عليه السلام) ما تقدم من ذنوبهم و ما تأخر

و روى عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) عن قول الله سبحانه «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ» قال ما كان له ذنب و لا هم بذنب و لكن الله حملة ذنوب شيعته ثم غفرها له

(و الثاني) ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن الذنب مصدر و المصدر يجوز إضافته إلى الفاعل و المفعول معا فيكون هنا مضافا إلى المفعول و المراد ما تقدم من ذنوبهم إليك في منعهم إياك عن مكه و صدهم لك عن المسجد الحرام و يكون معنى المغفره على هذا التأويل الإزالة و النسخ لأحكام أعدائه من المشركين عليه أى يزيل الله تعالى ذلك عنك و يستر عليك تلك الوصمه بما يفتح لك من مكه فستدخلها فيما بعد و لذلك جعله جزاء على جهاده و غرضا في الفتح و وجهها له قال و لو أنه أراد مغفره ذنوبه لم يكن قوله «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ» معنى معقول لأن المغفره للذنوب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضا فيه و أما قوله «مَا تَقَدَّمَ» و «مَا تَأَخَّرَ» فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك و بقومك و قيل أيضا في ذلك وجوه آخر (منها) إن معناه لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك (و منها) أن المراد بالذنب هناك ترك المندوب و حسن ذلك لأن من المعلوم أنه ممن لا يخالف الأوامر الواجبه فجاز أن يسمى ذنبا منه ما لو وقع من غيره لم يسم

ذنباً لعلو قدره و رفعه شأنه (و منها) أن القول خرج مخرج التعظيم و حسن الخطاب كما قيل في قوله عَفَا اللَّهُ عَنْكَ و هذا ضعيف لأن العاده جرت في مثل هذا أن يكون على لفظ الدعاء و قوله «وَأَيُّ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ» معناه و يتم نعمته عليك في الدنيا بإظهارك على عدوك و إعلاء أمرك و نصره دينك و بقاء شرعك و في الآخرة برفع محللك فإن معنى إتمام النعمة فعل ما يقتضيها و تبقيتها على صاحبها و الزيادة فيها و قيل يتم نعمته عليك بفتح خبير و مكه و الطائف «و يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» أى و يثبتك على صراط يؤدي بسالكه إلى الجنة «و يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا» النصر العزيز هو ما يمتنع به من كل جبار عند و عات مريد و قد فعل ذلك بنبيه ص إذ صير دينه أعز الأديان و سلطانه أعظم السلطان «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ» و هى أن يفعل الله بهم اللطف الذى يحصل لهم عنده من البصيره بالحق ما تسكن إليه نفوسهم و ذلك بكثرة ما ينصب لهم من الأدله الداله عليه فهذه النعمة التامه للمؤمنين خاصه و أما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأول عارض من شبهه ترد عليهم إذ لا يجدون برد اليقين و روح الطمأنينه فى قلوبهم و قيل هى النصره للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم و يثبتوا فى القتال و قيل هى ما أسكن قلوبهم من التعظيم لله و لرسوله «لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ» أى يقينا إلى يقينهم بما يرون من الفتوح و علو كلمه الإسلام على وفق ما وعدوا و قيل ليزدادوا تصديقا بشرائع الإسلام و هو أنهم كلما أمروا بشىء من الشرائع و الفرائض كالصلاه و الصيام و الصدقات صدقوا به و ذلك بالسكينه التى أنزلها الله فى قلوبهم عن ابن عباس و المعنى ليزدادوا معارف على معرفه الحاصله عندهم «وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى الملائكه و الجن و الإنس و الشياطين عن ابن عباس و المعنى أنه لو شاء لأعانكم بهم و فيه بيان أنه لو شاء لأهلك المشركين لكنه عالم بهم و بما يخرج من أصلابهم فأمهلهم لعلمه و حكمته و لم يأمر بالقتال عن عجز و احتياج لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب «و كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» فكل أفعاله حكمه و صواب «لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» تقديره إنا فتحنا لك ليغفر لك الله إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين و المؤمنات «جَنَاتٍ» و لذلك لم يدخل واو العطف فى ليدخل إعلاما بالتفصيل «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أشجارها الأنهار «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها «وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أى عقاب معاصيهم التى فعلوها فى دار الدنيا «و كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا» أى ظفرا يعظم الله به قدره.

إشارة

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦) وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٨) لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ وَ تَسْبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ آصِيلاً (٩) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)

القراءة

قد بينا اختلافهم فى السوء فى سورة التوبة و قرأ ابن كثير و أبو عمرو ليؤمنوا بالله و ما بعده بالياء و قرأ الباقون بالتاء و قرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء و الباقون بالنون و فى الشواذ قراءة الجحدري و تعزروه بفتح التاء و ضم الزاى مخففاً.

الحجج

قال أبو على حجة الياء أنه لا- يقال لتؤمنوا بالله و رسوله و هو الرسول فإذا لم يسهل ذلك كانت القراءة بالياء ليؤمنوا و من قرأ بالتاء فعلى قوله لهم إنا أرسلناك إليهم شاهداً لتؤمنوا و حجة الياء فى «فسيؤتيه» قوله وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا على تقديم ذكر الغيبة و زعموا أن فى حرف عبد الله فسوف يؤتيه الله و النون على الانصراف من الأفراد إلى لفظ الكثرة و قال ابن جنى من قرأ تعزروه فالمعنى تمنعوه و تمنعوا دينه و نبيه فهو كقوله إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ أَى إن تنصروا دينه فهو على حذف المضاف و أما «تُعزِّرُوهُ» بالتشديد فتمنعوا منه بالسيف عن الكلبى و عزرت فلانا فحمت أمره و منه عزره اسم رجل و منه عندى التعزير للضرب دون الحد و ذلك أنه لم يبلغ به ذل الحد الكامل فكأنه محاسنه فيه قال أبو حاتم و قرأ بعضهم تعزروه أى تجعلوه عزيزاً.

المعنى

لما تقدم الوعد للمؤمنين عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين فقال «وَيُعَذِّبُ»

الله «الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ» و هم الذين يظهرون الإيمان و يطنون الشرك فالنفاق إسرار الكفر و إظهار الإيمان أخذ من نفاق اليربوع و هو أن يجعل لسربه باين يظهر أحدهما و يخفى الآخر فإذا أتى من الظاهر خرج من الآخر «و الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ» و هم الذين يعبدون مع الله غيره «الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ» أى يتوهمون أن الله ينصرهم على رسوله و ذلك سوء أى قبيح و السوء المصدر و السوء الاسم و قيل هو ظنهم أن النبى ص لا يعود إلى موضع ولادته أبدا و قيل هو ظنهم أن لن يبعث الله أحدا و مثله وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ» أى يقع عليهم العذاب و الهلاك و الدائره هى الراجعه بخير أو شر قال حميد بن ثور:

" و دائرات الدهر أن تدورا "

و قيل إن من قرأ بالضم فالمراد دائره العذاب و من قرأ بالفتح فالمراد ما جعله للمؤمنين من قتلهم و غنيمه أموالهم «وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ» أى أبعدهم من رحمته «وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ» يجعلهم فيها «وَ سَاءَتْ مَصِيرًا» أى مآلا و مرجعا «وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» إنما كرر لأن الأول متصل بذكر المؤمنين أى فله الجنود التى يقدر أن يعينكم بها و الثانى متصل بذكر الكافرين أى فله الجنود التى يقدر على الانتقام منهم بها «وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا» فى قهره و انتقاله «حَكِيمًا» فى فعله و قضائه ثم خاطب نبيه ص فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد «شَاهِدًا» على أمتك بما عملوه من طاعه و معصيه و قبول و رد أو شاهدا عليهم بتبليغ الرساله «وَ مُبَشِّرًا» بالجنه لمن أطاع «وَ نَذِيرًا» من النار لمن عصى ثم بين سبحانه الغرض بالإرسال فقال «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» من قرأ ليؤمنوا بالياء فالمعنى ليؤمن هؤلاء الكفار بالله «وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ» أى تنصروه بالسيف و اللسان و الهاء تعود إلى النبى ص «وَ تُوقِّرُوهُ» أى تعظموه و تبجلوه «وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ آصِيًا» أى و تصلوا بالغداه و العشى و قيل معناه و تنزهوه عما لا يليق به و كثير من القراء اختاروا الوقف على «وَ تُوقِّرُوهُ» لاختلاف الضمير فيه و فيما بعده و قيل «وَ تُعَزِّرُوهُ» أى و تنصروا الله «وَ تُوقِّرُوهُ» أى و تعظموه و طيعوه كقوله لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا و على هذا فتكون الكنايات متفقه و فى هذه الآيه دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر أن الله سبحانه يريد من الكفار الكفر لأنه صرح هنا أنه يريد من جميع المكلفين الإيمان و الطاعه «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ» المراد بالبيعه هنا بيعه الحديبيه و هى بيعه الرضوان بايعوا رسول الله ص على الموت «إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ» يعنى أن المبايعه معك تكون مبايعه مع الله لأن طاعتك طاعه الله و إنما سميت بيعه لأنها عقدت على بيع أنفسهم بالجنه للزومهم فى الحرب النصره «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» أى عقد الله فى هذه البيعه فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعه نبيه ص فكأنهم بايعوه من غير واسطه عن السدى و قيل معناه قوه الله فى نصره

ص: ١٧٢

نبیه ص فوق نصرتهم إياه أى ثق بنصره الله لك لا بنصرتهم و إن بايعوك عن ابن كيسان و قيل نعمه الله عليهم بنبيه ص فوق أيديهم بالطاعة و المبايعه عن الكلبي و قيل يد الله بالثواب و ما وعدهم على بيعتهم من الجزاء فوق أيديهم بالصدق و الوفاء عن ابن عباس «فَمَنْ نَكَثَ» أى نقض ما عقد من البيعه «فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» أى يرجع ضرر ذلك النقض عليه و ليس له الجنه و لا كرامه عن ابن عباس «وَمَنْ أَوْفَى» أى ثبت على الوفاء «بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ» من البيعه «فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» أى ثواباً جزيلاً.

اشاره

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) يَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَعْذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٤) سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ضرا بضم الضاد يبدلوا كلم الله بغير ألف و الباقون «ضراً» بالفتح «كلام الله» بالألف.

الحجه

قال أبو علي الضر خلاف النفع و في التنزيل ما لا يملك لكم ضراً و لا نفعاً و الضر سوء الحال و في التنزيل فكشفنا ما به من ضر هذا الأبين في هذا الحرف عندي و يجوز أن يكونا لغتين في معنى كالفقر و الفقر و الضعف و الضعف و من قرأ «كلام الله» فوجهه أنه قيل فيهم لن تخرجوا معي أبدا فخص الكلام بما كان مفيدا و حديثا فقال كلام الله و من قرأ كلم الله قال الكلم قد يقع على ما يقع عليه الكلام و على غيره و إن كان الكلام بما ذكرنا أخص ألا ترى أنه قال وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسَيْنِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّمَا هُوَ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ وَ تُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَتَّصِلُ بِهِ.

اللغة

المخلف هو المتروك في المكان خلف الخارجين من البلد و هو مشتق من الخلف و ضده المقدم و الأعراب الجماعة من عرب البادية و عرب الحاضره ليسوا بأعراب فرقوا بينهما و إن كان اللسان واحدا و البور الفاسد الهالك و هو مصدر لا يثنى و لا يجمع يقال رجل بور و رجال بور قال:

يا رسول المليك إن لسانی راتق ما فتقت إذ أنا بور

و قال حسان:

لا ينفع الطول من نوك القلوب و قد يهدى الإله سبيل المعشر البور

. المعنى .

ثم أخبر سبحانه عن تخلف عن نبيه ص فقال «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ» أى الذى تخلفوا عن صحبتك فى وجهتك وعمرتك وذلك أنه لما أراد المسير إلى مكة عام الحديبيه معتمرا و كان فى ذى القعدة من سنه ست من الهجره استنفر من حول المدينه إلى الخروج معه وهم غفار و أسلم و مزينه و جهينه و أشجع و الدئل حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو بصد و أحرم بالعمره و ساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتناقل عنه كثير من الأعراب فقالوا نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فتخلفوا عنه و اعتلوا بالشغل فقال سبحانه إنهم يقولون لك إذا انصرفت إليهم فعابتهم على التخلف عنك «شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا» عن الخروج معك «فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا» فى قعودنا عنك فكذبهم الله تعالى فقال «يَقُولُونَ بِاللَّيْسَ نَتَّبِعُهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» كذبهم فى اعتذارهم بما أخبر عن ضمائرهم و أسرارهم أى لا يبالون استغفر لهم النبى ص أم لا «قُلْ» يا محمد «فَمَنْ يَمْلِكُ

لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا» أى فمن يمنعكم من عذاب الله إن أراد بكم سوءاً و نفعاً أى غنيمه عن ابن عباس و ذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ص يدفع عنهم الضرر أو يعجل لهم النفع بالسلامه فى أنفسهم و أموالهم فأخبرهم سبحانه أنه إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه عنهم «بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» أى عالماً بما كنتم تعملون فى تخلفكم «بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا» أى ظننتم أنهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينه من الأهل و الأولاد لأن العدو يستأصلهم و يصطليهم «وَ زُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ» أى زين الشيطان ذلك الظن فى قلوبكم و سوله لكم «وَ ظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا» فى هلاك النبي ص و المؤمنين و كل هذا من الغيب الذى لا يطلع عليه أحد إلا الله فصار معجزاً لنبينا ص «وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا» أى هلكى لا تصلحون لخير عن مجاهد و قيل قوما فاسدين عن قتاده «وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا» أى نارا تسعهم و تحرقهم «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» ذنوبه «وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» إذا استحق العقاب «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» ظاهر المعنى ثم قال «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ» يعنى هؤلاء «إِذَا انْطَلَقْتُمْ» أيها المؤمنون «إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا» يعنى غنائم خيبر «ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ» أى اتركونا نجى معكم و ذلك أنهم لما انصرفوا من عام الحديبيه بالصلح و عدهم الله سبحانه فتح خيبر و خص بغنائمها من شهد الحديبيه فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» أى مواعيد الله لأهل الحديبيه بغنيمه خيبر خاصه أرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها عن ابن عباس و قيل يريد أمر الله لنبيه أن لا يسير معه منهم أحد عن مقاتل «قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ» أى قال الله بالحديبيه قبل خيبر و قبل مرجعنا إليكم إن غنيمه خيبر لمن شهد الحديبيه لا- يشركهم فيها غيرهم هذا قول ابن عباس و مجاهد و ابن إسحاق و غيرهم من المفسرين و قال الجبائى أراد بقوله «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» قوله سبحانه فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا وَ هَذَا غَلَطٌ فَاحِشٌ لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِنصِرَافِ مِنَ الْحَدِيثِيَّةِ فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَاتٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَ تِلْكَ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ تَبُوكَ وَ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَ بَعْدَ غَزْوَةِ حَنِينَ وَ الطَّائِفِ وَ رَجُوعِ النَّبِيِّ ص مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَ مَقَامِهِ مَا بَيْنَ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى رَجَبٍ ثُمَّ تَهَيَّأَ فِي رَجَبٍ لِلخُرُوجِ إِلَى تَبُوكَ وَ كَانَ مَنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ فِي بَقِيَةِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَ لَمْ يَخْرُجْ ص بَعْدَ ذَلِكَ لِقِتَالِ وَ لَا غَزْوٍ إِلَى أَنْ قَبِضَهُ اللَّهُ

تعالى فكيف تكون هذه الآيه مراده بقوله «كَلَامَ اللَّهِ» وقد نزلت بعده بأربع سنين لو لا أن العصبية ترين على القلوب ثم قال «فَسَيَقُولُونَ يَلِ تَحْسُدُونَنَا» أى فسيقول المخلفون عن الحديبيه لكم إذا قلت هذا لم يأمركم الله تعالى به بل أنتم تحسدوننا أن نشارككم فى الغنيمه فقال سبحانه ليس الأمر على ما قالوه «بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ» الحق و ما تدعونهم إليه «إِلَّا قَلِيلًا» أى إلا فقها قليلا أو شيئا قليلا و قيل معناه إلا القليل منهم و هم المعاندون.

[سوره الفتح (٤٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]

اشاره

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَيْدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠)

القراءه

قرأ أهل المدينة و ابن عامر ندخله و نعدبه بالنون و الباقون بالياء و هما فى المعنى سواء.

المعنى

ثم قال سبحانه لنيبه ص «قُلْ» يا محمد «لِلْمُخَلَّفِينَ» الذين تخلفوا عنك

ص: ١٧٦

فى الخروج إلى الحديدية «مِنَ الْأَعْرَابِ سَيِّدَعُونَ» فيما بعد «إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ» و هم هوازن و حنين عن سعيد بن جبیر و عكرمه و قيل هم هوازن و ثقیف عن قتاده و قيل هم ثقیف عن الضحاک و قيل هم بنو حنیفه مع مسیلمه الكذاب عن الزهرى و قيل هم أهل فارس هم ابن عباس و قيل هم الروم عن الحسن و كعب و قيل هم أهل صفین أصحاب معاویه و الصحیح أن المراد بالداعى فى قوله «سَيِّدَعُونَ» هو النبى ص لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيره و قتال أقوام ذوی نجهه و شده مثل أهل حنین و الطائف و مؤته إلى تبوك و غيرها فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته «تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ» معناه أن أحد الأمرين لا بد أن يقع لا محاله و تقديره أو هم يسلمون أى يقرون بالإسلام و يقبلونه و قيل ينقادون لكم و فى حرف أبى أو يسلموا و تقديره إلى أن يسلموا و فى النصب دلالة على أن ترك القتال من أجل الإسلام إذا وقع «فَإِنْ تُطِيعُوا» أى فإن تجميعوا إلى قتالهم «يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا» أى جزاء صالحا «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» عن القتال و تقعدوا عنه «كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ» عن الخروج إلى الحديدية «يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» فى الآخرة «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ» أى ضيق فى ترك الخروج مع المؤمنين فى الجهاد و الأعمى الذى لا يبصر بجارحه العين «وَ لَا عَلَى الْمَأْرُوجِ حَرْجٌ وَ لَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ» فى ترك الجهاد أيضا قال مقاتل عذر الله أهل الزمانه و الآفات الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديدية بهذه الآية «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» معناه فى الأمر بالقتال «وَ مَنْ يَتَوَلَّ» عن أمر الله و أمر رسوله فيقعد عن القتال «يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا. لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» يعنى بيعه الحديدية و تسمى بيعه الرضوان لهذه الآية و رضاء الله سبحانه عنهم هو إرادته تعظيمهم و إثابتهم و هذا إخبار منه سبحانه أنه رضى عن المؤمنين إذ بايعوا النبى ص فى الحديدية تحت الشجرة المعروفه و هى شجرة السمره «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» من صدق النيه فى القتال و الكراهه له لأنه بايعهم على القتال عن مقاتل و قيل ما فى قلوبهم من اليقين و الصبر و الوفاء «فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ» و هى اللطف القوى لقلوبهم و الطمأنينه «وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» يعنى فتح خيبر عن قتاده و أكثر المفسرين و قيل فتح مكه عن الجبائى «وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا» يعنى غنائم خيبر فإنها كانت مشهوره بكثرة الأموال و العقار و قيل يعنى غنائم هوازن بعد فتح مكه عن الجبائى «وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا» أى غالبا على أمره «حَكِيمًا» فى أفعاله و لذلك أمر بالصلح و حكم للمسلمين بالغنيمه و لأهل خيبر بالهزيمه ثم ذكر سبحانه سائر الغنائم التى يأخذونها فيما يأتى من الزمان فقال «وَ عَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا» مع النبى ص و من بعده إلى يوم القيامة «فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ» يعنى غنيمه خيبر «وَ كَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ» و ذلك أن

النبى ص لما قصد خيبر و حاصر أهلها همت قبائل من أسد و غطفان أن يغيروا على أموال المسلمين و عيالهم بالمدينه فكف الله أيديهم عنهم بإلقاء الرعب فى قلوبهم و قيل إن مالك بن عوف و عينه بن حصين مع بنى أسد و غطفان جاءوا لنصره اليهود من خيبر فقذف الله الرعب فى قلوبهم و انصرفوا «وَلِتَكُونَ» الغنيمه التى عجلها لهم «آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» على صدقك حيث وعدهم أن يصيبوها فوق الموقع المخبر على وفق الخبر «وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» أى و يزيدكم هدى بالتصديق بمحمد ص و ما جاء به مما ترون من عده الله فى القرآن بالفتح و الغنيمه.

[قصه فتح الحديبيه]

قال ابن عباس إن رسول الله ص خرج يريد مكه فلما بلغ الحديبيه وقفت ناقته و زجرها فلم تنزجر و بركت الناقه فقال أصحابه خلأت الناقه فقال ص ما هذا لها عاده و لكن حبسها حابس الفيل و دعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى أهل مكه ليأذنوا له بأن يدخل مكه و يحل من عمرته و ينحر هديه فقال يا رسول الله ما لى بها حميم و إنى أخاف قريشا لشده عداوتى إياها و لكن أدلك على رجل هو أعز بها منى عثمان بن عفان فقال صدقت فدعا رسول الله ص عثمان فأرسله إلى أبى سفيان و أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب و إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ص و المسلمين أن عثمان قد قتل فقال ص لا نبرح حتى نناحر القوم و دعا الناس إلى البيعه فقام رسول الله ص إلى الشجره فاستند إليها و بايع الناس على أن يقاتلوا المشركين و لا يفروا قال عبد الله بن معقل كنت قائما على رأس رسول الله ص ذلك اليوم و بيدي غصن من السمره أذب عنه و هو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت و إنما بايعهم على أن لا يفروا و روى الزهرى و عروه بن الزبير و المسور بن مخزومه قالوا خرج رسول الله ص من الحديبيه فى بضع عشره مائه من أصحابه حتى إذا كانوا بذى الحليفه قلد رسول الله ص الهدى و أشعره و أحرم بالعمره و بعث بين يديه عينا له من خزاعه يخبره عن قريش و سار رسول الله ص حتى إذ كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتاه عينه الخزاعى فقال إنى تركت كعب بن لؤى و عامر بن لؤى قد جمعوا لك الأحابيش و جمعوا جموعا و هم قاتلوك أو مقاتلوك و صادوك عن البيت فقال ص روحوا فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ص إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعه فخذوا

ص: ١٧٨

ذات اليمين و سار ص حتى إذا كان بالثنيه برکت راحلته فقال ص ما خلأت القصواء و لكن حبسها حابس الفيل ثم قال و الله لا يسألونى خطه يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها زجرها فوثبت به قال فعدل حتى نزل بأقصى الحديبيه على ثمند قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرضا فشكوا إليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فى الماء فو الله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاءهم بدیل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعه و كانوا عيبه نصح رسول الله ص من أهل تهامه فقال إنى تركت كعب بن لؤى و عامر بن لؤى و معهم العوذ المطافيل و هم مقاتلوك و صادوك عن البيت فقال رسول الله ص إنا لم نجئ لقتال أحد و لكن جئنا معتمرين و إن قريشا قد نهكتهم الحرب و أضرت بهم فإن شاءوا ما دونهم مده و يخلو بينى و بين الناس و إن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا و إلا فقد جمعوا و إن أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أول لينفذن الله تعالى أمره فقال بدیل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل و أنه يقول كذا و كذا فقام عروه بن مسعود الثقفى فقال إنه قد عرض عليكم خطه رشد فاقبلوها و دعونى آتته فقالوا آتته فأتاه فجعل يكلم النبى ص فقال له رسول الله ص نحوا من قوله لبديل فقال عروه عند ذلك أى محمد أ رأيت أن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك و إن تكن الأخرى فوالله إنى لأرى وجوها و أرى أشابا من الناس خلقاء أن يفروا و يدعوك فقال له أبو بكر امصص بظر اللات أ نحن نفر عنه و ندعه فقال من ذا قال أبو بكر قال أما و الذى نفسى بيده لو لا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك قال و جعل يكلم النبى ص و كلما كلمه أخذ بلحيته و المغيره بن شعبه قائم على رأس النبى ص و معه السيف و عليه المغفر فكلما أهوى عروه بيده إلى لحيه رسول الله ص ضرب يده بنعل السيف و قال آخر يدك عن لحيه رسول الله ص قبل أن لا ترجع إليك فقال من هذا قال المغيره بن شعبه قال أى غدر و لست أسعى فى غدرتك قال و كان المغيره صحب قوما فى الجاهليه فقتلهم و أخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبى ص أما الإسلام فقد قبلنا و أما المال فإنه مال غدر لا حاجه لنا فيه ثم إن عروه جعل يرمى أصحاب النبى ص إذا أمرهم رسول الله ص ابتدروا أمره و إذا توضعاً ثاروا يقتتلون على وضوئه و إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده و ما يحدون إليه النظر تعظيماً له قال فرجع عروه إلى أصحابه و قال أى قوم و الله لقد وفدت على الملوك و وفدت على قيصر و كسرى و النجاشى و الله إن رأيت ملكاً قط يعظمه

أصحابه ما يعظم أصحاب محمد إذا أمرهم ابتدروا أمره و إذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه و إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده و ما يحدون إليه النظر تعظيماً له و أنه و قد عرض عليكم خطه رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتته فقالوا آتته فلما أشرف عليهم قال رسول الله ص لأصحابه هذا فلان و هو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له و استقبله القوم يلبنون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتته فقالوا آتته فلما أشرف عليهم قال النبي ص هذا مكرز و هو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ص فينا هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ص قد سهل عليكم أمركم فقال اكتب بيننا و بينك كتاباً فدعا رسول الله ص على بن أبي طالب فقال له رسول الله اكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فو الله ما أدري ما هو و لكن أكتب باسمك اللهم فقال المسلمون و الله لا نكتب إلا باسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ص اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت و لا قاتلناك و لكن أكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ص إني لرسول الله و إن كذبتوني ثم قال لعلي (عليه السلام) امح رسول الله فقال يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوه فأخذه رسول الله فمحا ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو و اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض و على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه و ماله و من قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه و ماله و أن بيننا عيبه مكفوله و أنه لا إسلال و لا أغلال و أنه من أحب أن يدخل في عهد محمد و عهده دخل فيه و من أحب أن يدخل في عهد قريش و عهدهم دخل فيه فتوالت خزاعه فقالوا نحن في عهد محمد و عهده و توالت بنو بكر فقالوا نحن في عهد قريش و عهدهم فقال رسول الله ص على أن تخلوا بيننا و بين البيت فنطوف فقال سهيل و الله ما تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة و لكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على أنه لا- يأتيك منا رجل و إن كان على دينك إلا- رددته إلينا و من جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين و قد جاء مسلماً فقال رسول الله ص من جاءهم منا فأبعده الله و من جاءنا منهم رددناه إليهم فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً فقال سهيل و على أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا

مكة فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا و لا تدخلها بالسلاح إلا السيوف فى القراب و سلاح الراكب و على أن هذا الهدى حيث ما حسنه محله لا تقدمه علينا فقال نحن نسوق و أنتم تردون فينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده فقال النبي ص إنا لم نقض بالكتاب بعد قال و الله إذا لا أصالحك على شىء أبدا فقال النبي ص فأجره لى فقال ما أنا بمجير لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجرناه قال أبو جندل بن سهيل معاشر المسلمين أ أرد إلى المشركين و قد جئت مسلما أ لا- ترون ما قد لقيت و كان قد عذب عذابا شديدا فقال عمر ابن الخطاب و الله ما شككت مذ أسلمت إلا يومئذ فأتيت النبي ص فقلت أ لست نبى الله فقال بلى قلت أ لسننا على الحق و عدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدينه فى ديننا إذا قال إنى رسول الله و لست أعصيه و هو ناصرى قلت أ و لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت و تطوف حقا قال بلى أ فأخبرتكم أن نأتيه العام قلت لا قال فإنك تأتبه و تطوف به فنحر رسول الله ص بدنه فدعا بحالقه فحلق شعره ثم جاءه نسوه مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ الْآيَه قال محمد بن إسحاق بن يسار و حدثنى بريده بن سفيان عن محمد بن كعب أن كاتب رسول الله ص فى هذا الصلح كان على بن أبى طالب (عليه السلام) فقال له رسول الله ص اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ف جعل على (عليه السلام) يتلكأ و يأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله فقال رسول الله ص فإن لك مثلها تعطيها و أنت مضطهد فكتب ما قالوا ثم رجع رسول الله ص إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش و هو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا العهد الذى جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلا يأكلان من تمر لهم قال أبو بصير لأحد الرجلين و إنى لأرى سيفك هذا جيدا جدا فاستله و قال أجل إنه لجيد و جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرنى أنظر إليه فأمكنه منه فضربه به حتى برد و فر الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ص حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى النبي ص قال قتل و الله صاحبى و إنى لمقتول قال فجاء أبو بصير فقال يا رسول قد أوفى الله ذمتك و رددتنى إليهم ثم أنجانى الله منهم فقال النبي ص ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر. و انفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى

بصير فلا- يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت عليه عصابه قال فو الله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم و أخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ص تناشده الله و الرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل ص إليهم فأتوه.

[قصه فتح خيبر]

و لما قدم رسول الله ص المدينة من الحديبيه مكث بها عشرين ليله ثم خرج منها غاديا إلى خيبر

ذكر ابن إسحاق بإسناده عن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله ص إلى خيبر حتى إذا كنا قريبا منها و أشرفنا عليها قال رسول الله ص قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السماوات السبع و ما أظللن و رب الأرضين السبع و ما أقللن و رب الشياطين و ما أضللن إنا نسألك خير هذه القرية و خير أهلها و خير ما فيها و نعوذ بك من شر هذه القرية و شر أهلها و شر ما فيها أقدموا باسم الله

و عن سلمه بن الأ-كوع قال خرجنا مع رسول الله ص إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع أ لا تسمعنا من هنيهاتك و كان عامر رجلا شاعرا فجعل يقول:

لا هم لو لا أنت ما حجينا و لا تصدقنا و لا صلينا

فاغفر فداء لك ما اقتنينا و ثبت الأقدام إن لاقينا

و أنزلن سكينه علينا إنا إذا صبح بنا أتينا

و بالصباح عولوا علينا

فقال رسول الله ص من هذا السابق قالوا عامر قال يرحمه الله قال عمر و هو على جمل له و جيب يا رسول الله لو لا أمتعتنا به و ذلك أن رسول الله ص ما استغفر لرجل قط يخصه إلا استشهد قالوا فلما جد الحرب و تصاف القوم خرج يهودى و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز إليه عامر و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوق سيف اليهودى فى ترس عامر و كان سيف عامر فيه قصر فتناول به

ساق اليهودى ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبته عامر فمات منه قال سلمه فإذا نفر من أصحاب رسول الله ص يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فأتيت النبي ص و أنا أبكى فقلت قالوا إن عامرا بطل عمله فقال من قال ذلك قلت نفر من أصحابك فقال كذب أولئك بل أوتى من الأجر مرتين قال فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصه شديده ثم إن الله فتحها علينا و ذلك أن النبي ص أعطى اللواء عمر بن الخطاب و نهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر و أصحابه فرجعوا إلى رسول الله ص يجنبه أصحابه و يجنبهم و كان رسول الله ص أخذته الشقيقه فلم يخرج إلى الناس فقال حين أفاق من وجعه ما فعل الناس بخيبر فأخبر

فقال لأعطين الرايه غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كرا را غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه

و روى البخارى و مسلم عن قتبيه عن سعيد قال حدثنا يعقوب عن عبد الرحمن الإسكندراني عن أبي حازم قال أخبرنى سعد بن سهل أن رسول الله ص قال يوم خيبر لأعطين هذه الرايه غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله قال فبات الناس يدوكون بجملتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ص كلهم يرجون أن يعطاها فقال أين على بن أبى طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكى عينيه قال فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله ص فى عينيه و دعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الرايه فقال على (عليه السلام) يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا أمثلنا قال أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام و أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فو الله لأين يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من يكون لك حمر النعم قال سلمه فبرز مرحب و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب

الأيات فبرز له على (عليه السلام) و هو يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرته كليث غابات كربه المنظره

أو فيهم بالصاع كيل السندره

فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله و كان الفتح على يده أورده مسلم فى الصحيح

و روى أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن رافع مولى رسول الله ص قال خرجنا مع على (عليه السلام) حين بعثه رسول الله ص فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول على باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده فلقد رأيتنى فى نفر مع سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه

و

بإسناده عن ليث بن أبى سليم عن أبى جعفر محمد بن

علي (عليه السلام) قال حدثني جابر بن عبد الله أن عليا (عليه السلام) حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فاقتحموها و أنه حرك بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا قال و روى من وجه آخر عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب

و

بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان علي (عليه السلام) يلبس في الحر و الشتاء القباء المحشو الثخين و ما يبالي الحر فأتاني أصحابي فقالوا إنا رأينا من أمير المؤمنين (عليه السلام) شيئا فهل رأيت فقلت و ما هو قالوا رأيناه يخرج علينا في الحر الشديد في القباء المحشو الثخين و ما يبالي الحر و يخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين و ما يبالي البرد فهل سمعت في ذاك شيئا فقلت لا فقالوا فسل لنا أباك عن ذلك فإنه يسمر معه فسألته فقال ما سمعت في ذلك شيئا فدخل علي (عليه السلام) فسمر معه ثم سأله عن ذلك فقال أ و ما شهدت خيبر قلت بلى قال أفما رأيت رسول الله ص حين دعا أبا بكر فقعد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقى القوم ثم جاء بالناس و قد هزم فقال بلى قال ثم بعث إلى عمر فقعد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقى القوم فقاتلهم ثم رجع و قد هزم فقال رسول الله ص لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله يفتح الله على يديه كرارا غير فرار فدعاني فأعطاني الراية ثم قال اللهم اكفه الحر و البرد فما وجدت بعد ذلك حرا و لا بردا و هذا كله منقول من كتاب دلائل النبوه للإمام أبي بكر البيهقي

ثم لم يزل رسول الله ص يفتح الحصون حصنا حصنا و يجوز الأموال حتى انتهوا إلى حصن الوطيح و السالم و كان آخر حصون خيبر افتتح و حاصرهم رسول الله ص بضع عشره ليله قال ابن إسحاق و لما افتتح القموص حصن ابن أبي الحقيق أتى رسول الله ص بصفية بنت حبي بن أخطب و بأخرى معها فمر بهما بلال و هو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهما التي معها صفية صاحت و صكت وجهها و حثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ص قال أعزبوا عني هذا الشيطانه و أمر بصفية فحيزت خلفه و ألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه و قال ص لبلال لما رأى من تلك اليهوديه ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما و كانت صفية قد رأت في المنام و هي عروس بكنانه بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمدا و لطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها فأتى بها رسول الله ص و بها أثر منها فسألها رسول الله ص ما هو فأخبرته و أرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ص أنزل فأكلمك نعم فنزل

ص: ١٨٤

و صالح رسول الله ص على حقن دماء من فى حصونهم من المقاتله و ترك الذريه لهم و يخرجون من خير و أرضها بذراريهم و يخلون بين رسول الله و بين ما كان لهم من مال و أرض على الصفراء و البيضاء و الكراع و الحلقه و على البز إلا ثوبا على ظهر إنسان و قال رسول الله ص فبرئت منكم ذمه الله و ذمه رسوله إن كتمتمونى شيئا فصالحوه على ذلك فلما سمع بهم أهل فذك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله يسألونه أن يسيرهم و يحقن دماءهم و يخلون بينه و بين الأموال ففعل و كان ممن مشى بين رسول الله ص و بينهم فى ذلك محيصه بن مسعود أحد بنى حارثه فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله ص أن يعاملهم الأموال على النصف و قالوا نحن أعلم بها منكم و أمر لها فصالحهم رسول الله ص على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم و صالحه أهل فذك على مثل ذلك فكانت أموال خيبر فيئا بين المسلمين و كانت فذك خالصه لرسول الله لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل و لا ركاب و لما اطمأن رسول الله ص أهدت له زينب بنت الحارث امرأه سلام بن مشكم و هى ابنه أختى مرحب شاه مصليه و قد سألت أى عضو من الشاه أحب إلى رسول الله ص فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم و سمت سائر الشاه ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغه و انتهش منها و معه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظما فانتعش منه فقال رسول الله ص ارفعوا أيديكم فإن كنف هذه الشاه تخبرنى أنها مسمومه ثم دعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت إن كان نبيا فسيخبر و إن كان ملكا استرحت منه فتجاوز عنها رسول الله ص و مات بشر بن البراء من أكلته التى أكل قال و دخلت أم بشر بن البراء على رسول الله توعده فى مرضه الذى توفى فيه فقال ص يا أم بشر ما زالت أكله خيبر التى أكلت بخيبر مع ابنك تعاودنى فهذا أو أن قطعت أبهرى و كان المسلمون يرون أن رسول الله ص مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوه.

اشاره

وَ أُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَ لَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّهَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْهَدَىٰ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْنَةٌ يَبِيكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو بما يعملون بالياء و الباقون بالتاء.

الحج

قال أبو علي وجه قول أبي عمرو و كان الله بما عمل الكفار من كفرهم و صدكم عن المسجد الحرام و منعكم من دخوله بصيرا فيجازى عليه و وجه التاء أن الخطاب قد جرى للقبيلتين في قوله «وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ» فالخطاب لتقدم هذا الخطاب.

اللغة

التبديل رفع أحد الشئيين و جعل الآخر مكانه فيما حكم أن يستمر على ما هو به و لو رفع الله حكما إلى خلافه لم يكن تبديلا لحكمه لأنه لا- يرفع شيئا إلا- في الوقت الذي تقتضى الحكمه رفعه فيه و المعكوف الممنوع من الذهاب في جهة بالإقامه في مكانه و منه الاعتكاف و هو الإقامه في المسجد للعباده و عكف على هذا الأمر يعكف عكوبا إذا قام عليه و المعره الأمر القبيح المكروه يقال عر فلان فلانا إذا شأنه و ألحق به عيبا و به سمى الجرب عرا و العذره عره.

الإعراب

«سُنَّهَ اللَّهُ» منصوب على المصدر و المعنى سن الله خذلانهم سنه و موضع «أَنْ تَطَّوَّهُمْ» رفع بدل من رجال و المعنى لو لا أن تطأوا رجالا مؤمنين و نساء مؤمنات ثم قال «لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا» الآية و التقدير وطء رجال و نساء أى قتلهم و هو بدل الاشتمال مثل نفعنى عبد الله

علمه و أعجبتني الجارية حسنها و يجوز أن يكون موضع «أَنْ تَطَّوَّهُمْ» نصبا على البدل من الهاء و الميم في تعلموهم و التقدير و لولا- رجال و نساء لم تعلموا أن تطَّوَّهُم أى لم تعلموا وطَّاهم و هو بدل الاشتمال أيضا و قوله «لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ» في موضع رفع صفة لرجال و نساء و جواب لولا- يغنى عنه جواب لو في قوله «لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا» و قوله «وَالْهَيْدَىٰ مَعْكُوفًا» عطف على الكاف و الميم في و صدوكم أى صدوكم و صدوا الهدى و معكوبا حال و قوله «أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ» تقديره كراهه أن يبلغ فحذف المضاف و قيل معكوبا من أن يبلغ فحذف من.

النزول

سبب نزول قوله «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ» الآية إن المشركين بعثوا أربعين رجلا عام الحديبيه ليصيبوا من المسلمين فأتى بهم إلى النبي ص أسرى فخلى سبيلهم عن ابن عباس و قيل إنهم كانوا ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاه الفجر عام الحديبيه ليقتلوهم فأخذهم رسول الله ص فأعتقهم عن أنس و قيل كان رسول الله ص جالسا في ظل شجره و بين يديه على ص يكتب كتاب الصلح فخرج ثلاثون شابا عليهم السلاح فدعا عليهم النبي ص فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا فأخذناهم فخلى سبيلهم فنزلت هذه الآية عن عبد الله بن المغفل.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم يعد النبي ص و المؤمنين فتوحا آخر فقال «وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا» معناه و وعدكم الله مغانم أخرى لم تقدروا عليها بعد فتكون أخرى في محل النصب و قيل معناه و قريه أخرى لم تقدروا عليها قد أعدها الله لكم و هى مكة عن قتاده و قيل هى ما فتح الله على المسلمين بعد ذلك إلى اليوم عن مجاهد و قيل إن المراد بها فارس و الروم عن ابن عباس و الحسن و الجبائي قال كما أن النبي ص بشرهم كنوز كسرى و قيصر و ما كانت العرب تقدر على قتال فارس و الروم و فتح مدائنهم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام «قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا» أى قدر الله عليها و أحاط علما بها فجعلهم بمنزله قوم قد أدير حولهم فما يقدر أحد منهم أن يفلت قال الفراء أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم فكأنه قال حفظها عليكم و منعها من غيركم حتى تفتحوها و تأخذوها «وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ عَٰدِلًا» من فتح القرى و غير ذلك «قَدِيرًا وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» من قريش يوم الحديبيه يا معشر المؤمنين «لَوْلَا الْأَذْبَارُ» منهزمين بنصره الله إياكم و خذلان الله إياهم عن قتاده و الجبائي و قيل الذين كفروا من أسد و غطفان الذين أرادوا نهب ذرارى المسلمين «ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِثْرًا وَ لَا نَصِيرًا» يواليتهم و ينصرهم و يدافع عنهم و هذا من علم الغيب و فى الآية دلالة على أنه يعلم ما لم يكن أن لو كان كيف يكون و فى ذلك إشاره إلى أن المعدوم

معلوم «سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ» أى هذه سنتى فى أهل طاعتى و أهل معصيتى انصر أوليائى و أخذل أعدائى عن ابن عباس و قيل معناه: هذه طريقه الله و عاداته السالفة أن كل قوم إذا قاتلوا أنبياءهم انهزموا و قتلوا «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ» فى نصره رسله «تَبْدِيلًا» أى تغييرا «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ» بالرعب «وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ» بالنهى «بِطَنِ مَكَّةَ» يعنى الحديبيه «مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ» ذكر الله منته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا- و حتى اتفق بينهم الصلح الذى كان أعظم من الفتح «وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» مر تفسيره ثم ذكر سبحانه سبب منعه رسول الله ص ذلك العام دخول مكة فقال «هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أن تطوفوا و تحلوا من عمرتكم يعنى قريشا «وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ» أى و صدوا الهدى و هى البدن التى ساقها رسول الله ص معه و كانت سبعين بدنه حتى بلغ ذى الحليفة فقلد البدن التى ساقها و أشعرها و أحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبيه و منعه المشركون و كان الصلح فلما تم الصلح نحروا البدن فذلك قوله «مَعْكُوفًا» أى محبوسا عن أن يبلغ محله أى منحره و هو حيث يحل نحره يعنى مكة لأن هدى العمرة لا يذبح إلا بمكة كما أن هدى الحج لا يذبح إلا بمنى «وَلَوْلَا- رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ» يعنى المستضعفين الذين كانوا بمكة بين الكفار من أهل الإيمان «لَمْ تَعْلَمُوهُمْ» بأعيانهم لاختلاطهم بغيرهم «أَنْ تَطَّوَّهُمْ» بالقتل و توقعوا بهم «فَتَصَّيَبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً» أى إثم و جنايه عن ابن زيد و قيل فيلحقكم بذلك عيب يعيبكم المشركون بأنهم قتلوا أهل دينهم و قيل هو غرم الديه و الكفاره فى قتل الخطأ عن ابن عباس و ذلك أنهم لو كبسوا مكة و فيها قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار لم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفاره و تلحقهم السيئه بقتل من على دينهم فهذه المعرة التى صان الله المؤمنين عنها و جواب لو لا محذوف و تقديره لو لا المؤمنون الذين لم تعلموهم لو طأتم رقاب المشركين بنصرنا إياكم و قوله «بِغَيْرِ عِلْمٍ» موضعه التقديم لأن التقدير لو لا أن تطأوهم بغير علم و قوله «لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ» اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام تقديره فحال بينكم و بينهم ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى من أسلم من الكفار بعد الصلح و قيل ليدخل الله فى رحمته أولئك بسلامتهم من القتل و يدخل هؤلاء فى رحمته بسلامتهم من الطعن و العيب «لَوْ تَزَيَّلُوا» أى لو تميز المؤمنون من الكافرين «لَعَدَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ» أى من أهل مكة «عَذَابًا أَلِيمًا» بالسيف و القتل بأيديكم و لكن الله تعالى يدفع المؤمنين عن الكفار فلحرمه اختلاطهم بهم لم يعذبهم.

إشاره

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَلْزَمَهُمُ الْتَّقْوَى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلِهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا (٢٦) لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسَاجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَهُمْ وَ مَقْصِرِينَ لِأَنَّهُمْ تَخَافُونَ وَعَلَمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعِيدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

القراءة

قرأ ابن كثير عن ابن فليح و ابن ذكوان شطأه بفتح الطاء و الباقون بسكونها و قرأ ابن عامر «فنازره» بقصر الهمزة و الباقون فآزره بالمد و فى الشواذ قراءة الحسن أشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب فيهما و قراءة عيسى الهمدانى شطأه بالمد و الهمزة و شطأه أيضا.

قال أبو علي يشبه أن يكون شطا لعه في شطاء فيكون كالشمع و الشمع و النهر و النهر و من خفف الهمزه في شطاه حذفها و ألقى حركتها على الطاء فقال شطاه قال أبو زيد أشطأت الشجره بغصونها إذا أخرجت غصونها. أبو عبيده أخرج شطاه فراخه و أشطأ الزرع فهو مشطى أى مفرخ و آزره على فاعله معناه ساواه أى صار مثل الأم و فاعله الشطاء أى آزر الشطاء الزرع فصار فى طوله قال امرؤ القيس:

بمحميه قد آزر الضال نبتها مضم جوش غانمين و خيب

أى ساوى نبتة الضال فصار فى قامته لأنه لا يرعى و يجوز أن يكون فاعل آزر الزرع أى آزر الزرع الشطاء و من الناس من يفسر آزره أعانه و قواه فعلى هذا يكون آزر الزراع الشطاء قال أبو الحسن آزره أفعله و هو الأشبه ليكون قول ابن عامر آزره فعله فيكون فيه لغتان فعل و أفعال لأنهما كثيرا ما يتعاقبان على الكلمه و من قرأ أشداء بالنصب فهو نصب على الحال من معه أى هم معه على هذا الحال.

اللغه

الحميه الأنفه و الإنكار يقال فلان ذو حميه منكره إذا كان ذا غضب و أنفه و الكفار الزراع هنا لأن الزراع يغطى البذر و كل شىء قد غطيته فقد كفرته و منه يقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شىء قال:

" ألفت ذكاء يمينها فى كافر "

و قال ليبد:

" فى ليله كفر النجوم غمامها "

. الإعراب

محمد مبتدأ و رسول الله عطف بيان و الذين معه عطف على محمد و أشداء خبر محمد و ما عطف عليه و قيل محمد مبتدأ و رسول الله خبره و الذين معه مبتدأ و ما بعده خبره «يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ» إن شئت كان فى موضع الحال و إن شئت كان خبرا بعد خبر و إن شئت كان هو الخبر فيمن نصب أشداء و يكون تراهم أيضا فى موضع النصب مثل أشداء. «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ» ابتداء و خبر و الكلام تام ثم ابتداء فقال «و مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» فلهم مثلان أحدهما فى التوراه و الثانى فى الإنجيل و قال مجاهد بل قوله «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» مع ما بعده جميعا فى التوراه و الإنجيل و كذلك قوله «كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» فى التوراه و الإنجيل فيكون قوله «كَزَرْعٍ» خبر مبتدأ مضمّر أى هم كزرع أخرج شطاه.

المعنى

ثم قال سبحانه «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ» إذ يتعلق

بقوله لَعِدَّتْنَا أَي لَعَدْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ أَذْنَا لَكَ فِي قِتَالِهِمْ حِينَ جَعَلُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْإِنْفَةَ الَّتِي تَحْمِي الْإِنْسَانَ أَي حَمَيْت قُلُوبَهُمْ بِالغَضَبِ ثُمَّ فَسَّرَ تِلْكَ الْحَمِيَةَ فَقَالَ «حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ» أَي عَادَهُ آبَائُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ لَا يَدْعُونَا لِأَحَدٍ وَلَا يَنْقَادُوا لَهُ وَ ذَلِكَ أَنْ كَفَرُوا بِمَا قَتَلُوا مُحَمَّدًا وَ أَصْحَابَهُ آبَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ يَدْخُلُونَ عَلَيْنَا فِي مَنَازِلِنَا فَتَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّهُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا عَلَى رِغْمِ أَنْفِنَا وَ اللَّائِي وَ الْعِزَى لَا- يَدْخُلُونَهَا عَلَيْنَا فَهَذِهِ الْحَمِيَةُ الْجَاهِلِيَّةُ الَّتِي دَخَلَتْ قُلُوبَهُمْ وَ قِيلَ هِيَ أَنْفَتُهُمْ مِنَ الْإِقْرَارِ لِمُحَمَّدٍ ص بِالرِّسَالَةِ وَ الْإِسْتِفْتَاكِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابَ الْعَهْدِ بَيْنَهُمْ عَنِ الزَّهْرِيِّ «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّكِنْتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَلْزَمَهُمُ الْتَّقْوَى» وَ هِيَ قَوْلُ لَا- إِلَهَ إِلَّا- اللَّهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قِتَادِهِ وَ مُجَاهِدٍ «وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا» قِيلَ أَنْ فِيهِ تَقْدِيمًا وَ تَأْخِيرًا وَ التَّقْدِيرُ كَانُوا أَهْلَهَا وَ أَحَقَّ بِهَا أَي كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ تِلْكَ الْكَلِمَةِ وَ أَحَقَّ بِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ وَ كَانُوا أَحَقَّ بِنَزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِمْ وَ أَهْلَهَا وَ قِيلَ وَ كَانُوا أَحَقَّ بِمَكَّةَ أَنْ يَدْخُلُوهَا وَ أَهْلَهَا وَ قَدْ يَكُونُ حَقُّ أَحَقٍّ مِنْ غَيْرِهِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي هُوَ طَاعَةُ يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَدْحَ أَحَقُّ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ مَبَاحٌ لَا يَسْتَحِقُّ بِهِ ذَلِكَ «وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» لَمَّا ذَمَّ الْكُفْرَ بِالْحَمِيَةِ وَ مَدَحَ الْمُؤْمِنِينَ بِزُومِ الْكَلِمَةِ وَ السَّكِينَةِ بَيْنَ عِلْمِهِ بِبُيُوتِهِمْ سِرَائِرِهِمْ وَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ عَقْدُ ضَمَائِرِهِمْ «لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ» قَالُوا إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَرَى نَبِيَّهُ ص فِي الْمَنَامِ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْحَدِيثِ أَنْ الْمُسْلِمِينَ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ فَفَرَحُوا وَ حَسِبُوا أَنَّهُمْ دَخَلُوا مَكَّةَ فَلَمَّا انْصَرَفُوا وَ لَمْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ قَالَ الْمُنَافِقُونَ مَا حَلَقْنَا وَلَا- قَصْرْنَا وَلَا- دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَرَى رَسُولَهُ ص الصَّدَقَ فِي مَنَامِهِ لَا الْبَاطِلَ وَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَهُ وَ أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ «لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» يَعْنِي الْعَامَ الْمَقْبَلِ «إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ» قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ اسْتَشْنَى اللَّهُ فِيمَا يَعْلَمُ لَيْسَتْ شَيْءٌ النَّاسِ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ وَ قِيلَ أَنْ الْإِسْتِثْنَاءَ مِنَ الدَّخُولِ وَ كَانَ بَيْنَ نَزُولِ الْآيَةِ وَ الدَّخُولِ مَدَّةٌ سَنَةٌ وَ قَدْ مَاتَ مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فِي السَّنَةِ فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ لَتَدْخُلَنَّ كَلِمَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ السَّنَةِ أَوْ يَمْرُضُ فَلَا يَدْخُلُهَا فَادْخُلَ الْإِسْتِثْنَاءَ لِأَنَّ لَا يَقَعُ فِي الْخَبَرِ خَلْفَ عَنِ الْجَبَائِي وَ قِيلَ أَنْ الْإِسْتِثْنَاءَ دَاخِلٌ عَلَى الْخَوْفِ وَ الْأَمْنِ فَأَمَّا الدَّخُولُ فَلَا شَكَّ فِيهِ وَ تَقْدِيرُهُ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ آمِينَ مِنَ الْعَدُوِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ لِلْبَصْرِيِّينَ وَ قِيلَ إِنْ هُنَا بِمَعْنَى إِذْ أَي إِذْ شَاءَ اللَّهُ حِينَ أَرَى رَسُولَهُ ذَلِكَ عَنِ أَبِي عِيْبَةَ وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالَ مَعْنَاهُ إِذْ كُنْتُمْ وَ هَذَا الْقَوْلُ لَا يَرْضِيهِ الْبَصْرِيُّونَ «مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُقْصِرِينَ» أَي مُحْرَمِينَ يَحْلِقُونَ بَعْضُكُمْ رَأْسَهُ وَ يَقْصِرُونَ بَعْضُكُمْ وَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ بَعْضُ الشَّعْرِ وَ فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَحْرَمَ بِالْخِيَارِ

عند التحلل من الإحرام إن شاء حلق و إن شاء قصر «لا تخافون» مشركا «فَعَلِمَ» من الصلاح في صلح الحديبيه «ما لَمْ تَعْلَمُوا» و قيل علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الخير و الصلاح ما لم تعلموه أنتم و هو خروج المؤمنين من بينهم و الصلح المبارك موقعه «فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ» أى من قبل الدخول «فَتَحَا قَرِيبًا» يعنى فتح خير عن عطا و مقاتل و قيل يعنى صلح الحديبيه.

[عمره القضاء]

و كذلك جرى الأمر فى عمره القضاء فى السنه التاليه للحديبيه و هى سنه سبع من الهجره فى ذى القعدة و هو الشهر الذى صده فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبى ص و دخل مكه مع أصحابه معتمرين و أقاموا بمكه ثلاثه أيام ثم رجعوا إلى المدينه و عن الزهرى قال بعث رسول الله ص جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) بين يديه إلى ميمونه بنت الحرث العامريه فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب و كان تحتها أختها أم الفضل بنت الحرث فزوجها العباس رسول الله فلما قدم رسول الله ص أمر أصحابه فقال اكشفوا عن المناكب و اسعوا فى الطواف ليرى المشركون جلدكم و قوتهم فاستكف أهل مكه الرجال و النساء و الصبيان ينظرون إلى رسول الله ص و أصحابه و هم يطوفون بالبيت و عبد الله بن رواحه يرتجز بين يدي رسول الله ص متوشحا بالسيف يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن فى تنزيله

فى صحف تتلى على رسوله اليوم نضربكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله

و يذهل الخليل عن خليله يا رب إنى مؤمن لقيه

إنى رأيت الحق فى قبوله

و يشير بيده إلى رسول الله ص و أنزل الله فى تلك العمره الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ و هو أن رسول الله ص اعتمر فى الشهر الحرام الذى صد فيه

[المعنى]

ثم قال سبحانه «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ» يعنى محمدا «بِالْهُدَى» أى بالدليل الواضح و الحججه الساطعه و قيل بالقرآن «و دِينَ الْحَقِّ» أى الإسلام «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» أى ليظهر دين الإسلام بالحجج و البراهين على جميع الأديان و قيل بالغلبه و القهر و الانتشار فى البلدان و قيل أن تمام

ذلك عند خروج المهدي (عليه السلام) فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام «وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» بذلك ثم قال سبحانه «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» نص سبحانه على اسمه ليزيل كل شبهه. تم الكلام هنا ثم أتى على المؤمنين فقال «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» قال الحسن بلغ من تشدهم على الكفار أن كانوا يتحززون من ثياب المشركين حتى لا تلتزق بشياهم و عن أبدانهم حتى لا- تمس أبدانهم و بلغ تراحمهم فيما بينهم أن كان لا- يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه و عانقه و مثله قوله أَدْلَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَهُ عَلَى الْكَافِرِينَ «تَرَاهُمْ رُكْعًا سِجْدًا» هذا إخبار عن كثرة صلاتهم و مداومتهم عليها «يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا» أى يلتصقون بذلك زياده نعمهم من الله و يطلبون مرضاته «سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» أى علامتهم يوم القيامة أن تكون مواضع سجودهم أشد بياضا عن ابن عباس و عطيه قال شهر بن حوشب يكون مواضع سجودهم كالقمر ليله البدر و قيل هو التراب على الجباه لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب عن عكرمه و سعيد بن جبير و أبى العالیه و قيل هو الصفرة و النحول عن الضحاک قال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى و ما هم بمرضى و قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من صلى الخمس «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ» يعنى أن ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به في التوراه أيضا تم ذكر نعتهم في الإنجيل فقال «وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» أى فراخه عن الضحاک و قيل ليس بينهما وقف و المعنى ذلك مثلهم في التوراه و الإنجيل جميعا عن مجاهد و المعنى كمثل زرع أخرج شطأه أى فراخه «فَأَزْرَهُ» أى شده و أعانه و قواه و قال المبرد يعنى أن هذه الأفراخ لحقت الأمهات حتى صارت مثلها «فَأَسِيَّتْ غَلْظًا» أى غلظ ذلك الزرع «فَأَسِيَّتْ عَلَى سُوْقِهِ» أى قام على قصبه و أصوله فاستوى الصغار مع الكبار و السوق جمع الساق و المعنى أنه تناهى و بلغ الغايه «يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ» أى يروع ذلك الزراع أى الأكره الذين زرعه قال الواحدى هذا مثل ضربه الله تعالى بمحمد و أصحابه فالزرع محمد ص و الشطأ أصحابه و المؤمنون حوله و كانوا فى ضعف و قله كما يكون أول الزرع دقيقا ثم غلظ و قوى و تلاحق فكذلك المؤمنون قوى بعضهم بعضا حتى استغلظوا و استووا على أمرهم «لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» أى إنما كثرهم الله و قواهم ليكونوا غيظا للكافرين بتوافرهم و تظاهرهم و اتفاقهم على الطاعه ثم قال سبحانه «وَعَيَّدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى وعد من أقام على الإيمان و الطاعه «مِنْهُمْ مَغْفِرَةً» أى ستره على ذنوبهم الماضيه «وَ أَجْرًا عَظِيمًا» أى ثوابا جزيلا دائما.

(٤٩) سورة الحجرات مدنيه و آياتها ثمانى عشره (١٨)

اشاره

[توضيح]

عن الحسن و قتاده و عكرمه و عن ابن عباس إلا آيه قوله «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى».

عدد آياتها

ثمانى عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله و من عصاه.
الحسين بن أبى العلا عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الحجرات فى كل ليله أو فى كل يوم كان من زوار محمد ص.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبىه ص افتتح هذه السوره أيضا بذكره و ما يختص به من الإجلال و الإعظام فقال:

ص: ١٩٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

القراءة

قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء و الدال و الباقون «لا تُقَدِّمُوا» بضم التاء و كسر الدال و قرأ أبو جعفر الحجرات بفتح الجيم و الباقون بضمها.

الحج

قال ابن جنى معناه لا تفعلوا ما تؤثرونه و تتركوا ما أمركم الله و رسوله به و هذا معنى القراءة المشهورة «لا تُقَدِّمُوا» أى لا تقدموا أمرا على ما أمركم الله به فالمفعول هنا محذوف كما ترى و من قرأ الحجرات أبدل من الضمه فتحه استثقلا بتوالى الضمتين و منهم من أسكن فقال الحجرات مثل عضد و عضد و قال أبو عبيده حجرات جمع حجر فهو جمع الجمع.

اللغة

قدم تقديمًا و أقدم إقدامًا و استقدم و قدم كل ذلك بمعنى تقدم و الجهر ظهور الصوت بقوه الاعتماد و منه الجهاره فى المنطق و جاهر بالأمر مجاهره و يقال جهارا و نقيض الجهر الهمس و الحروف المجهوره تسعه عشر حرفا يجمعها قولك " أطلقن ضرغم عجز ظبى ذواد" و ما عداها من الحروف مهموس يجمعها قولك " حث فسكت شخصه" و الغض الحط من منزله على وجه التصغير يقال غض فلان من فلان إذا صغر حاله من هو أرفع منه و غض بصره إذا ضعفه عن حده النظر قال جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

. الإعراب

«أَنَّ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ» فى محل النصب لأنه مفعول له و يجوز أن يكون فى محل جر باللام المقدره أى لأن تحبط أعمالكم و قيل تقديره كراهه أن تحبط أو حذار أن تحبط.

نزل قوله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ» إلى قوله «غَفُورٌ رَحِيمٌ» في وفد تميم و هم عطارد بن حاجب بن زراره في أشراف من بنى تميم منهم الأقرع بن حابس و الزبرقان بن بدر و عمرو بن الأهم و قيس بن عاصم في وفد عظيم فلما

دخلوا المسجد نادوا رسول الله ص من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد فأذى ذلك رسول الله ص فخرج إليهم فقالوا جئناك لنفاخر بك فأذن لشاعرنا و خطيبنا فقال قد أذنت فقام عطار بن حاجب و قال الحمد لله الذى جعلنا ملوكا الذى له الفضل علينا و الذى وهب علينا أموالا عظاما نفعل بها المعروف و جعلنا أعز أهل المشرق و أكثر عددا و عده فمن مثلنا فى الناس فمن فاخرنا فليعد مثل ما عددنا و لو شئنا لأكثرنا من الكلام و لكننا نستحي من الإكثار ثم جلس فقال رسول الله ص لثابت بن قيس بن شماس قم فأجبه فقام فقال الحمد لله الذى السماوات و الأرض خلقه قضى فيهن أمره و وسع كرسيه علمه و لم يكن شىء قط إلا- من فضله ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكا و اصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا و أصدقهم حديثا و أفضلهم حسبا فأنزل الله عليه كتابا و ائتمنه على خلقه فكان خيره الله على العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه و ذوى رحمته أكرم الناس أحسابا و أحسنهم وجوها فكان أول الخلق إجابته و استجابته لله حين دعاه رسول الله ص نحن فنحن أنصار رسول الله ص و ردؤه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله و رسوله منع ماله و دمه و من نكث جاهدناه فى الله أبدا و كان قتله علينا يسيرا أقول هذا و أستغفر الله للمؤمنين و المؤمنات و السلام عليكم ثم قام الزبير بن بدر ينشد و أجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا و شاعره أشعر من شاعرنا و أصواتهم أعلى من أصواتنا فلما فرغوا أجازهم رسول الله ص فأحسن جوائزهم و أسلموا عن ابن إسحاق و قيل إنهم أناس من بنى العنبر كان النبى ص أصاب من ذراريهم فأقبلوا فى فدائهم فقدموا المدينة و دخلوا المسجد و عجلوا أن يخرج إليهم النبى ص فجعلوا يقولون يا محمد اخرج إلينا عن أبى حمزة الشمالى عن عكرمه عن ابن عباس.

المعنى

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»

روى زراره عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال ما سلت السيوف و لا أقيمت الصفوف فى صلاه و لا زحوف و لا جهر بأذان و لا أنزل الله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» حتى أسلم أبناء قبيله الأوس و الخزرج

«لا- تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» بين اليدين عبارته عن الإمام لأن ما بين يدي الإنسان أمامه و معناه لا تقطعوا أمرا دون الله و رسوله و لا تعجلوا به قال أبو عبيده العرب تقول لا نقدم بين يدي الإمام و بين يدي الأب أى لا تعجل بالأمر دونه و النهى و قدم هنا بمعنى تقدم و هو لازم و قيل معناه لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذى أمر الله و رسوله به حتى أنه قيل لا يجوز تقديم الزكاه قبل وقتها عن الزجاج

ص: ١٩٦

وقيل لا تمكنوا أحدا يمشى أمام رسول الله ص بل كونوا تبعاله و آخروا أقوالكم و أفعالكم عن قوله و فعله و قال الحسن نزل فى قوم ذبحوا الأضحية قبل صلاه العيد فأمرهم رسول الله ص بالإعاده و قال ابن عباس نهوا أن يتكلموا قبل كلامه أى إذا كنتم جالسين فى مجلس رسول الله ص فستل عن مسأله فلا تسبقوه بالجواب حتى يجبى النبي ص أولا و قيل معناه لا تسبقوه بقول و لا فعل حتى يأمركم به عن الكلبى و السدى و الأولى حمل الآيه على الجميع فإن كل شىء كان خلافا لله و رسوله إذا فعل فهو تقديم بين يدى الله و رسوله و ذلك ممنوع «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى اجتنبوا معاصيه «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عَلَيْكُمْ» بأعمالكم فيجازيكم بها «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَزْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» لأن فيه أحد الشيين إما نوع استخفاف به فهو الكفر و إما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به «وَ لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ» أى غضوا أصواتكم عند مخاطبتكم إياه و فى مجلسه فإنه ليس مثلكم إذ يجب تعظيمه و توقيره من كل وجه و قيل معناه لا تقولوا له يا محمد كما يخاطب بعضكم بعضا بل خاطبوه بالتعظيم و التبجيل و قولوا يا رسول الله «أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ» أى كراهه أن تحبط أو لئلا تحبط أعمالكم و قيل إنه فى حرف عبد الله فتحبط أعمالكم «وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» أى و أنتم لا تعلمون أنكم أحبطتم أعمالكم بجهر صوتكم على صوته و ترك تعظيمه قال أنس لما نزلت هذه الآيه قال ثابت بن قيس أنا الذى كنت أرفع صوتى فوق صوت رسول الله ص و أجهر له بالقول حبط عملى و أنا من أهل النار و كان ثابت رفيع الصوت فذكر ذلك لرسول الله ص فقال هو من أهل الجنة و قال أصحابنا أن المعنى فى قوله «أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ» أنه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي ص و توقيره لاستحقوا الثواب فلما فعلوه على خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب و فاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق لأهل الوعيد بهذه الآيه و لأنه تعالى علق الإحباط فى هذه الآيه بنفس العمل و هم يعلقونه بالمستحق على العمل و ذلك خلاف الظاهر ثم مدح سبحانه من يعظم رسوله و يوقره فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ» أى يخفضون أصواتهم فى مجلسه إجلالا «أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى» أى اختبرها فأخلصها للتقوى عن قتاده و مجاهد أخذ من امتحان الذهب بالنار إذا أذيب حتى يذهب غشه و يبقى خالصه و قيل معناه أنه علم خلوص نياتهم لأن الإنسان يمتحن الشىء ليعلم حقيقته و قيل معناه عاملهم معاملة المختبر بما تعبدهم به من هذه العباده فخلصوا على

الاختبار كما يخلص جيد الذهب بالنار «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» من الله لذنوبهم «وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ» على طاعتهم ثم خاطب النبي ص فقال «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ» وهم الجفاه من بنى تميم لم يعلموا فى أى حجره هو فكانوا يطوفون على الحجرات و ينادونه «أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» وصفهم الله سبحانه بالجهل و قله الفهم و العقل إذ لم يعرفوا مقدار النبي ص و لا ما استحققه من التوقير فهم بمنزله البهائم «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» من أن ينادوك من وراء الحجرات فى دينهم بما يحرزونه من الثواب و فى دنياهم باستعمالهم حسن الأدب فى مخاطبه الأنبياء ليعدوا بذلك فى زمرة العقلاء و قيل معناه لأطلقت أسراهم بغير فداء فإن رسول الله ص كان سبى قوما من بنى العنبر فجاءوا فى فدائهم فأعتق نصفهم و فادى النصف فيقول و لو أنهم صبروا لكنت تعتق كلهم «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لمن تاب منهم.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَ زَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَ إِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)

القراءة

قرأ يعقوب فأصلحوا بين إختكم بالتاء على الجمع و هو قراءة ابن سيرين و الباقون «بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» على التثنية لقوله «طَائِفَتَانِ» و فى الشواذ قراءة زيد بن ثابت و الحسن إخوانكم بالألف و النون على الجمع و قد ذكرنا فى سورة النساء اختلافهم فى قوله فتبينوا و الوجه فى القراءة تين و

المروى عن الباقر (عليه السلام) فتثبتوا بالتاء و التاء.

اللغة

العنت المشقة يقال عنت الدابة تعنت عنتا إذا حدث فى قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجرى قال ابن الأنبارى أصل العنت التشديد يقال فلان يعنت فلانا أى يشدد عليه و يلزمه ما يصعب عليه ثم نقل إلى معنى الهلاك و القسط العدل و نحوه الأقسام و القسوط و القسط بالفتح الجور و العدول عن الحق فأصل الباب العدول فمن عدل إلى الحق فقد أقسط و من عدل عن الحق فقد قسط.

الإعراب

«أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ» خبر أن فى الظرف الذى هو فيكم عند النحويين و فيه نظر لأن من حق الخبر أن يكون الخبر مفيدا فلا يقال النار حاره لعدم الفائدة و الوجه عندى أن يكون لو مع ما فى حيزه خبر أن و المعنى و اعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم و يجوز على الوجه الأول أن يكون المراد التنبية لهم على مكان رسول الله ص كما يقول القائل للرجل يريد أن ينبهه على شىء فلان حاضر و المخاطب يعلم حضوره و لو قال أن رسول الله ص فيكم احتمال أن يكون غير رسول الله فيهم ممن هو بمنزلة فإذا قال إن فيكم رسول الله لا يحتمل ذلك على هذا فقله «لَوْ يُطِيعُكُمْ» لو مع ما فى حيزه فى محل رفع بأنه خبر أن خبر بعد خبر «فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ» مفعول له و التقدير فعل الله ذلك لكم فضلا منه و نعمه و يجوز أن يكون العامل فيه الراشدون و ما فيه من الفعل أى رشدوا و فضلا من الله و قوله «بِجَهَالَةٍ» و «بِالْعَدْلِ» كلاهما فى موضع نصب على الحال و العامل فى الأول فتصيبوا و فى الثانى فأصلحوا.

قوله «إِنَّ جَاءَكُمْ فَأَسِقُوا» نزل في الوليد بن عقبه بن أبي معيط بعثه رسول الله ص في صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فرحا به و كانت بينهم عداوه في الجاهليه فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى رسول الله ص و قال إنهم منعوا صدقاتهم و كان الأمر بخلافه فغضب النبي ص و هم أن يغزوهم فنزلت الآية عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل إنها نزلت فيمن قال للنبي ص إن ماريه أم إبراهيم يأتيها ابن عم لها قبلى فدعا رسول الله ص عليا (عليه السلام) و قال يا أخى خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقتله فقال يا رسول الله أكون في أمرك

إذا أرسلتني كالكسك المصمى لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال ص بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال على (عليه السلام) فأقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترت السيف فلما عرف إنى أريده أتى نخله فرقى إليها ثم رمى بنفسه على قفاه و شجر برجليه فإذا أنه أجب أمسح ما له مما للرجال قليل و لا كثير فرجعت فأخبرت النبي ص فقال الحمد لله الذى يصرف عنا سوء أهل البيت وقوله «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» نزل فى الأوس و الخزرج وقع بينهما قتال بالسعف و النعال عن سعيد بن جبير و قيل نزل فى رهط عبد الله بن أبى سلول من الخزرج و رهط عبد الله بن رواحه من الأوس و سببه أن النبى ص وقف على عبد الله بن أبى فراث حمار رسول الله ص فأمسك عبد الله أنفه و قال إليك عنى فقال عبد الله بن رواحه لحمار رسول الله ص أطيّب ريحا منك و من أبيك فغضب قومه و أعان ابن رواحه قومه و كان بينهما ضرب بالحديد و الأيدى و النعال.

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا» أى بخبر عظيم الشأن و الفاسق الخارج عن طاعة الله إلى معصيته «فَتَبَيَّنُوا» صدقه من كذبه و لا تبادروا إلى العمل بخبره و من قال فتثبتوا فمعناه توقفوا فيه و تأنوا حتى يثبت عندكم حقيقته «أَنْ تُصَيِّبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ» أى حذرا من أن تصيبوا قوما فى أنفسهم و أموالهم بغير علم بحالهم و ما هم عليه من الطاعة و الإسلام «فَتَصَيِّبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ» من إصابتهم بالخطأ «نَادِمِينَ» لا يمكنكم تداركه و فى هذا دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم و لا العمل لأن المعنى إن جاءكم من لا تأمنون أن يكون خبره كذبا فتوقفوا فيه و هذا التعليل موجود فى خبر من يجوز كونه كاذبا فى خبره و قد استدل بعضهم بالآيه على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا من حيث أن الله سبحانه أوجب التوقف فى خبر الفاسق فدل على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه و هذا لا يصح لأن دليل الخطاب لا يعول عليه عندنا و عند أكثر المحققين «وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ» أى فاتقوا الله أن تكذبوه أو تقولوا باطلا- عنده فإن الله تعالى يخبره بذلك فتفضحوا و قيل معناه و اعلموا بما أخبره الله تعالى من كذب الوليد أن فيكم رسول الله ص فهذه إحدى معجزاته «لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ» أى لو فعل ما تريدونه فى كثير من الأمر لوقعتم فى عنت و هو الإثم و الهلاك فسمى موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازا ألا ترى أن الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون الإنسان مطيعا لمن دونه و إنما يكون مطيعا لمن فوقه إذا فعل ما أمره به ثم خاطب المؤمنين الذين لا يكذبون فقال «وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ» أى جعله أحب الأديان إليكم بأن أقام الأدلة على صحته و بما وعد من الثواب عليه «وَ زَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ» بالألطف الداعية

إليه «وَكَرَّةَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ» بما وصف من العقاب عليه بوجوه الألفاظ الصارفة عنه «وَالْفُسُوقَ» أى الخروج عن الطاعة إلى المعاصى «وَالْعِضْيَانَ» أى جميع المعاصى و

قيل الفسوق الكذب عن ابن عباس و ابن زيد و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

ثم عاد سبحانه إلى الخبر عنهم فقال «أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» يعنى الذين وصفهم بالإيمان و زينه فى قلوبهم هم المهتدون إلى محاسن الأمور و قيل هم الذين أصابوا الرشد و اهدوا إلى الجنة «فَضَلَّامًا مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً» أى تفضلا منى عليهم و رحمه منى لهم عن ابن عباس «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بالأشياء كلها «حَكِيمٌ» فى جميع أفعاله و فى هذه الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر من وجوه (منها) أنه إذا حب فى قلوبهم الإيمان و كره الكفر فمن المعلوم أنه لا- يحب ما لا يحبه و لا يكره ما لا يكرهه (و منها) أنه إذ ألطف فى تحبيب الإيمان بالطافة دل ذلك على ما نقوله فى اللطف ثم قال «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» أى فريقان من المؤمنين قاتل أحدهما صاحبه «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» حتى يصطلحا و لا دلالة فى هذا على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان و يطلق عليهما هذا الاسم و لا يمتنع أن يفسق إحدى الطائفتين أو تفسقا جميعا «فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى» بأن تطلب ما لا يجوز لها و تقاتل الأخرى ظالمة لها متعديه عليها «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغَى» لأنها هى الظالمة المتعديه دون الأخرى «حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» أى حتى ترجع إلى طاعة الله و تترك قتال الطائفة المؤمنة «فَإِنْ فَاءَتْ» أى رجعت و تابت و أقلعت و أنابت إلى طاعة الله «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» أى بينها و بين الطائفة التى هى على الإيمان «بِالْعَدْلِ» أى بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من إحداهما على الأخرى جور و لا- شطط فيما يتعلق بالضمانات من الأروش «وَ أَقْسَطُوا» أى اعدلوا «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولاً- و فعلاً «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» فى الدين يلزم نصره بعضهم بعضا «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» أى بين كل رجلين تقاتلا- و تخاصما و معنى الاثنين يأتى على الجمع لأن تأويله بين كل أخوين يعنى فأنتم إخوة للمتقاتلين فأصلحوا بين الفريقين أى كفوا الظالم عن المظلوم و أعينوا المظلوم «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» فى ترك العدل و الإصلاح أو فى منع الحقوق «لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ» أى لكى ترحموا قال الزجاج سمى المؤمنين إذا كانوا متفقين فى دينهم إخوة لاتفاقهم فى الدين و رجوعهم إلى أصل النسب لأنهم لأم واحده و هى حواء

و روى الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ص قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته و من فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كروب يوم القيامة و من ستر مسلما يستره الله يوم القيامة أورده البخارى و مسلم فى صحيحهما

و فى وصيه النبى ص لأمير

المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازه سر ثلاثه أميال أجب دعوه سر أربعه أميال زر
أخا في الله سر خمسه أميال أجب دعوه الملهوف سر سته أميال انصر المظلوم و عليك بالاستغفار.

النظم

وجه اتصال قوله «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ» بما قبله أنه لما أمر بطاعه الله و رسوله بين عقبيه أن الرسول لا يجوز أن يتبع أهواءهم بل
ينبغي أن يعمل بما عنده و وجه اتصال قوله «وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ» لثلاثا تقعوا في العنت و إنما قلنا ذلك لأن لكن لا بد
أن يتقدمه نفي إذا كان ما بعده إثباتا و قوله «لَوْ يُطِيعُكُمْ» ... «لَعَنْتُمْ» معناه أنه لم يطعكم فما عنتم.

ص: ٢٠٢

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا- يَسِيخِرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا- تَجَسَّسُوا وَلَا- يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) قَالَتِ الْمَاعِرَاتُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)

القراءة

قرأ أهل البصرة لا يألئكم بالألف و الباقون «لا يَلْتَكُم» بغير الألف.

الحجج

قال أبو زيد ألتة حقه يألته ألتا إذا نقصه و قوم يقولون لالت يليت ليتا و يقال لت الرجل أليته ليتا إذا عميت عليه الخبر فأخبرته بغير ما يسألك عنه قال رؤبه:

و ليله ذات ندى سریت و لم يلتنى عن سراها لیت

و قوم يقولون ألاتنى عن حقى و ألاتنى عن حاجتى أى صرفنى عنها و حجه من قرأ لا يألئكم قوله تعالى «و ما أَلْتَنَاهُمْ» و من قرأ «يَلْتَكُم» جعله من لات يليت.

اللغة

الهمز و اللمز العيب و الغض من الناس فاللمز هو الرمی بالعيب لمن لا- يجوز أن يؤذى بذكره و هو المنهى عنه فأما ذكر عيب الفاسق فليس بلمز

و قد ورد فى الحديث قولوا فى الفاسق ما فيه كى يحذرہ الناس

و النبز القذف باللقب يقال نبزته أنبزه و الغيبة أن تذكر الإنسان من ورائه بسوء هو فيه فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت و البهتان و الشعوب الذى يصغر شأن العرب و لا يرى لهم فضلا على غيرهم سموا بذلك لأنهم تأولوا «و جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا» على أن الشعوب من العجم كالقبايل من العرب و قال أبو عبيده الشعوب العجم و أصله من التشعب و هو كثره تفرقهم فى النسب و يقال شعبته جمعته و شعبته فرقته و هو من الأضداد.

نزل قوله «لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ» في ثابت بن قيس بن شماس و كان في أذنه وقر و كان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي فيسمع ما يقول فدخّل المسجد يوماً و الناس قد فرغوا من الصلاة و أخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس و يقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل فقال له أصبت مجلساً فاجلس فجلس خلفه مغضباً فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل أنا فلان فقال ثابت ابن فلان ذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء فتزلت الآية عن ابن عباس و قوله «وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ» نزل في نساء النبي ص سخرن من أم سلمة عن أنس و ذلك أنها ربطت حقويها بسبيبه و هي ثوب أبيض و سدلت طرفيها خلفها فكانت تجره فقالت عائشه لحفصه انظري ما ذا تجر

خلفها كأنه لسان كلب فلهذا كانت سخريتهما و قيل أنها غيرتها بالقصر و أشارت بيدها أنها قصيره عن الحسن و قوله «وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» نزل في رجلين من أصحاب رسول الله ص اغتابا رفيقهما و هو سلمان بعثاه إلى رسول الله ص ليأتي لهما بطعام فبعثه إلى أسامه بن زيد و كان خازن رسول الله ص على رحله فقال ما عندى شىء فعاد إليهما فقالا بخل أسامه و قالوا لسلمان لو بعثناه إلى بئر سميحه لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان عند أسامه ما أمر لهما به رسول الله فقال لهما رسول الله ص ما لى أرى خضره اللحم فى أفواهكما قالوا- يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تأكلون لحم سلمان و أسامه فنزلت الآية و عن أبى قلابه قال أن عمر بن الخطاب حدث أن أبا محجن الثقفى يشرب الخمر فى بيته هو و أصحابه فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل فقال أبو محجن يا أمير المؤمنين أن هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا قال زيد بن ثابت و عبد الله بن الأرقم صدق يا أمير المؤمنين قال فخرج عمر و تركه و خرج عمر بن الخطاب أيضا و معه عبد الرحمن بن عوف يعسان فتبينت لهما نار فأتيا و استأذنا ففتح الباب فدخلا فإذا رجل و امرأه تغنى و على يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتى قال و ما فى هذا القدح قال ماء فقال للمرأة ما الذى تغنين قالت أقول:

تطاول هذا الليل و أسود جانبه و أرقنى ألا حبيب ألاعبه

فو الله لو لا خشيه الله و التقى لززع من هذا السرير جوانبه

و لكن عقلى و الحياء يكفنى و أكرم بعلى أن تنال مراكبه

ثم قال الرجل ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى «وَلَا تَجَسَّسُوا» فقال عمر صدقت و انصرف و قوله «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» قيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس و قوله للرجل الذى لم يتفسح له ابن فلانه فقال ص من الذاکر فلأنه فقام ثابت فقال أنا يا رسول الله فقال أنظر فى وجوه القوم فنظر إليهم فقال ما رأيت ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض و أسود و أحمر قال فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى و الدين فنزلت هذه الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ» الآية عن ابن عباس و قيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ص بلالا حتى علا ظهر الكعبه و أذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم و قال الحرث بن هشام أ ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا و قال سهيل بن عمرو أن يرد الله شيئا يغيره لغيره و قال أبو سفيان إنى لا- أقول شيئا أخاف أن يخبره به رب السماوات فأتى جبرائيل (عليه السلام) رسول الله ص فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول

الله ص و سألهما عما قالوا فأقروا به و نزلت الآية و زجرهم عن التفاخر بالأنساب و الازدراء بالفقر و التكاثر بالأموال عن مقاتل.

المعنى

لما أمر سبحانه بإصلاح ذات البين و نهى عن التفرقة عقب ذلك بالنهى عن أسباب الفرقة من السخرية و الازدراء بأهل الفقر و المسكنه و نحو ذلك فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا- يَسْخَرِ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ» قال الخليل القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض فى الأمور قال زهير:

و ما أدرى و لست أخال أدرى أ قوم آل حصن أم نساء

فالمعنى لا يسخر رجال من رجال و السخرية الاستهزاء قال مجاهد معناه لا يسخر غنى من فقير لفقره و ربما يكون الفقير المهين فى ظاهر الحال خيرا و أجل منزله عند الله من الغنى الحسن الحال و لو سخر مؤمن من كافر احتقارا له لم يكن مأثوما و قال ابن زيد هذا نهى عن استهزاء المسلمين بمن أعلن بفسقه عسى أن يكون المسخور عند الله خيرا من الساخر معتقدا أو أسلم باطنا «وَ لا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي تَقْدَمُ «عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» أى لا يطعن بعضكم على بعض كما قال تعالى وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةً فَكَأَنَّهُ إِذَا قَتَلَ أَخَاهُ قَتَلَ نَفْسَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَتَادَةَ وَ اللَّمْزُ الْعَيْبُ فِي الْمَشْهَدِ وَ اللَّمْزُ الْعَيْبُ فِي الْمَغِيبِ وَ قِيلَ أَنَّ اللَّمْزَ يَكُونُ بِاللِّسَانِ وَ بِالْعَيْنِ وَ بِالْإِشَارَةِ وَ اللَّمْزُ لا يَكُونُ إِلاَّ بِاللِّسَانِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ وَ لا يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَنِ الضَّحَّاكِ «وَ لا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ» جمع اللقب و هو اسم غير الذى سُمى به الإنسان و قيل هو كل اسم لم يوضع له و إذا دعى به يكرهه فأما إذا كان لا يسوؤه و لا يكرهه فلا بأس فيه مثل الفقيه و القاضى و قيل هو قول الرجل للرجل يا كافر يا فاسق يا منافق عن قتاده و عكرمه و قيل كان اليهودى و النصرانى يسلم فيقال له بعد ذلك يا يهودى أو يا نصرانى فنهوا عن ذلك عن الحسن و قيل هو أن يعمل إنسان شيئا من القبيح ثم يتوب منه فيغير بما سلف منه عن ابن عباس و

روى أن صفية بنت حبي بن أخطب جاءت إلى النبى ص تبكى فقال لها ما وراءك فقالت إن عائشه تعيرنى و تقول يهوديه بنت يهوديين فقال لها هلا قلت أبى هارون و عمى موسى و زوجى محمد ص

فنزلت الآية عن ابن عباس «بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ» أى بئس الاسم أن يقول له يا يهودى يا نصرانى و قد آمن عن الحسن و غيره و المعنى بئس الشىء تسميته باسم الفسوق يعنى الكفر بعد الإيمان و قيل معناه بئس الشىء اكتساب اسم الفسوق باغتيال المسلمين

و لمزهم و هذا لا- يدل على أن اسم الإيمان و الفسق لا يجتمعان لأن هذا كما يقال بئس الحال الفسوق بعد الشيب و المعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب و بئس الاسم الفسوق مع الإيمان على أن الظاهر أن المعنى أن الفسوق الذى يتعقب الإيمان بئس الاسم و ذلك هو الكفر «وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ» من التناز و المعاصى و يرجع إلى طاعه الله تعالى «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» نفوسهم بفعل ما يستحقون به العقاب «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ» قال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير سوء فأما أهل سوء و الفسق فلنا أن نظن بهم مثل ما ظهر منهم و قيل هو أن يظن بأخيه المسلم سوء و لا بأس به ما لم يتكلم به فإن تكلم بذلك الظن و أبداه أثم و هو قوله «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» يعنى ما أعلنه مما ظن بأخيه عن المقاتلين و قيل إنما قال كثيرا من الظن لأن من جملته ما يجب العمل به و لا يجوز مخالفته و إنما يكون إثما إذا فعله صاحبه و له الطريق إلى العلم بدلا منه فهذا ظن محرم لا يجوز فعله فأما ما لا- سبيل إلى دفعه بالعلم بدلا منه فليس بإثم و لذلك قال «بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» دون جميعه و الظن المحمود قد بينه الله تعالى و دل عليه بقوله «لَوْ لَا إِذْ سَجَعْتُمْوهَ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا» و قيل معناه يجب على المؤمن أن يحسن الظن و لا يسيئه فى شىء يجد له تأويلا جميلا و إن كان ظاهرا قبيحا «وَلَا تَجَسَّسُوا» أى و لا تتبعوا عثرات المؤمنين عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و قال أبو عبيده التجسس و التحسس واحد و روى فى الشواذ عن ابن عباس و لا تحسسوا بالحاء قال الأخفش و ليس يبعد أحدهما عن الآخر إلا أن التجسس عما يكتم و منه الجاسوس و التحسس بالحاء البحث عما تعرفه و قيل إن التجسس بالجيم فى الشر و الجاسوس صاحب سر الشر و الناموس صاحب سر الخير و قيل معناه لا تتبعوا عيوب المسلمين لتتسكروا العيوب التى سترها أهلها و قيل معناه و لا تبحثوا عما خفى حتى يظهر عن الأوزاعى

و فى الحديث إياكم و الظن فإن الظن أكذب الحديث و لا تجسسوا و لا تقاطعوا و لا تحاسدوا و لا تنازروا و كونوا عباد الله إخوانا

و قوله «وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه

و فى الحديث إذا ذكرت الرجل بما فيه مما يكرهه الله فقد اغتبتته و إذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتته

و عن جابر قال قال رسول الله ص إياكم

و الغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ثم قال أن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه و إن صاحب الغيبة لا- يغفر له حتى يغفر له صاحبه

ثم ضرب سبحانه للغيبة مثلاً فقال «أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً» و تأويله إن ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزله أن تأكل لحمه و هو ميت لا- يحس بذلك عن الزجاج و لما قيل لهم أ يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً قالوا لا فقيل «فَكَرِهْتُمُوهُ» أى فكما كرهتم ذلك فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا عن مجاهد و قيل فكما كرهتم لحمه ميتاً فاكرهوا غيبته حيا عن الحسن فهذا هو تقدير الكلام و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معطوف على هذا الفعل المقدر و مثله أ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَ وَضَعْنَا أَى و قد شرحنا و وضعنا و يقال للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس قال:

و ليس الذئب يأكل لحم ذئب و يأكل بعضنا بعضا عيانا

و قال آخر:

فإن يأكلوا لحمى و فرت لحومهم و إن يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا

و قال قتاده كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً لكراهيه الطبع كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته لكراهيه العقل و الشرع لأن دواعى العقل و الشرع أحق بالاتباع من دواعى الطبع فإن داعى الطبع أعمى و داعى العقل بصير و عن ميمون بن شاه و كان يفضل على الحسن لأنه قد لقي من لم يلقه الحسن قال بينا أنا نائم إذا بجيفه زنجى و قائل يقول لى كل يا عبد الله قلت و لم آكل قال بما اغتیب عندك فلان قلت و الله ما ذكرت فيه خيرا و لا شرا قال لكنك استمعت فرضيت و كان ميمون بعد ذلك لا يدع أن يغتاب عنده واحد و قال رجل لابن سيرين إنى قد اغتبتك فاجعلنى فى حل قال إنى أكره أن أحل ما حرم الله «إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ» قابل التوبه «رَحِيمٌ» بالمؤمنين «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» أى من آدم و حواء و المعنى أنكم متساوون فى النسب لأن كلكم يرجع فى النسب إلى آدم و حواء زجر الله سبحانه عن التفاخر بالأنساب

و روى عكرمه عن ابن عباس أن النبى ص قال إنما أنتم من رجل و امرأه كجمام الصاع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى

ثم ذكر سبحانه أنه إنما فرق أنساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال «وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ» و هى جمع شعب و هو الحى العظيم مثل مضر و ربيعة و قبائل هى دون الشعوب كبكر من ربيعة و تميم من مضر هذا قول أكثر المفسرين و قيل الشعوب دون القبائل و إنما سميت بذلك لتشعبها و تفرقها عن

قيل أراد بالشعوب الموالى و بالقبائل العرب فى روايه عطا عن ابن عباس و إلى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم و القبائل من العرب و الأسباط من بنى إسرائيل و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

«لِتَعَارَفُوا» أى جعلناكم كذلك لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضا بنسبه و أبيه و قومه و لو لا ذلك لفسدت المعاملات و خربت الدنيا و لما أمكن نقل حديث «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» أى إن أكثركم ثوابا و أرفعكم منزله عند الله أتقاكم لمعاصيه و أعملكم بطاعته

و روى عن النبى ص أنه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فضيعة ما عهدت إليكم فيه و رفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي و أضع أنسابكم أين المتقون «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»

و روى أن رجلا- سأل عيسى بن مريم أى الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أى هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم

أبو بكر البيهقى بالإسناد عن عبايه بن ربيعى عن ابن عباس قال قال رسول الله ص إن الله عز و جل جعل الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهم قسما و ذلك قوله «وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ» و «أَصْحَابُ الشَّمَالِ» فأنا من أصحاب اليمين و أنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا و ذلك قوله «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» و «أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» و «السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» فأنا من السابقين و أنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيله و ذلك قوله «وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ» الآية فإنى أتقى ولد آدم و لا- فخر و أكرمهم على الله و لا- فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا و ذلك قوله عز و جل «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» فأنا و أهل بيتى مطهرون من الذنوب

«إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بأعمالكم «خَبِيرٌ» بأحوالكم لا يخفى عليه شىء من ذلك «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا» و هم قوم من بنى أسد أتوا النبى ص فى سنه جديه و أظهروا الإسلام و لم يكونوا مؤمنين فى السر إنما كانوا يطلبون الصدقه و المعنى أنهم قالوا صدقنا بما جئت به فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آيه معجزه له فقال «قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا» أى لم تصدقوا على الحقيقه فى الباطن «وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا» أى انقدنا و استسلمنا مخافه السبى و القتل عن سعيد بن جبير و ابن زيد ثم بين سبحانه أن الإيمان محله القلب دون اللسان فقال «وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» قال الزجاج الإسلام إظهار الخضوع و القبول لما أتى به الرسول و بذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد و تصديق بالقلب فذلك الإيمان و صاحبه المؤمن المسلم حقا فأما من أظهر قبول الشريعة و استسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم و باطنه غير مصدق و قد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله «وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» أى لم تصدقوا بعد بما أسلمتم تعوذا من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر و المسلم التام الإسلام مظهر

للطاعة و هو مع ذلك مؤمن بها و الذى أظهر الإسلام تعوذا من القتل غير مؤمن فى الحقيقه إلا- أن حكمه فى الظاهر حكم المسلمين

و روى أنس عن النبى ص قال الإسلام علانيه و الإيمان فى القلب

و أشار إلى صدره «وَ إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا» أى لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً عن ابن عباس و مقاتل «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

[سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١٥ الى ١٨]

اشاره

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِعَدِينِكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمْئُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

القراءه

قرأ ابن كثير يعملون بالياء و الباقرن بالتاء.

الحجه

وجه التاء أن قبله خطابا و هو قوله «لَا تَمُنُّوا» و وجه الياء أن قبله غيبه و هو قوله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا».

الإعراب

خبر المبتدأ الذى هو المؤمنون قوله «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» و قوله «الَّذِينَ آمَنُوا» صفة لهم.

المعنى

ثم نعت سبحانه الصادقين فى إيمانهم فقال «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا» أى لم يشكوا فى دينهم بعد الإيمان «وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» فى أقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس فى قلبه قالوا فلما نزلت الآياتن أتوا رسول الله ص يحلفون أنهم مؤمنون صادقون فى دعواهم الإيمان فأنزل الله سبحانه «قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِعَدِينِكُمْ» أى أ تخبرون الله بالدين الذى أنتم

عليه و المعنى أنه سبحانه عالم بذلك فلا يحتاج إلى إخباركم به و هذا استفهام إنكار و توبيخ أى كيف تعلمون الله بدينكم «وَ
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لأن العالم لنفسه يعلم المعلومات كلها بنفسه فلا يحتاج إلى
علم يعلم به و لا- إلى من يعلمه كما أنه إذا كان قديما موجودا فى الأزل لنفسه استغنى عن موجد أو جده و كانوا يقولون آمنا
بك من غير قتال و قاتلك بنو فلان فقال سبحانه «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا» أى بأن أسلموا و المعنى أنهم يمتنون عليك بالإسلام
«قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم» أى بإسلامكم «بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ» أى بأن هداكم للإيمان و أرشدكم إليه بأن
نصب لكم من الأدله عليه و أزاح علكم و وفقكم له «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى ادعائكم للإيمان «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» من طاعه و معصيه و إيمان و كفر.

(٥٠) سورة ق مكيه و آياتها خمس و أربعون (٤٥)

اشاره

اشاره

قال الحسن غير قوله «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» إلى قوله «وَقَبْلَ الْعُرُوبِ» و المعدل عن ابن عباس «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» الآية و هي خمس و أربعون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت و سكراته.

أبو حمزه الثمالى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال و من أدمن فى فرائضه و نوافله سورة ق وسع الله فى رزقه و أعطاه كتابه بيمينه و حاسبه حسابا يسيرا.

تفسيرها

لما ختم الله تلك السوره بذكر الإيمان و شرائطه للعبيد افتتح هذه السوره بذكر ما يجب الإيمان به من القرآن و أدله التوحيد فقال:

[سورة ق (٥٠): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أِذَا مِنْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ (٥)

و لم يعد «ق» آيه و لا نظير له من نون و صاد لأنه مفرد و كل مفرد فإنه لا يعد لبعده من شبه

ص: ٢١١

الجملة فأما المركب مما أشبه الجملة و وافق رءوس الآى فإنه يعد مثل طه و حم* و الم* و ما أشبه ذلك.

اللغة

المجيد الكريم المعظم و العظيم المكرم و المجد فى كلامهم الشرف الواسع يقال مجد الرجل و مجد مجدا إذا عظم و كرم و أصله من قولهم مجدت الإبل مجودا إذا عظمت بطونها من كثرة أكلها من كلاء الربيع و أمجد فلان القوم قرى قال:

أتيناه زوارا فأمجدنا قرى من البث و الداء الدخيل المخامر

و العجيب و العجب هو كل ما لا يعرف علتة و لا سببه و المريخ المختلط الملبس و أصله إرسال الشىء مع غيره من المرج قال الشاعر:

فجالت فالتمست به حشاها فخر كأنه غصن مريخ

أى قد التبس بكثرة شعبه و مرجت عهدهم و أمرجوها أى خلطوها و لم يفوا بها.

الإعراب

جواب القسم فى «ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» محذوف يدل عليه أ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا* و تقديره إنكم مبعوثون فقال أ نبعث إذا متنا و كنا ترابا و يجوز أن يكون الجواب «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ» و حذف اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا إِلَى قَوْلِهِ «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» و المعنى لقد أفلح و العامل فى «أ إِذَا مِتْنَا» مضمرة و التقدير أ إذا متنا بعثنا.

المعنى

«ق» قد مر تفسيره و قيل إنه اسم من أسماء الله تعالى عن ابن عباس و قيل هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء خضره السماء منها عن الضحاك و عكرمه و قيل معناه قضى الأمر أو قضى ما هو كائن كما قيل فى حم* حم الأمر «وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» أى الكريم على الله العظيم فى نفسه الكثير الخير و النفع لتبعثن يوم القيامة و قيل تقديره و القرآن المجيد أن محمدا رسول الله ص بدلاله قوله «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» أى ما كذبك قومك لأنك كاذب بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم و حسبوا أنه لا- يوحى إلا- إلى ملك «فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ» أى معجب عجبوا من كون محمد ص رسولا إليهم فأنكروا رسالته و أنكروا البعث بعد الموت و هو قوله «أ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا»

أنبعث و نرد أحياء «ذَلِكَ» أى ذلك الرد الذى يقولون «رَجَّعَ بَعِيدٌ» أى رد بعيد عن الأوهام و إعادته بعيدة عن الكون و المعنى أنه لا يكون ذلك لأنه غير ممكن ثم قال سبحانه «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ» أى ما تأكل الأرض من لحومهم و دمائهم و تبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم «وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ» أى حافظ لعدتهم و أسمائهم و هو اللوح المحفوظ لا يشذ عنه شىء و قيل حفيظ أى محفوظ عن البلى و الدروس و هو كتاب الحفظه الذين يكتبون أعمالهم ثم أخبر سبحانه بتكذيبهم فقال «يَلُ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ» و الحق القرآن و قيل هو الرسول «فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ» أى مختلط فمره قالوا مجنون و تاره قالوا ساحر و تاره قالوا شاعر فتحيروا فى أمرهم لجهلهم بحاله و لم يثبتوا على شىء واحد و قالوا للقرآن أنه سحر مره و زجر مره و مفتري مره فكان أمرهم ملتبسا عليهم قال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم.

[سوره ق (٥٠): الآيات ٦ الى ١١]

إشارة

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَ ذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَ النَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠)

رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)

اللغة

الفروج الشقوق و الصدوع و فى الحائط فرجه بضم الفاء فإذا قيل فرجه بفتح الفاء فهو التفصى من الهم قال:

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجه كحل العقال

أى رب شىء تكرهه النفوس و ما هاهنا نكره موصوفه و الفرج موضع المخافه و فى عهد الحجاج أنى وليتك الفرجين يعنى خراسان و سجستان و الحصيد ما حصد من أنواع النبات

و الباسقات الطوال و بسق النخل بسوقا و الطلع طلع النخلة سمي بذلك لطلوعه و النضيد ما نضد بعضه على بعض.

الإعراب

كيف يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون مصدرا «و ما لها من فُروجٍ» فى موضع نصب على الحال تقديره غير مفروجه و الأرض منصوبه بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر و تقديره و مددنا الأرض مددناها تبصره مفعول له و كذلك ذكرى و «حَبَّ الحَصِيدِ» تقديره و حب النبات الحصيد و الحصيد صفة لموصوف محذوف و باسقات نصب على الحال و كذلك الجملة التى هى «لها طَلَعُ نَضِيدٍ» حال بعد حال و «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» مفعول له أى أنبتنا هذه الأشياء لرزق العباد و يجوز أن يكون مفعولا مطلقا أعنى المصدر و تقديره رزقناهم رزقا.

المعنى

ثم أقام سبحانه الدلالة على كونه قادرا على البعث فقال «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ» أى ألم يتفكروا فى بناء السماء مع عظمها و حسن ترتيبها و انتظامها «كَيْفَ بَنَيْنَاهَا» بغير علاقته و لا عماد «وَرِزْقَانَا» بالكواكب السياره و النجوم الثوابت «و ما لها من فُروجٍ» أى شقوق و فتوق و قيل معناه ليس فيها تفاوت و اختلاف عن الكسائى و إنما قال فوقهم بينها على أنهم يرونها و يشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها «و الأَرْضَ مَدَدْنَاهَا» أى بسطناها «و أَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِي» أى جبالا رواسخ تمسكها عن الميدان «و أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ» أى من كل صنف حسن المنظر عن ابن زيد و البهجة الحسن الذى له روعه عند الرؤيه كالزهره و الأشجار النضرة و الرياض الخضرة و قال الأخفش البهيج الذى من رآه بهج به أى سر به فهو بمعنى المبهوج به «تَبَصَّرَهُ وَ ذَكَرَى» أى فعلنا ذلك تبصيرا ليصير به أمر الدين و تذكيرا و تذكرا «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» راجع إلى الله تعالى «و نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا» أى مطرا و غيثا يعظم النفع به «فَأَنْبَتْنَا بِهِ» أى بالماء «جَنَاتٍ» أى بساتين فيها أشجار تشتمل على أنواع الفواكه المستلذه «و حَبَّ الحَصِيدِ» أى حب البر و الشعير و كل ما يحصد عن قتاده لأن من شأنه أن يحصد إذا تكامل و استحصد و الحب هو الحصيد فهو مثل حق اليقين و مسجد الجامع و نحوهما «و النَّخْلَ بِاسِقَاتٍ» أى و أنبتنا به النخل طويلات عاليات «لها طَلَعُ نَضِيدٍ» أى لهذه النخل الموصوفه بالعلو طلع نضد بعضه على بعض عن مجاهد و قتاده و الطلع الكفرى و هو أول ما يظهر من ثمر النخل قبل أن ينشق و هو نضيد فى أكامه فإذا خرج من أكامه فليس بنضيد «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» أى أنبتنا هذه الأشياء للرزق و كل رزق فهو من الله تعالى بأن يكون قد فعله أو فعل سببه لأنه مما يريده و قد يرزق الواحد منا

غيره كما يقال رزق السلطان جنده «وَ أَحْيَيْنَا بِهِ» أى بذلك الماء الذى أنزلناه من السماء «بَلَدَهُ مَيِّتًا» أى جدبا و قحطا لا تنبت شيئا فنبت و عاشت ثم قال «كَذَلِكَ الْخُرُوجُ» من القبور أى مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء نحى الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم فإن من قدر على أحدهما قدر على الآخر و إنما دخلت الشبهه على هؤلاء من حيث أنهم رأوا العاده مستمره فى إحياء الموات من الأرض بنزول المطر و لم تجر العاده بإحياء الموتى من البشر و لو أنعموا الفكر و أمعنوا النظر لعلموا أن من قدر على أحد الأمرين قدر على الآخر.

[سوره ق (٥٠): الآيات ١٢ الى ٢٠]

اشاره

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحَابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ (١٢) وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَ قَوْمُ بُنِعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوسِّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ فَعَيْدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَ نُنْفِخُ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠)

القراءه

فى الشواذ قراءه أبى بكر عند خروج نفسه و جاءت سكره الحق بالموت و هى قراءه سعيد بن جبير و طلحه و رواها أصحابنا عن أئمه الهدى (عليه السلام).

الحجه

قال ابن جنى لك فى الباء ضربان من التقدير إن شئت علقتها بنفس جاءت كقولك جئت بزيد أى أحضرته و إن شئت علقتها بمحذوف و جعلتها حالا- أى و جاءت سكره الحق و معها الموت كقولك خرج بشيابه أى و ثيابه عليه و مثله قوله فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ أى و زينته عليه و كقول أبى ذؤيب:

يعثرن فى حد الظباه كأنما كسيت برود بنى يزيد الأذرع

أى يعثرن و هن فى حد الظباه و كقول الآخر:

و مستنه كاستنان الخروف و قد قطع الحبل بالمروود

أى قطعه و فيه مروده و كذلك قراءه العامه «و جاءت سِكره الموتِ بِالْحَقِّ» إن شئت علقت الباء بنفس جاءت و إن شئت علقتها بمحذوف و جاءت سكره الموت و معها الحق.

اللغه

يقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه و تعذر ذلك عليك و أعييت إذا تعبت و كل ذلك من التعب إلا أن أحدهما فى الطلب و الآخر فيما وقع الفراغ عنه و الوريد عرق فى الحلق و هما وريدان فى العنق عن يمين و شمال و كأنه العرق الذى يرد إليه ما ينصب من الرأس و جبل الوريد جبل العاتق و هو منفصل من الحلق إلى العاتق و الرقيب الحافظ و العتيد المعد للزوم الأمر.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الأمم المكذبه تسليه للنبي ص و تهديدا للكفار فقال «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» من الأمم الماضيه «قَوْمُ نُوحٍ» فأغرقهم الله «و أَصْحَابُ الرَّسِّ» و هم أصحاب البئر التى رسوا نبيهم فيها بعد أن قتلوه عن عكرمه و قيل الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين عن الضحاك و قيل هم قوم كانوا باليمامة على آبار لهم عن قتاده و قيل هم أصحاب الأخدود و

قيل كان سحق النساء فى أصحاب الرس و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

«و تَمُودٌ» و هم قوم صالح «و عَادٌ» و هم قوم هود «و فِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ» أى و كذب فرعون موسى و قوم لوط لوطا و سماهم إخوانه لكونهم من نسبه «و أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» و هم قوم شعيب «و قَوْمُ ثُبَيْعٍ» و هو تبع الحميرى الذى ذكرناه عند قوله أ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ ثُبَيْعٍ كُلُّ» من هؤلاء المذكورين «كَذَّبَ الرَّسُلَ» المبعوثه إليهم و جحدوا نبوتهم «فَحَقَّ وَعِيدِ» أى و جب عليهم عذابى الذى أوعدتهم به فإذا كان مآل الأمم الخاليه إذا كذبوا الرسل الهلاك و الدمار و إنكم معاشر العرب قد سلكتم مسالكهم فى التكذيب و الإنكار فحالكم كحالهم فى التباب و الخسار ثم قال سبحانه جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد «أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» أى أفعجزنا

حين خلقناهم أولاً- و لم يكونوا شيئاً فكيف نعجز عن بعثهم و إعادتهم و هذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق ثم أنكروا البعث و يقال لكل من عجز عن شىء عيبى به ثم ذكر أنهم فى شك من البعث بعد الموت فقال «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقِ جَدِيدٍ» أى بل هم فى ضلال و شك من إعادة الخلق جديداً و اللبس منع من إدراك المعنى بما هو كالستر له و الجديده القريب الإنشاء «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» أراد به الجنس يعنى ابن آدم «وَنَعَلَمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ» أى ما يحدث به قلبه و ما يخفى و يكن فى نفسه و لا يظهره لأحد من المخلوقين «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ» بالعلم «مَنْ حَبَلَ الْوَرِيدِ» و هو عرق يتفرق فى البدن يخالط الإنسان فى جميع أعضائه و قيل هو عرق الحلق عن ابن عباس و مجاهد و قيل هو عرق متعلق بالقلب يعنى نحن أقرب إليه من قلبه عن الحسن و قيل معناه نحن أعلم به ممن كان منه بمنزله جبل الوريد فى القرب و قيل معناه نحن أملك له من جبل وريده مع استيلائه عليه و قربه منه و قيل معناه نحن أقرب إليه بالإدراك من جبل الوريد لو كان مدركا ثم ذكر سبحانه أنه مع علمه به و كل به ملكين يحفظان عليه عمله إلزاما للحجه فقال «إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ» فإذا متعلقه بقوله وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ* أى و نحن أعلم به و أملك له حين يتلقى المتلقيان و هما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ» أراد عن اليمين قعيد و عن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر و المراد بالقعيد هنا الملازم الذى لا يبرح لا القاعد الذى هو ضد القائم و قيل عن اليمين كاتب الحسنات و عن الشمال كاتب السيئات عن الحسن و مجاهد و قيل الحفظه أربعه ملكان بالنهار و ملكان بالليل عن الحسن «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» أى ما يتكلم بكلام فيلفظه أى يرميه من فيه إلا لديه حافظ حاضر معه يعنى الملك الموكل به إما صاحب اليمين و إما صاحب الشمال يحفظ عمله لا يغيب عنه و الهاء فى لديه تعود إلى القول أو إلى القائل

و عن أبى أمامه عن النبى ص قال إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسىء فإن ندم و استغفر الله منها ألقاها و إلا كتب واحده

و فى روايه أخرى قال صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل حسنه كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها و إذا عمل سيئه فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شىء و إن لم يستغفر الله كتب له سيئه واحده

و عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ص إن الله تعالى و كل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالوا يا رب قد قبضت عبدك فلاننا فيألى أين قال سمائي مملوءه بملائكتى يعبدوننى و أرضى مملوءه من خلقى يطيعوننى اذهبنا إلى قبر عبدى فسبحانى و كبرانى و هلالنى فاكتبا ذلك فى حسنات عبدى إلى يوم القيامة

«وَجَاءَتْ

ص: ٢١٧

سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» أى جاءت غمره الموت و شدته التى تغشى الإنسان و تغلب على عقله بالحق أى أمر الآخرة حتى عرفه صاحبه و اضطر إليه و قيل معناه جاءت سكره الموت بالحق الذى هو الموت قال مقاتل يعنى أنه حق كائن و المراد أن هذه السكره قد قربت منكم فاستعدوا لها فهى لقربها كالحاصله مثل قوله تعالى أَتَى أَمْرُ اللَّهِ و روى أن عائشه قالت عند وفاه أبى بكر:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر

فقال أبو بكر لا تقولى ذلك و لكنه كما قال الله تعالى «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» و يقال لمن جاءته سكره الموت «ذَلِكَ» أى ذلك الموت «مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ» أى تهرب و تميل «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ» قد مر تفسيره «ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ» أى ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذى خوف الله به عباده ليستعدوا و يقدموا العمل الصالح له.

ص: ٢١٨

إشارة

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَفَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥)

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَ لَكِنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَمْ لِئِي وَ قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَمَدَى وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠)

القرءاء

قرأ نافع و أبو بكر يوم يقول بالياء و الباقون بالنون.

الحجج

الياء على معنى يقول الله تعالى و النون أشبه بقوله «قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ» و قوله «وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

اللغة

السوق الحث على السير و الحديد الحاد مثل الحفيظ و الحافظ و العنيد الجائر عن القصد و هو العنود و العاند و ناقه عنود لا تستقيم في سيرها و العنيد المتحير منه.

الإعراب

«هذا ما لَدَى عَتِيدٌ» ما هاهنا نكره موصوفه و تقديره هذا شىء ثابت لدى عتيد فالظرف صفة لما و كذلك عتيد. جهنم لا ينصرف للتعريف و التأنيث و أصله من قولهم بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر و قيل هو أعجمى فلا ينصرف للتعريف و العجمة و قوله «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن العرب تأمر الواحد و القوم بما يؤمر به الاثنان يقول للرجل الواحد قوما و اخرجوا و يحكى عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه يريد اضرب قال الفراء سمعت من العرب من يقول ويلك ارحلاها و أنشدنى بعضهم:

فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع أصوله و اجتر شيحا

و أنشدنى أبو ثروان:

فإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر و إن تدعانى أحم عرضا ممنعا

قال و ترى أن ذلك منهم لأجل أن أدنى أعوان الرجل فى إبله و غنمه اثنان و كذلك الرفقه أدنى ما تكون ثلاثه فجرى كلام الواحد على صاحبيه ألا ترى أن الشعراء أكثر شىء قبيلا يا صاحبي و يا خليلي قال امرؤ القيس:

خليلي مرا بى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

فإنكما إن تنظرانى ليله من الدهر تنفعنى لدى أم جندب

ثم قال:

ألم تر أنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا و إن لم تطيب

ص: ٢١٩

فرجع إلى الواحد لأن أول الكلام واحد في لفظ الاثنين و أنشد أيضا:

خليلى قوما فى عطاله فانظرا أ نارا ترى من نحو ما بين أم برقا

و لم يقل تريا (و الثانى) أنه إنما ثنى ليدل على التكثير كأنه قال ألق ألقى فثنى الضمير ليدل على تكرير الفعل و هذا لشده ارتباط الفاعل بالفعل حتى إذا كرر أحدهما فكأن الثانى كرر و هذا قول المازنى و مثله عنده قال رَبِّ ارْجِعُونِ إنما جمع ليدل على التكرير كأنه قال ارجعنى ارجعنى ارجعنى و حمل عليه قول امرئ القيس:

" قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل "

و نحو ذلك أى كأنه قال قف قف (و الثالث) أن الأمر تناول السائق و الشهيد فكأنه قال يا أيها السائق و يا أيها الشهيد ألقيا (و الرابع) أنه يريد النون الخفيفه فكان ألقين فأجرى الوصل مجرى الوقف فأبدل من النون ألفا كما قال الأعشى:

و ذا النسك المنسوب لا تنسكنه و لا تعبد الشيطان و الله فاعبدا

و يؤيد هذا القول ما روى عن الحسن أنه قرأ ألقيا بالتنوين. «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» إن كان مبتدأ فخبره قوله «فَأَلْقِيَاءُ» و يجوز أن يكون نصبا بمضمر يفسره فألقيا و يجوز أن يكون نصبا بدلا من قوله «كُلُّ كَفَّارٍ» و لا يجوز أن يكون جرا صفة لكفار لأن النكرة لا توصف بالموصول إنما الموصول وصله إلى وصف المعارف بالجمل.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث فقال «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ» أى و تجىء كل نفس من المكلفين فى يوم الوعيد و معها سائق من الملائكة يسوقها أى يحثها على السير إلى الحساب و شهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها و شاهده منها و كتبه عليها فلا يجد إلى الهرب و لا إلى الجحود سبيلا و قيل السائق من الملائكة و الشهيد الجوارح تشهد عليها عن الضحاك «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ» أى يقال له لقد كنت فى سهو و نسيان «مِنْ هَذَا» اليوم فى الدنيا و الغفله ذهاب المعنى عن النفس «فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفِّ» الذى كان فى الدنيا يغشى قلبك و سمعك و بصرك حتى ظهر لك الأمر و إنما تظهر الأمور فى الآخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم فيصير بمنزله كشف الغطاء لما يرى و إنما يراد به جميع المكلفين برهم و فاجرهم لأن معارف الجميع ضرورية

«فَبَصِيرَةُ الْيَوْمِ حَدِيدٌ» أى فعينك اليوم حاده النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهه وقيل معناه فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ولا يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير بالنحو والفقه وقيل هو خاص فى الكافر أى فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره فى الدنيا عن ابن عباس

«وَقَالَ قَرِينُهُ» يعنى الملك الشهيد عليه عن الحسن وهو المروى عن أبى جعفر وأبى عبد الله (عليه السلام)

وقيل قرينه الذى قيض له من الشياطين عن مجاهد وقيل قرينه من الإنس «هذا ما لَدَى عَتِيدٍ» إن كان المراد به الملك الشهيد فمعناه هذا حسابه حاضر لدى فى هذا الكتاب أى يقول لربه كنت وكلنتى به فما كتبت من عمله حاضر عندى وإن كان المراد به الشيطان أو القرين من الإنس فالمعنى هذا العذاب حاضر عندى معد لى بسبب سيئاتى «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ» هذا خطاب لخازن النار وقيل خطاب للملكين الموكلين به وهما السائق والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه و

روى أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن الأعمش أنه قال حدثنا أبو المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ص إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لى و لعلى ألقيا فى النار من أبغضكما وأدخلا الجنة من أحبكما وذلك قوله «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ»

والعنيد المذهب عن الحق وسبيل الرشده «مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ» الذى أمر الله به من بذل المال فى وجوهه «مُعْتِيدٌ» ظالم متجاوز يتعدى حدود الله «مُرِيبٌ» أى شاك فى الله وفيما جاء من عند الله وقيل متهم يفعل ما يرتاب بفعله ويظن به غير الجميل مثل المليم الذى يفعل ما يلام عليه وقيل إنها نزلت فى الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه فى الإسلام فمنعهم فىكون المراد بالخير الإسلام «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» من الأصنام والأوثان «فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ» هذا تأكيد للأول فكأنه قال افعلا ما أمرتكما به فإنه مستحق لذلك «قَالَ قَرِينُهُ» أى شيطانه الذى أغواه عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وإنما سمي قرينه لأنه يقرن به فى العذاب وقيل قرينه من الإنس وهم علماء السوء والمتبوعون «رَبَّنَا مَا أَطَّعْتَهُ» أى ما أضللتته وما أوقعته فى الطغيان باستكراه أى لم أجعله طاغيا «وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ» من الإيمان «بَعِيدٍ» أى ولكنه طغى باختياره السوء ومثل هذا قوله وما كان لى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لى «قَالَ» الله تعالى لهم «لَا تَخْصِمُوا لَدَىَّ» أى لا يخاصم بعضكم بعضا عندى «وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ» فى دار التكليف ولم تنزجروا وخالفتم أمرى «مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ» المعنى أن الذى قدمته لكم فى دار الدنيا من أنى أعاقب من جحدنى وكذب رسلى وخالفنى فى أمرى لا يبدل بغيره ولا يكون خلافه «وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» أى لست بظالم أحدا فى عقابى لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصى التى استحق بها ذلك وإنما قال

بظلام على وجه المبالغه ردا على من أضاف الظلم إليه تعالى و تقدر عن ذلك «يَوْمَ نَقُولُ لِيَجْهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ» يتعلق يوم بقوله «ما يُبَيِّدُ الْقَوْلَ لَدَيَّ» الآية و قيل يتعلق بتقدير اذكر يا محمد ذلك اليوم الذى يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت من كثره ما ألقى فيك من العصاه «وَتَقُولُ» جهنم «هَيْلٌ مِنْ مَزِيدٍ» قال أنس طلبت الزيادة و قال مجاهد المعنى معنى الكفايه أى لم يبق مزيد لامتلائها و يدل على هذا القول قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» * و قيل فى الوجه الأول إن هذا القول كان منها قبل دخول جميع أهل النار فيها و يجوز أن تكون تطلب الزيادة على أن يزداد فى سعتها كما

عن النبى ص أنه قيل له يوم فتح مكة أ لا- تنزل دارك فقال و هل ترك لنا عقيل من دار لأنه كان قد باع دور بنى هاشم لما خرجوا إلى المدينة

فعلى هذا يكون المعنى و هل بقى زياده فأما الوجه فى كلام جهنم فقيل فيه وجوه (أحدها) أنه خرج مخرج المثل أى إن جهنم من سعتها و عظمتها بمنزله الناطقه التى إذا قيل لها هل امتلأت تقول لم أمتلئ و بقى فى سعه كثيره و مثله قول عنتره:

فأزور من وقع القنا بلبانه و شكاً إلى بعبره و تحمحم

و قال آخر:

امتلاً الحوض و قال قطنى مهلاً رويدا قد ملأت بطنى

(و ثانيها) أنه سبحانه يخلق لجهنم آله الكلام فتتكلم و هذا غير منكر لأن من أنطق الأيدى و الجوارح و الجلود قادر على أن ينطق جهنم (و ثالثها) أنه خطاب لخرنه جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلأت جهنم فيقولون بلى لم يبق موضع لمزيد ليعلم الخلق صدق وعده عن الحسن قال و معناه ما من مزيد أى لا- مزيد كقوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ وَ هُوَ قَوْلُ وَاصِلِ بْنِ عِظَاءِ وَ عمرو بن عبيد.

ص: ٢٢٢

اشاره

وَ أَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)

وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعَذَابٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَاهِدٌ (٣٧) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلِ الْغُرُوبِ (٣٩) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ ادْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)

القراءه

قرأ أهل الحجاز و حمزه و خلف و إدبار بكسر الهمزة و الباقون «وَ ادْبَارَ السُّجُودِ» بالفتح و فى الشواذ قراءه ابن عباس و أبى العاليه و يحيى بن يعمر فنقبوا فى البلاد بكسر القاف و قراءه السدى و ألقى السمع و قراءه أبى عبد الرحمن السلمى و طلحه و ما مسنا من لغوب بفتح اللام.

الحجه

قال أبو على أدبار مصدر و المصادر تجعل ظروفًا على إرادته إضافة أسماء الزمان إليها و حذفها كقولك جئتكم مقدم الحاج و خفوق النجم و خلافه فلان تريد فى ذلك كله وقت كذا فكذلك يقدر هنا وقت أدبار السجود إلا أن المضاف المحذوف فى هذا الباب لا يكاد يظهر و لا يستعمل فهذا أدخل فى باب الظروف من قول من فتح فكأنه أمر بالتسيح بعد الفراغ من الصلاة و من فتح فجعله جمع دبر أو دبر مثل قفل و أقفال و طنّب و أطناب و قد استعمل ذلك ظرفًا نحو جئتكم فى دبر الصلاة و فى أدبار الصلاة قال أوس بن حجر:

على دبر الشهر الحرام بأرضنا و ما حولها جذب سنون تلمع

و أما من قرأ فنقبوا فقد قال ابن جنى أنه فعلوا من النقب أى أدخلوا و غوروا فى الأرض فإنكم لا تجدون لكم محيصا و قوله «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ» معناه أو ألقى السمع منه و قوله «وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» فيمكن أن يكون من المصادر التى جاءت على فعول بفتح الفاء كالوضوء و الولوغ

و الوزوع و القبول و هى صفات مصادر محذوفه أى توضأت وضوءاً أى وضوءاً حسناً و كذلك هذا أى و ما مسنا من لغوب لغوب أى تعب متعب.

اللغة

الإزلاف التقريب إلى الخير و منه الزلفه و الزلفى و ازدلف إليه أى اقترب و المزدلفه منزله قربه من الموقف و هو المشعر و جمع و منه قول الراجز:

ناج طواه الأين مما أوجفا طى الليالى زلفا فرلفا

سماوه الهلال حتى احقوقفا

و التنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك و هو من النقب الذى هو الفتح قال امرؤ القيس:

لقد نقتب فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمه بالإياب

أى طوفت فى طرقها و سرت فى نقوبها و اللغوب الإعياء.

الإعراب

«غَيْرَ بَعِيدٍ» صفة مصدر محذوف تقديره إزلافاً غير بعيد و يجوز أن يكون منصوباً على الحال من الجنة و لم يقل غير بعيد لأنه فى تقدير النسب أى غير ذات بعد و قوله «لِكُلِّ أَوَّابٍ» يجوز أن يكون فى موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أى هو لكل أواب و لا يجوز أن يكون خبراً بعد خبر تقديره هذا الموعود هذا لكل أواب حفيظ و لا يجوز أن تتعلق اللام بتوعدون لأن الأوابين هم الموعودون لا الموعود لهم. «مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ» يجوز أن يكون فى محل جر على البدل من أواب فىتم الكلام عند قوله «وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» و يجوز أن يكون مبتدأ و خبره محذوف على تقدير يقال لهم ادخلوها فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله «لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ» و يقتضى أن يكون ادخلوها خطاباً للمتقين و تقديره و تزلف الجنة للمتقين و يقال لهم ادخلوها بسلام.

المعنى

لما أخبر سبحانه عما أعدّه للكافرين و العصاه عقبه بذكر ما أعدّه للمتقين فقال «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» أى قربت الجنة و أدنيت للذين اتقوا الشرك و المعاصى حتى يروا ما فيها من النعيم و الجنة هى البستان الذى يجمع كل لذة من الأنهار و الأشجار و طيب

الثمار و من الأزواج الكرام و الحور الحسان و الخدم من الولدان و من الأبنية الفاخره المزينه بالياقوت و الزمرد و العقيان نسأل الله التوفيق لما يقرب من رضاه «غَيْرَ بَعِيدٍ» أى هى قريبه منهم لا يلحقهم ضرر و لا مشقه فى الوصول إليها و قيل معناه ليس ببعيد مجيء ذلك لأن كل آت قريب و مثله قول الحسن كأنك بالدنيا كأن لم تكن و بالآخره كأن لم تزل «هذا ما تُوعَدُونَ» أى هذا الذى ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على ألسنه الرسل «لِكُلِّ أَوَّابٍ» أى تواب رجاع إلى الطاعه عن الضحاك و ابن زيد و قيل لكل مسبح عن ابن عباس و عطاء «حَفِيظٍ» لما أمر الله به متحفظ من الخروج إلى ما لا يجوز من سيئه تدنسه أو خطيئه تحط منه و تشينه «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ» أى هو من خاف الله و أطاعه و آمن بثوابه و عقابه و لم يره و قيل بالغيب أى فى الخلوه بحيث لا يراه أحد عن الضحاك و السدى «وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» أى و دام على ذلك حتى وافى الآخره بقلب مقبل على طاعه الله راجع إلى الله بضمائره «ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ» أى يقال لهم ادخلوا الجنة بأمان من كل مكروه و سلامه من كل آفه و قيل بسلام من الله و ملائكته عليهم «ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ» الوقت الذى يبقون فيه فى النعيم مؤبدين لا إلى غايه «لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا» أى لهم فى الجنة ما تشتهيه أنفسهم و يريدونه من أنواع النعم «وَلَمَدَيْنَا مَزِيدًا» أى و عندنا زياده على ما يشاءونه مما لم يخطر ببالهم و لم تبلغهم أمانتهم و قيل هو الزياده على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم ثم خوف سبحانه كفار مكه فقال «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ» أى كثيرا أهلكتنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسلهم «هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا» أى الذين أهلكتناهم كانوا أشد قوه من هؤلاء و أكثر عده و عده و لم يتعذر علينا ذلك فما الذى يؤمن هؤلاء من مثله «فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ» أى فتحوا المسالك فى البلاد بشده بطشهم أصله من النقب و هو الطريق و قيل معناه ساروا فى البلاد و طوفوا فيها بقوتهم و سلكوا كل طريق و سافروا فى أعمار طويله «هَيْلٌ مِنْ مَّحِيصٍ» أى هل من محيد عن الموت و منجى من الهلاك يعنى لم يجدوا فى جميع ذلك من الموت و الهلاك منجى و مهربا «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما أخبرته و قصصته «لَمَذَكْرَى» أى ما يعتبر به و يتفكر فيه «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» معنى القلب هنا العقل عن ابن عباس أين ذهب قلبك و فلان قلبه معه و إنما قال ذلك لأن من لا يعى الذكر لا يعتد بما له من القلب و قيل لمن كان له قلب حى. عن قتاده «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ» أى استمع و لم يشغل قلبه بغير ما يستمع و هو شهيد لما يسمع فيفقهه غير غافل عنه و لا ساه عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك

يقال ألق إلى سمعك أى اسمع قال ابن عباس كان المنافقون يجلسون عند رسول الله ص ثم يخرجون فيقولون ما ذا قال آنفا ليس قلوبهم معهم وقيل هو شهيد على صفه النبي فى الكتب السالفه يريد أهل الكتاب عن قتاده «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» أى نصب و تعب أكذب الله تعالى بهذا اليهود فإنهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا تعمل فيه شيئاً «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» يا محمد من بهتهم و كذبهم و قولهم إنك ساحر أو مجنون و احتمال ذلك حتى يأتى الله بالفرج و هذا قيل أن أمر الله بالقتال «وَسَيَّبِحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أى و صل و أحمد الله تعالى سمي الصلاة تسيحاً لأن الصلاة تشتمل على التسيح و التحميد عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد و قيل أراد به التسيح بالقول تنزيهاً لله تعالى عما لا يليق به «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» يعنى صلاة الفجر و صلاة الظهر و العصر عن قتاده و ابن زيد «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ» يعنى المغرب و العشاء الآخرة و قيل و من الليل يعنى صلاة الليل و يدخل فيه صلاة المغرب و العشاء عن مجاهد و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه سئل عن قوله «وَسَيَّبِحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» فقال تقول حين تصبح و حين تمسى عشرات مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد يحيى و يميت و هو على كل شىء قدير

«وَأَذْبَارَ السُّجُودِ» فيه أقوال (أحدها) أن المراد به الركعتان بعد المغرب و إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر عن على بن أبى طالب (عليه السلام) و الحسن بن على (عليه السلام) و الحسن و الشعبى و عن ابن عباس مرفوعاً إلى النبي ص (و ثانيها) أنه التسيح بعد كل صلاة عن ابن عباس و مجاهد (و ثالثها) أنه النوافل بعد المفروضات عن ابن زيد و الجبائى (و رابعها)

أنه الوتر من آخر الليل روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

إشارة

وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ إِنَّا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَ عِيدِ (٤٥)

الإعراب

«وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ» تقديره و استمع حديث يوم ينادى المنادى فحذف المضاف و هو مفعول به و ليس بالظرف و «يَوْمَ يَسْمَعُونَ» بدل من يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ و كذلك «يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ» و يجوز أن ينتصب «يَوْمَ تَشَقُّقُ» بقوله وَ إِنَّا الْمَصِيرُ أى يصيرون إلينا فى ذلك اليوم.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ص و المراد به جميع المكلفين «وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» أى أصغ إلى النداء و توقعه يعنى صيحة القيامة و البعث و النشور ينادى بها المنادى و هى النفخة الثانية و يجوز أن يكون المراد و استمع ذكر حالهم يوم ينادى المنادى و قيل أنه ينادى مناد من صخره بيت المقدس أيتها العظام البالية و الأوصال المنقطعة و اللحوم المتمزقة قومى لفصل القضاء و ما أعد الله لكم من الجزاء عن قتاده و قيل أن المنادى هو إسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل و إنما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد فلا يخفى على أحد قريب و لا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ» و الصيحة المره الواحده من الصوت الشديد و هذه الصيحة هى النفخة الثانية و قوله «بِالْحَقِّ» أى بالبعث عن الكلبي و قيل يعنى إنها كائنه حقا عن مقاتل «ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ» من القبور إلى أرض الموقف و قيل هو اسم من أسماء القيامة عن أبى عبيده و استشهد بقول الشاعر:

أليس يوم سمي الخروجا أعظم يوم رجه رجوجا

«إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ» أخبر سبحانه عن نفسه أنه هو الذى يحيى الخلق بعد أن كانوا جمادا أمواتا ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ثم يحييهم يوم القيامة و هو قوله «وَ إِنَّا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقُّقُ» أى تشقق «الْأَرْضُ عَنْهُمْ» تتصدع فيخرجون منها «سِرَاعًا» يسرعون إلى الداعى بلا تأخير «ذَلِكَ حَشْرٌ» و الحشر الجمع بالسوق من كل جهه «عَلَيْنَا يَسِيرٌ» أى سهل علينا غير شاق هين غير متعذر مع تباعد ديارهم و قبورهم ثم عزى سبحانه نبيه ص فقال «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ» أى بما يقوله هؤلاء الكفار فى تكذيبك و جحود نبوتك و إنكار البعث لا- يخفى علينا من أمرهم شىء «وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ» أى بمسلط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الإيمان و إنما بعثت منذرا داعيا مرغبا و هذا معنى قول ابن

عباس و قال تغلب جاءت أحرف على فعال بمعنى مفعول مثل دراك بمعنى مدرك و سراع بمعنى مسرع و سيف سقاط بمعنى مسقط و بكاء بمعنى مبكى قال على بن عيسى لم يسمع من ذلك الإدراك من أدركت و قيل جبار من جبرته على الأمر بمعنى أجبرته و هي لغة كنانة و قيل معناه ما أنت عليهم بفظ غليظ لا تحلم عنهم فاحتمل أذاهم «فَدَكَّرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَيْدِ» إنما خص بالذكر من يخاف وعيد الله لأنه الذي ينتفع به.

(٥١) سورة الذاريات مكيه و آياتها ستون (٦٠)

اشاره

اشاره

[عدد آياتها] ستون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأ سورة الذاريات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل ربح هبت و جرت فى الدنيا

و

روى داود بن فرقد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الذاريات فى يومه أو ليلته أصلح الله له معيشته و أتاه برزق واسع و نور له فى قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة.

تفسيرها

لما ختم الله تعالى سورة ق بالوعيد افتتح هذه السوره بتحقيق الوعيد فقال:

ص: ٢٢٩

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُتَقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُوْفِكَ (٩)

قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرِهِ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فَتَنَاتِكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)

اللغه

ذرت الريح التراب تذروه ذروا إذا طيرته و أذرتة تدرية بمعناه و الحبك الطرايق التي تجرى على الشىء كالطرائق التي ترى فى السماء و فى الصافى من الماء إذا مرت عليه الريح و هو تكسر جار فيه و يقال للشعر الجعد حبك و الواحد حباك و حبيكه و الحبك حسن أثر الصنعه فى الشىء و استواؤه يقال حبكه يحبكه و يحبكه قال زهير فى الحبك:

مكلك بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبك

و الخراص الكذاب و الخرص الظن و الحدس و سمي الخزر خرصا منه و يقال كم خرص أرضك بكسر الخاء و أصل الخرص القطع من قولهم خرص فلان كلاما و اخترصه إذا اقتطعه من غير أصل و الغمره من غمره الماء يغمره و غمره الدين إذا غطاه بكثرتة و الغمر السيد الكثير العطاء لأنه يغمر بعطاءه.

الإعراب

قال الزجاج يوم نصب على وجهين (أحدهما) أن يكون على معنى يقع الجزاء يوم هم على النار يفتنون (و الآخر) أن يكون لفظه لفظ نصب و معناه معنى رفع لأنه مضاف إلى جملة كلام تقول يعجبني يوم أنت قائم و يوم أنت تقوم إن شئت فتحتة و إن شئت رفعتة كما قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامه فى غصون ذات أو قال

و روى غير أن نطقت بالرفع لما أضاف غير إلى أن و ليست بمتمكنه فتح و كذلك لما أضاف يوم إلى الجملة فتح و كما قرئ من خزي يومئذ ففتح يوم و هو فى موضع خفض لأنك أضفته إلى غير متمكن و قيل أنه لما جرى فى كلامهم ظرفا بقى فى موضع الرفع على ذلك

الاستعمال و جاء مفتوحا كما جاء في قوله وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ و قوله لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ.

المعنى

«وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا»

روى أن ابن الكوا سأل أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) و هو يخطب على المنبر فقال ما «الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا» قال الرياح قال «فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا» قال السحاب قال «فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا» قال السفن قال «فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا» قال الملائكة

و روى ذلك عن ابن عباس و مجاهد فالذاريات الرياح تذر و التراب و هشيم النبت أى تفرقه «فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا» السحاب تحمل ثقلا من الماء من بلد إلى بلد فتصير موقره به و الوقر بالكسر ثقل الحمل على ظهر أو فى بطن و الوقر ثقل الأذن «فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا» السفن تجرى ميسره على الماء جريا سهلا إلى حيث سيرت و قيل هى السحاب تجرى يسرا إلى حيث سيرها الله من البقاع و قيل هى النجوم السبعة السياره الشمس و القمر و زحل و المشتري و المريخ و الزهره و عطارد «فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا» الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد و لم تضمنه من الدلاله على وحدانيه الله تعالى و بدائع صنعه و قيل أن التقدير فيها القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم إلا بالله عز اسمه و

قال أبو جعفر و أبو عبد الله (عليه السلام) أنه لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله تعالى و الله سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه

ثم ذكر المقسم عليه فقال «إِنَّمَا تُوعَدُونَ» أى من الثواب و العقاب و الجنه و النار «لَصَادِقٌ» أى صادق لا بد من كونه فهو اسم وضع موضع المصدر و قيل معناه ذو صدق كقوله عَيْشِهِ رَاضِيَةٌ بِهِ* «وَ إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ» أى إن الجزاء و قيل أن الحساب لكائن يوم القيامة ثم أنشأ قسما آخر فقال «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوكِ» أى ذات الطرائق الحسنه لكننا لا نرى تلك الحبك لبعدها عنا عن الحسن و الضحاك و قيل ذات الخلق الحسن المستوى عن ابن عباس و قتاده و عكرمه و الربيع و

قيل ذات الحسن و الزينه عن على (عليه السلام)

و

روى على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال قلت له أخبرنى عن قول الله تعالى «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوكِ» فقال محبوبه إلى الأرض و شبك بين أصابعه فقلت كيف تكون محبوبه إلى الأرض و الله تعالى يقول رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ فقال سبحانه الله أليس يقول بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا قُلْتَ بلى قال فثم عمد و لكن لا ترى فقلت فكيف ذلك جعلنى الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه أرض الدنيا و السماء الدنيا فوقها قبه و الأرض الثانيه فوق السماء الدنيا و السماء الثانيه فوق الأرض الثالثه فوق السماء الثالثه فوقها قبه ثم هكذا إلى الأرض السابعه فوق السماء السادسه و السماء السابعه

فوقها قبه و عرش الرحمن فوق السماء السابعة و هو قوله «خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» و صاحب الأمر و هو النبي ص و الوصى على بعده و هو على وجه الأرض و إنما يتنزل الأمر إليه من فوق من بين السماوات و الأرضين قلت فما تحتنا إلا أرض واحده قال و ما تحتنا إلا أرض واحده و إن الست لفوقنا

«إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ» هذا جواب القسم أى إنكم يا أهل مكه فى قول مختلف فى قول محمد ص فبعضكم يقول شاعر و بعضكم يقول مجنون و فى القرآن يقولون أنه سحر و كهانه و رجز و ما سطره الأولون و قيل معناه منكم مكذب بمحمد ص و منكم مصدق به و منكم شاك فيه و فائدته أن دليل الحق ظاهر فاطلبوا الحق بدليله و إلا- هلكتم «يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ» أى يصرف عن الإيمان به من صرف عن الخير أى المصروف عن الخيرات كلها من صرف عن هذا الدين و قيل معناه يؤفك عن الحق و الصواب من أفك فدل ذكر القول المختلف على ذكر الحق فجازت الكنايه عنه و قيل معناه يصرف عن هذا القول أى بسببه و من أجله عن الإيمان من صرف فالهاء فى عنه تعود إلى القول المختلف عن مجاهد فيكون الصارف لهم أنفسهم كما يقال فلان معجب بنفسه و أعجب بنفسه و كما يقال أين يذهب بك لمن يذهب فى شغله و قيل أن الصارف لهم رؤساء البدع و أئمه الضلال لأن العامه تبع لهم «قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ» أى لعن الكذابون يعنى الذين يكذبون على الله و على رسوله و قيل معناه لعن المرتابون عن ابن عباس قال ابن الأنبارى و إنما كان القتل بمعنى اللعنه هنا لأن من لعنه الله فهو بمنزله المقتول الهالك ثم وصف سبحانه هؤلاء الكفار فقال «الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرِهِ» أى فى شبهه و غفله غمهم الجهل «سَاهُونَ» أى لاهون عما يجب عليهم و قيل هم فى ضلالتهم متمادون عن ابن عباس و قيل فى عمى مترددون عن قتاده و قيل أن أول مراتب الجهل السهو ثم الغفله ثم الغمره فتكون الغمره عباره عن المبالغه فى الجهل أى هم فى غايه الجهل ساهون عن الحق و عما يراد بهم «يَسْتَمْلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ» أى متى وقت الجزاء إنكارا و استهزاء لا على وجه الاستفاده لمعرفة فأجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذى لا محاله أنه نازل بهم فقيل «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أى يكون هذا الجزاء فى يوم يعذبون فيها و يحرقون بالنار و قال عكرمه ألم تر أن الذهب إذا أدخل النار قيل فتن أى فهؤلاء يفتنون بالحراق كما يفتن الذهب بالحراق الغش الذى فيه و يقول لهم خزنه النار «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» أى عذابكم و حريقكم «هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ» فى الدنيا تكديبا به و استبعادا له فقد حصلتم الآن فيه و عرفتم صحته.

اشاره

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (۱۵) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (۱۶) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (۱۷) وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (۱۸) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (۱۹)

وَ فِي الْمَآرِضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (۲۰) وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (۲۱) وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ (۲۲) فَ رَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (۲۳)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص مثل ما بالرفع و الباقون بالنصب.

الحجه

قال أبو علي من رفع مثلاً- جعله وصفاً لحق و جاز أن يكون مثل و إن كان مضافاً إلى معرفه صفه للنكره لأن مثلاً لا يختص بالإضافه لكثيره الأشياء التي يقع التماثل بها بين المتماثلين فلما لم تخصصه الإضافه و لم يزل عنه الإبهام و الشيع الذي كان فيه قبل الإضافه بقي على تنكره فقالوا مرتت برجل مثلك فلذلك في الآيه لم يتعرف بالإضافه إلى «أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» و إن كان قوله «أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» بمنزله نطقكم و ما في قوله «مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» زائده و أما من نصب فقال «مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ» فيحتمل ثلاثه أضرب (أحدها) أنه لما أضاف مثل إلى مبنى و هو قوله «أَنَّكُمْ» بناه كما بنى يومئذ في نحو قوله «مِنَ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ» و:

" على حين عاتبت المشيب على الصبي "

و قوله:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامه في غصون ذات أوقال

فغير في موضع رفع بأنه فاعل يمنع و إنما بنيت هذه الأسماء المبهمه نحو مثل و يوم و حين و غير إذا أضيفت إلى المبنى لأنها تكتسى منه البناء لأن المضاف يكتسى من المضاف إليه ما فيه من التعريف و التنكير و الجزاء و الاستفهام تقول هذا غلام زيد و صاحب القاضى فيتعرف الاسم بالإضافه إلى المعرفه و تقول غلام من يضرب فيكون استفهاماً و تقول صاحب من يضرب أضرب فيكون جزاء فمن بنى هذه المبهمه إذا أضافها إلى مبنى جعل البناء أحد ما

يكتسبه من المضاف إليه و لا يجوز على هذا جاءنى صاحب الخمسه عشر و لا غلام هذا لأن هذين من الأسماء غير المبهمة و المبهمة فى إبهامها و بعدها من الاختصاص كالحروف التى تدل على أمور مبهمه فلما أضيفت إلى المبنيه جاز ذلك فيها و البناء على الفتح فى مثل قول سيبويه (و القول الثانى) أن تجعل ما مع مثل بمنزله شىء واحد و بنيته على الفتح و إن كانت ما زائده و هذا قول أبى عثمان و أنشد فى ذلك قول الشاعر:

و تداعى منخراه بدم مثل ما أثمر حماض الجبل

فذهب إلى أن مثل مع ما بمنزله شىء واحد و ينبغى أن يكون أثمر صفه لمثل ما لأنه لا يخلو من أن يكون صفه له أو يكون مثلاً- مضافاً إلى الفعل فلا تجوز الإضافه لأننا لم نعلم مثلاً أضيف إلى الفعل فى موضع فكذلك لا نضيفه فى هذا الموضع إلى الفعل فإذا لم تجز الإضافه كان وصفاً و إذا كان وصفاً وجب أن يعود منه إلى الموصوف ذكر فيحذف كما يحذف الذكر العائد من الصفه إلى الموصوف و قد يجوز أن لا يقدر مثل مع ما كشىء واحد و لكن تجعله مضافاً إلى ما فيكون التقدير مثل شىء أثمره حماض الجبل فبنى مثل على الفتح لإضافتها إلى ما و هو غير متمكن و لا يكون لأبى عثمان حينئذ فى البيت حجه على كون مثل مع ما بمنزله شىء واحد و يجوز أن يكون ما و الفعل بمنزله المصدر فيكون مثل أثمار الحماض فيكون كقوله «و ما كأنوا بآياتنا يجحيدون»* و قوله «بما كأنوا يكذبون»* (و القول الثالث) هو أن ينصب على الحال من النكره فى النطق و هو قول أبى عمرو الجرمى و ذو الحال الذكر المرفوع فى قوله «لَحَقُّ» و العامل فى الحال هو الحق لأنه من المصادر التى وصف بها و يجوز أن يكون الحال من النكره الذى هو حق فى قوله «إِنَّهُ لَحَقُّ» و إلى هذا ذهب أبو عمرو و لم يعلم أنه جعله حالاً من الذكر الذى فى حق و هذا لا خلاف فى جوازه و قد حمل أبو الحسن قوله تعالى «فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا» على الحال و ذو الحال كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ و هو نكره فهذه وجوه النصب فى مثل ما.

الإعراب

«كأنوا قليلاً من اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ» يجوز أن يكون قليلاً خبر كان و فاعله «ما يَهْجَعُونَ» و التقدير كانوا قليلاً هجوعهم و يجوز أن يكون قليلاً صفه مصدر محذوف على تقدير كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً فتكون ما زائده و يهجعون خبر كان. و من فى قوله «مِنَ اللَّيْلِ» يجوز أن يكون بمعنى الباء كما يكون الباء بمعنى من فى قوله عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ أى منها

فيكون التقدير كانوا يهجعون بالليل قليلا و قيل إن قوله «ما يَهْجَعُونَ» بمنزله هجوعهم و هو بدل من الواو في كانوا و قوله «مَنْ اللَّيْلِ» في موضع الصفه لقليل و التقدير كان هجوعهم قليلا- من الليل و قوله «وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَ فِي أَنْفُسِكُمْ» أن رفعت آيات بالابتداء و جعلت في الأرض خبرا كان الضمير في قوله «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ» كالضمير في خبر المبتدأ و إن قدرت آيات مرتفعه بالظرف كان الضمير في قوله «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ» كالضمير في الفعل كقولهم قام زيد و قعد و التقدير و في أنفسكم آيات و كذا قوله فيما بعد وَ فِي مُوسَى أَى و في موسى آيات و في هود آيات و في ثمود آيات و في قوم نوح آيات و في عاد آيات.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما أعده لأهل الجنة فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ» مر تفسيره «آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ» أى ما أعطاهم من الخير و الكرامه «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ» يعنى في دار التكليف «مُحْسِنِينَ» يفعلون الطاعات و يحسنون إلى غيرهم بضروب الإحسان ثم ذكر إحسانهم في أعمالهم فقال «كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» أى كانوا يهجعون قليلا من الليل يصلون أكثر الليل عن الزهري و إبراهيم و الهجوع النوم بالليل دون النهار و

قيل معناه كانوا قل ليله تمر بهم إلا صلوا فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و المعنى كان الذى ينامون فيه كله قليلا و يكون الليل اسما للجنس و قال مجاهد لا ينامون كل الليل و قيل إن الوقف على قوله «قَلِيلًا» على معنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتداء فقال «مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» فيكون ما بمعنى النفى عن الضحاك و مقاتل و هذا على نفي النوم عنهم البتة أى كانوا يحيون الليل بالقيام فى الصلاه و قراءه القرآن و أقول إن ما إذا كان نفيا لا يتقدم عليه ما كان فى حيزه إلا- أن يتعلق قوله «مِنَ اللَّيْلِ» بفعل محذوف يدل عليه قوله يَهْجَعُونَ كما تقوله فى قوله «إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ» وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» قال الحسن مدوا الصلاه إلى الأسحار ثم أخذوا بالأسحار فى الاستغفار و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) كانوا يستغفرون الله فى الوتر سبعين مره فى السحر

و قيل إن معناه و بالأسحار هم يصلون و ذلك أن صلاتهم بالأسحار طلب منهم للمغفره عن مجاهد و مقاتل و الكلبي ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال «وَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ» و السائل هو الذى يسأل الناس و المحروم هو المحارف عن ابن عباس و مجاهد و قيل المحروم المتعفف الذى لا- يسأل عن قتاده و الزهري و قيل هو الذى لا سهم له فى الغنيمه عن إبراهيم النخعي و الأصل أن المحروم هو الممنوع الرزق بترك السؤال أو

ذهاب المال أو خراب الضيعة أو سقوط السهم من الغنيمه لأن الإنسان يصير فقيرا بهذه الوجوه و يريد سبحانه بقوله «حَقٌّ» ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات و غير ذلك أو ما أزموه أنفسهم من مكارم الأخلاق قال الشعبي أعيانى أن أعلم ما المحروم و فرق قوم بين الفقير و المحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الإعطاء و قد يحرم نفسه بترك السؤال فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال و إنما حرمه الغير و إذا لم يسأل فقد حرم نفسه و لم يحرمه الناس «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ» أى دلالات بينات و حجج نيرات «لِلْمُؤْمِنِينَ» الذين يتحققون توحيد الله و إنما خص الموقنين لأنهم ينظرون فيها فيحصل لهم العلم بموجيها و آيات الأرض ما فيها من أنواع المخلوقات من الجبال و البحار و النبات و الأشجار كل ذلك دال على كمال قدرته و حكمته:

و فى كل شىء له آيه تدل أنه واحد

«وَفِي أَنْفُسِكُمْ» أى و فى أنفسكم أيضا آيات دلالات على وحدانيته «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» أى أفلا ترون أنها مصرفه من حال إلى حال و منتقله من صفه إلى أخرى إذ كنتم نطفة فصرتم أحياء ثم كنتم أطفالا- فصرتم شبابا ثم كهولا فهلا دلکم ذلك على أن لها صناعا صنعها و مدبرا دبرها و مصرفا فأصرفها على مقتضى الحكمة و قيل إن المراد بذلك اختلاف الألسنه و الصور و الألوان و الطبائع عن ابن عباس فى روايه عطاء و قيل يريد سبيل الخلاء و البول و الأكل و الشرب من مدخل واحد و المخرج من سبيلين و تم الكلام عند قوله «وَفِي أَنْفُسِكُمْ» ثم عنفهم فقال «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» و

قيل يعنى أنه خلقك سميعا بصيرا تغضب و ترضى و تجوع و تشبع و ذلك كله من آيات الله تعالى عن الصادق (عليه السلام)

و قيل إن المعنى أفلا- تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ» ينزله الله إليكم بأن يرسل الغيث و المطر عليكم فيخرج به من الأرض أنواع ما تقتاتونه و تلبسونه و تنتفعون به «وَمَا تَوْعَدُونَ» من الثواب و العقاب عن عطاء و قيل من الجنة و النار عن مجاهد و الضحاک و قيل معناه و فى السماء تقدير رزقكم أى ما قسمه لكم مكتوب فى أم الكتاب و جميع ما تواعدون فى السماء أيضا لأن الملائكة تنزل من السماء لقبض الأرواح و لاستنساخ الأعمال و لإنزال العذاب و يوم القيامة للجزاء و الحساب كما قال و يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ثم قال سبحانه «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ» أقسم سبحانه بنفسه أن ما ذكر من أمر الرزق و الآيات حق لا شك فيه عن الزجاج و قيل يعنى أن ما قضى فى الكتاب كائن عن الكلبى «مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ» أى مثل نطقكم الذى تنطقون به فكما لا تشكون فيما تنطقون فكذلك لا

تشكوا في حصول ما وعدتم به شبه الله تعالى تحقق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي و وجوده فأراد أنه لحق كما أن الآدمي ناطق و هذا كما تقول إنه لحق كما أنك هاهنا و إنه لحق كما أنك تتكلم و المعنى أنه في صدقه و تحقق وجوده كالذي تعرفه ضروره.

[سوره الذاريات (٥١): الآيات ٢٤ الى ٣٧]

اشاره

هَلْ أَتَاكَ خَبْرٌ ضَعِيفٌ إِبراهيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)

فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَيْرِهِ فَصَبَّكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣)

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)

اللغه

الروغ الذهاب إلى الشىء في خفيه يقال راغ يروغ روغا و روغانا و هو أروغ من ثعلب و الصره شده الصياح و هو من صرير الباب و يقال للجماعه صره أيضا قال امرؤ القيس:

فألحقنا بالهاديات و دونه جواهرها في صره لم تزيل

و الصك الضرب باعتماد شديد و هو أن تصتك ركبتا الرجل و العقيم العاقر و أصل العقم الشد و

جاء فى الحديث تعقم أصلاب المشركين فلا يستطيعون السجود

أى تشد و داء عقام إذا اشتد حتى إذا يأس منه أن يبرأ و معاقم الفرس مفاصله يشد بعضها ببعض و العقيم و العقمه ثياب معلمه
أى شدت بها الأعلام و عقت المرأة فهى معقومه و عقيم من نساء عقم و عقت أيضا و رجل عقيم من قوم عقمى قال الشاعر:

عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

و الريح العقيم التى لا تنشئ السحاب للمطر و الملك عقيم يقطع الولاده لأن الأب يقتل الابن على الملك و الخطب الأمر الجليل
و منه الخطبه لأنها كلام بليغ لعقد أمر جليل يستفتح بالتحميد و التمجيد و الخطاب أجل من الإبلاغ.

المعنى

لما قدم سبحانه الوعد و الوعيد عقب ذلك بذكر بشاره إبراهيم و مهلك قوم لوط تخويفا للكفار أن ينزل بهم مثل ما أنزل
بأولئك فقال «هَلْ أَتَاكَ» يا محمد و هذا اللفظ يستعمل إذا أخبر الإنسان بخبر ماض فيقال هل أتاك خبر كذا و إن علم أنه لم
يأت «حَدِيثٌ ضَعِيفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ» عند الله و ذلك أنهم كانوا ملائكة كراما و نظيره قوله بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ و قيل أكرمهم
إبراهيم فرفع مجالسهم و خدمهم بنفسه عن مجاهد لأن أضياف الكرام مكرمون و كان إبراهيم أكرم الناس و أظهرهم فتوه و
سماهم ضيفا من غير أن أكلوا من طعامه لأنهم دخلوا مدخل الأضياف و اختلف فى عددهم فقيل كانوا اثنى عشر ملكا عن ابن
عباس و مقاتل و قيل كان جبرائيل و معه سبعة أملاك عن محمد بن كعب و قيل كانوا ثلاثة جبرائيل و ميكائيل و ملك آخر
«إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا» أى حين دخلوا على إبراهيم فقالوا له على وجه التحية سلاما أى أسلم سلاما ف «قال» لهم جوابا عن
ذلك «سَلَامٌ» و قرئ سلم و هذا مفسر فى سورة هود «قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ» أى قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم و ذلك أنه ظنهم من
الإنس و لم يعرفهم عن ابن عباس و الإنكار نفى صحه الأمر و نقيضه الإقرار و الاعتراف «فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ» أى ذهب إليهم خفيا و
إنما راغ مخافه أن يمنعه من تكلف مأكول كعاده الظرفاء «فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ» و كان مشويا لقوله فى آيه أخرى حينئذ قال قتاده
و كان عامه مال إبراهيم (عليه السلام) البقر «فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ» لياأكلوا فلم يأكلوا فلما رأهم لا- يأكلون عرض عليهم ف «قال ألا
تَأْكُلُونَ» و فى الكلام حذف كما ترى «فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» أى

فلما امتنعوا من الأكل أو جس منهم خيفه و المعنى خاف منهم و ظن أنهم يريدون به سوءا «قالوا» أى قالت الملائكة «لا تخف» يا إبراهيم «و بَشْرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ» أى يكون عالما إذا كبر و بلغ و الغلام المبشر به هو إسماعيل عن مجاهد و قيل هو إسحاق لأنه من ساره و هذه القصة لها عن أكثر المفسرين و هذا كله مفسر فيما مضى «فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرِّهِ» أى فلما سمعت البشارة امرأته ساره أقبلت فى ضجه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و

قيل فى جماعه عن الصادق (عليه السلام)

و قيل فى رفقه عن سفيان و المعنى أخذت تصيح و تولول كما قالت يا ويلتى «فَصَيَّكَتْ وَجْهَهَا» أى جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا عن مقاتل و الكلبى و قيل لطمت وجهها عن ابن عباس و الصك ضرب الشىء بالشىء العريض «و قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ» أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد «قالوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ» أى كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاما فلا تشكى فيه «إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ» بخفايا الأمور «قال» إبراهيم (عليه السلام) لهم «فَمَا خَطْبُكُمْ» أى فما شأنكم و لأى أمر جئتم «أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ» و كأنه قال قد جئتم لأمر عظيم فما هو «قالوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ» أى عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العذاب و الهلاك و أصل الجرم القطع فالمجرم القاطع للواجب بالباطل فهؤلاء أجرموا بأن قطعوا الإيمان بالكفر «لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ» هذا مفسر فى سوره هود «لِلْمُشْرِكِينَ» أى للمكثرين من المعاصى المتجاوزين الحد فيها و قيل أرسلت الحجارة على الغائبين و قلبت القرية بالحاضرين «فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا» أى فى قرى قوم لوط «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و ذلك قوله فَأَشِيرِ بِأَهْلِكَ * الآيه و ذلك أن الله تعالى أمر لوطا بأن يخرج هو و من معه من المؤمنين لثلا يصيبهم العذاب «فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» أى غير أهل بيت من المسلمين يعنى لوطا و بنتيه و صفهم الله بالإيمان و الإسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا و هو مسلم و الإيمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به و الإسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذى أوجبه الله و ألزمه و وجدان الضاله هو إدراكها بعد طلبها «و تَرَكْنَا فِيهَا» أى و أبقينا فى مدينه قوم لوط «آيَةً» أى علامه «لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» أى تدلهم على أن الله أهلكتهم فيخافون مثل عذابهم و الترك فى الأصل ضد الفعل ينافى الأخذ فى محل القدره عليه و القدره عليه قدره على الأخذ و على هذا فالترك غير داخل فى أفعال الله تعالى فالمعنى هنا أنا أبقينا فيها عبره و مثله قوله وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ و قيل إنه الانقلاب لأن اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

اشاره

وَ فِي مُوسَى إِذِ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (۳۸) فَتَوَلَّىٰ بُرْكَانِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۳۹) فَأَخَذْنَا مِنْهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (۴۰) وَ فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (۴۱) مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (۴۲) وَ فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (۴۳) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (۴۴) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (۴۵) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (۴۶)

القراءه

قرأ الكسائي الصعقه و الباقون «الصَّاعِقَةُ» بالألف و قرأ أبو عمرو و أهل الكوفه غير عاصم و قوم نوح بالجر و الباقون «قَوْمَ نُوحٍ» بالنصب.

الحجه

قال أبو علي قال أبو زيد الصاعقه التي تقع من السماء و الصاعقه التي تصقع الرؤوس و قال الأصمعي الصاعقه و الصاعقه سواء و أنشد الأصمعي:

يحكون بالمصقوله القواطع تشقق البرق من الصواعق

و أما الصعقه فقليل إنها مثل الزجره و هو الصوت الذي يكون عن الصاعقه قال بعض الرجاز:

لاح سحاب فرأينا برقه ثم تدانى فسمعنا صعقه

و من جر قوم نوح حملة على قوله وَ فِي مُوسَى أَي و فِي قَوْمِ نُوحٍ وَ قَوْلُهُ «وَ فِي مُوسَى إِذِ أَرْسَلْنَاهُ» عطف على أحد شيئين إما أن يكون على وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً وَ «فِي مُوسَى» أو على قوله وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ «فِي مُوسَى» أي و فِي إِرسالِ مُوسَى آياتٍ واضحة و فِي قَوْمِ نُوحٍ آيَهُ وَ مِنْ نَصَبِ فَقَالَ «وَ قَوْمَ نُوحٍ» جاز في نصبه أيضا أمران كلاهما حمل على المعنى (أحدهما) أن

قوله «فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ» يدل على أهلكناهم فكأنه قال و أهلكنا قوم نوح (و الآخر) أن قوله «فَأَخَذْنَا وَ جُنُودَهُ فَبَبَدْنَا فِي الْيَمِّ» يدل على أغرقناهم فكأنه قال أغرقناهم و أغرقنا قوم نوح.

اللغة

الركن الجانب الذى يعتمد عليه يقال ركن يركن و ركن يركن أيضا مثل نصر ينصر. و المليم الذى أتى بما يلام عليه و الملوم الذى وقع به اللوم و فى المثل رب لائم مليم و رب ملوم لا ذنب له و العتو و التجبر و التكبر واحد و جمع الريح أرواح و رياح و منه راح الرجل إلى منزله أى رجح كالريح و الرميم الذى انتفى رمة بانتفاء ملائمته بعضه لبعض و أما رمة يرمه رما و الشىء مرموم أى مصلح بملائمته بعضه لبعض و أصل الرميم السحيق البالى من العظم.

المعنى

ثم بين سبحانه ما نزل بالأمم فقال «وَفِي مُوسَى» أى و فى موسى أيضا آية «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى بحجه ظاهره و هى العصا «فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ» أى فأعرض فرعون عن قبول الحق بما كان يتقوى به من جنده و قومه كالركن الذى يقوى به البنيان و الباء فى قوله «بِرُكْنِهِ» للتعديه أى جعلهم يتولون «وَقَالَ» لموسى «سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ» أى هو ساحر أو مجنون و فى ذلك دلالة على جهل فرعون لأن الساحر هو اللطيف الحيله و ذلك ينافى صفة المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين «فَأَخَذْنَا وَ جُنُودَهُ فَبَبَدْنَا فِي الْيَمِّ» أى فطرحناهم فى البحر كما يلقي الشىء فى البر «وَهُوَ مُلِيمٌ» أتى بما يلام عليه من الكفر و الجحود و العتو «وَفِي عَادٍ» عطف على ما تقدم أى و فى عاد أيضا آية أى دلالة فيها عظه و عبره «إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْنَهُمْ» أى حين أطلقنا عليهم «الرَّيْحَ الْعَاقِمَةَ» و هى التى عقت عن أن تأتى بخير من تنشئه سحاب أو تلقيح شجر أو تذريه طعام أو نفع حيوان فهى كالمرأه الممنوعه عن الولاده إذ هى ريح الإهلاك ثم وصفها فقال «مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْنَهُ» أى لم تترك هذه الريح شيئا تمر عليه «إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ» أى كالشىء الهالك البالى و هو نبات الأرض إذا يبس و ديس و قيل الرميم العظم البالى السحيق «وَفِي ثَمُودَ» أيضا آية «إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا» و ذلك أنهم لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا ثلاثة أيام و هو قوله «تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ فَعَنَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ» أى فخرجوا عن أمر ربهم ترفعا عنه و استكبارا «فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ» بعد مضى الأيام الثلاثة و هو الموت عن ابن عباس و قيل هو العذاب و الصاعقه كل عذاب مهلك عن مقاتل «وَهُمْ يَنْظُرُونَ» إليها جهارا لا يقدرين على دفعها «فَمَا اسْتَيْطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ» أى من نهوض و المعنى أنهم لم ينهضوا من تلك الصرعه «وَمَا كَانُوا مُتَّتَبِرِينَ» أى ممتنعين من العذاب و قيل معناه ما كانوا طالبين ناصرا يمنعهم من عذاب الله «وَقَوْمَ نُوحٍ» أى و أهلكنا قوم نوح «مِنْ قَبْلُ» أى من

قبل عاد و ثمود «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» أى خارجين عن طاعه الله إلى معاصيه و عن الإيمان إلى الكفر فاستحقوا لذلك الإهلاك.

[سوره الذاريات (٥١): الآيات ٤٧ الى ٦٠]

إشاره

وَ السَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَ الْأَرْضِ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أ تَوَاصَوْا بِهِ يَلُ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)

القراءه

فى الشواذ قراءه يحيى و الأعمش ذو القوه المتين بالخفض.

الحجه

قال ابن جنى هذا يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون وصفا للقوه و ذكره على معنى الحبل يريد قوى الحبل كقوله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (و الآخر) أن يكون

المراد الرفع وصفا للرزاق إلا أنه جاء على لفظ القوه لجوارها إياه على قولهم:

هذا جحر ضب خرب

فهذا ضعيف.

اللغة

الأيد القوه يقال آد الرجل بأيدي أي إذا اشتد وقوى و المؤيد الأمر العظيم و الإيساع الإكثار من إذهاب الشىء فى الجهات و الماهد هو الموطئ للشىء و هو المهيأ لما يصلح الاستقرار عليه يقال مهد يمهد مهذا و مهد تمهيدا مثل وطئ توطئه و التواصى أن يوصى القوم بعضهم إلى بعض و الوصيه التقدمه فى الأمر بالأشياء المهمه مع النهى عن المخالفه و أصل الذنوب الدلو الممتلىء ماء يؤنث و يذكر قال:

لنا ذنوب و لكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب

و قال علقمه:

و فى كل حى قد خبطت بنعمه فحق لشاس من نداك ذنوب

. المعنى

«وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِي» تقديره و بنينا السماء بنيناها بقوه عن ابن عباس و مجاهد و ابن زيد و قتاده أى خلقناها و رفعناها على حسن نظامها «وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ» أى قادرون على خلق ما هو أعظم منها عن ابن عباس و قيل معناه و إنا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر عن الحسن و قيل معناه و إنا لذو سعه لخلقنا أى قادرون على رزقهم لا نعجز عنه فالموسع ذو الوسع و السعه أى الغنى و الجده «وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا» أى و فرشنا الأرض فرشناها أى بسطانها «فَنَعَمَ الْمَاهِدُونَ» نحن إذ فعلنا ذلك للمنافع و مصالح العباد لا لجر نفع و لا لدفع ضرر «وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» أى و خلقنا من كل شىء صنفين مثل الليل و النهار و الأرض و السماء و الشمس و القمر و الجن و الإنس و البر و البحر و النور و الظلمه عن الحسن و مجاهد و قيل الزوجين الذكر و الأنثى عن ابن زيد «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أى لكى تعلموا أن خالق الأزواج واحد فرد لا يشبهه شىء «فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ» أى فاهربوا من عقاب الله إلى رحمته و ثوابه بإخلاص العباده له و قيل ففرروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته و يقطعكم عما أمركم به و

قيل معناه حجوا عن الصادق (عليه السلام)

«إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ» أى من الله «نَذِيرٌ» مخوف من عقابه «مُبِينٌ» لكم ما أرسلت به «وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى لا تعبدوا معه معبودا آخر من الأصنام و الأوثان «إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» و الوجه فى تكريره أن

الثانى منعقد بغير ما انعقد به الأول إذ تقديره إني لكم منه نذير فى الامتناع من جعل إله آخر معه و تقدير الأول إني لكم منه نذير فى ترك القرار إليه بطاعته فهو كقولك أنذرك أن تكفر بالله أنذرك أن تتعرض لسخط الله و النذير المخبر بما يحذر منه و هو يقتضى المبالغه و المنذر صفه جاربه على الفعل و المبين الذى يأتى ببيان الحق من الباطل ثم قال «كَذَلِكَ» أى الأمر كذلك و هو أنه «مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ» أى لم يأت الذين من قبلهم يعنى كفار مكه من الأمم رسول إلا- قالوا ساحر محتال بالحيل اللطيفه أو مجنون به جنون فهو مغطى على عقله بما لا- يتوجه للإدراك به ثم قال سبحانه «أَتَوَصَّوْا بِهِ» أى أوصى أولهم آخرهم بالكذب و الاستفهام للتوبيخ «بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ» معناه لم يتوصوا بذلك لكنهم طاغون طغوا فى معصيه الله و حملهم الطغيان فيما أعطيتهم و وسعت عليهم على تكذيب أنبيائى ثم قال للنبي ص «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أى فأعرض عنهم يا محمد فقد بلغت و أنذرت و هو قوله «فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ» أى فى كفرهم و جحودهم بل اللائمه و الذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم إليه قال المفسرون لما نزلت هذه الآيه حزن رسول الله ص و المؤمنون و ظنوا أن الوحي قد انقطع و أن العذاب قد حل حتى نزلت الآيه الثانيه و روى بالإسناد عن مجاهد قال خرج على بن أبى طالب (عليه السلام) مغتما مشتملا فى قميصه فقال لما نزلت «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ» لم يبق أحد منا إلا أيقن بالهلكه حين قيل للنبي ص «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» فلما نزل «وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» طابت نفوسنا و معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكر تنفعهم عن الكلبى «وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» أى لم أخلق الجن و الإنس إلا لعبادتى و المعنى لعبادتهم إياى عن الربيع فإذا عبدونى استحقوا الثواب و قيل إلا- لآمرهم و أنهاهم و أطلب منهم العباده عن مجاهد و اللام لام الغرض و المراد أن الغرض فى خلقهم تعريضهم للثواب و ذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات فصار كأنه سبحانه خلقهم للعباده أنه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض و يكون كمن هياأ طعاما لقوم و دعاهم لياأكلوه فحضروا و لم يأكله بعضهم فإنه لا ينسب إلى السفه و يصح غرضه فإن الأكل موقوف على اختيار الغير و كذلك المسأله فإن الله إذا أزاح علل المكلفين من القدره و الآله و الألفاف و أمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه و قيل معناه إلا ليقروا بالعبوديه طوعا و كرها عن ابن عباس «ما أريدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ ما أريدُ أَنْ يُطْعَمُونَ» هذا نفى الإيهام عن خلقهم لعبادته أن يكون ذلك لعائده نفع يعود عليه تعالى فبين أنه لعائده النفع على الخلق دونه تعالى لاستحاله النفع عليه لأنه غنى لنفسه فلا يحتاج إلى غيره و كل الخلق يحتاج إليه و قيل معناه ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقى و لا أن يرزقوا أنفسهم و ما أريد

أن يطعموا أحدا من خلقى و إنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله و من أطعم عيال أحد فقد أطعمه «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ» لعباده و للخلائق كلهم فلا- يحتاج إلى معين «ذُو الْقُوَّةِ» أى ذو القدره «الْمَتِينُ» أى القوى الذى يستحيل عليه العجز و الضعف إذ هو القادر لنفسه يقال متن متانه فهو متين إذا قوى «فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» أنفسهم بالكفر و المعاصى «ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ» أى نصيبا من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا نحو قوم نوح و عاد و ثمود «فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ» بإنزال العذاب عليهم فإنهم لا- يفوتون «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» هذا يدل على أنهم أخروا إلى يوم القيامة و الويل كلمه تقولها العرب لكل من وقع فى الهلكه.

النظم

وجه اتصال قوله «وَ السَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ» بما قبله هو أنه فى قوم نوح آيه و فى السماء أيضا آيه فهو متصل به فى المعنى.

ص: ٢٤٥

(٥٢) سورة الطور مكيه و آياتها تسع و أربعون (٤٩)

أشاره

عدد آياتها

تسع و أربعون آيه كوفي شامى و ثمان بصرى و سبع حجازى.

اختلافها

آيتان «وَ الطُّورِ» عراقى شامى «دَعَا» كوفى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص أنه قال و من قرأ سورة و الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه و أن ينعمه فى جنته

و

عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ص يقرأ بالطور فى المغرب

و

روى محمد بن هشام عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا و الآخرة.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الذاريات بالوعيد افتتح هذه السوره بوقوع الوعيد فقال:

ص: ٢٤٦

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الطُّورِ (١) وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ (٣) وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)

وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩)

وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤)

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اضْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)

اللغه

قال المبرد يقال لكل جبل طور فإذا دخلت الألف و اللام للمعرفه فهو لشيء بعينه و الرق جلد يكتب فيه و أصله من اللمعان يقال تفرق الشيء إذا لمع و الرقاق تفرق السراب و المسجور المملوء يقال سجرت التنور أى ملأها نارا و عين سجاء ممتلئه فيها حمرة كأنها احمرت مما هو حولها كالسجار للتنور قال لبيد:

فتوسطا عرض السرى فصدعا مسجوره متجاورا قلامها

و المور تردد الشيء بالذهاب و المجرى كما يتردد الدخان ثم يضمحل مار يمور مورا فهو مائر و روى بيت الأعشى:

كان مشيتها من بيت جارتها مور السحابه لا ريث و لا عجل

و قيل مر السحابه و الخوض الدخول فى الماء بالقدم و شبه به الدخول فى القول و الدع الدفع يقال دعه يدعه دعا و صكه يصكه صكا مثله.

الإعراب

«وَ الطُّورِ» الواو للقسام و ما بعده عطف عليه و العامل فى قوله «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا» قوله «لَوَاقِعٌ» أى يقع فى ذلك اليوم و يجوز أن يكون يوم هاهنا على تقدير إذا و يكون العامل فيه جوابه و هو الفاء و ما بعده من قوله «فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» كما جاء «وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْيَادُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ» و قوله و «يَوْمَ يُدْعَوْنَ» بدل من قوله «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ» و إن شئت كان التقدير فيه يوم يدعون إلى نار جهنم دعا يقال لهم هذه

النار التي كنتم بها تكذبون فيعمل فيه يقال. «أَفَسِحْرٌ هَذَا» مبتدأ وخبر «أَمْ أَنْتُمْ» أى بل أنتم لا تبصرون.

المعنى

«وَ الطُّورِ» أقسم الله سبحانه بالجبل الذى كلم عليه موسى (عليه السلام) بالأرض المقدسه عن الجبائى و جماعه من المفسرين و قيل هو الجبل أقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه عن مجاهد و الكلبي «وَ كِتَابٍ مَسِيَّطُورٍ» أى مكتوب و هو الكتاب الذى كتبه الله لملائكته فى السماء يقرءون فيه ما كان و ما يكون و قيل هو القرآن مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ و هو الرق المنشور و قيل هو صحائف الأعمال التى تخرج إلى بنى آدم يوم القيامة فمنهم آخذ كتابه بيمينه و آخذ بشماله و هذا كقوله «وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا» عن الفراء و قيل هو التوراه كتبها الله لموسى فخص الطور بالذكر لبركتها و كثره منافعها فى الدنيا و ذكر الكتاب لعظم موقعها من الدين عن الكلبي و قيل أنه القرآن يكتبه المؤمنون «فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ» أى و ينشرونه لقراءته و الرق ما يكتب فيه و قيل الرق هو الورق عن أبى عبيده و قيل إنما ذكر الرق لأنه من أحسن ما يكتب فيه و إذا كتبت الحكمة فيما هو على هذه الصفة كان أبهى و المنشور المبسوط «وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ» و هو بيت فى السماء الرابعه بحيال الكعبه تعمره الملائكه بما يكون منها فيه من العباده عن ابن عباس و مجاهد

روى أيضا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال و يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبدا

و

روى عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريره عن النبى ص قال البيت المعمور فى السماء الدنيا و فى السماء الرابعه نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل كل يوم طلعت فيه الشمس و إذا خرج انتفض انتفاضه جرت منه سبعون ألف قطره يخلق الله من كل قطره ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم لا يعودون إليه أبدا

و عن ابن عباس قال قال رسول الله ص البيت الذى فى السماء الدنيا يقال له الضراح و هو بفناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم ألف ملك لا يعودون إليه أبدا

و قيل البيت المعمور هو الكعبه البيت الحرام معمور بالحج و العمره عن الحسن و هو أول مسجد وضع للعباده فى الأرض

«وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» هو السماء عن على (عليه السلام)

و مجاهد و قتاده و ابن زيد قالوا هى كالسقف للأرض رفعها الله «وَ الْبَحْرِ الْمَسِيَّجُورِ» أى المملوء عن قتاده و قيل هو الموقد المحمى بمنزله التنور عن مجاهد و الضحاك و الأخفش و ابن زيد

ثم قيل أنه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيرانا ثم تفجر بعضها فى بعض ثم تفجر إلى النار وورد به

«إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ» هذا جواب القسم أقسم الله بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدره على أن تعذيب المشركين حق واقع لا محاله «مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ» يدفع عنهم ذلك العذاب ثم بين سبحانه أنه متى يقع فقال «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا» أى تدور دورانا و تضطرب و تموج و تتحرك و تستدير كل هذه من عبارات المفسرين «وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» أى تسير الجبال و تزول من أماكنها حتى تستوى الأرض «فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ» دخلت الفاء لأن فى الكلام معنى المجازاه و التقدير إذا كان هذا فويل لمن يكذب الله و رسوله «الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ» أى فى حديث باطل يخوضون و هو الحديث الذى كان يخوض فيه الكفار من إنكار البعث و تكذيب النبى ص «يَلْعَبُونَ» أى يلهون بذكره «يَوْمَ يُدْعَوْنَ» أى يدفعون «إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعًّا» أى دعا بعنف و جفوه قال مقاتل هو أن تغل أيديهم إلى أعناقهم و تجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعا على وجوههم حتى إذا دنوا قال لهم خزنتها «هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ» فى الدنيا ثم وبخوهم لما عاينوا بما كانوا يكذبون به و هو قوله «أَفَسِحْرٌ هَذَا» الذى ترون أنتم «أَمْ أَنْتُمْ لَّا تُبْصِرُونَ» و ذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا ص إلى السحر و إلى أنه يغطى على الأبصار بالسحر فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب وبخوا بهذا ثم يقال لهم «اصْبِرُوا» أى قاسوا شدتها «فَاصْبِرُوا» على العذاب «أَوْ لَّا تَصْبِرُوا» عليه «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ» الصبر و الجزع «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى الدنيا من المعاصى بكفركم و تكذيبكم الرسول.

إشارة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَكَيْهِنَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ ما أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ (٢١)

وَ أَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعْوُ فِيهَا وَ لَا تَأثِيمُ (٢٣) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)

فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)

القراءة

قرأ أبو عمرو و أتبعناهم بالنون و الألف و قطع الهمزة ذرياتهم بالألف و كسر التاء ألحقنا بهم ذرياتهم كذلك و قرأ أهل المدينة «وَ اتَّبَعَتْهُمْ» بالتاء و وصل الهمزة «ذُرِّيَّتُهُمْ» بالرفع ألحقنا بهم ذرياتهم على الجمع و قرأ ابن كثير و أهل الكوفة «وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» «أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» كذلك و قرأ ابن عامر و يعقوب و سهل اتبعتهم ذرياتهم جمع ألحقنا بهم ذرياتهم أيضا و قرأ ابن كثير و ما ألتناهم بكسر اللام و الباقون «أَلْتَنَاهُمْ» بفتح اللام و قرأ أهل المدينة و الكسائي أنه هو البر الرحيم بالفتح و الباقون «إِنَّهُ» بالكسر و في الشواذ قراءة عبد الله و إبراهيم و زوجناهم بعيس عين و قراءه الأعرج و ما ألتناهم على أفعالناهم.

الحجج

قال أبو على الذرية تقع على الصغير و الكبير فالأول نحو قوله «ذُرِّيَّةٌ طَيِّبَةٌ» و الثاني نحو قوله «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ» فإن حملت الذرية في الآيه على الصغار كان قوله «بِإِيمَانٍ» في موضع نصب على الحال من المفعولين أى اتبعتهم بإيمان من الآباء ذريتهم ألحقنا الذرية بهم في أحكام الإسلام فجعلناهم في حكمهم فى أنهم يرثون و يورثون و يدفنون فى مقابر المسلمين و حكمهم حكم الآباء فى أحكامهم إلا فيما كان موضوعا عن الصغير لصغره و إن جعلت الذرية للكبار كان قوله «بِإِيمَانٍ» حالا من الفاعلين الذين هم ذريتهم أى ألحقنا بهم ذريتهم فى أحكام الدنيا و الثواب فى الآخرة «وَ ما أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ» أى من جزاء عملهم من شىء كما قال فلا تظلم نفس شيئا و كما قال وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَ لَا هَضْمًا وَ مَنْ قرأ «ذُرِّيَّتَهُمْ» فأفرد فلان الذرية تقع على الكثرة فاستغنى بذلك عن جمعه و كذا القول فى «بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» فى أنه أفرد ذريتهم

و الحق التاء فى اتبعتم لتأنيث الاسم و من جمعه فلأن المجموع قد يجمع نحو أقوام و طرقات

و فى الحديث إنكن صواحبات يوسف

و من قرأ ألتناهم بكسر اللام فىشبه أن يكون فعلنا لغه كما قالوا نقم ينقم و نقم ينقم و من قرأ ندعوه أنه بالفتح فالمعنى لأنه هو البر الرحيم و من كسر قطع الكلام عما قبله و استأنف قال ابن جنى المرأه العيساء البيضاء و مثله جمل أعيى و ناقه عيساء قال كأنها البكره العيساء و يقال ألتة يألتة ألتا و آلتة يولتة إيلاتا و لاتة يليتة ليتا و ولتة يلتة ولتا أى نقصه قال الحطيئه:

أبلغ لديك بنى سعد مغلغله جهد الرساله لا ألتا و لا كذبا

. المعنى

لما تقدم وعيد الكفار عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين يجتنبون معاصى الله خوفا من عقابه «فِي جَنَّاتٍ» أى فى بساتين تجنها الأشجار «و نعيم» أى و فى نعيم «فاكهيهم بما آتاهم ربهم» أى متنعمين بما أعطاهم ربهم من أنواع النعيم و قيل فاكهيهم معجبين بما آتاهم ربهم عن الزجاج و الفراء «و وقاهم» أى و صرف عنهم «ربهم عذاب الجحيم كلوا و اشربوا» أى يقال لهم كلوا و اشربوا «هنيئاً بما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أكلا و شربا هنيئاً مأمون العاقبه من التخمه و السقم ثم ذكر حالهم فى الأكل و الشرب فقال «مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ» و السرر جمع سرير و المصفوفه المصطفه الموصول بعضها ببعض و قيل إن فى الكلام حذفاً تقديره متكئين على نمارق موضوعه على سرر لكنه حذف لأن اللفظ يدل عليه من حيث إن الاتكاء جلسه راحه و دعه و لا يكون ذلك إلا على الوسائد و النمارق «و زوّجناهم بحور عِينٍ» فالحور البيض النقيات فى حسن و كمال و العين الواسعات الأعين فى صفاء و بهاء و معناه قرنا هؤلاء المتقين بحور عين على وجه التمتع لهم و التنعيم

و عن زيد بن أرقم قال جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ص فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون و يشربون فقال و الذى نفسى بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوه مائه رجل على الأكل و الشرب و الجماع قال فإن الذى يأكل و يشرب يكون له الحاجه فقال عرق يفيض مثل ريح المسك فإذا كان ذلك ضمير بطنه

«و الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» يعنى بالذريه أولادهم الصغار و الكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم و الصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده و اتبع بمعنى تبع و من قرأ و أتبعناهم فهو منقول من تبع و يتعدى إلى المفعولين و قيل الاتباع إلحاق الثانى بالأول فى معنى يكون الأول عليه لأنه لو ألتحق به من غير أن يكون فى معنى هو عليه لم يكن اتباعاً و كان إلحاقاً و المعنى أنا نلتحق الأولاد بالآباء فى الجنة و الدرجه من أجل

ص: ٢٥١

إيمان الآباء لتقر أعين الآباء باجتماعهم معهم فى الجنة كما كانت تقر بهم فى الدنيا عن ابن عباس و الضحاك و ابن زيد و فى روايه أخرى عن ابن عباس أنهم البالغون ألحقوا بدرجات آبائهم و إن قصرت أعمالهم تكرمهم لآبائهم فإن قيل كيف يلحقون بهم فى الثواب و لم يستحقوه فالجواب أنهم يلحقون بهم فى الجمع لا فى الثواب و المرتبه

و روى زاذان عن على (عليه السلام) قال قال رسول الله ص إن المؤمنين و أولادهم فى الجنة ثم قرأ هذه الآيه

و روى عن الصادق قال أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة

«و ما أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» أى لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرياتهم عن ابن عباس و مجاهد و تم الكلام ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ» أى كل امرئ كافر مرتهن فى النار بما كسب أى عمل من الشرك عن مقاتل و المؤمن من لا يكون مرتهنا لقوله كَلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَهُ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ فاستثنى المؤمنين و قيل معناه كل إنسان يعامل بما يستحقه و يجازى بحسب ما عمله إن عمل طاعه أثيب و إن عمل معصيه عوقب و لا يؤخذ أحد بذنوب غيره ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير و النعمه فقال «و أَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ» أى أعطيناهم حالا بعد حال فإن الأمداد هو الإتيان بالشىء بعد الشىء و الفاكهه جنس الثمار «و لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ» أى و أعطيناهم و أمددناهم بلحم من الجنس الذى يشتهونه «يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا» أى يتعاطون كأس الخمر ثم وصف الكأس فقال «لَا لَعُوْ فِيهَا وَ لَا تَأْتِيْمٌ» أى لا يجرى بينهم باطل لأن اللغو ما يلغى و لا- ما فيه إثم كما يجرى فى الدنيا بين شرب الخمر و التأثيم تفعيل من الإثم يقال ثمه إذا جعله ذا إثم أى إن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين و قيل معناه لا يتسابون عليها و لا يؤثم بعضهم بعضا عن مجاهد «و يَطُوْفُ عَلَيْهِمْ» للخدمه «غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ» فى الحسن و الصباحه و الصفاء و البياض و المكنون المصون المخزون و قيل إنه ليس على الغلمان مشقه فى خدمه أهل الجنة بل لهم فى ذلك اللذه و السرور إذ ليست تلك الدار دار محنه

و ذكر عن الحسن أنه قال قيل يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم فقال و الذى نفسى بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليله البدر على سائر الكواكب

«و أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» أى يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب و الخوف فى الدنيا عن ابن عباس و هو قوله «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ» أى خائفين فى دار الدنيا من العذاب «فَمَنْ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ» أى عذاب جهنم و السموم من أسماء جهنم عن الحسن و قيل

أن المعنى يسأل بعضهم بعضا عما فعلوه فى الدنيا فاستحقوا به المصير إلى الثواب و الكون فى الجنان فيقولون إنا كنا فى دار التكليف مشفقين أى خائفين رقيقى القلب فإن الإشفاق رقه القلب عما يكون من الخوف على الشىء و الشفقه نقيض الغلظه و أصله الضعف من قولهم ثوب شفق أى ضعيف النسج و منه الشفق للحمرة عند غروب الشمس لأنها حمرة ضعيفه و قوله «فى أهلنا مُشْفِقِينَ» يريد فيمن يختص به ممن هو أولى بنا و الأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به و السموم الحر الذى يدخل فى مسام البدن يتألم به و أصله من السم الذى هو مخرج النفس فكل خرق سم أو من السم الذى يقتل قال الزجاج يريد عذاب سموم جهنم و هو ما يوجد من لفحها و حرها «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ» أى فى الدنيا «نَدْعُوهُ» أى ندعو الله تعالى و نوحده و نعبد «إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ» أى اللطيف و أصله اللطف مع عظم الشأن و منه البره للطفها مع عظم النفع بها و قيل البر الصادق فيما وعده «الرَّحِيمُ» بعباده.

[سوره الطور (٥٢): الآيات ٢٩ الى ٤٠]

إشارة

فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضِيِّطُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠)

قرأ ابن كثير المسيطرون بالسين و فى الغاشيه بِمُصَيِّطٍ بِالصَاد و قرأ ابن عامر كليهما بالسين و قرأ ياشمام الرء فيهما حمزه إلا العجلي فإنه قرأ بالصَاد فيهما و قرأ الباقون بالصَاد فيهما.

الحجه

قال أبو عبيده المسيطرون الأرباب يقال تسيطر على اتخذتني خولا و الأصل السين و كل سين بعده طاء يجوز أن تقلب صادًا تقول صطر و سطر و قد مر بيانه فى سورة الفاتحه.

اللغه

الكاهن الذى يذكر أنه يخبر عن الحق على طريق العزائم و الكهانه صنعه الكاهن و المنون المنيه و ريبها الحوادث التى تريب عند مجيئها قال:

تربص بها ريب المنون لعلها سيهلك عنها بعلها أو سيجنح

و التربص الانتظار بالشئ ء من انقلاب حال له إلى خلافها و الأحلام جمع الحلم و هو الإمهال الذى يدعو إليه العقل و الحكمة و المسيطر الملزم غيره أمرا من الأمور قهرا مأخوذ من السطر و المثقل المحمول عليه ما يشق حمله.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «فَذَكِّرْ» يا محمد أى فعظ هؤلاء المكلفين و لا تترك دعوتهم و إن أساءوا قولهم فيك «فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» أى بأنعام ربك عليك بالنبوه و هذا قسم «بِكَاهِنٍ» و هو الذى يوهم أنه يعلم الغيب بطريق خدمه الجن «وَلَا مَجْنُونٍ» و هو الموءوف بما يغطى على عقله و قد علم الكفار أنه ص ليس بكاهن و لا- مجنون لكن قالوا ذلك على جهه التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذيب على أعدائهم «أَمْ يَقُولُونَ» أى بل يقولون هو «شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْنِ» أى ننتظر به حدثان الموت و حوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء و المنون يكون بمعنى الدهر و يكون بمعنى المنيه و أم هذه المنقطعه بمعنى الترك و التحول كقول علقمه:

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فكأنه قال حبلها مصروم لأن بعده قوله:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأحبه يوم البين مشكوم

ثم قال سبحانه «قُلْ» لهم يا محمد «تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ» أى إنكم إن تربصتم فى حوادث الدهر فإنى منتظر مثل ذلك بكم و تربص الكفار بالنبي ص و المؤمنين قبيح و تربص النبي ص و المؤمنين بالكفار و توقعهم لهلاكهم حسن و قوله «تَرَبَّصُوا» و إن كان بصيغه الأمر فالمراد به التهديد «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا» أى بل أ تأمرهم عقولهم بما يقولونه لك و يتربصونه بك قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالأحلام و العقول فأزرى الله سبحانه بعقولهم حيث لم تثمر لهم معرفه الحق من الباطل ثم أخبر سبحانه عن طغيانهم فقال «أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» و قرأ مجاهد بل هم قوم طاغون و بل فى المعنى قريبه من أم هنا إلا أن ما بعد بل متيقن و ما بعد أم مشكوك فيه و المعنى أن عقولهم لم تأمرهم بهذا و لم تدعهم إليه بل حملهم الطغيان على تكذيبك «أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ» أى افتعل القرآن و تكذبه من تلقاء نفسه و النقول تكلف القول و لا يقال ذلك إلا فى الكذب «بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ» أى ليس الأمر كما زعموا بل ثبت أنه من عند الله و لكنهم لا يصدقون بذلك عنادا و حسدا و استكبارا ثم ألزمهم سبحانه الحجة تحداهم فقال «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ» أى مثل القرآن و ما يقاربه فى نظمه و فصاحته و حسن بيانه و براعته «إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» فى أنه تقوله محمد ص فإذا لم يقدرُوا على الإتيان بمثله فليعلموا أن محمدا ص لم يتقوله من تلقاء نفسه بل هو من عند الله تعالى ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ» أى أم خلقوا لغير شىء أى أ خلقوا باطلا لا يحاسبون و لا- يؤمرون و لا- ينهون و نحو هذا عن الزجاج و قيل معناه أم خلقوا عبثا و تركوا سدى عن ابن كيسان و هذا فى المعنى مثل الأول و قيل معناه أ خلقوا من غير خالق و مدبر دبرهم «أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ» أنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر عن ابن عباس «أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» و اخترعوهما فلذلك لا- يقرون بالله و بأنه خالقهم «بَلْ لَّا يُوقِنُونَ» بأن لهم إلها يستحق العباده وحده و إنك نبي من جهة الله «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَّبِّكَ» أى بأيديهم مفاتيح ربك بالرساله فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل و عكرمه و قيل أراد خزائن المطر و الرزق عن الكلبي و ابن عباس و قيل خزائنه مقدراته فلا- يأتيهم إلا ما يحبون عن الجبائي «أَمْ هُمْ الْمُصَيِّطُونَ» أى الأرباب المسلمون على

الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم وقيل معناه أم هم المالكون الناس القاهرون لهم عن الجبائي «أَمْ لَهُمْ سُلَيْمٌ» أى مرقى ومصعد إلى السماء «يَسْتَمْعُونَ فِيهِ» الوحي من السماء فقد وثقوا بما هم عليه ورددوا ما سواه «فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى بحجه ظاهره واضحه أن ادعى ذلك والتقدير يستمعون عليه فهو كقوله «وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» وإنما قيل لهم ذلك لأن كل من يدعى ما لا- يعلم ببدايه العقول فعليه إقامه البيئه والحجه «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ» وهذا تسفيه لأحلامهم إذ أضافوا إلى الله سبحانه ما أنفوا منه وهذا غايه فى جهلهم إذ جوزوا عليه سبحانه الولد ثم ادعوا أنه اختار الأدون على الأعلى «أَمْ تَسْتَأْذِنُهُمْ أَجْرًا» أى ثوابا على أداء رساله و على ما جئتهم به من الدين والشريعه «فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مَثْقُلُونَ» أثقلهم ذلك الغرم الذى تسألهم فمنعهم ذلك عن الإيمان بك.

[سوره الطور (٥٢): الآيات ٤١ الى ٤٩]

اشاره

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)

القراءة

قرأ ابن عامر و عاصم يصعقون بضم الياء و الباقون بفتحها و قرأ زيد عن يعقوب و أدبار النجوم بفتح الألف و الباقون بكسرها.

يقال صعق الرجل يصعق و من قرأ «يُصَيِّعُقُونَ» بضم الياء فإنه على نقل الفعل بالهمزه صعقهم و أصعقهم غيرهم و حكى أبو الحسن صعق فعلى هذا يجوز أن يكون يصعقون منه و من قرأ و أدبار النجوم فإنه يكون كقولهم أعقاب النجوم قال:

فأصبحت من ليلي الغداه كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرب.

اللغة

الكيد هو المكر و قيل هو فعل ما يوجب الغيظ في خفيه و الكسف جمع كسفه فهو مثل سدره و سدر و الكسفه القطعه من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس و المركوم هو الموضوع بعضه على بعض.

المعنى

ثم قال سبحانه «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» أى أ عندهم الغيب حتى علموا أن محمدا ص يموت قبلهم و هذا جواب لقولهم نَتَرَبِّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ عَنْ قِتَادِهِ وَ قِيلَ أ عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه و يخبرون به الناس عن ابن عباس و قيل هو جواب لقولهم إن كان أمر الآخرة حقا كما تدعون فلنا الجنة و مثله وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخَشْيَةَ عَنِ الْحَسَنِ وَ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ هُوَ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَاقِلُ ضَرُورُهُ وَ لَا عَلَيْهِ دَلَالُهُ فَاللَّهُ عَالِمٌ بِهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُهُ لِنَفْسِهِ وَ الْعَالَمُ لِنَفْسِهِ يَعْلَمُ جَمِيعَ الْمَعْلُومَاتِ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا» أى مكرًا بك و تدبير سوء فى بابك سرا على ما دبروه فى دار الندوه «فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ» أى هم المجزيون بكيدهم فإن ضرر ذلك يعود عليهم و يحق بهم مكرهم كما جزى الله سبحانه أهل دار الندوه بكيدهم أن قتلهم بيدى «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ» يرزقهم و يحفظهم و ينصرهم يعنى أن الذين اتخذوهم آلهة لا تنفعهم لا تدفع عنهم ثم نزه سبحانه نفسه فقال «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» به من الآلهة ثم ذكر سبحانه عنادهم و قسوه قلوبهم فقال «وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا» يعنى إن عذبتناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لن ينتهوا عن كفرهم و قالوا هو قطعه من السحاب و هو قوله «يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ» بعضه على بعض و كل هذه الأمور المذكوره بعد أم فى هذه السوره إلزامات لعبده الأوثان على مخالفه القرآن ثم قال سبحانه يخاطب النبى ص «فَاصْبِرْ لَهُمْ» يا محمد أى اتركهم «حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصَيِّعُقُونَ» أى يهلكون بوقوع الصاعقه عليهم و قيل الصعقه النفخه الأولى التى يهلك عندها جميع الخلائق ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال «يَوْمَ لَا

(٥٣) سورة النجم مكيه و آياتها ثنتان و ستون (٦٢)

اشاره

اشاره

المعدل عن ابن عباس و قتاده غير آيه منها نزلت بالمدينه «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ» الآيه و عن الحسن قال هي مدينه.

عدد آياتها

اثنتان و ستون آيه كوفي و آيه في الباقيين.

اختلافها

ثلاث آيات «مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» كوفي «عَنْ مَنْ تَوَلَّى» شامي «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» غير شامي.

فضلها

أبي بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة النجم أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ص و من جحد به.

يزيد بن خليفه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من كان يدمن قراءه و النجم في كل يوم أو في كل ليله عاش محمودا بين الناس و كان مفقودا و كان محببا بين الناس.

تفسيرها

افتتح الله سبحانه هذه السوره بذكر النبي ص كما ختم بذكر سوره الطور حتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال:

ص: ٢٥٩

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)
فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)

القراءة

أمال حمزه و الكسائي و خلف أواخر آيات هذه السوره كلها و جميع أشباهها و قرأ أهل المدينة و أبو عمرو بين الفتح و الكسر إلى الفتح أقرب و كذلك كل سوره آياتها على الياء مثل سوره طه و الشمس و ضحاها و الليل إذا يغشى و الضحى و أشباهها و كل ما كان على وزن فعلى أو فعلى أو فعلى في جميع القرآن فإن أبا عمرو يقرأها بين الفتح و الكسر أيضا في روايه شجاع و أكثر الروايات عن اليزيدى و الباقر يفتحون و يفخمون و ابن كثير و عاصم أشد تفخيما في ذلك كله.

الحججه

أما ترك الإماله و التفخيم للألف فهو قول كثير من الناس و الإماله أيضا قول كثير منهم فمن ترك كان مصيبا و من أخذ بها كان مصيبا.

اللغه

الهوى و النزول و السقوط نظائر هوى يهوى هويا أو هويا قال الهدلى:

و إذا رميت به الفجاج رأيت يهوى مخارمها هوى الأجدل

و منه سميت الهاويه لأنها تهوى بأهلها من أعلاها إلى أسفلها و الغى الخيبه و منه الغوايه و الوحي إلقاء المعنى إلى النفس في خفيفه إلا- أنه صار كالعلم فيما يلقيه الملك إلى النبي من البشر عن الله تعالى و منه قوله وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَى أَلْهَمَهَا مراشدها و القوه القدره و أصله الشده و أصل المره شده الفتل ثم تجرى المره على القدره فالمره و القوه و الشده نظائر و الأفق ناحيه السماء و جمعه آفاق و قد سمى نواحي الأرض آفاقا على التشبيه قال الشاعر فى المعنى الأول:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمرها و النجوم الطوالع

و قال امرؤ القيس فى المعنى الثانى:

لقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمه بالإياب

ص: ٢٦٠

والتدلى الامتداد إلى جهة السفلى يقال دلاه صاحبه فتدلى و القاب و القيب و القاد و القيد عباره عن مقدار الشىء .

الإعراب

«وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى» مبتدأ و خبر فى موضع الحال و قال الفراء هو معطوف على الضمير فى استوى أى استوى جبرائيل و النبى ص بالأفق الأعلى و التقدير استوى هو و هو قال و حسن ذلك لثلا يتكرر هو و أنشد:

ألم تر أن النبع يصلب عوده و لا يستوى و الخروج المتقصف

قال الزجاج و هذا لا يجوز إلا فى الشعر لأنهم يستقبحون استويت و زيد و إنما المعنى فاستوى جبرائيل و هو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية لأنه كان يتمثل للنبي ص إذا هبط عليه بالوحي فى صورته رجل فأحب رسول الله ص أن يراه على صورته الحقيقية فاستوى فى أفق المشرق فملاً الأفق:.

المعنى

«وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى» فقيل فى معناه أقوال (أحدها) أن الله أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوما متفرقة على رسول الله ص فى ثلاث و عشرين سنة عن الضحاك و مجاهد و الكلبي فسمى القرآن نجما لتفرقه فى النزول و العرب تسمى التفريق تنجيما و المفرق منجما (و ثانيها) أنه أراد بالنجم الثريا أقسم بها إذا سقطت و غابت مع الفجر عن ابن عباس و مجاهد و العرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة قال أبو ذؤيب:

فوردن و العيوق مقعد رابى الضرباء فوق النجم لا يتلعل

قال ابن دريد و الثريا سبعة أنجم سته ظاهره و واحد خفى يمتحن الناس به أبصارهم (و ثالثها) أن المراد به جماعه النجوم إذا هوت أى سقطت و غابت و خفيت عن الحسن و أراد به الجنس كما قال الراعى:

و بات يعد النجم فى مستحيره سريع بأيدى الأكلين جمودها

ص: ٢٤١

ثم قيل أشار بأفول النجم إلى طلوعه لأن ما يأفل يطلع فاستدل بأفوله و طلوعه على وحدانيه الله تعالى و حركات النجم و توصف بالهوى عن الجبائي و قيل إن هويه سقوطه يوم القيامة فيكون كقوله وَ إِذَا الْكُوكِبُ انْتَثَرَتْ عَنِ الْحَسَنِ (و رابعها) أنه يعنى به الرجوم من النجوم و هو ما يرمى به الشياطين عند استراق السمع عن ابن عباس

و روت العامه عن جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال محمد رسول الله ص نزل من السماء السابعة ليله المعراج و لما نزلت السوره أخبر بذلك عتبه بن أبى لهب فجاء إلى النبي ص و طلق ابنته و تفل فى وجهه و قال كفرت بالنجم و برب النجم فدعا ص عليه و قال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتبه إلى الشام فنزل فى بعض الطريق و ألقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه أنيمونى ليلا ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس

و فى ذلك يقول حسان:

سائل بنى الأصفر إن جئتهم ما كان أبناء بنى واسع

لا وسع الله له قبره بل ضيق الله على القاطع

رمى رسول الله من بينهم دون قريش رمية القاذع

و استوجب الدعوه منه بما بين للناظر و السامع

فسلط الله به كلبه يمشى الهوينا مشيه الخادع

و النقم الرأس بيافوخه و النحر منه قفره الجائع

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع

قد كان هذا لكم عبره للسيد المتبوع و التابع

«ما ضلَّ صاحبُكُمْ وَ ما غوى» يعنى النبى أى ما عدل عن الحق و ما فارق الهدى إلى الضلال و ما غوى فيما يؤديه إليكم و معنى غوى ضل و إنما أعاده تأكيداً و قيل معناه ما خاب عن إصابه الرشد و قيل ما خاب سعيه بل ينال ثواب الله و كرامته «وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» أى و ليس ينطق بالهوى و هكذا كما يقال رميت بالقوس و عن القوس و قيل معناه و لا يتكلم بالقرآن و ما يؤديه إليكم عن الهوى الذى هو ميل الطبع «إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى» أى ما القرآن و ما ينطق به من الأحكام إلا وحى من الله يوحى إليه أى يأتيه به جبرائيل و هو قوله «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» يعنى جبرائيل (عليه السلام) أى القوى فى نفسه و خلقته عن ابن عباس

و الربيع و قتاده و القوي جمع القوه «ذُو مِرَّةٍ» أى ذو قوه و شده فى خلقه عن الكلبي قال و من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء ثم قبلها و من شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا و قيل معناه ذو صحه و خلق حسن عن ابن عباس و قتاده و قيل شديد القوى فى ذات الله ذو مره أى صحه فى الجسم سليم من الآفات و العيوب و قيل ذو مره أى ذو مرور فى الهواء ذاهبا و جائيا و نازلا و صاعدا عن الجبائي «فَاسْتَوَى» جبرائيل على صورته التى خلق عليها بعد انحداره إلى محمد ص «وَهُوَ» كناية عن جبرائيل (عليه السلام) أيضا «بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى» يعنى أفق المشرق و المراد بالأعلى جانب المشرق و هو فوق جانب المغرب فى صعيد الأرض لا فى الهواء قالوا إن جبرائيل كان يأتى النبى ص فى صورته الآدميين فسأله النبى ص أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فأراه نفسه مرتين مره فى الأرض و مره فى السماء أما فى الأرض ففى الأفق الأعلى و ذلك أن محمدا ص كان بحراء فطلع له جبرائيل (عليه السلام) من المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر النبى ص مغشيا عليه فنزل جبرائيل (عليه السلام) فى صورته الآدميين فضمه إلى نفسه و هو قوله «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» و تقديره ثم تدلى أى قرب بعد بعده و علوه فى الأفق الأعلى فدنا من محمد ص قال الحسن و قتاده ثم دنا جبرائيل (عليه السلام) بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد ص و قال الزجاج معنى دنا و تدلى واحد لأن معنى دنا قرب و تدلى زاد فى القرب كما تقول قد دنا منى فلان و قرب و لو قلت قرب منى و دنا جاز و قيل إن المعنى استوى جبرائيل (عليه السلام) أى ارتفع و علا إلى السماء بعد أن علم محمدا ص عن سعيد بن المسيب و قيل استوى أى اعتدل واقفا فى الهواء بعد أن كان ينزل بسرعه ليراه النبى ص عن الجبائي و قيل معناه استوى جبرائيل (عليه السلام) و محمد ص بالأفق الأعلى يعنى السماء الدنيا ليله المعراج عن الفراء «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» أى كان ما بين جبرائيل و رسول الله قاب قوسين و القوس ما يرمى به عن مجاهد و عكرمه و عطا عن ابن عباس و خصت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوس و قيب قوس و قيد قوس و قاد قوس و هو اختيار الزجاج و قيل معناه و كان قدر ذراعين عن عبد الله بن مسعود و سعيد بن جبير و شقيق بن سلمه

و روى مرفوعا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ص فى قوله «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قال قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين

فعلى هذا يكون معنى القوس ما يقاس به الشىء و الذراع يقاس به قال ابن السكيت قاس الشىء يقوسه قوسا لعه فى قاسه يقيسه إذا قدره و قوله «أَوْ أَدْنَى» قال الزجاج إن العباد قد خوطبوا على لغتهم و مقدار فهمهم و قيل لهم فى هذا ما يقال للذى يحدد فالمعنى فكان على ما تقدرونه أنتم قدر قوسين أو أقل من ذلك و هو كقوله أَوْ يَزِيدُونَ و قد مر القول فيه و قال عبد الله بن مسعود أن رسول الله ص رأى جبرائيل

(عليه السلام) وله ستمائه جناح أوردته البخارى و مسلم فى الصحيح «فَأَوْحَى إِلَى عِبْدِهِ مَا أَوْحَى» أى فأوحى الله على لسان جبرائيل إلى محمد ص ما أوحى و ما يحتمل أن تكون مصدرية و يحتمل أن تكون بمعنى الذى و قيل معناه فأوحى جبرائيل (عليه السلام) إلى عبد الله محمد ص ما أوحى الله تعالى إليه عن الحسن و الربيع و ابن زيد و هو روايه عطا عن ابن عباس و قال سعيد بن جبیر أوحى إليه أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى إِلَى قَوْلِهِ «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» و قيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت و على الأمم حتى تدخلها أمتك و قيل أوحى الله إليه سرا بسر و فى ذلك يقول القائل:

بين المحبين سر ليس يفشيه قول و لا قلم للخلق يحكيه

سر يمازجه أنس يقابله نور تحير فى بحر من التيه.

[سورة النجم (٥٣): الآيات ١١ الى ٢٠]

إشارة

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى (١٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)

إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ (١٩) وَ مَنَاةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر و هشام ما كذب بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ أهل الكوفة غير عاصم و يعقوب أفتمرونه بغير ألف و الباقون «أَفْتَمَارُونَهُ» و قرأ ابن كثير و الشمونى عن الأعمش و أبى بكر و مناء بالمد و الهمزة و الباقون «وَمَنَاة» بغير همزة و لا مد و

روى عن على (عليه السلام) و أبى هريره و أبى الدرداء و زر بن حبیش جنة المأوى بالهاء

و عن ابن عباس و مجاهد و اللات بتشديد التاء.

الحج

من قرأ كذب بتشديد الذال فمعناه ما كذب قلب محمد ص ما رآه بعينه تلك الليلة بل صدقه و حقيقه و من قرأ بالتخفيف فمعناه ما كذب فؤاده فيما رأى و قال أبو على

كذب فعل يتعدى إلى مفعول بدلاله قوله:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

و معنى كذبتك عينك أرتك ما لا حقيقه له فعلى هذا يكون المعنى لم يكذب فؤاده ما أدركه بصره أى كانت رؤيته صحيحه غير كاذبه و إدراكا على الحقيقه و يشبه أن يكون الذى شدد أراد هذا المعنى و أكده. «أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى» أى أ ترومون إزالته عن حقيقه ما أدركه و علمه بمجادلتكم أو أ تجحدونه ما قد علمه و لم يعترض عليه فيه شك فإن معنى قوله «أَفْتَمَارُونَهُ» أ تجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما علمه و شاهده من الآيات الكبرى و من قرأ أ فتمرونه فمعناه أ فتجحدونه و مناه صنم من حجاره و اللات و العزى كانتا من حجاره أيضا و لعل مناه بالمد لغه و من قرأ جنه المأوى يعنى فعله يريد جن عليه فأجنه الله و المأوى و هو الفاعل و المعنى ستره و قال الأَخْفَش أدركه و عن ابن عباس قال كان رجل بسوق عكاظ يلت السويق و السمن عند صخره فإذا باع السويق و السمن صب على الصخره ثم يلت فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخره إعظاما لذلك الرجل.

المعنى

ثم بين سبحانه ما رآه النبى ص ليله الأسرى و حقق رؤيته فقال «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» أى لم يكذب فؤاد محمد ما رآه بعينه فقوله «ما رأى» مصدر فى موضع نصب لأنه مفعول كذب و المعنى أنه ما أوهمه الفؤاد أنه رأى و لم يريل صدقه الفؤاد رؤيته قال المبرد معنى الآيه أنه رأى شيئا فصدق فيه

قال ابن عباس رأى محمد ص ربه بفؤاده و روى ذلك عن محمد بن الحنفية عن أبيه على (عليه السلام)

و هذا يكون بمعنى العلم أى علمه علما يقينا بما رآه من الآيات الباهره كقول إبراهيم (عليه السلام) «وَلَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي وَ إِنْ كَانَ عَالِمًا قَبْلَ ذَلِكَ» و قيل إن الذى رآه هو جبرائيل على صورته التى خلقه الله عليها عن ابن عباس و ابن مسعود و عائشه و قتاده و قيل إن الذى رآه هو ما رآه من ملكوت الله تعالى و أجناس مقدوراته عن الحسن قال و عرج بروح محمد ص إلى السماء و جسده فى الأرض و قال الأكثرون و هو الظاهر من مذهب أصحابنا و المشهور فى أخبارهم أن الله تعالى صعد بجسمه إلى السماء حيا سليما حتى رأى ما رأى من ملكوت السماوات بعينه و لم يكن ذلك فى المنام و هذا المعنى ذكرناه فى سوره بنى إسرائيل و الفرق بين الرؤيه فى اليقظه و بين الرؤيه فى المنام أن رؤيه الشىء فى اليقظه هو إدراكه بالبصر على الحقيقه و رؤيته فى المنام تصوره بالقلب على توهم الإدراك بحاسه البصر من غير أن يكون كذلك

و عن أبى العالیه قال سئل رسول الله ص هل رأيت ربك ليله المعراج قال رأيت نهرا و رأيت وراء النهر حجابا و رأيت وراء الحجاب نورالم أر غير ذلك

و روى عن أبي ذر و أبي سعيد الخدرى أن النبى ص سئل عن قوله «ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى» قال رأيت نورا و روى ذلك عن مجاهد و عكرمه

و ذكر الشعبى عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس أنه قال إن محمدا ص رأى ربه قال الشعبى و أخبرنى مسروق قال سألت عائشه عن ذلك فقالت إنك لتقول قولاً إنه ليقف شعرى منه قال مسروق قلت رويدا يا أم المؤمنين و قرأت عليها و النَّجْمِ إِذَا هَوَى حتى انتهيت إلى قوله قاب قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فقالت رويدا أنى يذهب بك إنما رأى جبرائيل فى صورته من حدثك أن محمدا ص رأى ربه فقد كذب و الله تعالى يقول «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ من حدثك أن محمدا ص يعلم الحس من الغيب فقد كذب و الله تعالى يقول إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ إِلَى آخِرِهِ وَ من حدثك أن محمدا ص كتم شيئا من الوحي فقد كذب و الله تعالى يقول بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ لقد بين الله سبحانه ما رآه النبى ص بيانا شافيا فقال «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» «أَفْتَمَارُونَهُ» أى أفنجدالونه «على ما يرى» و ذلك أنهم جادلوه حين أسرى به فقالوا له صف لنا بيت المقدس و أخبرنا عن غيرنا فى طريق الشام و غير ذلك مما جادلوه به و من قرأ أفتمرونه فالمعنى أفتجحدونه يقال مريت الرجل حقه إذا جحدته و قيل معناه أفتدفعونه عما يرى و على فى موضع عن عن المبرد و المعنيان متقاربان لأن كل مجادل جاحد «وَ لَقَدْ رَأَهُ نَزَلَهُ أُخْرَى» أى رأى جبرائيل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزله أخرى و ذلك أنه رآه مرتين فى صورته على ما مر ذكره «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى» أى رآه محمد ص و هو عند سدره المنتهى و هى شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة انتهى إليها علم كل ملك عن الكلبى و مقاتل و قيل إليها ينتهى ما يعرج إلى السماء و ما يهبط من فوقها من أمر الله عن ابن مسعود و الضحاك و قيل إليها تنتهى أرواح الشهداء و قيل إليها ينتهى ما يهبط به من فوقها و يقبض منها و إليها ينتهى ما يعرج من الأرواح و يقبض منها و المنتهى موضع الانتهاء و هذه الشجرة حيث انتهى إليه الملائكة فأضيفت إليه و قيل هى شجرة طوبى عن مقاتل و السدره هى شجرة النبوه «عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوَى» أى عند سدره المنتهى جنة المقام و هى جنة الخلد و هى فى السماء السابعة و قيل فى السماء السادسة و قيل هى الجنة التى كان آوى إليها آدم و تصير إليها أرواح الشهداء عن الجبائى و قتاده و قيل هى التى يصير إليها أهل الجنة عن الحسن و قيل هى التى يأوى إليها جبرائيل و الملائكة عن عطا عن ابن عباس «إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ ما يَعْشَى» قيل يغشاها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر عن الحسن و مقاتل

و روى أن النبى ص قال رأيت على كل ورقة من أوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى

و قيل يغشاها من النور و البهاء و الحسن و الصفاء الذى يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن و قيل

يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس و مجاهد و كأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى و المعنى أنه رأى جبرائيل (عليه السلام) على ما صورته في الحال التي يغشى فيها السدره من أمر الله و من العجائب المنبئه على كمال قدره الله تعالى ما يغشاها و إنما أبهم الأمر فيما يغشى لتعظيم ذلك و تفخيمه كما قال «فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ» و قوله «ما يَغْشَىٰ» أبلغ لفظ في هذا المعنى «ما زَاغَ الْبَصِيرُ وَ ما طَغَىٰ» أى ما زاغ بصر محمد ص و لم يمل يمينا و لا شمالا و ما طغى أى ما جاوز القصد و لا الحد الذى حدد له و هذا وصف أدبه صلوات الله عليه و آله فى ذلك المقام إذا لم يلتفت جانبا و لم يمل بصره و لم يمد أمامه إلى حيث ينتهى «لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ» و هى الآيات العظام التى رآها تلك الليله مثل سدره المنتهى و صورة جبرائيل (عليه السلام) و رؤيته و له ستمائه جناح قد سد الأفق بأجنحته عن مقاتل و ابن زيد و الجبائى و من للتبعيض أى رأى بعض آيات ربه و قيل إنه رأى رفرفا أخضر من رفارف الجنه قد سد الأفق عن ابن مسعود و قيل إنه قد رأى ربع بقلبه عن ابن عباس فعلى هذا فيمكن أن يكون المراد أنه رأى من الآيات ما ازداد به يقينا إلى يقينه و الكبرى تأنيث الأكبر و هو الذى يصغر مقدار غيره عنده فى معنى صفته و لما قص الله سبحانه هذه الأفاصيص عقبها سبحانه بأن خاطب المشركين فقال «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» أى أخبرونا عن هذه الآلهه التى تعبدونها من دون الله و تعبدون معها الملائكة و تزعمون أن الملائكة بنات الله و قيل معناه أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات و العزى و مناه بنات الله لأنه كان منهم من يقول إنما نعبد هؤلاء لأنهم بنات الله عن الجبائى و قيل إنهم زعموا أن الملائكة بنات الله و صوروا أصنامهم على صورهم و عبدوها من دون الله و اشتقوا لها أسماء من أسماء الله فقالوا اللات من الله و العزى من العزيز و كان الكسائى يختار الوقف على «اللآت» بالتاء لاتباع المصحف لأنها كتبت بالتاء و العزى تأنيث الأعز و هى بمعنى العزيزه و قيل إن اللات صنم كانت ثقيف تعبده و العزى صنم أيضا عن الحسن و قتاده و قيل إنها كانت شجره سمره عظيمه لغطفان يعبدونها فبعث إليها رسول الله ص خالد بن الوليد فقطعها و قال:

يا عز كفرانك لا سبحانهك إنى رأيت الله قد أهانك

عن مجاهد و قال قتاده كانت مناه صنما بقديد بين مكه و المدينه و قال الضحاك و الكلبي كانت لهذيل و خزاعه يعبدها أهل مكه و قيل إن اللات و العزى و مناه أصنام من حجاره كانت فى الكعبه يعبدونها و الثالثه نعت لمناه و الأخرى نعت لها أيضا و معنى الآيه أخبرونى عن هذه الأصنام هل ضرت أو نفعت أو فعلت ما يوجب أن تعدل بالله فحذف لدلاله الكلام عليه.

اشاره

أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى (٢٥)

وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا- تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا- مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى (٢٦) إِنْ الَّذِينَ لَا- يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسَئِمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى (٢٧) وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا- الظَّنَّ وَ إِنْ الظَّنَّ لَا- يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً (٢٨) فَاعْرَضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكُمْ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (٣٠)

القراءه

قرأ ابن كثير غير ابن فليح ضئرى بالهمز و الباقون بغير همز.

الحجه

قال أبو على قوله «تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى» أى ما نسبتموه إلى الله سبحانه من اتخاذ البنات قسمه جائره و قولهم قسمه ضيزى و مشيه حيكى حمله النحويون على أنه فى الأصل فعلى بالضم و إن كان اللفظ على فعلى كما أن البيوت و العصى فى الأصل فعول و إن كانت الفاء مكسوره و إنما حملوها على أنها فعلى لأنهم لم يجدوا شيئاً من الصفات على

فعلى كما وجدوا الفعلى و الفعلى و قال أبو عبيده ضزته حقه و ضزته أضوزه أى نقصته و منعتة فمن جعل العين منه واوا فالقياس أن يقول ضوزى و قد حكى ذلك فأما من جعله ياء من قولك ضزته فكان القياس أيضا أن يقول ضوزى و لا يحتفل بانقلاب الياء إلى الواو لأن ذلك إنما ذكره فى بيض و عين جمع بيضاء و عيناء لقربه من الطرف و قد بعد من الطرف هاهنا بحرف التانيث و ليست هذه العلامة فى تقدير الانفصال كالتاء فكان القياس أن لا يحفل بانقلابها إلى الواو.

المعنى

ثم قال سبحانه منكرا على كفار قريش قولهم الملائكة بنات الله و الأصنام كذلك «أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى» أى كيف يكون ذلك كذلك و أنتم لو خيرتم لا اخترتم الذكر على الأنثى فكيف أضفتم إليه تعالى ما لا ترضونه لأنفسكم «تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى» أى جائره غير معتدله بمعنى أن القسمه التى قسمتم من نسبة الإناث إلى الله تعالى و إثارتكم بالبنين قسمه غير عادله «إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ» أى ليس تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهه و أنها بنات الله إلا أسامى لا معانى تحتها لأنه لا ضر عندها و لا نفع فهى تسميات ألقيت على جمادات «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» أى لم ينزل الله كتابا لكم فيه حجه بما تقولونه عن مقاتل ثم رجع إلى الأخبار عنهم بعد المخاطبه فقال «إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» الذى ليس بعلم «وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» أى و ما تميل إليه نفوسهم «وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى» أى البيان و الرشاد بالكتاب و الرسول عجب سبحانه من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان ثم أنكر عليهم تمنيههم شفاعة الأوثان فقال لهم «أَمْ لِلْإِنْسَانِ» أى للكافر «مَا تَمَنَّى» من شفاعة الأصنام «فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى» فلا يملك فيهما أحد شيئا إلا بإذنه و قيل معناه بل للإنسان ما تمنى من غير جزاء لا ليس الأمر كذلك لأن لله الآخرة و الأولى يعطى منهما من يشاء و يمنع من يشاء و قيل معناه ليس للإنسان ما تمنى من نعيم الدنيا و الآخرة بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحه و يعطى الآخرة للمؤمنين دون الكافرين عن الجبائى و هذا هو الوجه الأوجه لأنه أعم فيدخل تحته الجميع ثم أكد ذلك بقوله «وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً» جمع الكنايه لأن المراد بقوله «وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ» الكثره «إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ» لهم فى الشفاعة «لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى» لهم أن يشفعوا فيه أى من أهل الإيمان و التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكه إلا لمن رضى الله عنه كما قال و لا يشفعون إلا لمن ارتضى ثم ذم سبحانه مقاتلهم فقال «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى

لا- يصدقون بالبعث و الثواب و العقاب «لَيْسَ يُؤْمِنُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى» حين زعموا أنهم بنات الله «وَمَا لَهُمْ بِهِ» أى بذلك التسميه «مِنْ عِلْمٍ» أى ما يستيقنون أنهم إناث و ليسوا عالمين «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» الذى يجوز أن يخطئ و يصيب فى قولهم ذلك «وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» الحق هنا معناه العلم أى الظن لا يغنى عن العلم شيئاً و لا يقوم مقام العلم ثم خاطب نبيه ص فقال «فَأَعْرِضْ» يا محمد «عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا» و لم يقر بتوحيدنا «وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» فمال إلى الدنيا و منافعها أى لا تقابلهم على أفعالهم و احتملهم و لا تدع مع هذا وعظهم و دعاءهم إلى الحق «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» أى الإعراض عن التدبر فى أمور الآخرة و صرف الهمة إلى التمتع باللذات العاجله منتهى علمهم و هو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل لأنه من طباع البهائم أن يأكل فى الحال و لا ينتظر العواقب و

فى الدعاء اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا

«إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «هُوَ أَعْلَمُ» منك و من جميع الخلق «بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» أى بمن جار و عدل عن سبيل الحق الذى هو سبيله «وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى» إليها فيجازى كلا منهم على حسب أعمالهم.

ص: ٢٧٠

إشاره

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ
الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا
تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥)

أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى
(٣٩) وَ أَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى (٤٠)

ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)

اللغه

قال الفراء اللمم أن يفعل الإنسان الشيء في الحين ولا يكون له عادة و منه إلمام الخيال و الإلمام الزيادة التي لا تمتد و كذلك
اللمام قال أمية:

إن تغفر اللهم تغفر جما و أى عبد لك لا ألما

و قد روى أن النبي ص كان ينشدهما و يقولهما أى لم يلم بمعصيه و قال أعشى بأهله:

تكفيه حزه فلذان ألم بها من الشواء و يروى شربه الغمر

أجنه جمع جنين قال رؤبه

أجنه فى مستكنات الحلق

و قال عمرو بن كلثوم:

و لا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعه إلا جنينا

أى دفينا فى قبره و أكدى أى قطع العطاء كما تقطع البئر الماء و اشتقاقه من كديه الركيه و هى صلابه تمنع الماء إذا بلغ الحافر
إليها يئس من الماء فيقال أكدى إذا بلغ الكديه و يقال كديت أصابعه إذا كلت فلم تعمل شيئا و كديت أظفاره إذا غلظت و
كدى النبات إذا قل ريعه و الأصل واحد فيها:.

الإعراب

«إِلَّا اللَّمَمَ» منصوب على الاستثناء من الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ لأن اللمم دونهما إلا أنه منهما. «إِذْ أَنْشَأَكُمْ» العامل فى إذ قوله أَعْلَمُ بِكُمْ

«فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» يجوز أن يتعلق بنفس أجنه و تقديره إذ أنتم مستترون في بطون أمهاتكم و يجوز أن يتعلق بمحذوف فيكون صفه لأجنه و قوله «أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» تقديره أنه لا تزر و هو في موضع جر بدلا من قوله «بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى» و ما اسم موصول.

النزول

نزلت الآيات السبع «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» في عثمان بن عفان كان يتصدق و ينفق ماله فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك أن لا يبقى لك شىء فقال عثمان إن لى ذنوبا و إنى أطلب بما أصنع رضى الله و أرجو

ص: ٢٧١

عفوه فقال له عبد الله أعطني ناقتك و أنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه و أشهد عليه و أمسك عن الصدقه فنزلت «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» أى يوم أحد حين ترك المركز و أعطى قليلا ثم قطع نفقته إلى قوله «وَأَنْ سَعَيْهٖ سَوْفَ يُرَى» فعاد عثمان إلى ما كان عليه عن ابن عباس و السدى و الكلبي و جماعه من المفسرين و قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة و كان قد اتبع رسول الله ص على دينه فعيره بعض المشركين و قالوا تركت دين الأشياخ و ضللتهم و زعمت أنهم فى النار قال إني خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله و رجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل فأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل و منعه تمام ما ضمن له فنزلت «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» عن الإيمان و أعطى صاحبه الضامن قليلا و أكدى أى بخل بالباقي عن مجاهد و ابن زيد و قيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى و ذلك أنه ربما كان يوافق رسول الله ص فى بعض الأمور عن السدى و قيل نزلت فى رجل قال لأهله جهزوني حتى أنطلق إلى هذا الرجل يريد النبى ص فتجهز و خرج فلقى رجلا من الكفار فقال له أين تريد فقال محمدا لعلى أصيب من خيره قال له الرجل أعطني جهازك و أحمل عنك إثمك عن عطاء بن يسار و قيل نزلت فى أبى جهل و ذلك أنه قال و الله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله «أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى» أى لم يؤمن به عن محمد بن كعب القرظى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته و سعه ملكه فقال «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» و هذا اعتراض بين الآيه الأولى و بين قوله «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا» و اللام فى ليجزى تتعلق بمعنى الآيه الأولى لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلا منهم بما يستحقه و ذلك لام العاقبه و ذلك أن علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم و إنما يقدر على مجازاه المحسن و المسىء إذا كان كثير الملك و لذلك أخبر به فى قوله «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ» فى الآخرة «الَّذِينَ أَسَاؤُا» أى أشركوا «بِمَا عَمِلُوا» من الشرك «وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا» أى وحدوا ربهم «بِالْحُسْنَى» أى بالجنة و قيل إن اللام فى ليجزى تتعلق بما فى قوله «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» لأن المعنى فى ذلك أنه خلقهم ليتعبدهم فمنهم المحسن و منهم المسىء و إنما كلفهم ليجزى كلا منهم بعلمه عمله فتكون اللام للغرض ثم وصف سبحانه الذين أحسنوا فقال «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ» أى عظام الذنوب «وَ الْفَوَاحِشَ» جمع فاحشه و هى أقبح الذنوب و أفحشها و قد بينا اختلاف الناس فى الكبائر فى سورة النساء و قد قيل إن الكبيره كل ذنب ختم بالنار و الفاحشه كل ذنب

فيه الحد و من قرأ كبير الإثم فلأنه يضاف إلى واحد في اللفظ و إن كان يراد به الكثرة «إِلَّا اللَّمَمَ» اختلف في معناه فقيل هو صغار الذنوب كالنظر و القبلة و ما كان دون الزنا عن ابن مسعود و أبي هريره و الشعبي و قيل هو ما ألموا به في الجاهليه من الإثم فهو معفو عنه في الإسلام عن زيد بن ثابت و على هذا فيكون الاستثناء منقطعا و قيل هو أن يلم بالذنب مره ثم يتوب و لا يعود عن الحسن و السدى و هو اختيار الزجاج لأنه قال اللمم هو أن يكون الإنسان قد ألم بالمعصيه و لم يقم على ذلك و يدل على ذلك قوله «إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» قال ابن عباس لمن فعل ذلك و تاب و معناه أن رحمته تسع جميع الذنوب لا تضيق عنه و تم الكلام هنا ثم قال «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ» يعنى قبل أن خلقكم «إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» أى أنشأ أباكم آدم من أديم الأرض و قال البلخى يجوز أن يكون المراد به جميع الخلق أى خلقكم من الأرض عند تناول الأغذيه المخصوصه التى خلقها من الأرض و أجرى العاده بخلق الأشياء عند ضرب من تركيبها فكأنه سبحانه أنشأهم منها «وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» أى فى وقت كونكم أجنه فى الأرحام أى علم من كل نفس ما هى صانعه و إلى ما هى صائره عن الحسن و قيل معناه أنه سبحانه علم ضعفكم و ميل طباعكم إلى اللمم و علم حين كنتم فى الأرحام ما تفعلون إذا خرجتم و إذا علم ذلك منكم قبل وجوده فكيف لا يعلم ما حصل منكم «فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ» أى لا تعظموها و لا تمدحوها بما ليس لها فإنى أعلم بها و قيل معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون أقرب إلى النسك و الخشوع و أبعد من الرياء «هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» أى اتقى الشرك و الكبائر و قيل هو أعلم بمن بر و أطاع و أخلص العمل «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» أى أدبر عن الحق «وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْثَدَى» أى أمسك عن العطيه و قطع عن الفراء و قيل منع منعاً شديداً عن المبرد «أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ» أى ما غاب عنه من أمر العذاب «فَهُوَ يَرَى» أى يعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه «أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى» أى بل ألم يخبر و لم يحدث بما فى أسفار التوراه «وَ إِبْرَاهِيمَ» أى فى صحف إبراهيم «الَّذِي وَفَّى» أى تمم و أكمل ما أمر به و قيل بلغ قومه و أدى ما أمر به إليهم و قيل أكمل ما أوجب الله عليه من كل ما أمر و امتحن به ثم بين ما فى صحفهما فقال «أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا- تحمل نفس حامله حمل أخرى و المعنى لا تؤخذ نفس ياثم غيرها «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» عطف على قوله «أَلَّا تَزِرُ» و هذا أيضا ما فى صحف إبراهيم و موسى أى ليس له من الجزاء إلا جزاء ما عمله دون ما عمله غيره و متى دعا غيره إلى الإيمان فأجابه إليه فهو محمود

على ذلك على طريق التبع و كأنه من أجل عمله صار له الحمد على هذا و لو لم يعمل شيئاً لما استحق جزاء لا ثواباً و لا عقاباً عن ابن عباس فى روايه الوالى قال إن هذا منسوخ الحكم فى شريعتنا لأنه سبحانه يقول ألحقنا بهم ذرياتهم رفع درجه الذريه و إن لم يستحقوها بأعمالهم و نحو هذا قال عكرمه إن ذلك لقوم إبراهيم و موسى فأما هذه الأمه فلهم ما سعى غيرهم نيابه عنهم و من قال إنه غير منسوخ الحكم قال الآيه تدل على منع النيابة فى الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كالحج و هو

أن امرأه قالت يا رسول الله إن أبى لم يحج قال فحجى عنه

«وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى» يعنى أن ما يفعله الإنسان و يسعى فيه لا بد أن يرى فيما بعد بمعنى أنه يجازى عليه و بين ذلك بقوله «ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى» أى يجازى على الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم و الهاء فى يجزاه عائده إلى السعى و المعنى أنه يرى العبد سعيه يوم القيامة ثم يجزى سعيه أوفى الجزاء.

ص: ٢٧٤

إشارة

وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى (٤٢) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَى (٤٣) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا (٤٤) وَ أَنَّهُ خَلَقَ الرَّؤُوسَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُنْمَى (٤٦)

وَ أَنْ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى (٤٧) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ أَقْنَى (٤٨) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى (٤٩) وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَ تَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١)

وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى (٥٢) وَ الْمُرُوتِفِكَهَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا عَشَى (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى (٥٦)

أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ (٥٩) وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَتَّبِعُونَ (٦٠) وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١)

فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا (٦٢)

القراءة

قرأ أهل المدينة و البصره غير سهل عاد لولى مدغمه غير منونه و لا مهموزه إلا فى روايه قالون عن نافع فإنه روى عنه عاد لولى مهموزه ساكنه و قرأ الباقون «عاداً الأولى» منونه مهموزه غير مدغمه و قرأ عاصم و حمزه و يعقوب «وَ تَمُودَ فَمَا أَبْقَى» بغير تنوين و الباقون و ثمودا بالتنوين.

الحج

قال أبو على قال أبو عثمان أساء عندى أبو عمرو فى قراءته لأنه أدغم النون فى لام المعرفه و اللام إنما تحركت بحركه الهمزه و ليست بحركه لازمه و الدليل على ذلك أنك تقول الحمر فإذا طرحت حركه الهمزه على اللام لم يحذف ألف الوصل لأنها ليست بحركه لازمه قال أبو عثمان و لكن كان أبو الحسن روى عن بعض العرب أنه كان يقول هذا لحرمر قد جاء فيحذف ألف الوصل لحرركه اللام و قال أبو على القول فى «عاداً الأولى» أن من حقق الهمزه فى الأولى سكن لام المعرفه و إذا سكنت لام المعرفه و التنوين من قولك عادا المنصوب ساكن التقى ساكنان النون فى عادا و لام المعرفه فحركت التنوين بالكسر لالتقاء الساكنين أن يحذفه هنا قول من لم يدغم و قياس قول من قال أحد الله فحذف التنوين لالتقاء الساكنين أن يحذفه هنا أيضا كما حذفه فى أحد الله و كما حذفه فى قوله و لا ذاكر الله إلا أن ذا لا يدخل فى القراءه و إن كان قياسا و جاء فى الشعر كثيرا و جاء فى بعض القراءه و يجوز فى قول من خفف الهمزه من الأولى على قول من قال الحمر فلم يحذف الهمزه التى للوصل أن يحرك التنوين فيقول عادن الولى كما يقول ذلك إذا حقق الهمزه لأن اللام على هذا فى تقدير السكون فكما تكسر التنوين لالتقاء الساكنين كذا تكسره فى هذا القول لأن التنوين فى تقدير الالتقاء مع الساكن و من حرك لام المعرفه و حذف همزه الوصل

فقياسه أن يسكن النون من عادن فيقول عادن لولى لأن اللام ليس فى تقدير السكون كما كان فى الوجه الأول كذلك أ لا ترى أنه حذف همزه الوصل فإذا كان كذلك ترك النون على سكونها كما تتركه فى نحو عاد ذاهب فأما قول أبى عمرو عاد لولى فإنه لما خفف الهمزه التى هى منقلبه عن الفاء لاجتماع الواوين أولاً- ألقى حركتها على اللام الساكنه و قبل اللام نون ساكنه فأدغمها فى اللام كما يدغمها فى الراء فى نحو من راشد و ذلك بعد أن يقلبها لاما أو راء فإذا أدغمها فيها صار عاد

ص: ٢٧٥

لولى و خرج عن الإساءة التى نسبها إليه أبو عثمان من وجهين (أحدهما) أن يكون تخفيف الهمزة من قوله «الأولى» على قول من قال لحرر كأنه يقول فى التخفيف للهمزة قبل الإدغام لولى فخرجت اللام من حكم السكون بدلاله حذف همزة الوصل معه فحسن الإدغام فيه (و الوجه الآخر) أن يكون أدغم على قول من قال الولى الحر فلم يحذف الهمزة التى للوصل مع إلقاء الحركة على لام المعرفة لأنه فى تقدير السكون فلا- يمتنع أن يدغم فيه كما لا يمتنع أن يدغم فى نحو رد و فر و عض و إن كانت لامتهن سواكن و تحركها للإدغام كما تحركت السواكن التى ذكرنا للإدغام و أما ما روى عن نافع من أنه همز فقال عاد لولى فإنه كما روى عن ابن كثير من قوله على سؤقه فوجهه أن الضمه لقربها من الواو و أنه لم يحجز بينهما شىء صارت كأنها عليها فهزها كما تهزم الواوات إذا كانت مضمومة نحو أدور و الغور و هذه لغة قد رويت و حكيته و إن لم تكن بتلك الفاشية.

اللغة

المنى التقدير يقال منى يمنى فهو مان قال الشاعر:

"حتى تبين ما يمنى لك المانى"

و منه المنية لأنها المقدره و النشأه الصنعه المخترعه خلاف المشيئه و أقى من القنيه و هى أصل المال و ما يقتنى و الاقتناء جعل الشىء للنفس على الدوام و منه القناه لأنها مما تقتنى و الشعرى النجم الذى خلف الجوزاء و هو أحد كوكبى ذراع الأسد و قسم المرزم و كانوا يعبدونها فى الجاهليه و المؤتفكه المنقلبه و هى التى صار أعلاها أسفلها و أسفلها أعلاها ائتفكت بهم تأتفك ائتفاكا و منه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهته و أهوى أى أنزل بها فى الهواء و منه أهوى بيده ليأخذ كذا و هوى يهوى نزل فى الهوى فأما إذا نزل فى سلم أو درج فلا يقال أهوى و لا هوى و أزفت الآزفه أى دنت الدانيه قال النابغه:

أزف الترحل غير أن ركابنا لما نزل برجالنا و كان قد

و قال كعب بن زهير:

بأن الشباب و أمسى الشيب قد أزفا و لا أرى لشباب ذاهب خلفا

و السمود اللهو و السامد اللاهى يقال سمد يسمد قال:

رمى الحدثن نسوه آل حرب بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا و رد وجوههن البيض سودا

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» يعنى و أن إلى ثواب ربك و عقابه آخر الأمر و المنتهى و الآخر واحد و هو المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده «وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَى» أى فعل سبب الضحك و البكاء من السرور و الحزن كما يقال أضحكنى فلان و أبكاني عن عطاء و الجبائى و قيل أضحك أهل الجنة فى الجنة و أبكى أهل النار فى النار عن مجاهد و الضحك و البكاء من فعل الإنسان قال الله تعالى «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لْيَبْكُوا كَثِيرًا» و قال تعجبون و تضحكون فنسب الضحك إليهم و قال الحسن أن الله سبحانه هو الخالق للضحك و البكاء و الضحك تفتح أسرار الوجه عن سرور و عجب فى القلب فإذا هجم على الإنسان منه ما لا- يمكنه دفعه فهو من فعل الله و البكاء جريان الدمع على الخد عن غم فى القلب و ربما كان عن فرح يمازجه تذكر حزن فكأنه عن رقه فى القلب و قيل معنى الآية أضحك الأشجار بالأنوار و أبكى السحاب بالأمطار و قيل أضحك المطيع بالرحمه و أبكى العاصى بالسخطه «وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا» أى خلق الموت فأمات به الأحياء لا يقدر على ذلك غيره لأنه لو قدر على الموت لقدر على الحياه فإن القادر على الشىء قادر على ضده و لا يقدر أحد على الحياه إلا الله تعالى و خلق الحياه التى يحيا بها الحيوان فأمات الخلق فى الدنيا و أحياهم فى العقبى للجزاء «وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ» أى الصنفين «الدَّكَرَ وَ الْأُنْثَى» من كل حيوان «مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى» أى إذا خرجت منهما و تنصب فى الرحم و النطفه ماء الرجل و المرأه التى يخلق منها الولد عن عطاء و الضحاك و الجبائى و قيل تمنى أى تقدر و هو أصله فالمعنى تلقى على تقدير فى رحم الأنثى «وَ أَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى» أى الخلق الثانى للبعث يوم القيامة يعنى عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء فإن قيل إن لفظه على كلمه إيجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك فالجواب أنه سبحانه إذا كلف الخلق فقد ضمن الثواب فإذا فعل فيهم الآلام فقد ضمن العوض فإذا لم يعوض فى الدنيا و خلى بين المظلوم و الظالم فلا بد من دار أخرى يقع فيها الجزاء و الإنصاف و الانتصاف و قد وعد سبحانه بذلك فيجب الوفاء به «وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ أَقْنَى» أى أغنى الناس بالأموال و إعطاء القنيه و أصول المال و ما يدخرونه بعد الكفايه عن أبى صالح و قيل أقنى أى أخدم عن الحسن و مجاهد و قتاده و قيل أغنى مؤول و أقنى أراضى بما أعطى عن ابن عباس و قيل أغنى بالقناعه و أقنى بالرضا عن سفیان و قيل أغنى بالكفايه و أقنى بالزيادة و قيل أغنى من شاء و أقنى أى أفقر و حرم من شاء عن ابن زيد «وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى» أى خالق الشعرى و مخترعها و مالکها أى فلا تتخذوا المربوب المملوك إلها و قيل إن خزاعه كانت تعبدها و أول من عبدها أبو كبشه أحد أجداد النبى ص من قبل أمهاته و كان المشركون يسمونه ص ابن أبى

كبشه لمخالفته إياهم فى الدين كما خالف أبو كبشه غيره فى عباده الشعري «وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى» و هو عاد بن إرم و هم قوم هود أهلكتهم الله بريح صرصر عاتيه و كان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى قال ابن إسحاق أهلكتوا ببغى بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل «وَ ثَمُودَ» أى و أهلكت ثمود «فَمَا أَبْقَى» و لا- يجوز أن يكون منصوبا بأبقى لأن ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا يقال زيذا ما ضربت لأنها تجرى مجرى الاستفهام فى أن لها صدر الكلام و إنما فتحت أن فى هذه المواضع كلها لأن جميعها فى صحف إبراهيم و موسى فكأنه قال أم لم ينبأ بما فى صحف موسى و إبراهيم الذى وفى بأنه لا تزر وازره وزر أخرى و بأنه كذا و كذا «وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ» أى و أهلكتنا قوم نوح من قبل عاد و ثمود «إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى» من غيرهم لطول دعوه نوح و عتوهم على الله فى الكفر و التكذيب «وَ الْمُؤْتَفِكَةَ» يعنى قرى قوم لوط المخسوفه «أَهْوَى» أى أسقط أهواها جبرائيل بعد أن رفعها و أتبعهم الله بالحجاره و ذلك قوله «فَعَشَّاهَا مَا عَشَّى» أى ألبسها من العذاب ما ألبس يعنى الحجاره المسومه التى رموا بها من السماء عن قتاده و ابن زيد و قيل أنه تفخيم لشأن العذاب الذى نالها من جهه إبهامه فى قوله «ما عَشَّى» فكأنه قال قد حل بهم من العذاب و التنكيل ما يجل عن البيان و التفصيل «فَبِأَى آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى» أى بأى نعم ربك ترتاب و تشك أيها الإنسان فيما أولاك أو فيما كفاك عن قتاده و قيل لما عد الله سبحانه ما فعله مما يدل على وحدانيته قال فبأى نعم ربك التى تدل على وحدانيته تتشكك و إنما ذكره بالنعم بعد تعديد النقم لأن النقم التى عدت هى نعم علينا لما لنا فيها من اللطف فى الانزجار عن القبيح إذ نالهم تلك النقم بكفرانهم النعم «هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى» أشار إلى رسول الله ص عن قتاده و النذر الأولى الرسل قبله و قيل هو إشاره إلى القرآن و النذر الأولى صحف إبراهيم و موسى عن أبى مالك و قيل معناه هذه الأخبار التى أخبر بها عن إهلاك الأمم الأولى نذير لكم عن الجبائى «أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ» أى دنت القيامة و اقتربت الساعة و إنما سميت القيامة آزفه أى دانيه لأن كل ما هو آت قريب «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ» أى إذا غشيت الخلق شداثدا و أهوالها لم يكشف عنهم أحد و لم يردا عن عطاء و الضحاك و قتاده و تأنيث كاشفه على تقدير نفس كاشفه أو جماعه كاشفه و يجوز أن يكون مصدرا كالعاقبه و العاقبه و الواقيه و الخائنه فيكون المعنى ليس لها من دون الله كشف أى لا- يكشف عنها غيره و لا- يظهرها سواه كقوله «لا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتِهَا» إلا هو «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ» يعنى بالحديث ما قدم من الأخبار عن الصادق (عليه السلام) و قيل معناه أفمن هذا القرآن و نزوله من عند الله على محمد ص و كونه معجزا «تَعَجُّبُونَ» أيها المشركون «وَ تَضْحَكُونَ» استهزاء «وَ لا

تَبْكُونَ» انزجارا لما فيه من الوعيد «وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ» أى غافلون لاهون معرضون عن ابن عباس و مجاهد و قيل هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه عن عكرمه «فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا» أمرهم سبحانه بالسجود له و العباده خالصا مخلصا و فى الآيه دلالة على أن السجود هاهنا واجب على ما ذهب إليه أصحابنا لأن ظاهر الأمر يقتضى الوجوب.

(٥٤) سورة القمر مكيه و آياتها خمس و خمسون (٥٥)

اشاره

اشاره

و هي خمس و خمسون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة اقتربت الساعه فى كل غب بعث يوم القيامه و وجهه على صوره القمر ليله البدر و من قرأها كل ليله كان أفضل و جاء يوم القيامه و وجهه مسفر على وجوه الخلائق

و

روى يزيد بن خليفه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة اقتربت الساعه أخرجته الله من قبره على ناقه من نوق الجنة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر أزوف الأزفه و افتتح هذه السوره بمثله فقال:

ص: ٢٨٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)

حِكْمَهُ بِالْعَدَّةِ فَمَا تُنْذِرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦) خُشِعَ أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهِطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ (٨) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ (١٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر و كل أمر مستقر بالجر و الباقون بالرفع و قرأ ابن كثير و نافع «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ» بغير ياء و مهطعين إلى الداعى بياء فى الوصل و روى عن ورش يوم يدع الداعى بياء فى الوصل و قرأهما أبو جعفر و أبو عمرو بإثبات الياء فى الوصل و الباقون بغير ياء فى وصل و لا وقف و قد تقدم القول فى هذا النحو و قرأ ابن كثير إلى شىء نكر بالتخفيف و الباقون «نُكْرٍ» بضمين و قرأ أهل العراق غير عاصم خاشعاً أبصارهم و الباقون «خُشِعاً» و فى الشواذ قراءه حذيفه و قد انشق القمر و قراءه مجاهد و الجحدرى و أبى قلابه «إلى شىء نُكْرٍ».

الحجة

من قرأ «مُسْتَقَرٌّ» بالجر جعله صفة لأمر و من قرأه بالرفع جعله خبراً لكل أمر و أما قراءه «نُكْرٍ» فإنه على فعل و هو أحد الحروف التى جاءت صفة على هذه الزنه و مثله ناقه أجد و مشيه سجع صفة قال:

دعوا التحاجز و امشوا مشيه سجحا إن الرجال ذوو غضب و تذكير

و من قرأ نكر خففه مثل رسل و كتب و الضمه فى تقدير الثبات و من قرأ خاشعاً أبصارهم فإنه كما لم يلحق علامه التانيث لم يجمع و حسن أن لا يؤنث لأن التانيث ليس بحقيقى و من قال «خُشِعاً» فقد أثبت ما يدل على الجمع و هو على لفظ الأفراد و دل لفظ الجمع على لفظ ما يدل عليه التانيث الذى ثبت فى نحو قوله فى الآية الأخرى «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ»* و خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ قال الزجاج و لك فى أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعه التوحيد نحو قوله (خاشعاً أبصارهم) و لك التوحيد و التانيث نحو خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ* و لك الجمع نحو «خُشِعاً أَبْصَارُهُمْ» تقول مررت بشباب حسن أوجههم و حسان وجوههم و حسنه أوجههم قال:

و شباب حسن أوجههم من أياد بن نزار بن معد

قال ابن جنى قراءه حذيفه و قد انشق القمر يجرى مجرى الموافقه على إسقاط العذر و رفع التشكك أى قد كان انشقاق القمر
متوقعا دلالة على قرب الساعه فإذا كان قد انشق

ص: ٢٨١

و انشقاقه من أشراطها و قد يؤكد الأمر في قرب وقوعها و ذلك أن قد إنما هو جواب وقوع أمر كان متوقعا.

اللغة

في اقتربت زياده مبالغه على قرب كما أن في اقتدر زياده مبالغه على قدر لأن أصل افتعل إعداد المعنى بالمبالغه نحو اشتوى إذا اتخذ شواء بالمبالغه في إعداده و الأهواء جمع الهوى و هو رقه القلب بميل الطباع كرقه هواء الجو يقال هوى يهوى هوى فهو هو إذا مال طبعه إلى الشىء و المزدجر المتعظ مفتعل من الزجر إلا أن التاء أبدلت دالا لتوافق الزاى بالجهر و يقال أنكرت الشىء فهو منكر و نكرته فهو منكور و قد جمع الأعشى بين اللغتين فقال:

و أنكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

و النكر و المنكر الشىء الذى تأباه النفس و لا- تقبله من جهة نفور الطبع عنه و أصله من الإنكار الذى هو نقيض الإقرار و الأجداث القبور جمع جدث و الجدف بالفاء لغه فيه و الإهطاع الإسراع فى المشى.

الإعراب

«فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ» يجوز أن يكون ما للجدد فيكون حرفا و يجوز أن يكون استفهما فيكون اسما و التقدير فى الأول فلا تغنى النذر و فى الثانى فأى شىء تغنى النذر قال الزجاج قوله «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ» وقف التمام فتول عنهم و يوم منصوب بقوله «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» و أما حذف الواو من يدعو فى الكتاب فلأنها تحذف فى اللفظ لالتقاء الساكنين فأجريت فى الكتاب على ما يلفظ بها و أما الداعى فإثبات الياء فيه أجود و يجوز حذفها لأن الكسره تدل عليها و قوله «خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ» منصوب على الحال من الواو فى يخرجون و فيه تقديم و تأخير تقديره يخرجون خشعا أبصارهم من الأجداث و إن شئت كان حالا من الضمير المجرور فى قوله «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» و مهطعين أيضا منصوب على الحال و «أَنْنَى مَغْلُوبٌ» تقديره دعا ربه بأنى مغلوب و قرأ عيسى بن عمر إنى بالكسر على إرادته القول أى فدعا ربه قال إنى مغلوب و مثله وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا التَّقْدِيرَ قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا.

المعنى

«أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» أى قربت الساعه التى تموت فيها الخلائق و تكون القيامة و المراد فاستعدوا لها قبل هجومها «وَ أَنْشَقَّ الْقَمَرُ»

قال ابن عباس اجتمع المشركون

إلى رسول الله ص فقالوا إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ص إن فعلت تؤمنون قالوا نعم و كانت ليله بدر فسأل رسول الله ص ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين و رسول الله ينادى يا فلان يا فلان اشهدوا

و قال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ص شقتين فقال لنا رسول الله ص اشهدوا اشهدوا و روى أيضا عن ابن مسعود أنه قال و الذى نفسى بيده لقد رأيت حراء بين فلقي القمر و عن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله ص حتى صار فرقتين على هذا الجبل و على هذا الجبل فقال ناس سحرنا محمد فقال رجل إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم و قد روى حديث انشقاق القمر جماعه كثيره من الصحابه منهم عبد الله بن مسعود و أنس بن مالك و حذيفه بن اليمان و ابن عمر و ابن عباس و جبير بن مطعم و عبد الله بن عمر و عليه جماعه المفسرين إلا ما روى عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال معناه و سينشق القمر و روى ذلك عن الحسن و أنكره أيضا البلخي و هذا لا يصح لأن المسلمين أجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه و لأن اشتهاره بين الصحابه يمنع من القول بخلافه و من طعن فى ذلك بأنه لو وقع انشقاق القمر فى عهد رسول الله ص لما كان يخفى على أحد من أهل الأقطار فقوله باطل لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجه عن أكثرهم بغيم و ما يجرى مجراه و لأنه قد وقع ذلك ليلا فيجوز أن يكون الناس كانوا نياما فلم يعلموا بذلك على أن الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث فى السماء و فى الجو من آيه و علامه فيكون مثل انقضاض الكواكب و غيره مما يغفل الناس عنه و إنما ذكر سبحانه اقتراب الساعه مع انشقاق القمر لأن انشقاقه من علامه نبوه نبينا ص و نبوته و زمانه من أشرط اقتراب الساعه «وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا» هذا إخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش و أنهم إذا رأوا آيه معجزه أعرضوا عن تأملها و الانقياد لصحتها عنادا و حسدا «وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» أى قوى شديد يعلو كل سحر عن الضحاك و أبى العالیه و قتاده و هو من إمرار الجبل و هو شده فتله و استمر الشىء إذا قوى و استحکم و قيل معناه سحر ذاهب مضمحل لا يبقى عن مجاهد و هو من المرور و قال المفسرون لما انشق القمر قال مشركو قريش سحرنا محمد فقال الله سبحانه «وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا» عن التصديق و الإيمان بها قال الزجاج و فى هذا دلالة على أن ذلك قد كان و وقع و أقول و لأنه تعالى قد بين أن يكون آيه على وجه الإعجاز و إنما يحتاج إلى الآيه المعجزه فى الدنيا ليستدل الناس بها على صحه النبوه و يعرف صدق الصادق لا فى حال انقطاع التكليف و الوقت الذى يكون الناس فيه ملجئين إلى المعرفه و لأنه سبحانه قال «وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» و فى وقت الإلجاء لا يقولون للمعجز أنه سحر «وَ كَذَّبُوا» أى بالآيه التى شاهدوها «وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» فى التكذيب و ما زين لهم الشيطان من الباطل الذى هم عليه

«وَكُلٌّ أَمْرٌ مُسْتَقَرٌّ» فالخير يستقر بأهل الخير والشر يستقر بأهل الشر عن قتاده والمعنى أن كل أمر من خير وشر مستقر ثابت حتى يجازى به صاحبه إما فى الجنة أو فى النار وقيل معناه لكل أمر حقيقه ما كان منه فى الدنيا فسيظهر و ما كان منه فى الآخرة فسيعرف عن الكلبي «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ» أى ولقد جاء هؤلاء الكفار «مِنَ الْأَنْبَاءِ» يعنى الأخبار العظيمه فى القرآن بكفر من تقدم من الأمم وإهلاكنا إياهم «ما فيه مُرْدَجْرٌ» أى متعظ وهو بمعنى المصدر أى ازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل «حِكْمَهُ بِالْغَةِ» يعنى القرآن حكمه تامه قد بلغت الغايه والنهايه «فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ» أى أى شىء تنفع النذر مع تكذيب هؤلاء وإعراضهم وهو جمع النذير وقيل معناه فلا تغنى النذر شيئا أى أن الأنبياء الذين بعثوا إليهم لا يغنون عنهم شيئا من عذاب الله الذى استحقوه بكفرهم لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم عن الجبائى وقيل النذر هى الزواجر المخوفه وآيات الوعيد ثم أمره سبحانه بالإعراض عنهم فقال «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أى أعرض عنهم ولا تقابلهم على سفههم وها هنا وقف تام «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ» أى منكر غير معتاد ولا معروف بل أمر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما واختلف فى الداعى فليل هو إسرائيل يدعو الناس إلى الحشر قائما على صخره بيت المقدس عن مقاتل وقيل بل الداعى يدعوهم إلى النار ويوم ظرف ليخرجون أى فى هذا اليوم يخرجون من الأجداث ويجوز أن يكون التقدير فى هذا اليوم يقول الكافرون وقوله «خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ» يعنى خاشعه أبصارهم أى ذليله خاضعه عند رؤيه العذاب وإنما وصف الأبصار بالخشوع لأن ذله الدليل أو عزه العزيز تتبين فى نظره وتظهر فى عينه «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» أى من القبور «كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ» والمعنى أنهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم فى بعض ويختلط بعضهم ببعض لا جهه لأحد منهم فيقصدها كما أن الجراد لا جهه لها فتكون أبدا متفرقه فى كل جهه قال الحسن الجراد يتلبد حتى إذا طلعت عليها الشمس انتشرت فالمعنى أنهم يكونون ساكنين فى قبورهم فإذا دعوا خرجوا وانتشروا وقيل إنما شبههم بالجراد لكثرتهم و فى هذه الآيه دلالة على أن البعث إنما يكون لهذه البنيه لأنها الكائنه فى الأجداث خلافا لمن زعم أن البعث يكون للأرواح «مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ» أى مقبلين إلى صوت الداعى عن قتاده وقيل مسرعين إلى إجابته الداعى عن أبى عبيده وقيل ناظرين قبل الداعى قائلين هذا يوم عسر عن الفراء وأبى على الجبائى وهو قوله «يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ» أى صعب شديد وقد قيل أيضا فى قوله «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ» أقوال آخر (أحدها) أن المعنى فأعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك

يوم يدع الداعى و هو يوم القيامة فلا تشفع لهم ذلك اليوم كما لم يقبلوا منك اليوم (و ثانيها) أن معناه فتول عنهم فإنهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدع الداعى و هو يوم القيامة فحذف الفاء من جواب الأمر (و ثالثها) أن معناه فتول عنهم فإنهم يوم يدعو الداعى صفتهم كذا و كذا و هى ما بينه إلى قوله «يَوْمَ عَسَىٰ» (و رابعها) فتول عنهم و اذكر يوم يدع الداعى إلى آخره عن الحسن «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» أى قبل كفار مكة «قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا» نوحا كما كذبتك يا محمد هؤلاء الكفار و جحدوا نبوتك «وَ قَالُوا مَجْنُونٌ» أى هو مجنون قد غطى على عقله «وَ أزدَجِرَ» أى زجر بالشتم و الرمى بالقيح عن ابن زيد و قيل معناه زجر بالوعيد و توعد بالقتل فهو مثل قوله «لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ» «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ» أى فقال يا رب قد غلبنى هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة فانتصر أى فانتقم لى منهم بالإهلاك و الدمار نصره لدينك و نبيك و فى هذا دلالة على وجوب الانقطاع إلى الله تعالى عند سماع الكلام القبيح من أهل الباطل.

[سوره القمر (٥٤): الآيات ١١ الى ٢١]

إشارة

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَ حَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَ دُسرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَ لَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ (١٥)

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرٍ (١٦) وَ لَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرٍ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَحْلِ مُّنْفَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرٍ (٢١)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب ففتحنا بالتشديد و الباقون بالتخفيف.

الحجّه

وجه التخفيف أن فعلنا بالتخفيف يدل على القليل و الكثير و وجه التثقيل أنه

يخص الكثير و يقويه قوله «مُفْتَتِحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ».

اللغة

الهمر صب الدمع و الماء بشده و الانهيار الانصباب قال امرؤ القيس:

راح تمرية الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

و التفجير تشقيق الأرض عن الماء و العيون جمع عين الماء و هو ما يفور من الأرض مستديرا كاستداره عين الحيوان فالعين مشتركة بين عين الحيوان و عين الماء و عين الذهب و عين السحاب و عين الركبه و الدسر المسامير التي تشد بها السفينه واحدها دسار و دسير و دسرت السفينه أدرها دسرا إذا شدتها و قيل إن أصل الباب الدفع يقال دسره بالرمح إذا دفعه بشده و الدسر صدر السفينه لأنه يدسر به الماء أى يدفع و

منه الحديث فى العنبر هو شىء دسره البحر

و مذكر أصله مذتكر فقلبت التاء دالا لتواخى الذال بالجهر ثم أدغمت الذال فيها و النذر اسم من الإنذار يقوم مقام المصدر يقال أنذره نذرا بمعنى إنذارا و مثله أنزله نزلا بمعنى إنزالا و يجوز أن يكون جمع نذير و الصرصر الرياح الشديده الهبوب حتى يسمع صوتها و هو مضاعف صر يقال صر و صرصر و كب و كبكب و نه و نهنه و المستمر الجارى على طريقه واحده و أعجاز النخل أسافله و النخل يذكر و يؤنث و المنقر المنقلع عن أصله لأن قعر الشىء قراره و تقعر فى كلامه تقعرا إذا تعمق.

الإعراب

عيونا نصب على التمييز أو الحال و الأصل و فجرنا عيون الأرض و المعنى و فجرنا جميع الأرض عيونا و يجوز أن يكون تقديره بعيون فحذف الجار و يجوز أن يكون التقدير و فجرنا من الأرض عيونا و قوله «على أمر» فى موضع نصب على الحال و قوله «بأعْيُننا» فى موضع نصب بأنه ظرف مكان جزاء منصوب بأنه مفعول له و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال و المعنى فعلنا ذلك مجازين جزاء و آيه منصوبه على الحال من الهاء فى تركناها.

المعنى

ثم بين سبحانه إجابته لدعاء نوح (عليه السلام) فقال «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ» هاهنا حذف معناه فاستجبنا لنوح دعاءه ففتحننا أبواب السماء أى أجرينا الماء من السماء

كجريانه إذا فتح عنه باب كان مانعا له وذلك من صنع الله الذى لا يقدر عليه سواه و جاز ذلك على طريق البلاغه «بِماءٍ مُنْهَمِرٍ» أى منصب انصبابا شديدا لا ينقطع «وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ بِالْمَاءِ عِيُونًا حَتَّى جَرَى الْمَاءُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ «فَأَلْتَقَى الْمَاءُ» يعنى فالتقى الماءان: ماء السماء و ماء الأرض و إنما لم يثن لأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير «عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ» فيه هلاك القوم أى على أمر قد قدره الله تعالى و هو هلاكهم و قيل على أمر قد قدره الله تعالى و عرف مقداره فلا زياده فيه و لا نقصان و قيل معناه أنه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الأرض عن مقاتل و قيل معناه على أمر قدر عليهم فى اللوح المحفوظ «وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ» أى و حملنا نوحا على سفينه ذات ألواح مركبه بعضها إلى بعض و ألواحها خشباتها التى منها جمعت «وَدُثِيرٍ» أى مسامير شدت بها السفينه عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد و قيل هو صدر السفينه يدسر بها الماء عن الحسن و جماعه و قيل هى أضلاع السفينه عن مجاهد و قيل الدسر طرفاها و أصلها و الألواح جانبها عن الضحاك «تَجْرِي» السفينه فى الماء «بِأَعْيُنِنَا» أى بحفظنا و حراستنا و برأى منا و منه قولهم عين الله عليك و قيل معناه بأعين أوليائنا و من وكلناهم بها من الملائكه و قيل معناه تجرى بأعين الماء التى اتبعناها «جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا» أى فعلنا به و بهم ما فعلنا من إنجائه و إغراقهم ثوابا لمن كان قد كفر به و جحد أمره و هو نوح (عليه السلام) و التقدير لمن جحد نبوته و أنكر حقه و كفر بالله فيه «وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا» أى تركنا هذه الفعله التى فعلناها «آيَةً» أى علامه يعتبر بها و قيل معناه تركنا السفينه و نجاه من فيها و إهلاك الباقين دلاله باهره على وحدانيه الله تعالى و عبره لمن اتعظ بها و كانت السفينه باقيه حتى رآها أوائل هذه الأمم عن قتاده و قيل فى كونها آيه أنها كانت تجرى بين ماء السماء و ماء الأرض و قد كان غطاها على ما أمر الله تعالى «فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» أى متذكر يعلم أن ذلك حق فيعتبر به و يخاف و قيل معناه فهل من طالب علم فيعان عليه عن قتاده «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نَذْرِي» هذا استفهام عن تلك الحاله و معناه التعظيم لذلك العذاب أى كيف رأيتم انتقامى منهم و إنذارى إياهم و قال الحسن النذر جمع نذير و إنما كرر سبحانه هذا القول فى هذه السوره لأنه سبحانه لما ذكر أنواع الإنذار و العذاب عقد التذكير بشىء منه على التفصيل «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» أى سهلناه للحفظ و القراءة حتى يقرأ كله ظاهرا و ليس من كتب الله المترله كتاب يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن عن سعيد بن جبير و التيسير للشىء هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقه على النفس فمن سهل له

طريق العلم فهو حقيق بأخذ الحظ الجزيل منه لأن التسهيل أكبر داع إليه و تسهيل القرآن للذكر هو خفه ذلك على النفس بحسن البيان و ظهور البرهان فى الحكم السنيه و المعانى الصحيحه الموثوق بها لمجيئها من قبل الله تعالى و إنما صار الذكر من أجل ما يدعى إليه و يحث عليه لأنه طريق العلم لأن الساهى عن الشىء أو عن دليله لا يجوز أن يعلمه فى حال سهوه فإذا تذكر الدلائل عليه و الطرق المؤديه إليه تعرض لعلمه من الوجه الذى ينبغى له «فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» أى متعظ معتبر به ناظر فيه ثم قال سبحانه «كَذَّبَتْ عَادٌ» أى بالرسول الذى بعثه الله إليهم و هو هود (عليه السلام) فاستحقوا الهلاك فأهلكهم «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي» لهم «وَنُذِرِ» أى و إنذارى إياهم ثم بين كيفية إهلاكهم فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِرًا» أى شديده الهبوب عن ابن زيد و قيل بارده عن ابن عباس و قتاده من الصر و هو البرد «فِي يَوْمٍ نَحْسٍ» أى فى يوم شؤم «مُسْتَتِمًّا» أى دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته سبع ليال و ثمانيه أيام حتى أتت عليهم و مستمر من صفه اليوم أى يوم مستمر ضرره عام هلاكه و قيل هو نعت للنحس أى استمر بهم العذاب و النحس فى الدنيا حتى اتصل بالعقبى قال الزجاج و

قيل أنه كان فى يوم الأربعاء فى آخر الشهر لا تدور رواه العياشى بالإسناد عن أبى جعفر (عليه السلام)

«تَنْزِعُ النَّاسَ» أى تقتلع هذه الريح الناس ثم ترمى بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فيصيرون «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» أى أسافل نخل منقلع لأن رؤوسهم سقطت عن أبدانهم عن مجاهد و قيل معناه تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها عن الريح و قيل معناه تنزع أرواح الناس عن الحسن «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذِرِ» و هو تعظيم للعذاب النازل بهم و تخويف لكفار مكه.

إشارة

وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَلْقَى الذُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ (٢٦)

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَبَنَيْنَاهُمْ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَنادوا أصحابهم فتعاطى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)

القراءة

قرأ ابن عامر و حمزه ستعلمون بالتاء و الباقون بالياء و في الشواذ قراءة أبي السماك أ بشر منا بالرفع واحدا تتبعه بالنصب و قراءة أبي قلابه الكذاب الأشر بالتشديد و قراءة مجاهد الأشر بضم الشين خفيفه و قراءة الحسن كهشيم المحتظر بفتح الظاء.

الحج

قال أبو علي وجه الياء أن قبله غيبه و هو قوله «فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا» «سَيَعْلَمُونَ» و وجه التاء على أنه قيل لهم ستعلمون و قال ابن جنى قوله «أ بشر» عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله «أَلْقَى الذُّكْرَ عَلَيْهِ» فكأنه قال أ يبعث بشر منا فأما انتصاب واحدا فإن شئت جعلته حالا من الضمير في قوله «مِنَّا» أي ينبأ بشر كائن منا و الناصب لهذه الحال الظرف كقولك زيد في الدار جالسا و إن شئت جعلته حالا من الضمير في قوله «نَتَّبِعُهُ» أي نتبعه واحدا أي منفردا لا ناصر له و قوله «الْأَشِرُّ» بتشديد الراء هو الأصل المرفوض لأن أصل قولهم هذا خير منه و شر منه هذا أخير منه و هذا أشر منه فكثير استعمال هاتين الكلمتين فحذفت الهمزة منهما و أما الأشر فإنه مما جاء على فعل و فعل من الصفات كحذر و حذر و يقظ و يقظ و وطف و وطف و عجز و عجز و أما المحتظر فإنه مصدر أي كهشيم الاحتظار كقولك كأجر البناء و خشب النجاره و يجوز أن يكون المحتظر الشجر أي كهشيم الشجر المتخذة منه الحظيره أي كما تتهافت من الشجر المجعول حظيره و الهشيم ما تهشم منه و انتشر.

اللغة

السعر جمع سعيير و هو النار المسعرة و الشعر الجنون يقال ناقه مسعوره إذا كانت كان بها جنونا و سعر فلان جنونا و أصله التهاب الشئ و التعاطى تناول و المحتظر الذي يعمل الحظيره على بستانه أو غنمه و هو المنع من الفعل.

الإعراب

«أَبَشَرًا» منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره و تقديره أ نتبع بشرا منا و قوله «مِنَّا» صفة أي أ بشرا كائنا منا و واحدا صفة بعد صفة و البشر يقع على الواحد و الجمع و قوله «مِنْ بَيْنِنَا» في محل النصب على الظرف و فتنه منصوب بأنه مفعول له و يجوز أن

يكون مصدرا وضع موضع الحال أى فانتين لهم.

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» قد فسرناه و قيل أنه سبحانه إنما أعاد ذكر التيسير لىنبى ء أنه يسره على كل حال و كل وجه من وجوه التيسير فمن الوجوه التى يسر الله تعالى بها القرآن هو أن أبان عن الحكم الذى يعمل عليه و المواعظ التى يرتدع بها و المعانى التى تحتاج إلى التنبيه عليها و الحجج التى يميز بها بين الحق و الباطل عن على بن عيسى «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ» أى بالإنذار الذى جاءهم به صالح و من قال إن النذر جمع نذير قال معناه أنهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحا لأن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع لأنهم متفقون فى الدعاء إلى التوحيد و إن اختلفوا فى الشرائع «فَقَالُوا أَ بَشَرًا مِثَّا وَاحِدًا نَبِّئُهُ» أى أ نتبع آدميا مثلنا و هو واحد «إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ» أى نحن إن فعلنا ذلك فى خطأ و ذهاب عن الحق «وَوَسَّعُ» أى و فى عناء و شدة عذاب فيما يلزمنا من طاعته عن قتاده و قيل فى جنون عن ابن عباس فى روايه عطاء و الفائده فى الآيه بيان شبهتهم الركيكه التى حملوا أنفسهم على تكذيب الأنبياء من أجلها و هى أن الأنبياء ينبغى أن يكونوا جماعه و ذهب عليهم أن الواحد من الخلق يصلح لتحمل أعباء الرساله و إن لم يصلح له غيره من جهه معرفته بربه و سلامه ظاهره و باطنه و قيامه بما كلف من الرساله «أَأُلْقَى الذُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا» هذا استفهام إنكار و جحود أى كيف ألقى الوحى عليه و خص بالنبوه من بيننا و هو واحد منا «بَلْ هُوَ كَذَّابٌ» فيما يقول «أَشْتَرٌ» أى بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بالنبوه ثم قال سبحانه «سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشْتَرُ» و هذا وعيد لهم أى سيعلمون يوم القيامة إذا نزل بهم العذاب أ هو الكذاب أم هم فى تكذبيه و هو الأشتر البطر أم هم فذكر مثل لفظهم مبالغه فى توبيخهم و تهديدهم و إنما قال «غَدًا» على وجه التقريب على عاده الناس فى ذكرهم الغد و المراد به العاقبه قالوا إن مع اليوم غدا «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ» أى نحن باعثو الناقه بإنشائها على ما طلبوها معجزه لصالح و قطعنا لعذرهم و امتحانا و اختبارا لهم و هاهنا حذف و هو أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخره ناقه حمراء عشراء تضع ثم ترد ماءهم فتشربه ثم تعود عليهم بمثله لبنا فقال سبحانه إنا باعثوها كما سألوها فتنه لهم عن ابن عباس «فَارْتَقِبْهُمْ» أى انتظر أمر الله فيهم و قيل فارتقبهم أى انتظر ما يصنعون «وَاصْطَبِرْ» على ما يصيبك من الأذى حتى يأتى أمر الله فيهم «وَوَبَّئُهُمْ» أى أخبرهم «أَنَّ الْمَاءَ قِسِيْمَةٌ بَيْنَهُمْ» يوم للناقه و يوم لهم «كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ» أى كل نصيب من الماء يحضره أهله لا يحضر آخر معه ففى يوم الناقه تحضره الناقه و فى يومهم يحضرونه هم و حضر و احتضر بمعنى واحد و إنما قال قسمه بينهم تغليبا لمن

يعقل و المعنى يوم لهم و يوم لها و قيل إنهم كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة و يشربونه و إذا حضرت حضروا اللبن و تركوا الماء لها عن مجاهد «فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ» أى دبروا فى أمر الناقة بالقتل فدعوا واحدا من أشرارهم و هو قدار بن سالف عاقر الناقة «فَتَعَاطَى فَعَقَرَ» أى تناول الناقة بالعقر فعقرها و قيل أنه كمن لها فى أصل صخره فرماها بسهم فانتظم به عضله ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها و كان يقال له أحمر ثمود و أحيمر ثمود قال الزجاج و العرب تغلط فتجعله أحمر عاد فتضرب به المثل فى الشؤم قال زهير:

و تنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

«فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرِي» أى فانظر كيف أهلكتهم و كيف كان عذابي لهم و إنذارى إياهم «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً» يريد صيحه جبرائيل (عليه السلام) عن عطاء و قيل الصيحه العذاب «فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ» أى فصاروا كهشيم و هو حطام الشجر المنقطع بالكسر و الرض الذى يجمعه صاحب الحظيره الذى يتخذ لغنمه حظيره تمنعها من برد الريح و المعنى أنهم بادوا و هلكوا فصاروا كيبس الشجر المفتت إذا تحطم عن ابن عباس و قيل معناه صاروا كالتراب الذى يتناثر من الحائط فتصيبه الرياح فيتحظر مستديرا عن سعيد بن جبير.

إشارة

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦)

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَيَّبَ عَلَيْهِمْ بُكَرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٤٠) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١)

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَحَدًا عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢)

الإعراب

سحر إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار يقال رأيت زيدا سحرا من الأسحار فإذا أردت سحر يومك قلت أتيتته بسحر و أتيتته سحر و قوله «نِعْمَةً» مفعول له و قوله «بُكَرَةً» ظرف زمان فإذا كان معرفه بأن تريد بكرة يومك تقول أتيتته بكرة و غدوه لم تصرفهما فبكرة هنا نكرة.

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» قال قتاده أى فهل من طالب علم يتعلم «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ» أى بالإنذار وقيل بالرسول على ما فسرناه «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا» أى ريحا حصبتهم أى رمتهم بالحجارة و الحصباء قال ابن عباس يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة فى الريح قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منشور

ثم استثنى آل لوط فقال «إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ» أى خلصناهم «بِسَحْرِ» من ذلك العذاب الذى أصاب قومه «نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا» أى إنعاما فيكون مفعولا له و يجوز أن يكون مصدرا و تقديره أنعمنا عليهم بذلك نعمه «كَذَلِكَ» أى كما أنعمنا عليهم «نَجْزِي مَنْ شَكَرَ» قال مقاتل يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين «وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ» لوط «بَطْشَتَنَا» أى أخذنا إياهم بالعذاب «فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ» أى تدافعوا بالإنذار على وجه الجدال بالباطل وقيل معناه فشكوا و لم يصدقوه وقالوا كيف يهلكنا و هو واحد منا و هو تفاعلوا من المريه «وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ» أى طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه «فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ» أى محوناها و المعنى عميت أبصارهم عن الحسن و قتاده وقيل معناه أزلنا تخطيط وجوههم حتى صارت ممسوحة لا يرى أثر عين و ذلك أن جبرائيل (عليه السلام) صفق أعينهم بجناحه صفقه فأذهبها و القصه المذكوره فيما مضى و تم الكلام ثم قال «فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ» أى فقلنا لقوم لوط لما أرسلنا عليهم العذاب ذوقوا عذابي و نذرى «وَلَقَدْ صَيَّبَ عَلَيْهِمْ بُكَرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ» أى أتاهم صباحا عذاب نازل بهم حتى هلكوا جميعا «فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ» و وجه التكرار أن الأول عند الطمس و الثانى عند الائتفاك فكلما تجدد العذاب

تجدد

التقريع «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» مر معناه «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ» النذر أى متابعى فرعون بالقرايه والسدين «النُّذْرُ» أى الإنذار وقيل هو جمع نذير يعنى الآيات التى أنذرهم بها موسى «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا» وهى الآيات التسع التى جاءهم بها موسى وقيل بجميع الآيات لأن التكذيب بالبعض تكذيب بالكل «فَأَخَذْنَاهُمْ» بالعذاب «أَخَذَ عَزِيزٌ» أى قادر لا يمتنع عليه شىء فيما يريد «مُقْتَدِرٌ» على ما يشاء.

[سوره القمر (٥٤): الآيات ٤٣ الى ٥٥]

إشاره

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَ أَمْرٌ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧)

يَوْمَ يُسَيِّجُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصِيرِ (٥٠) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٥١) وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢)

وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)

القراءه

قرأ يعقوب عن رويس سنهزم الجمع و الباقون «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ» و فى الشواذ قراءه أبى السماك إنا كل شىء بالرفع و قراءه زهير و القرقي و الأعمش و نهر بضميتين.

الحجه

قال ابن جنى الرفع فى قوله «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ» أقوى من النصب و إن كانت الجماعه على النصب و ذلك أنه من مواضع الابتداء فهو كقولك زيد ضربته و هو مذهب

صاحب الكتاب لأنها جملة وقعت في الأصل خيرا عن المبتدأ في قولك نحن كل شىء خلقناه بقدر فهو كقولك زيد هند ضربها ثم دخلت أن فنصبت الاسم وبقى الخبر على تركيبه الذى كان عليه و اختيار محمد بن يزيد النصب لأن تقديره إنا فعلنا كذا قال و الفعل منتظر بعد إنا فلما دل عليه ما قبله حسن إضماره قال ابن جنى و هذا ليس بشىء لأن الأصل فى خبر المبتدأ أن يكون اسما لا فعلا جزء منفردا فما معنى توقع الفعل هنا و خير إن و أخواتها كإخبار المبتدأ و قوله نهر جمع نهر فيكون كأسد و أسد و وثن و وثن و يجوز أن يكون جمع نهر كسقف و سقف و رهن و رهن.

المعنى

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال «أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ» و أشد و أقوى «مِنْ أَوْلِيائِكُمْ» الذين ذكرناهم و قد أهلكناهم و هذا استفهام إنكار أى لستم أفضل من قوم نوح و عاد و ثمود لا فى القوه و لا فى الثروه و لا فى كثره العدد و العده و المراد بالخير ما يتعلق بأسباب الدنيا لا أسباب الدين و المعنى أنه إذا هلك أولئك الكفار فما الذى يؤمنكم أن ينزل بكم ما نزل بهم «أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ» أى ألكم براءة من العذاب فى الكتب السالفه أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخاليه «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ» أى أم يقول هؤلاء الكفار نحن جميع أمرنا نتنصر من أعدائنا عن الكلبى و المعنى أنهم يقولون نحن يد واحده على من خالفنا نتنصر ممن عادانا فيدلون بقوتهم و اجتماعهم و وحد منتصر للفظ الجميع فإنه واحد فى اللفظ و إن كان اسما للجماعه كالرهب و الجيش أى كما أنهم ليسوا بخير من أولئك و لا لهم براءة فكذلك لا جمع لهم يمنع عنهم عذاب الله و ينصرهم و إن قالوا نحن مجتمعون متناصرون فلا نرام و لا نقصد و لا يطمع أحد فى غلبتنا ثم قال سبحانه «سَيُيْهِزُ الْجَمْعُ» أى جمع كفار مكة «وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ» أى ينهزمون فيولونكم أذبارهم فى الهزيمة ثم أخبر سبحانه نبيه ص أنه سيظهره عليهم و يهزمهم فكانت هذه الهزيمة يوم بدر فكان موافقه الخبر للمخبر من معجزاته ثم قال سبحانه «بِئْسَ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ» أى إن موعد الجميع للعذاب يوم القيامة «وَالسَّاعَةُ أَذَى وَ أَمْرٌ» فالأدهى الأعظم فى الدهاء و الدهاء عظم سبب الضرر مع شده انزعاج النفس و هو من الداهيه أى البليه التى ليس فى إزالتها حيله و المعنى أن ما يجرى عليهم من القتل و الأسر يوم بدر و غيره لا يخلصهم من عقاب الآخرة بل عذاب الآخرة أعظم فى الضرر و أقطع و أمر أى أشد مراره من القتل و الأسر فى الدنيا و قيل الأمر الأشد فى استمرار البلاء لأن أصل المر النفوذ ثم بين سبحانه حال القيامة فقال «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» أى فى ذهاب

عن وجه النجاه و طريق الجنه فى نار مسعره عن الجبائى و قيل فى ضلال أى فى هلاك و ذهاب عن الحق و سعر أى عناء و عذاب «يَوْمَ يُسْجَبُونَ» أى يجرون «فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» يعنى أن هذا العذاب يكون لهم فى يوم يجرمهم الملائكه فيه على وجوههم فى النار و يقال لهم «ذُوقُوا مَسَّ سِقَرٍ» يعنى أصابتها إياهم بعذابها و حرها و هو كقولهم وجدت مس الحمى و سقر جهنم و قيل هى باب من أبوابها و أصل السقر التلويح يقال سقرته الشمس و سقرته إذا لوحته و إنما لم ينصرف للتعريف و التأنيث «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» أى خلقنا كل شىء خلقناه بمقدرا بمقدار توجه الحكمة لم نخلقه جزافا و لا تخبيتا فخلقنا العذاب أيضا على قدر الاستحقاق و كذلك كل شىء فى الدنيا و الآخرة خلقناه بمقدار معلوم عن الجبائى و قيل معناه خلقنا كل شىء على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام و اليد للبطش و الرجل للمشى و العين للنظر و الأذن للسمع و المعده للطعام و لو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض عن الحسن و قيل معناه جعلنا لكل شىء شكلا يوافقه و يصلح له كالمراه للرجل و الأتان للحمار و ثياب الرجال للرجال و ثياب النساء للنساء عن ابن عباس و قيل خلقنا كل شىء بقدر مقدر و قضاء محتوم فى اللوح المحفوظ «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمِحٍ بِالْبَصِيرِ» أى و ما أمرنا بمجىء الساعة فى السرعة إلا كطرف البصر عن ابن عباس و الكلبى و معنى اللمخ النظر بالعجله و هو خطف البصر و المعنى إذا أردنا قيام الساعة أعدنا الخلق و جميع المخلوقات فى قدر لمخ البصر فى السرعة و قيل معناه و ما أمرنا إذا أردنا أن نكون شيئا إلا مره واحده لم نحتج فيه إلى ثانيه و إنما نقول له كن فيكون كلمخ البصر فى سرعته من غير إبطاء و لا تأخير عن الجبائى «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ» أى أشباهكم و نظائرهم ففى الكفر من الأمم الماضيه عن الحسن و سماهم أشياعهم لما وافقوهم فى الكفر و تكذيب الأنبياء «فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» أى فهل من متذكر لما يوجه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من أعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الإهلاك «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ» أى فى الكتب التى كتبها الحفظه و هذه إشاره إلى أنهم غير مغفول عنهم عن الجبائى و قيل معناه أن جميع ذلك مكتوب عليهم فى الكتاب المحفوظ لأنه من أعظم العبره فى علم ما يكون قبل أن يكون على التفصيل «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَتَرٌ» أى و ما قدموه من أعمالهم من صغير و كبير مكتوب عليهم عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل معناه كل صغير و كبير من الأرزاق و الآجال و الموت

و الحياه و نحوها مكتوب فى اللوح المحفوظ «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ» أى أنهار يعنى أنهار الجنه من الماء و الخمر و العسل و وضع نهر فى موضع أنهار لأنه اسم جنس يقع على الكثير و القليل و الأولى أن يكون إنما و حد لوفاق الفواصل و النهر هو المجرى الواسع من مجارى الماء «فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ» أى فى مجلس حق لا لغو فيه و لا تأثيم و قيل وصفه بالصدق لكونه رفيعا مرضيا و قيل لدوام النعيم به و قيل لأن الله صدق و عد أوليائه فيه «عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ» أى عند الله سبحانه فهو المالك القادر الذى لا يعجزه شىء و ليس المراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد أنهم فى كنفه و جواره و كفايته حيث تنالهم غواشى رحمته و فضله.

(٥٥) سورة الرحمن مدنيه و آياتها ثمان و سبعون (٧٨)

اشاره

اشاره

و قيل مكيه غير آيه نزلت بالمدينه «يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» عن عطاء و قتاده و عكرمه و إحدى الروايتين عن ابن عباس و قيل مدنيه عن الحسن و همام عن قتاده و أبي حاتم.

عدد آياتها

ثمان و سبعون آيه كوفي شامي سبع حجازي ست بصرى.

اختلفها

خمس آيات «الرَّحْمَنُ» كوفي شامي «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» الأول غير المدنى «وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ» غير المكي «الْمُجْرِمُونَ» غير البصرى «شَوَاطِئُ مِنْ نَارٍ» حجازي.

فضلها

أبي بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه و أدى شكر ما أنعم الله عليه

و روى عن موسى بن جعفر عن آبائه (عليه السلام) عن النبي ص قال لكل شىء عروس و عروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره.

أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال لا تدعوا قراءه الرحمن و القيام بها فإنها لا تفر في قلوب المنافقين و تأتي ربها يوم القيامه فى صوره آدمى فى أحسن صوره و أطيب ريح حتى تقف من الله موقفا لا يكون أحد أقرب إلى الله سبحانه منها فيقول لها من الذى كان يقوم بك فى الحياه الدنيا و يدمن قراءتك فتقول يا رب فلان و فلان و فلان فتبيض و جوههم فيقول لهم اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتى لا يبقى لهم غايه و لا أحد يشفعون له فيقول لهم أدخلوا الجنة و اسكنوا فيها حيث شئتم.

حماد بن عثمان قال قال الصادق (عليه السلام) يجب أن يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة فكلما قرأ «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» قال لا بشىء من آلائك يا رب أكذب

و عنه (عليه السلام) قال من قرأ سورة الرحمن ليلا يقول عند كل «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» لا بشىء من آلائك يا رب أكذب و كل الله به ملكا إن قرأها فى أول الليل يحفظه حتى يصبح و إن قرأها حين

يصبح وكل الله به ملكا يحفظه حتى يمسي.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة القمر باسمه و افتتح هذه السوره أيضا باسمه فقال:

[سوره الرحمن (٥٥): الآيات ١ الى ١٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا
الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)

وَالْبَارِضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكذَّبَانِ (١٣)

القراءة

قرأ ابن عامر و الحب ذا العصف و الريحان بالنصب فيهما جميعا وقرأ حمزه و الكسائي و خلف «وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ» بالرفع و
الريحان بالجر و الباقون بالرفع في الجميع و في الشواذ قراءه أبي السماك و السماء رفعها بالرفع وقرأ بلال بن أبي بردة و لا
تخسروا بفتح التاء و السين و بكسر السين أيضا.

الحججه

قال أبو علي قال أبو عبيده العصف الذي يعصف فيؤكل من الزرع و هي العصيفه قال علقمه بن عبده:

تسقى مذائب قد مالت عصيفتها حدودها من أتى الماء مطموم

و الريحان الحب الذى يؤكل يقال سبحانك و ريحانك أى و رزقك قال النمر بن تغلب:

سلام الإله و ريحانه و رحمته و سماء درر

و قيل العصف و العصيفه ورق الزرع و عن قتاده العصف التبن و من قرأ و الحب ذا العصف حملة على و خلق الحب و خلق و الريحان و هو الرزق و يقوى ذلك قوله فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى و من رفع الريحان فالتقدير فيها فاكهه و الريحان و الحب ذو العصف و من جر فالتقدير فالحب ذو العصف و ذو الريحان أى من الحب الرزق فإن قلت فإن العصف و العصيفه رزق أيضا فكأنه قال ذو الرزق و ذو الرزق قيل هذا لا يمتنع لأن العصيفه رزق غير الرزق الذى أوقع الريحان عليه و كان الريحان أريد به الحب إذا خلص من لفائفه فأوقع عليه الرزق لعموم المنفعه به و أنه رزق للناس و غيرهم و يبعد أن يكون الريحان المشموم فى هذا الموضع إنما هو قوت الناس و الأنعام كما قال فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُّوا وَ ارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ و قوله «وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا» قال ابن جنى الرفع هنا أظهر من قراءه الجماعه و ذلك أنه صرفه إلى الابتداء لأنه عطفه على الجمله المركبه من المبتدأ و الخبر و هى قوله «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَبْشُرُ الْجَدَانِ» فأما قراءه العامه بالنصب فإنها معطوفه على يسجدان وحدها و هى جمله من فعل و فاعل و العطف يقتضى التماثل فى تركيب الجمل فيصير تقديره يسجدان و رفع السماء فلما أضمر رفع فسر به بقوله «رَفَعَهَا» كقولك قام زيد و عمرا ضربته أى و ضربت عمرا لتعطف جمله من فعل و فاعل على أخرى مثلها و أما قوله تخسروا بفتح التاء فإنه على حذف حرف الجر أى لا تخسروا فى الميزان فلما حذف حرف الجر أفضى إليه الفعل فنصبه كقوله وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ أى فى كل مرصد أو على كل مرصد و أما تخسروا بفتح التاء و كسر السين فعلى خسرت الميزان و إنما المشهور أخسرته تقول خسر الميزان و أخسرته و يشبه أن يكون خسرته لغه فى أخسرته نحو أجبرت الرجل و جبرته و أهلكته و هلكته.

اللغه

الرحمن هو الذى وسعت رحمته كل شىء فلذلك لا يوصف به إلا الله تعالى و أما راحم و رحيم فيجوز أن يوصف بهما العباد و البيان هو الأدله الموصله إلى العلم و قيل البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس و معنى قادر من معنى عاجز و معنى عام من معنى خاص و الحسبان مصدر حسبته أحسبه حسابا و حسابانا نحو السكران و الكفران و قيل هو جمع حساب كشهاب و شهبان و النجم من النبات ما

لم يقم على ساق نحو العشب و البقل و الشجر ما قام على ساق و أصله الطلوع يقال نجم القرن و النبات إذا طلعا و به سمى نجم السماء لطلوعه و الأكمام جمع كم و هو وعاء ثمره النخل تكمم فى وعائه إذا اشتمل عليه و الآلاء النعم واحدها إلى على وزن معى و ألى على وزن قفا عن أبى عبيده.

الإعراب

«الرَّحْمَنُ» آيه مع أنه ليس بجمله لأنه فى تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصله فهو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا أى هذه سورة «أَلَّا تَطْغَوْا» تقديره لأن لا تطغوا فهو فى محل نصب بأنه مفعول له و لفظه نفى و معناه نهى و لذلك عطف عليه بقوله «وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ» و قوله «فِيهَا فَاكِهَةٌ» مبتدأ و خبر فى موضع نصب على الحال.

المعنى

«الرَّحْمَنُ» افتتح سبحانه هذه السوره بهذا الاسم ليعلم العباد أن جميع ما وصفه يعد من أفعاله الحسنى إنما صدرت من الرحمة التى تشمل جميع خلقه و كأنه جواب لقولهم وَ مَا الرَّحْمَنُ فى قوله وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ و قد روى أنه لما نزل قوله قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ قَالُوا ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة فقيل لهم «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ» أى علم محمدا ص القرآن و علمه محمد ص أمته عن الكلبي و قيل هو جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر فبين سبحانه أن الذى علمه القرآن هو الرحمن و التعليم هو تبين ما به يصير من لم يعلم عالما و الإعلام إيجاد ما به يصير عالما ذكر سبحانه النعمه فيما علم من الحكمه بالقرآن الذى احتاج إليه الناس فى دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم و يستوجبوا الثواب بطاعه ربهم قال الزجاج معنى علم القرآن يسره لأن يذكر «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» أى أخرجه من العدم إلى الوجود و المراد بالإنسان هنا آدم (عليه السلام) عن ابن عباس و قتاده «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» أى أسماء كل شىء و اللغات كلها

قال الصادق (عليه السلام) البيان الاسم الأعظم الذى به علم كل شىء

و قيل الإنسان اسم الجنس و قيل معناه الناس جميعا. «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» أى النطق و الكتابه و الخط و الفهم و الأفهام حتى يعرف ما يقول و ما يقال له عن الحسن و أبى العالبيه و ابن زيد و السدى و هذا هو الأظهر الأعم و قيل البيان هو الكلام الذى يبين به عن مراده و به يتميز من سائر الحيوانات عن الجبائى و قيل «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» يعنى محمدا ص «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» يعنى ما كان و ما يكون عن ابن كيسان «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» أى يجريان بحسبان و منازل لا يعدوانها و هما يدلان على عدد الشهور و السنين و الأوقات عن ابن عباس و قتاده فأضمر يجريان و حذفه لدلاله الكلام عليه و تحقيق معناه أنهما يجريان على وتيره واحده

و حساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما و شىء و القمر في ثمانيه و عشرين يوما فيجريان أبدا على هذا الوجه و إنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيره للناس من النور و الضياء و معرفه الليل و النهار و نضج الثمار إلى غير ذلك فذكرهما لبيان النعمه بهما على الخلق «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ» يعنى بالنجم نبت الأرض الذى ليس له ساق و بالشجر ما كان له ساق يبقى فى الشتاء عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و سفيان الثورى و قيل أراد بالنجم نجم السماء و هو موحد و المراد به جميع النجوم و الشجر يسجدان لله بكره و عشيا كما قال فى موضع آخر وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ عن مجاهد و قتاده و قال أهل التحقيق إن المعنى فى سجودهما هو ما فيهما من الآيه الداله على حدوثهما و على أن لهما صناعا أنشأهما و ما فيهما من الصنعه و القدره التى توجب السجود و قيل سجودهما سجود ظلالهما كقوله يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ عن الضحاک و سعيد بن جبیر و المعنى فيه أن كل جسم له ظل فهو يقتضى الخضوع بما فيه من دليل الحدوث و إثبات المحدث المدبر و قيل معنى سجودهما أنه سبحانه يصرفهما على ما يريد من غير امتناع فجعل ذلك خضوعا و معنى السجود الخضوع كما فى قوله (ترى الأكم فيها سجدا للحوافر) عن الجبائى «وَ السَّمَاءُ رَفَعَهَا» أى و رفع السماء رفعها فوق الأرض دل سبحانه بذلك على كمال قدرته «وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ» يعنى آله الوزن للتوصل إلى الإنصاف و الانتصاف عن الحسن و قتاده قال قتاده هو الميزان المعهود ذو اللسانين و قيل المراد بالميزان العدل و المعنى أنه أمرنا بالعدل عن الزجاج و يدل عليه قوله «أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ» أى لا تتجاوزوا فيه العدل و الحق إلى البخس و الباطل تقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا و يحتمل أيضا أن يكون لا تطغوا نهيا منفردا و تكون أن مفسره بمعنى أى و قيل إن المراد بالميزان القرآن الذى هو أصل الدين فكأنه تعالى بين أدله العقل و أدله السمع و إنما أعاد سبحانه ذكر الميزان من غير إضمار ليكون الثانى قائما بنفسه فى النهى عنه إذا قيل لهم لا تطغوا فى الميزان «وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ» أى أقيموا لسان الميزان بالعدل إذا أردتم الأخذ و الإعطاء «وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» أى لا تنقصوه بالبخس و الجور بل سووه بالإنصاف و العدل قال سفيان بن عيينه الإقامه باليد و القسط بالقلب «وَ الْمَأْرُضَ وَ ضَمَّهَا لِلْأَنَامِ» لما ذكر السماء ذكر الأرض فى مقابلتها أى و بسط الأرض و وطأها للناس و قيل الأنام كل شىء فيه روح عن ابن عباس و قيل الأنام الجن و الإنس عن الحسن و قيل جميع الخلق من كل ذى روح عن مجاهد و عبر عن الأرض بالوضع لما عبر عن السماء بالرفع و فى ذلك بيان النعمه على الخلق و بيان وحدانيه الله تعالى كما فى رفع السماء «فِيهَا فَكِيهَةٌ» أى فى الأرض ما يتفككه به من ألوان

الثمار المأخوذة من الأشجار «وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ» أى الأوعيه و الغلف و ثمر النخل يكون فى غلف ما لم ينشق و قيل الأكمام ليف النخل الذى تكم فيه عن الحسن و قيل معناه ذات الطلع لأنه الذى يتغطى بالأكمام عن ابن زيد «وَ الْحَبُّ» يريد جميع الحبوب مما يحترث فى الأرض من الحنطة و الشعير و غيرهما «ذُو الْعَصْفِ» أى ذو الورق فإذا يبس و ديس صار تبنا عن مجاهد و الجبائى و قيل العصف التبن لأن الريح تعصفه أى تطيره عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل هو بقل الزرع و هو أول ما ينبت منه عن السدى و الفراء «وَ الرَّيْحَانُ» يعنى الرزق فى قول الأكثرين و قال الحسن و ابن زيد هو ريحانكم الذى يشم و قال الضحاك الريحان الحب المأكول و العصف الورق الذى لا يؤكل فهو رزق الدواب و الريحان رزق الناس فذكر سبحانه قوت الناس و الأنعام ثم خاطب الإنس و الجن بقوله «فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أى فبأى نعم ربكما من هذه الأشياء المذكوره تكذبان لأنها كلها منعم عليكم بها و المعنى أنه لا يمكن جحد شىء من هذه النعم فأما الوجه لتكرار هذه الآيه فى هذه السوره فإنما هو التقرير بالنعم المعدوده و التأكيد فى التذكير بها فكلما ذكر سبحانه نعمه أنعم بها قرر عليها و وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره أما أحسنت إليك حين أطلقت لك مالا أما أحسنت إليك حين ملكتك عقارا أما أحسنت إليك حين بنيت لك دارا فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به و مثله كثير فى كلام العرب و أشعارهم قال مهلهل بن ربيعه يرثى أخاه كليباً:

على أن ليس عدلا من كليب إذا طرد اليتيم عن الجزور

على أن ليس عدلا من كليب إذا ما ضيم جيران المجير

على أن ليس عدلا من كليب إذا رجف العضاه من الدبور

على أن ليس عدلا من كليب إذا خرجت مخبأه الخدور

على أن ليس عدلا من كليب إذا ما أعلنت نجوى الصدور

و قالت ليلى الأخيلية ترثى توبه بن الحمير:

لنعم الفتى يا توب كنت و لم تكن لتسبق يوما كنت فيه تجاول

و نعم الفتى يا توب كنت إذا التقت صدور العوالى و استشال الأسافل

و نعم الفتى يا توب كنت لخائف أتاك لكى تحمى و نعم المجامل

و نعم الفتى يا توب جارا و صاحبا و نعم الفتى يا توب حين تناضل

لعمري لأنت المرء أبكى لفقده و لو لام فيه ناقص الرأى جاهل

لعمري لأنت المرء أبكى لفقده إذا كثرت بالملجمين التلاتل

أبى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت أمور محكمات كوامل

أبى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت سماح حين تأوى الأراامل

فلا يبعدنك الله يا توب إنما كذاك المنايا عاجلات و آجل

فلا يبعدنك الله يا توب إنما لقيت حمام الموت و الموت عاجل

فخرجت فى هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعانى التى عددها و قال الحارث بن عباد:

قربا مربط النعامه منى لقحت حرب وائل عن حيال

و كرر هذه اللفظه قربا مربط النعامه منى فى أبيات كثيرة و فى أمثال هذا كثره و هذا هو الجواب بعينه عن التكرار لقوله وَيْلُ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* فى المرسلات.

ص: ٣٠٣

إشاره

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨)

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ (٢٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)

القراءه

قرأ أهل المدينة والبصره يخرج منهما بضم الياء وفتح الراء والباقون «يُخْرِجُ» بفتح الياء وضم الراء وقرأ حمزه ويحيى عن أبي بكر المنشئات بكسر الشين والباقون بفتح الشين.

الحججه

قال أبو علي من قرأ يخرج كان قوله بينا لأن ذلك إنما يخرج ولا يخرج بنفسه و من قرأ «يُخْرِجُ» جعل الفعل للؤلؤ والمرجان و هو اتساع لأنه إذا أخرج ذلك فقد خرج و قال «يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ» و لم يقل من أحدهما على حذف المضاف كما قال على رَجُلٍ مِنَ الْقَوَائِمِ عَظِيمٍ على ذلك و قال أبو الحسن زعم قوم أنه يخرج من العذاب أيضا والمرجان صغار اللؤلؤ واحدها مرجانه قال ذو الرمه:

كان عرى المرجان منها تعلقت على أم خشف من ظباء المشاقر

و المنشئات المجردات المرفوعات فمن فتح الشين فلأنها أنشئت و أجريت و لم تفعل ذلك أنفسها و من قرأ المنشئات نسب الفعل إليها على الاتساع كما يقال مات زيد و مرض عمرو و نحو ذلك مما يضاف الفعل إليه إذا وجد فيه و هو في الحقيقة لغيره و كان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول للعلم به و إضافه السير إليها اتساع أيضا لأن سيرها إنما يكون في الحقيقة بهبوب الريح أو دفع الصراري.

اللغه

الصلصال الطين اليابس الذي يسمع منه صلصله و الفخار الطين الذي طبخ

بالنار حتى صار خزفا و المارج المضطرب المتحرك و قيل المختلط يقال مرج الأمر أى اختلط و مرجت عهود القوم و أماناتهم
قال الشاعر:

مرج الدين فأعددت له مشرف الحارك محبوبك الكتد

و مرج الدابه فى المرعى إذا خلاها لترعى و البرزخ الحاجز بين الشئين و الجوارى السفن لأنها تجرى فى الماء واحدها جاربه و
منه الجاربه للمرأة الشابه لأنها يجرى فيها ماء الشباب و الأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء:

و إن صخرًا لتأتم الهداه به كأنه علم فى رأسه نار

و قال جرير:

" إذا قطعن علما بدا علما "

و الفناء انتفاء الأجسام و الصحيح أنه معنى يضاد الجواهر باق لا ينتفى إلا بضد أو ما يجرى مجرى الضد و ضده الفناء.

المعنى

ثم قال سبحانه عاطفا على ما تقدم من الأدله على وحدانيته و الإبانة عن نعمه على خلقه فقال «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» يعنى به آدم و قيل
جميع البشر لأن أصلهم آدم (عليه السلام) «مِنْ صَلْصَالٍ» أى طين يابس و قيل حميا منتن و يحتمل الوجهين جميعا لأنه كان حميا
مسنونا ثم صار يابسا «كَالْفَخَّارِ» أى كالآجر و الخزف «وَ خَلَقَ الْجَانَّ» أى أبا الجن قال الحسن هو إبليس أبو الجن و هو مخلوق
من لهب النار كما أن آدم (عليه السلام) مخلوق من طين «مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ» أى من نار مختلط أحمر و أسود و أبيض عن مجاهد
و قيل المارج الصافى من لهب النار الذى لا دخان فيه «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» فبأى نعمه تكذبان أيها الثقلان أى أبان
خلقكما من نفس واحده و نقلكما من التراب و النار إلى الصورة التى أنتم عليها تكذبان «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» يعنى
مشرق الصيف و مشرق الشتاء و مغرب الصيف و مغرب الشتاء و قيل المراد بالمشرقين مشرق الشمس و القمر و بالمغربين مغرب
الشمس و القمر بين سبحانه قدرته على تصريف الشمس و القمر و من قدر على ذلك قدر على كل شىء «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ» ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب و المالح يلتقيان ثم لا
يختلط أحدهما بالآخر و هو قوله «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» أى حاجز من قدره الله فلا يبغى المالح على العذب فيفسده و لا العذب على
المالح فيفسده و يختلط به و معنى مرج أرسل عن ابن عباس و قيل المراد بالبحرين بحر السماء و بحر

الأرض فإن في السماء بحرا يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة و بينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول و بحر الأرض من الصعود عن ابن عباس و الضحاك و مجاهد و قيل إنهما بحر فارس و بحر الروم عن الحسن و قتاده فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك و البرزخ بينهما الجزائر و قيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما لا يبغيان أى لا يطلبان أن لا يختلطا «يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ وَ الْمَرْجَانُ» اللؤلؤ كبار الدر و المرجان صغاره عن ابن عباس و الحسن و قتاده و الضحاك و قيل المرجان خرز أحمر كالقضبان يخرج من البحر و هو السد عن عطاء الخراساني و أبى مالك و به قال ابن مسعود لأنه قال حجر و إنما قال منهما و إنما يخرج من الملح دون العذب لأن الله سبحانه ذكرهما و جمعهما و هما بحر واحد فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما عن الزجاج قال الكلبي و هو مثل قوله «وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» و إنما هو واحد منهن و قوله «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ» و الرسل من الإنس دون الجن و قيل يخرج منهما أى من ماء السماء و من ماء البحر فإن القطر إذا جاء من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ عن ابن عباس و لذلك حمل البحرين على بحر السماء و بحر الأرض و قيل إن العذب و الملح يلتقيان فيكون العذب كاللحاق للملح و لا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذى يلتقى فيه الملح و العذب و ذلك معروف عند الغواصين و قد روى عن سلمان الفارسي و سعيد بن جبير و سفيان الثوري أن البحرين على و فاطمه ع بينهما برزخ محمد ص يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان الحسن و الحسين ع و لا غرو أن يكونا بحرين لسعه فضلتهما و كثره خيرهما فإن البحر إنما يسمى بحرا لسعته و

قد قال النبي ص لفرس ركبه و أجراه فأحمده وجدته بحرا

أى كثير المعانى الحميده «وَ لَهُ الْجَوَارِ» أى السفن الجارية فى الماء تجرى بأمر الله «الْمُنْشَأَتُ فِي الْبَحْرِ» أى المرفوعات و هى التى رفع خشبها بعضها على بعض و ركب حتى ارتفعت و طالت و قيل هى المبتدئات للسير مرفعه القلاع قال مجاهد ما رفع له القلاع فهو منشأ و ما لم ترفع قلاعه فليس بمنشأ و القلاع جمع قلع و هو شرع السفينه «كَالْأَعْلَامِ» أى كالجبال قال مقاتل شبه السفن فى البحر بالجبال فى البر و قيل المنشئات بكسر الشين و هى أن ينشئ الموج بصدرها حيث تجرى فيكون الأمواج كالأعلام من الله سبحانه على عباده بأن علمهم اتخاذ السفن ليركبوها و إن جعل الماء على صفه تجرى السفن عليه لأجلها «كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَاِنَّ» أى كل من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون و يخرجون من الوجود إلى العدم كنى عن الأرض و إن لم يجر لها ذكر كقول أهل المدينة ما بين لابتها أى لابتى

المدينه و إنما جاز ذلك لكونه معلوما «وَيَتَّقِي وَجْهَ رَبِّكَ» أى و يبقى ربك الظاهر بأدلتة ظهور الإنسان بوجهه «ذُو الْجَلَالِ» أى العظمه و الكبرياء و استحقاق الحمد و المدح بإحسانه الذى هو فى أعلى مراتب الإحسان و إنعامه الذى هو أصل كل إنعام «وَالْبِأَكْرَامِ» يكرم أنبياءه و أوليائه بألطافه و إفضاله مع عظمته و جلاله و قيل معناه أنه أهل أن يعظم و ينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الإنسان لغيره أنا أكرمك عن كذا و أجلك عنه كقوله أَهْلُ التَّقْوَى أى أهل أن يتقى و تقول العرب هذا وجه الرأى و هذا وجه التدبير بمعنى أنه الرأى و التدبير قال الأعشى:

و أول الحكم على وجهه ليس قضائى بالهوى الجائر

أى قرر الحكم كما هو و قيل إن المراد بالوجه ما يتقرب به إلى الله تعالى و أنشد:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه و العمل

و متى قيل و أى نعمه فى الفناء فالجواب أن النعمه فيه التسويه بين الخلق فيه و أيضا فإنه وصله إلى الثواب و تنبيه على أن الدنيا لا- تدوم و أيضا فإنه لطف للمكلف لأنه لو عجل الثواب لصار ملجأ إلى العمل و لم يستحق الثواب ففصل بين الثواب و العمل ليفعل الطاعه لحسنها فيستحق الثواب «يَسْتَيْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى لا يستغنى عنه أهل السماوات و الأرض فيسألونه حوائجهم عن قتاده و قيل يسأله أهل الأرض الرزق و المغفره و تسأل الملائكه لهم أيضا الرزق و المغفره عن مقاتل «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» اختلف فى معناه فقيل إن شأنه سبحانه إحياء قوم و إماته آخرين و عافيه قوم و مرض آخرين و غير ذلك من الإهلاك و الإنجاء و الحرمان و الإعطاء و الأمور الأخر التى لا تحصى و

عن أبى الدرداء عن النبى ص فى قوله «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» قال من شأنه أن يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين

و عن ابن عباس أنه قال إن مما خلق الله تعالى لوحا من دره بيضاء دواته ياقوته حمراء قلمه نور و كتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائه و ستين نظره يخلق و يرزق و يحيى و يميت و يعز و يذل و يفعل ما يشاء فذلك قوله «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» و قال مقاتل نزلت فى اليهود حين قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شيئا و قيل إن الدهر كله عند الله يومان أحدهما مده أيام الدنيا و الآخر يوم القيامة فالشأن الذى هو فيه فى اليوم الذى هو مده الدنيا الاختبار بالأمر و النهى و الإحياء و الإماته و الإعطاء و المنع و شأن يوم القيامة الجزاء و الحساب و الثواب و العقاب عن سفيان بن عيينه و قيل شأنه جل ذكره أن يخرج فى كل يوم و ليله ثلاثه عساكر عسكرا من أصلاب الآباء إلى الأرحام و عسكرا من الأرحام إلى الدنيا و عسكرا من الدنيا إلى القبر ثم يرتحلون جميعا إلى

الله تعالى و قيل شأنه إيصال المنافع إليك و دفع المضار عنك فلا- تغفل عن طاعه من لا يغفل عن برك عن أبي سليمان الداراني.

[سوره الرحمن (٥٥): الآيات ٣١ الى ٤٥]

اشاره

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاظٍ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ (٣٥)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)

يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يُطَوَّفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم سيفرغ بالياء و الباقون بالنون و قرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين و الباقون بضمها و قرأ ابن كثير و أهل البصره غير يعقوب و نحاس بالجر و الباقون بالرفع و فى الشواذ قراءه قتاده و الأعمش سنفرغ بفتح النون و الراء و قراءه الأعرج سيفرغ بفتح الياء و الراء و روايه أبى حاتم عن الأعمش سيفرغ و قراءه عيسى الثقفى سنفرغ

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) هذه جهنم التى كنتما بها تكذبان أ صليهاها فلا تموتان فيها ولا تحيان.

الحججه

قال أبو على وجه الياء فى سيفرغ أن الغيبه قد تقدم فى قوله وَ لَهُ الْجَوَارِ وقوله هُوَ فى شَأْنٍ و يقال فرغ فرغ يفرغ و ليس الفراغ هنا فراغا عن شغل و لكن تأويله القصد كما قال جرير:

الآن فقد فرغت إلى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا

و قرأ ابن عامر أيه الثقلان بضم الهاء و قد مضى الوجه فيه و الشواظ و الشواظ فيه لغتان.

أبو عبيده هو اللهب لا دخان فيه قال رؤبه:

إن لهم من حربنا أيقاظا و نار حرب تسعر الشواظ

و النحاس الدخان قال الجعدى:

تضىء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

قال أبو على إذا كان الشواظ اللهب لا دخان فيه ضعفت قراءه من قرأ و نحاس بالجر و لا يكون على تفسير أبى عبيده إلا الرفع فى نحاس على تقدير يرسل عليكم شواظ و يرسل نحاس أى يرسل هذا مره و هذا أخرى و قد يجوز من وجه آخر على أن تقديره يرسل عليكم شواظ من نار و شىء من نحاس فتحذف الموصوف و تقيم الصفه مقامه كقوله وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ وَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ فحذف الموصوف فى ذلك كله فكذلك فى الآيه فإن قلت هذا فاعل و الفاعل لا يحذف فقد جاء:

فما راعنا إلا يسير بشرطه و عهدى به قينا يفش بكير

على أن هذا الحذف قد جاء فى المبتدأ فى الآيه التى تلونا أو بعضها و قد قالوا تسمع بالمعيدي لا أن تراه فإذا حذف الموصوف بقى بعده من نحاس الذى هو صفه لشىء

محذوف و حذف من لأن ذكره قد تقدم في قوله من نارٍ فحسن لذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم على من تنزل أنزل و كما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

و أصبح من أسماء قيس كقابض على الماء لا يدري بما هو قابض

أى بما هو قابض عليه فحذف لدلاله الكلام المتقدم عليه و كما حذف الجار عند الخليل في قوله:

" إن لم يجد يوماً على من يتكل "

يريد عنده من يتكل عليه فحذف الجار لأنه جرى ذكره قبل فيكون انجرار نحاس على هذا بمن المضمره لا بالإشراك في من التي جرت في قوله من نارٍ فإذا انجر بمن لم يكن للشواظ الذى هو اللهب قسط من الدخان.

اللغة

الثقلان أصله من الثقل و كل شىء له وزن و قدر فهو ثقل و منه قيل لبيض النعامه ثقل قال:

فتذكرا ثقلاً رثيداً بعد ما ألفت ذكاء يمينها فى كافر

و إنما سميت الإنس و الجن ثقلين لعظم خطرهما و جلاله شأنهما بالإضافة إلى ما فى الأرض من الحيوانات و لثقل وزنهما بالعقل و التمييز و منه

قول النبى ص إنى تارك فىكم الثقلين كتاب الله و عترتى

سماهما ثقلين لعظم خطرهما و جلاله قدرهما و قيل إن الجن و الإنس سميا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء و أمواتا و منه قوله
وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا أَى أَخْرَجَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتِ وَ الْعَرَبُ تَجْعَلُ السَّيِّدَ الشَّجَاعَ ثَقْلًا عَلَى الْأَرْضِ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ:

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها

و المعنى أنه لما مات حل عنها ثقل بموته لسؤدده و مجده و قيل إن المعنى زينت موتها به من التحليه و الأقطار جمع القطر و هو الناحية يقال طعنه فقطره إذا ألقاه على أحد قطريه و هما جانباه و السيماء مشتق من السوم و هو رفع الثمن عن مقداره و العلامه ترفع بإظهارها لتقع المعرفه بها و الناصيه شعر مقدم الرأس و أصله الاتصال من قول الشاعر:

" قى تناصيها بلاد قى "

أى تتصل بها فالناصيه متصله بالرأس و الأقدام جمع قدم و هو العضو الذى يقدم صاحبه للوطء به على الأرض و الآنى الذى بلغ نهايه حره أنى يأنى أنيا.

لما ذكر سبحانه الفناء و الإعادة عقب ذلك بذكر الوعيد و التهديد فقال «سَيَنْفَرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ» أى سنقصد لحسابكم أيها الجن و الإنس عن الزجاج قال و الفراغ فى اللغة على ضربين (أحدهما) القصد للشىء يقال سأفرغ لفلان أى سأجعله قصدى (و الآخر) الفراغ من شغل و الله عز و جل لا يشغله شأن عن شأن و قيل معناه سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضجيع فيه و قيل سنفرغ لكم من الوعيد بتقضى أيامكم المتوعد فيها فشبه ذلك بمن فرغ من شىء و أخذ فى آخر و الشغل و الفراغ من صفات الأجسام التى تحلها الأعراض و تشغلها عن الأضداد فى تلك الحال و لذلك وجب أن يكون فى صفة القديم تعالى مجازا و يدل على أن الثقلين المراد بهما الجن و الإنس قوله «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا» أى تخرجوا هاربين من الموت يقال نفذ الشىء من الشىء إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية «مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى جوانبهما و نواحيهما و المعنى حيث ما كنتم أدرككم الموت «فَأَنْفُذُوا» أى فاخرجوا فلن تستطيعوا أن تهربوا منه «لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» أى حيث توجهتم فثم ملكى و لا تخرجون من سلطانى فأنا آخذكم بالموت عن عطاء و معنى السلطان القوه التى سلط بها على الأمر ثم الملك و القدره و الحجه كلها سلطان و قيل «لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» أى لا تخرجون إلا بقدره من الله و قوه يعطيكموها بأن يخلق لكم مكانا آخر سوى السماوات و الأرض و يجعل لكم قوه تخرجون بها إليه فبين سبحانه بذلك أنهم فى حبسه و أنه مقتدر عليهم لا يفوتونه و جعل ذلك دلاله على توحيده و قدرته و زجرا لهم عن معصيته و مخالفته و قيل إن المعنى فى الآيه إن استطعتم أن تعلموا ما فى السماوات و الأرض فاعلموا فإنه لا يمكنكم ذلك «لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» أى لا تعلمونه إلا بحجه و بيان عن ابن عباس و قيل لا تنفذون إلا بسلطان معناه حيث ما شاهدتم حجه الله و سلطانه الذى يدل على توحيده عن الزجاج «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أى بأى نعمه تكذبان أ بإخباره عن تحيركم لتحتالوا له بعمل الطاعة و اجتناب المعصيه أو بإخباره عنكم إنكم لا تنفذون إلا بحجه لتستعدوا لذلك اليوم «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ» و هو اللهب الأخضر المنقطع من النار «وَ نُحَاسٌ» و هو الصفر المذاب للعذاب عن مجاهد و ابن عباس و سفيان و قتاده و قيل النحاس الدخان عن ابن عباس فى روايه أخرى و سعيد بن جبير و قيل النحاس المهل عن ابن مسعود و الضحاك و المعنى لا تنفذون و لو جاز أن تنفذوا و قدرتم عليه لأرسل عليكم العذاب من النار المحرقه و قيل معناه أنه يقال لهم

ذلك يوم القيامة «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا» أى يرسل على من أشرك منكما و

قد جاء فى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة بلسان من نار ينادون «يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ» إلى قوله «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ مِنْ نَارٍ»

و

روى مسعدة بن صدقه عن كليب قال كنا عند أبى عبد الله (عليه السلام) فأنشأ يحدثنا فقال إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد فى صعيد واحد و ذلك أنه يوحى إلى السماء الدنيا أن اهبطى بمن فىك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن و الإنس و الملائكة ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سماوات فيصير الجن و الإنس فى سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادى مناد «يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ» الآية فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة

و قوله «فَلَا تَنْتَهَرَانِ» أى فلا- تقدران على دفع ذلك عنكما و عن غيركما و على هذا فيكون فائده الآية إن عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الأقطار و فى ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أى بإخباره إياكم عن هذه الحالة لتتحرزوا عنها أم بغيره من النعم فإن وجه النعمة فى إرسال الشواظ من النار و النحاس على الثقلين هو ما فى ذلك لهم من الزجر فى دار التكليف عن مواقعه القبيح و ذلك نعمه جزيله «فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ» يعنى يوم القيامة إذا تصدعت السماء و انفك بعضها من بعض «فَكَانَتْ وَرْدَةً» أى فصارت حمراء كلون الفرس الورد و هو الأبيض الذى يضرب إلى الحمرة أو الصفرة فيكون فى الشتاء أحمر و فى الربيع أصفر و فى اشتداد البرد أغبر سبحان خالقها و المصرف لها كيف يشاء و الورده واحده الورد فشبها السماء يوم القيامة فى اختلاف ألوانها بذلك و قيل أراد به ورده النبات و هى حمراء و قد تختلف ألوانها و لكن الأغلب فى ألوانها الحمرة فتصير السماء كالورده فى الاحمرار ثم تجرى «كَالدَّهَانِ» و هو جمع الدهن عند انقضاء الأمر و تنهى المده قال الحسن هى كالدهان التى يصب بعضها على بعض بألوان مختلفه قال الفراء شبه تلون السماء بتلون الورده من الخيل و شبه الورده فى اختلاف ألوانها بالدهن و اختلاف ألوانه و هو قول مجاهد و الضحاك و قتاده و قيل الدهان الأديم الأحمر و جمعه أدهنه عن الكلبي و قيل هو عكر الزيت يتلون ألوانا عن عطاء بن أبى رباح «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» وجه النعمة فى انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها هو ما فى الإخبار به من الزجر و التخويف فى دار الدنيا «فَيَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» أى لا يسأل المجرم عن جرمه فى ذلك الموطن

ص: ٣١٢

لما يلحقه من الذهول الذى تحار له العقول و إن وقعت المسأله فى غير ذلك الوقت بدلاله قوله «وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» و تقدير الآيه فيومئذ لا يسأل إنس عن ذنبه و لا جان عن ذنبه و قيل معناه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس و لا جان سؤال استفهام ليعرف ذلك بالمسأله من جهته لأن الله تعالى قد أحصى الأعمال و حفظها على العباد و إنما يسألون سؤال تقرير و توييح للمحاسبه و قيل إن أهل الجنة حسان الوجوه و أهل النار سود الوجوه فلا يسألون من أى الحزين هم و لكن يسألون عن أعمالهم سؤال تقرير و

روى عن الرضا (عليه السلام) أنه قال «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ» منكم «عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» و المعنى أن من اعتقد الحق ثم أذنب و لم يتب فى الدنيا عذب عليه فى البرزخ و يخرج يوم القيامة و ليس له ذنب يسأل عنه

«يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاهُمْ» أى بعلامتهم و هى سواد الوجوه و زرقه العيون عن الحسن و قتاده و قيل بأمارات الخزى «فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ» فتأخذهم الزبانيه فتجمع بين نواصيهم و أقدامهم بالغل ثم يسحبون فى النار و يقذفون فيها عن الحسن و قتاده و قيل تأخذهم الزبانيه بنواصيهم و بأقدامهم فتسوقهم إلى النار و الله أعلم «هَذِهِ جَهَنَّمُ» أى و يقال لهم هذه جهنم «الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ» الكافرون فى الدنيا قد أظهرها الله تعالى حتى زالت الشكوك فادخلوها و يمكن أنه لما أخبر الله سبحانه أنهم يؤخذون بالنواصي و الأقدام قال للنبي ص هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون من قومك فسردونها فليهن عليك أمرهم «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ» أى يطوفون مره بين الحميم و مره بين الحميم فالحميم النار و الحميم الشراب عن قتاده و قيل معناه أنهم يعذبون بالنار مره و يتجرعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب أبدا فرج عن ابن عباس و الآنى الذى انتهت حرارته و قيل الآنى الحاضر «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» الوجه فى ذلك أن التذكير بفعل العقاب و الإنذار به من أكبر النعم لأن فى ذلك زجرا عما يستحق به العذاب و حثا و بعثا على فعل ما يستحق به الثواب.

اشاره

وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (۴۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۷) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (۴۸) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۹) فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ (۵۰)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۱) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (۵۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۳) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ
إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (۵۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۵)

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَ لَا حِيَابٌ (۵۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۷) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ (۵۸)
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۹) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (۶۰)
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۱)

القراءه

قرأ الكسائي وحده لم يطمثهن بكسر الميم في إحداهما و ضمها في الأخرى و الباقون بكسر الميم في الحرفين معا.

الحجه

قال أبو علي يطمث و يطمث لغتان و قال أبو عبيده لم يطمثهن أى لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير جبل قط أى ما مسه قال
رؤبه:

" كالبيض لم يطمث بهن طامث "

اللغه

الأفنان جمع فتن و هو الغصن الغض الورق و منه قولهم هذا فن آخر أى نوع آخر و يجوز أن يكون جمع فن و الاتكاء الاستناد
للتكرمه و الإمتاع و التكاء تطرح للإنسان فى مجالس الملوك للإكرام و الإجلال و هو من وكات السقاء إذا شددته و منه قولهم
العين وكاء الستة و الفرش جمع فراش و هو الموطأ الممهّد للنوم عليه و البطائن جمع بطانه و هو باطن الظهره و الجنى الثمره
التي قد أدركت على الشجره و هو صلح أن يجنى و منه قول عمرو بن عدى:

هذا جنأى و خياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

و تمثل به على (عليه السلام) و أصل الطمّث الدم يقال طمّث المرأه إذا حاضت و طمّث إذا دميت بالاقتضاض و بعير لم يطمّث
إذا لم يمسه جبل و لا رحل قال الفرزدق:

دفعن إلى لم يطمئن قبلى و هن أصح من بيض النعام

.الإعراب

متكئين حال من المجروره باللام أى لهم جنتان فى هذه الحاله و ما بين قوله «جَنَّتَانِ» إلى قوله «مُتَّكِّئِينَ» صفات لجنتين «بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» ابتداء و خبر فى

ص: ٣١٤

موضع الجر وصف لفرش وقوله «وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ» اعتراض وقوله «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» صفه أخرى لفرش وقوله «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ» حال لقاصرات الطرف أى مشابهات للياقوت و المرجان وقوله «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» اعتراض بين المعطوف و المعطوف عليه و التقدير و لهم من دونهما جنتان.

المعنى

ثم عقب سبحانه الوعيد بالوعد فقال «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية و الشهوة قال مجاهد و هو الذى يهيم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها و قيل هذا لمن راقب الله تعالى فى السر و العلانية جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية الله و ما عرض له من خير عمله و أفضى به إلى الله تعالى لا يطلع عليه أحد و

قال الصادق (عليه السلام) من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول من خير و شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال

فله «جَنَّتَانِ» أى جنه عدن و جنه النعيم عن مقاتل و قيل بستانان من بساتين الجنة إحداهما داخل القصر و الأخرى خارج القصر كما يشتهى الإنسان فى الدنيا و قيل إحدى الجنتين منزله و الأخرى منزل أزواجه و خدمه عن الجبائى و قيل جنه من ذهب و جنه من فضه ثم وصف الجنتين فقال «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ» أى ذواتا ألوان من النعيم عن ابن عباس و قيل ذواتا ألوان من الفواكه عن الضحاك و قيل ذواتا أغصان عن الأخفش و الجبائى و مجاهد أى ذواتا أشجار لأن الأغصان لا تكون إلا من الشجر فدل بكثرة أغصانها على كثره أشجارها و بكثرة أشجارها على تمام حالها و كثره ثمارها لأن البستان إنما يكمل بكثرة الأشجار و الأشجار لا تحسن إلا- بكثرة الأغصان «فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ» أى فى الجنتين عينان من الماء تجريان بين أشجارهما و قيل عينان إحداهما السلسيل و الأخرى التسنيم عن الحسن و قيل إحداهما من ماء غير آسن و الأخرى من خمر لذه للشاربين عن عطيه العوفى «فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ» أى فى كلتا الجنتين من كل ثمره نوعان و ضربان متشاكلان كتشاكل الذكر و الأنثى فلذلك سماهما زوجين و ذلك كالرطب و اليابس من العنب و الزبيب و الرطب و اليابس من التين و كذلك سائر الأنواع لا يقصر يابس عن رطبه فى الفضل و الطيب و قيل معناه فيهما من كل نوع من الفاكهه ضربان ضرب معروف و ضرب من شكله غريب لم يعرفه فى الدنيا «مُتَّكِنِينَ» حال ممن ذكروا فى قوله «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أى قاعدين كالملوك «عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» أى من ديباج غليظ ذكر البطانه و لم يذكر الظهاره لأن البطانه تدل على أن لها ظهاره و البطانه دون الظهاره فدل على أن الظهاره فوق الإستبرق و قيل إن الظهار من سندس و هو الديباج الرقيق و البطانه من إستبرق و قيل الإستبرق الحرير الصينى

و هو بين الغليظ و الدقيق و روى عن ابن مسعود أنه قال هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر و قيل لسعيد بن جبير البطائن من إستبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ» الجنى الثمر المجتنى أى تدنو الشجره حتى يجتنىها ولى الله إن شاء قائما و إن شاء قاعدا عن ابن عباس و قيل ثمار الجنتين دانيه إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين لا- يرد أيديهم عنها بعد و لا شوكة عن مجاهد «فِيهِنَّ» أى فى الفرش التى ذكرها و يجوز أن يريد فى الجنان لأنها معلومه و إن لم تذكر «قاصرات الطرف» قصرن طرفهن على أزواجهن لم يردن غيرهم عن قتاده و قال أبو ذر أنها تقول لزوجها و عزه ربي ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذى جعلنى زوجتك و جعلك زوجى و الطرف جفن العين لأنه طرف لها ينطبق عليها تاره و يفتح تاره «لَمْ يَطْمِئْتُنَّ» أى لم يفتضهن و الافتضاض النكاح بالتدميه و المعنى لم يطأهن و لم يغشهن «إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ» فهن أبكار لأنهن خلقن فى الجنة فعلى هذا القول هؤلاء من حور الجنة و قيل هن من نساء الدنيا لم يمسهن منذ أنشئن خلق عن الشعبي و الكلبي أى لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس و لا جان قال الزجاج و فى هذه الآيه دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى الإنسى و قال ضمره بن حبيب و فيها دليل على أن للجن ثوبا و أزواجا من الحور فالإنسيات للإنس و الجنيات للجن قال البلخي المعنى إن ما يهب الله لمؤمنى الإنس من الحور لم يطمئن إنس و ما يهب الله لمؤمنى الجن من الحور لم يطمئن جان «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ» أى هن على صفاء الياقوت فى بياض المرجان عن الحسن و قتاده و قال الحسن المرجان أشد اللؤلؤ بياضا و هو صغاره و

فى الحديث أن المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حله من حرير عن ابن مسعود

كما يرى السلك من وراء الياقوت «هَيْلُ جَزَاءِ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» أى ليس جزاء من أحسن فى الدنيا إلا أن يحسن إليه فى الآخرة و قيل هل جزاء من قال لا إله إلا الله و عمل بما جاء به محمد ص إلا الجنة عن ابن عباس و

جاءت الروايه عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ص هذه الآيه فقال هل تدرون ما يقول ربكم قالوا الله و رسوله أعلم قال فإن ربكم يقول هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة

و قيل معناه هل جزاء من أحسن إليكم بهذه النعم إلا أن تحسنوا فى شكره و عبادته و

روى العياشى بإسناده عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن على بن سالم قال سمعت أبا عبد الله

(عليه السلام) يقول آيه في كتاب الله مسجله قلت ما هي قال قول الله تعالى «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» جرت في الكافر و المؤمن و البر و الفاجر و من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به و ليس المكافاه أن تصنع كما صنع حتى يربى فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء.

[سوره الرحمن (٥٥): الآيات ٦٢ الى ٧٨]

اشاره

وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَمَمَتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١)

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٧٨)

القراءه

قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع و الباقون بالجر و

في الشواذ قراءه النبي ص و الجحدري و مالك بن دينار و ابن محيصن و الحسن و زهير القرقي على رفارف خضر و عباقرى حسان

و قراءه الأعرج خضر بضميتين.

الحجه

قال أبو على من قرأ «ذِي الْجَلَالِ» فجر جعله صفه لربك و زعموا أن ابن مسعود قرأ و يبقى وجه ربك ذِي الْجَلَالِ و الإكرام بالياء في كليهما و قال الأصمعي لا يقال الجلال إلا

فى الله تعالى فهذا يقوى الجر إلا أن الجلال قد جاء فى غير الله قال:

فلا ذا جلال هبته لجلاله و لا ذا ضياع هن يتركن للفقر

و من رفع أجره على الاسم قال ابن جنى روى قطرب عباقرى بكسر القاف غير مصروف و رويناه عن أبى حاتم عباقرى بفتح القاف غير مصروف أيضا قال أبو حاتم و لا يشبهه إلا أن يكون عباقر بفتح القاف على ما تتكلم به العرب قال و لو قالوا عباقرى بكسر القاف و صرفوا لكان أشبه بكلام العرب كالنسب إلى مداين مداينى و الرفارف رياض الجنه عن سعيد بن جبير و عبقر موضع قال امرؤ القيس:

كان صليل المروحين تشده صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

و قال زهير:

بخبل عليها جنه عبقرية جديرون يوما أن ينالوا أو يستعلوا

و أما ترك صرف عباقرى فشاذ فى القياس و لا يستنكر شذوذه فى القياس مع استمراره فى الاستعمال كما جاء عن الجماعة اسْتَحَوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فهو شاذ فى القياس مطرد فى الاستعمال و ليس لنا أن نتلقى قراءه رسول الله ص إلا بقبولها و أما خضر بضم الضاد فقليل و هو من مواضع الشعر كما قال طرفه:

"ورادا و شقر".

اللغه

الدهمه السواد و ادهام الزرع إذا علاه السواد ريا و منه الدهماء و تصغيره الدهيماء للدهايه سميت بذلك لظلامها و الدهماء القدر و النضخ بالخاء المعجمه أكثر من النضح بالخاء غير المعجمه لأن النضح الرش و بالخاء كاليزل و النضاخه الفواره التى ترمى بالماء صعدا و الرمان مشتق من رم رما لأن من شأنه أن يرم الفؤاد بجلائه له و الخيرات جمع خيره و الرجل خير و الرجال خيار و أخيار قال:

و لقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيره الملكات

ص: ٣١٨

وقال الزجاج أصل خيرات خيرات فخفف و الخيام جمع خيمه و هى بيت من الثياب على الأعمده و الأوتاد مما يتخذ للأصهار و الرفوف رياض الجنه من قولهم رف النبات يرف أى صار غضا نضرا و قيل الرفوف المجالس و قيل الوسائد و قيل إن كل ثوب عريض عند العرب فهو رفر ف قال ابن مقبل:

و إنا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ريط و رفر

و العبرى عتاق الزرابى و الطنافس المخمله الموشمه و هو اسم الجنس واحده عبرىه قال أبو عبيده كل شىء من البسط عبرى و كل ما بولغ فى وصفه بالجوذه نسب إلى عبرى و هو بلد كان يوشى فيه البسط و غيرها.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ» أى و من دون الجنتين اللتين ذكرناهما لمن خاف مقام ربه جنتان أخريان دون الجنتين الأوليين فإنهما أقرب إلى قصره و مجالسه فى قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنه إلى جنه على ما هو معروف من طبع البشر من شهوه مثل ذلك و معنى دون هنا مكان قريب من الشىء بالإضافة إلى غيره مما ليس له مثل قربه و هو ظرف مكان و إنما كان التنقل من جنه إلى جنه أخرى أنفع لأنه أبعد من الملل الذى طبع عليه البشر و قيل إن المعنى إنهما دون الجنتين الأوليين فى الفضل فقد

روى عن النبى ص أنه قال جنتان من فضه آنيتهما و ما فيهما و جنتان من ذهب آنيتهما و ما فيهما

و

روى العياشى بالإسناد عن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قلت له جعلت فداك أخبرنى عن الرجل المؤمن تكون له امرأه مؤمنه يدخلان الجنه يتزوج أحدهما الآخر فقال يا أبا محمد إن الله حكم عدل إذا كان هو أفضل منها خيره فإن اختارها كانت من أزواجه و إن كانت هى خيرا منه خيرا فإن اختارته كان زوجها لها قال و قال أبو عبد الله (عليه السلام) لا تقولن الجنه واحده أن الله يقول «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ» و لا تقولن درجه واحده أن الله يقول دَرَجَاتٍ* بعضها فوق بعض إنما تفاضل القوم بالأعمال قال و قلت له إن المؤمنين يدخلان الجنه فيكون أحدهما أرفع مكانا من الآخر فيشتهى أن يلقى صاحبه قال من كان فوجه له أن يهبط و من كان تحته لم يكن له أن يصعد لأنه لا يبلغ ذلك المكان و لكنهم إذا أحبوا ذلك و اشتهوه التقوا على الأسره

و

عن العلاء بن سيابه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قلت له إن الناس يتعجبون منا إذا قلنا يخرج قوم من جهنم فيدخلون الجنه فيقولون لنا فيكونون مع أولياء الله فى الجنه فقال يا علاء إن الله

يقول «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ» لا والله لا يكونون مع أولياء الله قلت كانوا كافرين قال (عليه السلام) لا والله لو كانوا ما دخلوا الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك

و تأويل هذا لو صح الخبر أنهم لم يكونوا من أفاضل المؤمنين و أختيارهم ثم وصف الجنتين فقال «مُدْهَامَتَانِ» أى من خضرتهما قد اسودتا من الرى و كل نبت أخضر فتمام خضرته أن يضرب إلى السواد و هو على أتم ما يكون من الحسن و هذا على قول من قال إن الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه و هو قول ابن عباس و قيل الأوليان للسابقين و الأخريان للتابعين عن الحسن «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ» أى فوارتان بالماء ينبع من أصلهما ثم يجريان عن الحسن قال ابن عباس تنضح على أولياء الله بالمسك و العنبر و الكافور و قيل تنضحان بأنواع الخبرات «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ» يعنى ألوان الفاكهه «وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ» و حكى الزجاج عن يونس النحوى و هو من قدماء النحويين أن النخل و الرمان من أفضل الفواكه و إنما فصلا بالواو لفضلهما قال الأزهرى ما علمت أن أحدا من العرب قال فى النخل و الكرم و ثمارها إنها ليست من الفاكهه و إنما قال ذلك من قال لقله علمه بكلام العرب و تأويل القرآن العربى المبين و العرب تذكر الأشياء جملة ثم تختص شيئا منها بالتسميه تنبيها على فضل فيه كما قال سبحانه مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ «فِيهِنَّ» يعنى فى الجنات الأربع

«خَيْرَاتٌ حِسَانٌ» أى نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه روته أم سلمه عن النبى ص

و قيل خيرات فاضلات فى الصلاح و الجمال عن الحسن حسان فى المناظر و الألوان و قيل إنهن نساء الدنيا ترد عليهم فى الجنة و هن أجل من الحور العين و قيل خيرات مختارات عن جرير بن عبد الله و قيل لسن بذربات و لا- زفرات و لا- بخرات و لا متطلعات و لا- متسوفات و لا متسلطات و لا طماخات و لا طوافات فى الطرق و لا يغرن و لا يؤذين و قال عقبه بن عبد الغفار و نساء أهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدى بعض و يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها:

نحن الراضيات فلا نسخط و نحن المقيمات فلا نظعن

و نحن خيرات حسان حبيبات الأزواج كرام

و قالت عائشه أن الحور العين إذا قلن هذه المقاله أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات و ما صليتن و نحن الصائمات و ما صمتن و نحن المتوضئات و ما توضأتن و نحن المتصدقات و ما تصدقتن فغلبتهن و الله «حُورٌ» أى بيض حسان البياض عن ابن عباس و مجاهد و منه الدقيق الحوارى لشده بياضه و العين الحوراء إذا كانت شديده بياض شديد سواد السواد و بذلك يتم حسن العين «مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ» أى محبوسات

فى الحجال مستورات فى القباب عن ابن عباس و أبى العالیه و الحسن و المعنى إنهن مصونات مخدرات لا- یتذلن و قیل مقصورات أى قصرن على أزواجهن فلا یردن بدلا منهم عن مجاهد و الربیع و قیل إن لكل زوجه خیمه طولها ستون میلا عن ابن مسعود و

روى عن النبى ص أنه قال الخیمه دره واحده طولها فى السماء ستون میلا فى كل زاویه منها أهلا (؟) للمؤمن لا یراه الآخرون

و عن ابن عباس قال الخیمه دره مجوفه فرسخ فى فرسخ فیها أربعة آلاف مصراع

عن وهب و عن أنس عن النبى ص قال مررت ليله أسرى بى بنهر حافتاه قباب المرجان فنودیت منه السلام عليك یا رسول الله فقلت یا جبرائیل من هؤلاء قال هؤلاء جوار من الحور العین استأذن ربهن عز و جل أن یسلمن عليك فأذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت و نحن الناعمات فلا نیأس أزواج رجال کرام ثم قرأ ص «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ»

«لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا- حِيَانٌ» مر معناه و الوجه فى التکریر الإبانة عن أن صفه الحور المقصورات فى الخيام كصفه القاصرات الطرف «مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ» أى على فرش مرتفعه عن الجبائى و قیل الرفرف ریاض الجنه و الواحده رفرفه عن سعید بن جبیر و قیل هى المجالس عن ابن عباس و قتاده و الضحاک و قیل هى المرافق یعنی الوسائد عن الحسن «وَ عَبْقَرِيٌّ حَسَانٍ» أى و زرابى حسان عن ابن عباس و سعید بن جبیر و قتاده و هى الطنافس و قیل العبقرى الדיباج عن مجاهد و قیل هى البسط عن الحسن قال القتیبى كل ثوب موشى فهو عبقرى و هو جمع و لذلك قال حسان ثم ختم السوره بما ینبغى أن یبجل به و یعظم فقال «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ» أى تعظم و تعالى اسم ربك لأنه استحق أن یوصف بما لا یوصف به غیره من كونه قديما و إلهها و قادرا لنفسه و عالما لنفسه و حیا لنفسه و غیر ذلك «ذِى الْجَلَالِ» أى ذى العظمه و الکبرياء «وَ الْإِكْرَامِ» یكرم أهل دینه و ولايته عن الحسن و قیل معناه عظمه البركه فى اسم ربك فاطلبوا البركه فى كل شىء بذكر اسمه و قیل إن اسم صله لمعنى تبارک ربك قال لیبید:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما و من یتك حولا كاملا فقد اعتذر

و قیل إن المعنى أن اسمه منزه عن كل سوء له الأسماء الحسنی و قد صح

عن النبى ص أنه قال انطقوا بیا ذا الجلال و الإکرام

أى داوموا علیه.

(٥٦) سورة الواقعة مكيه و آياتها ست و تسعون (٩٦)

اشاره

اشاره

و قال ابن عباس و قتاده إلا آيه منها نزلت بالمدينه و هي «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ» و قيل إلا قوله «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى» و قوله «أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ» نزلت في سفره إلى المدينه.

عدد آياتها

تسع و تسعون آيه حجازي شامي سبع بصرى ست كوفي.

اختلفها

أربع عشره آيه «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» وَ «أَصْحَابُ الشَّمَالِ» ثلثهن غير الكوفي و المدني الأخير «أَنْشَأْنَاهُنَّ» غير البصرى «فِي سَيِّمٍ وَ حَمِيمٍ» غير المكي و كانوا يقولون مكي «وَ أَبَارِيقَ» مكي و المدني الأخير «مَوْضُونَهُ» حجازي كوفي «وَ حُورٌ عِينٌ» كوفي و المدني الأول «تَأْتِيماً» عراقي شامي و المدني الأخير «وَ الْآخِرِينَ» غير شامي و المدني الأخير «لَمَجْمُوعُونَ» شامي و المدني الأخير «فَرَوْحٌ وَ رِيحَانٌ» شامي.

فضلها

أبي بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة الواقعة كتب ليس من الغافلين

و عن مسروق قال من أراد أن يعلم نبأ الأولين و نبأ أهل الجنة و نبأ أهل النار و نبأ الدنيا و نبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة و روى أن عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له ما تشكى قال ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمه ربي قال أ فلا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضني قال أ فلا نأمر بعطائك قال منعته و أنا محتاج إليه و تعطينيه و أنا مستغن عنه قال يكون لبناتك قال لا حاجه لهن فيه فقد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة

فإني سمعت رسول الله ص يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقه أبدا

و

روى العياشي بالإسناد عن زيد الشحام عن أبي جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة الواقعة قبل

ص: ٣٢٢

أن ينام لقي الله و وجهه كالقمر ليله البدر

و

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ في كل ليله جمعه الواقعه أحبه الله و حبه إلى الناس أجمعين و لم ير في الدنيا بؤسا أبدا و لا فقرا و لا آفه من آفات الدنيا و كان من رفقاء أمير المؤمنين تمام الخبر.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفه الجنه و افتتح هذه السوره أيضا بصفه القيامة و الجنه فاتصلت إحداهما بالأخرى اتصال النظير للنظير فقال:

[سوره الواقعه (٥٦): الآيات ١ الى ١٦]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤)

وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْثًا (٦) وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩)

وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)

القراءه

في الشواذ قراءه الحسن و الثقفي و أبي حيوه خافضه رافعه بالنصب.

الحجه

هذا منصوب على الحال قال ابن جنى و قوله «لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ» حال أخرى قبلها أى إذا وقعت الواقعه صادقه الوقعه خافضه رافعه فهذه ثلاثه أحوال و مثله مررت بزيد جالسا متكئا ضاحكا و إن شئت أن تأتى بأضعاف ذلك جاز و حسن كما أن لك أن تأتى للمبتدأ من الأخبار بما شئت فتقول زيد عالم جميل فارس كوفى بزاز و نحو ذلك ألا ترى أن الحال زياده فى الخبر و ضرب منه.

اللغه

الكاذبه مصدر مثل العافيه و العاقبه و الرج التحريك باضطراب و اهتزاز و منه

ص: ٣٢٣

قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس و ألبس الفت كما يبس السويق أى يلت قال الشاعر:

" لا تخبزا خبزا و بسابسا "

و البسيس السويق أو الدقيق يتخذ زادا و بست أيضا سبقت عن الزجاج قال الشاعر:

" و انبس حبات الكثيب الأهيل "

و الهباء غبار كالشعاع فى الرقه و كثيرا ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوه النافذه و الانبثاق افتراق الأجزاء الكثيره فى الجهات المختلفه و الأزواج الأصناف التى بعضها مع بعض كما يقال للخفين زوجان و الثلاثه الجماعه و أصله القطعه من قولهم ثل عرشه إذا قطع ملكه بهدم سريره و التله القطعه من الناس و الموضوعه المنسوجه المتداخله كصفه الدرع المضاعفه قال الأعشى:

و من نسج داود موضوعه تساق إلى الحى عيرا فعيرا

و منه و زين الناقه و هو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا.

الإعراب

«إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» ظرف من معنى ليس لأن التقدير لا يكون لوقعتها كاذبه و ليس نفى الحال فلا يكون إذا ظرفا منه و يجوز أن يكون العامل فى إذا محذوفا لدلاله الموضوع عليه كأنه قال إذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون و خسر الكافرون و قال أبو على تقديره فهى خافضه رافعه فأضمر المبتدأ مع الفاء و جعلها جواب إذا أى خفضت قوما و رفعت قوما إذ ذاك ف «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» خبر المبتدأ المحذوف و قوله «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» بدل من قوله «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» و يجوز أن يكون ظرفا من يقع أى يقع فى ذلك الوقت و يجوز أن يكون خبرا عن إذا الأولى و نظيره إذا تزورنى إذا أزور زيدا أى وقت زيارتك إياى وقت زيارتى زيدا قال ابن جنى و يجوز أن يفارق إذا الظرفيه كقول لبيد:

حتى إذا ألتقت يدا فى كافر و أجن عورات الثغور ظلامها

و قوله سبحانه «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْمِكِ» فإذا مجروره عند أبى الحسن بحتى و ذلك يخرجها من الظرفيه و أقول فعلى هذا لا يكون قوله «إِذَا» ظرفا فى الموضوعين بل كل واحد منهما فى موضع الرفع لكونهما مبتدأ و خبرا بخلاف ما ظنه بعض المجودين من محققى زماننا فى النحو فإنه قال قال عثمان يعنى ابن جنى العامل فى «إِذَا وَقَعَتِ» قوله «إِذَا رُجَّتِ» و هذا خطأ فاحش «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» رفع بالابتداء و التقدير فأصحاب الميمنه ما هم أى أى شىء هم «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» أى أى شىء هم و هذه اللفظه مجراه مجرى التعجب و متكئين و متقابلين نصب على الحال.

«إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» أى إذا قامت القيامة عن ابن عباس و الواقعة اسم القيامة كالأزفة وغيرها والمعنى إذا حدثت الحادثه و هى الصيحه عند النفخه الأخيره لقيام الساعه و قيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشده أو لشده وقعها و تقديره اذكروا إذا وقعت الواقعة و هذا حث على الاستعداد لها «لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ» أى ليس لمجيئها و ظهورها كذب و معناه أنها تقع صدقا و حقا فليس فيها و لا فى الإخبار عنها و وقوعها كذب و قيل معناه ليس لوقوعها قضيه كاذبه أى ثبت وقوعها بالسمع و العقل «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» أى تخفض ناسا و ترفع آخرين عن ابن عباس و قيل تخفض أقواما إلى النار و ترفع أقواما إلى الجنة عن الحسن و الجبائى و المعنى الجامع للقولين أنها تخفض رجالا- كانوا فى الدنيا مرتفعين و تجعلهم أذله بإدخالهم النار و ترفع رجالا كانوا فى الدنيا أذله و تجعلهم أعزه بإدخالهم الجنة «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» أى حركت حركه شديده و قيل زلزلت زلزلا شديدا عن ابن عباس و قتاده و مجاهد أى رجفت بإماته من على ظهرها من الأحياء و قيل معناه رجت بما فيها كما يرج الغرابل بما فيه فيكون المراد ترج بإخراج من فى بطنها من الموتى «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا» أى فتت فتا عن ابن عباس و مجاهد و مقاتل و قيل معناه كسرت كسرا عن السدى عن سعيد بن المسيب و قيل قلعت من أصلها عن الحسن و قيل سيرت عن وجه الأرض تسييرا عن الكلبي و قيل بسطت بسطا كالرمل و التراب عن ابن عطيه و قيل جعلت كثيبا مهيبلا بعد أن كانت شامخه طويله عن ابن كيسان «فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا» أى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس إذ دخل من الكوه ثم وصف سبحانه أحوال الناس بأن قال «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً» أى أصنافا ثلاثه ثم فسرها فقال «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» يعنى اليمين و هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم عن الضحاك و الجبائى و قيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة و قيل هم أصحاب اليمين و البركه على أنفسهم و الثواب من الله سبحانه بما سعوا من الطاعه و هم التابعون بإحسان عن الحسن و الربيع ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم فقال «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» أى أى شىء هم كما يقال هم ما هم «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» و هم الذين يعطون كتبهم بشمالهم و قيل هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار و قيل هم المشائيم على أنفسهم بما عملوا من المعصيه ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم فى العذاب فقال «مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» أى و السابقون إلى اتباع الأنبياء الذين صاروا أئمه الهدى فهم

السابقون إلى جزيل الثواب عند الله عن الجبائي وقيل معناه السابقون إلى طاعه الله و هم السابقون إلى رحمته و السابق إلى الخير إنما كان أفضل لأنه يقتدى به في الخير و سبق إلى أعلى المراتب قبل من يجي ء بعده فلهذا يميز بين التابعين فعلى هذا يكون السابقون الثاني خيرا عن الأول و يجوز أن يكون الثاني تأكيدا للأول و الخبر «أَوْلَيْكَ الْمُقَرَّبُونَ» أى و السابقون إلى الطاعات يقربون إلى رحمه الله في أعلى المراتب و إلى جزيل ثواب الله في أعظم الكرامه ثم أخبر تعالى أين محلهم فقال «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» لثلا- يتوهم متوهم أن التقريب يخرجهم إلى دار أخرى فأعلم سبحانه أنهم مقربون من كرامه الله في الجنة لأن الجنة درجات و منازل بعضها أرفع من بعض و قد قيل في السابقين إنهم السابقون إلى الإيمان عن مقاتل و عكرمه و قيل السابقون إلى الهجرة عن ابن عباس و

قيل إلى الصلوات الخمس عن علي (عليه السلام)

و قيل إلى الجهاد عن الضحاك و قيل إلى التوبه و أعمال البر عن سعيد بن جبير و قيل إلى كل ما دعا الله إليه عن ابن كيسان و هذا أولى لأنه يعم الجميع و كان عروه بن الزبير يقول تقدموا تقدموا و

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال السابقون أربعة ابن آدم المقتول و سابق في أمه موسى (عليه السلام) و هو مؤمن آل فرعون و سابق في أمه عيسى (عليه السلام) و هو حبيب النجار و السابق في أمه محمد ص علي ابن أبي طالب (عليه السلام)

«ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» أى هم ثله يعنى جماعه كثيره العدد من الأولين من الأمم الماضيه «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» من أمه محمد لأن من سبق إلى إجابته نبينا ص قليل بالإضافة إلى من سبق إلى إجابته النبيين قبله عن جماعه من المفسرين و قيل معناه جماعه من أوائل هذه الأمة و قليل من أواخرهم ممن قرب حالهم من حال أولئك قال مقاتل يعنى سابقى الأمم و قليل من الآخرين من هذه الأمة «عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ» أى منسوجه كما يوضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون منسوجه بقضبان الذهب مشبكه بالدر و الجواهر «مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا» أى مستندين جالسين جلوس الملوك «مُتَّقَابِلِينَ» أى متحاذين كل واحد منهم بإزاء الآخر و ذلك أعظم في باب السرور و المعنى أن بعضهم ينظر إلى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحسن معاشرتهم و تهذب أخلاقهم.

إشارة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَيِّدُ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)

وَ حُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)

القراءة

قرأ أبو جعفر و حمزه و الكسائي و حور عين بالجهر و الباقر بالرفع و في الشواذ قراءة ابن أبي إسحاق و لا ينزفون بفتح الياء و كسر الزاي و قراءة أبي بن كعب و ابن مسعود و حورا عينا.

الحجج

قال أبو علي وجه الرفع في «و حور عِين» أنه لما قال يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ دل هذا الكلام و ما ذكر بعد على أن لهم فيها كذا و كذا و لهم فيها حور عين و كذلك من نصب حمل على المعنى لأن الكلام دل على يمنحون و يملكون و هذا مذهب سيبويه و يجوز أن يحمل الرفع على قوله عَلَى شَيْرٍ مَوْضُونَةٍ و التقدير و على سرر موضونه حور عين أو و حور عين على سرر موضونه لأن الوصف قد جرى عليهن فاخصصن فجاز أن يرفع بالابتداء و لم يكن كالنكرة إذا لم يوصف نحو فيها عِينٌ و قوله «عَلَى شَيْرٍ مَوْضُونَةٍ» خبر لقوله تعالى ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ فكذلك يجوز أن يكون خبرا عنهن و يجوز في ارتفاع «و حور عِين» أن يكون عطفا على الضمير في متكئين و لم يؤكد لكون طول الكلام بدلا من التأكيد و يجوز أيضا أن يعطفه على الضمير في متقابلين و لم يؤكد لطول الكلام أيضا و قد جاء ما أشركنا و لا آباؤنا فهذا أجدر و قال الزجاج الرفع أحسن الوجهين لأن معنى «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ» بهذه الأشياء أنه قد ثبت لهم ذلك فكأنه قال و لهم حور عين و مثله مما حمل على هذا المعنى قول الشاعر:

بادت و غير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء

ثم قال بعده:

و مشجج أما سواء قذاله فبدا و غير ساره المعزاء

لأنه لما قال إلا رواكد كان المعنى بها رواكد فحمل و مشجج على المعنى و قال غيره

تقديره و هناك حور عين قال أبو علي وجه الجر أن يكون يحمله على قوله أولئك المقربون في جنات النعيم التقدير أولئك المقربون في جنات النعيم و في حور عين أي و في مقاربه حور عين أو معاشره حور عين فحذف المضاف فإن قلت فلم لا تحمله على الجار في قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بكذا و بحور عين فهذا يمكن أن يقال إلا أن أبا الحسن قال في ذا بعض الوحشه قال ابن جنى نرف البئر ينزفها نرفا إذا استقى ماؤها و أنزفت الشىء إذا أفنيتة قال الشاعر:

لعمري لئن أنزفتم أو صحتم لبئس الندامى كنتم آل أبحرا

. المعنى

ثم أخبر سبحانه أن «يطوف عليهم ولدان» أي و صفاء و غلمان للخدمه «مخلدون» أي باقون لا يموتون و لا يهرمون و لا يتغيرون عن مجاهد و قيل مقرطون و الخلد القرط يقال خلد جاريتة إذا حلاها بالقرطه عن سعيد بن جبیر و الفراء و اختلف في هذه الولدان

فقيل إنهم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها و لا سيئات فيعاقبوا فأنزلوا هذه المنزله عن على (عليه السلام)

و الحسن و قد

روى عن النبى ص أنه سأل عن أطفال المشركين فقال هم خدم أهل الجنة

و قيل بل هم من خدم الجنة على صورته الولدان خلقوا لخدمه أهل الجنة «بأكواب» و هى القداح الواسعه الرؤوس لا خراطيم لها عن قتاده «و أباريق» و هى التى لها خراطيم و عرى و هو الذى يبرق من صفاء لونه «و كأس من معين» أى و يطوفون أيضا عليهم بكأس خمر معين أى ظاهر للعيون جار «لا يصيدعون عنها» أى لا يأخذهم من شربها صداع و قيل لا يتفرقون عنها «و لا ينزفون» أى لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر عن مجاهد و قتاده و الضحاك و من قرأ ينزفون حملة على أنه لا تفنى خمرهم «و فاكهه مما يتخيرون» أى و يطوفون عليهم بفاكهه مما يختارونه و يشتهونه يقال تخيرت الشىء أخذت خيره «و لحم طير مما يشتهون» أى و بلحم طير مما يتمنون فإن أهل الجنة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله سبحانه لهم الطير نضيجا حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير و إيلامه قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما انتهى «و حور عين» قد مر بيانه «كأمثال اللؤلؤ المكنون» أى الدر المصون المخزون فى الصدف لم تمسه الأيدي قال عمر ابن أبى ربيعه:

ص: ٣٢٨

و هي زهراء مثل لؤلؤه الغواص ميزت من جوهر مكنون

«جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى نفعل ذلك الجزاء أعمالهم و طاعاتهم التى عملوها فى دار التكليف الدنيا «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا» أى فى الجنة «لَعْوًا» أى ما لا فائده فيه من الكلام لأن كل ما يتكلمون به فيه فائده «وَلَا تَأْتِيَمًا» أى لا يقول بعضهم لبعض أئمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم عن ابن عباس و قيل معناه لا يتخالفون على شرب الخمر كما يتخالفون فى الدنيا و لا يأثمون بشربها كما يأثمون فى الدنيا «إِلَّا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ سَلِمُوا» أى لا- يسمعون إلا- قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاما سلاما و المعنى أنهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب و كريم الأخلاق اللذين يوجبان التواد و نصب سلاما على تقدير سلمك الله سلاما بدوام النعمة و كمال الغبطة و يجوز أن يعمل سلام فى سلاما لأنه يدل على عامله كما يدل قوله تعالى وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا على العامل فى نبات فإن المعنى أنبتكم فنبتم نباتا و يجوز أن يكون سلاما نعتا لقوله قِيلًا و يجوز أن يكون مفعول قيل فالوجه الثلاثة تحتلها الآيه.

[سوره الواقعة (٥٦): الآيات ٢٧ الى ٤٠]

اشاره

وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَ طَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَ ظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَ مَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَ فَاكِهِهِ كَثِيرِهِ (٣٢) لَا مَقْطُوعِهِ وَ لَا مَمْنُوعِهِ (٣٣) وَ فَرْشٍ مَّرْفُوعِهِ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (٣٩) وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)

القراءة

قرأ إسماعيل و حمزه و حماد و يحيى عن أبى بكر و خلف عربا ساكنه الرء و الباقون «عُرْبًا» بضميتين.

الحج

العروب الحسنه التبعل قال لبيد:

و فى الحدوج عروب غير فاحشه ربا الروادف يعشى دونها البصر

و الفعول يجمع على فعل و فعل فمن التثليل قوله:

" فاصبرى إنك من قوم صبر "

و التخفيف فى ذلك شائع مطرد.

اللغة

السدر شجر النبق و أصل الخضد عطف العود اللين فمن هاهنا المخضود الذى لا شوكة له لأن الغالب أن الرطب اللين لا شوكة له و الطلح قال أبو عبيده هو كل شجر عظيم كثير الشوك قال بعض الحداه:

بشرها دليلها و قالوا غدا ترين الطلح و الجبالا

و قال الزجاج الطلح شجر أم غيلان فقد يكون على أحسن حال و المنضود من نضدت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض و البكر التى لم يفترعها الرجل فهى على خلقتها الأولى من حال الإنشاء و منه البكره لأول النهار و الباكوره لأول الفاكهه و البكر الفتى من الإبل و جمعه بكار و بكاره و جاء القوم على بكرتهم و بكره أبيهم عن الأزهرى و الأتراب جمع ترب و هو اللده الذى ينشأ مع مثله فى حال الصبا و هو مأخوذ من لعب الصبى بالتراب أى هم كالصبيان الذين هم على سن واحد قال ابن أبى ربيعه:

أبرزوها مثل المهاه تهادى بين عشر كواعب أتراب

. المعنى

ثم ذكر سبحانه أصحاب اليمين و عجب من شأنهم فقال «و أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين» هو مثل قوله ما أصحاب اليمينه و قد مر معناه «فى سدرٍ مَخْضُودٍ» أى فى نبق مخضود أى متزوع الشوكه قد خضد شوكة أى قطع عن ابن عباس و عكرمه و قتاده و قيل هو الذى خضد بكثره حملة و ذهاب شوكة و قيل هو الموقر حملا- عن الضحاك و مجاهد و مقاتل بن حيان و قال الضحاك نظر المسلمون إلى وج و هو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره و قالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية «و طَلْحٍ مَنْضُودٍ» قال ابن عباس و غيره هو شجر الموز و قيل ليس بالموز و لكنه شجر له ظل بارد رطب عن الحسن و قيل هو شجر يكون باليمن و بالحجاز من أحسن الشجر منظرا و إنما ذكر هاتين الشجرتين لأن

ص: ٣٣٠

العرب كانوا يعرفون ذلك فإن عامه أشجارهم أم غيلان ذات أنوار و رائحه طيبه و

روت العامه عن على (عليه السلام) أنه قرأ عنده رجل «وَ طَلَحٍ مَنْضُودٍ» فقال ما شأن الطلح إنما هو و طلع كقوله وَ نَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ فقيل له أ لا تغيره فقال إن القرآن لا يهاج اليوم و لا يحرك رواه عنه ابنه الحسن و قيس بن سعد

و رواه أصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) «وَ طَلَحٍ مَنْضُودٍ» قال لا و طلع منضود

و المنضود الذى نضد بعضه على بعض نضد بالحمل من أوله إلى آخره فليست له سوق بارزه فمن عروقه إلى أفنانه ثمر كله «وَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ» أى دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول و العرب تقول لكل شىء طويل لا ينقطع ممدود قال لييد:

غلب البقاء و كان غير مغلب دهر طويل دائم ممدود

و .

قد ورد فى الخبر أن فى الجنه شجره يسير الراكب فى ظلها مائه سنه لا يقطعها اقرءوا إن شئتم «وَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ»

و

روى أيضا أن أوقاف الجنه كغدوات الصيف لا يكون فيه حر و لا برد

«وَ مَاءٍ مَسْكُوبٍ» أى مصبوب يجرى الليل و النهار و لا ينقطع عنهم فهو مسكوب بسكب الله إياه فى مجاريه و قيل مسكوب مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج و قيل مسكوب يجرى دائما فى غير أهدود عن سفیان و جماعه و قيل مسكوب ليشرب على ما يرى من حسنه و صفائه لا يحتاجون إلى تعب فى استقائه «وَ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ» أى و ثمار مختلفه كثيره غير قليله و الوجه فى تكرير ذكر الفاكهه البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت أولا- بأنها متخيره و ذكرت هنا بأنها كثيره ثم وصفت بقوله «لَا مَقْطُوعَةٍ وَ لَا مَمْنُوعَةٍ» أى لا تنقطع كما تنقطع فواكه الدنيا فى الشتاء و فى أوقاف مخصوصه و لا تمتنع بعد تناول أو شوك يؤذى اليد كما يكون ذلك فى الدنيا و قيل إنها غير مقطوعه بالأزمان و لا ممنوعه بالأثمان لا يتوصل إليها إلا بالثمن «وَ فُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ» أى بسط عاليه كما يقال بناء مرفوع و قيل مرفوع بعضها فوق بعض عن الحسن و الفراء و قيل معناه و نساء مرتفعات القدر فى عقولهن و حسنهن و كمالهن عن الجبائى قال و لذلك عقبه بقوله «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» و يقال لامرأه الرجل هى فراشه و منه

قول النبى ص الولد للفراش و للعاهر الحجر

«إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» أى خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى النساء الآدميات و العجز الشمط يقول خلقتهن بعد الكبر و الهرم فى الدنيا خلقا آخر و قيل معناه أنشأنا الحور العين كما هن عليه على هيئاتهن لم ينتقلن من حال إلى حال كما يكون فى الدنيا «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» أى عذارى عن الضحاك و قيل لا- يأتين أزواجهن إلا- وجدوهن أبكارا «عُرْبًا» أى متحنات على أزواجهن متحبات إليهم و قيل عاشقات

لأزواجهن عن ابن عباس و قيل العروب اللعوب مع زوجها أنسا به كأنس العرب بكلام العربي «أتراباً» أى متشابهات مستويات فى السن عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و قيل أمثال أزواجهن فى السن «لأَصْحَابِ الْيَمِينِ» أى هذا الذى ذكرناه لأصحاب اليمين جزاء و ثواباً على طاعتهم «ثَلَّةٌ مِنَ الْمَأْوَلِينَ وَ ثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» أى جماعه من الأمم الماضيه التى كانت قبل هذه الأمه و جماعه من مؤمنى هذه الأمه قال الحسن سابقوا الأمم الماضيه أكثر من سابقى هذه الأمه و تابعو الأمم الماضيه مثل تابعى هذه الأمه إن أصحاب اليمين منهم مثل أصحاب اليمين منا و إنما نكر سبحانه الله ليدل على أنه ليس لجميع الأولين و الآخرين و إنما هو لجماعه منهم كما يقال رجل من جملة الرجال و هذا الذى ذكرناه قول مقاتل و عطاء و جماعه من المفسرين و ذهب جماعه منهم أن الثلثين جميعاً من هذه الأمه و هو قول مجاهد و الضحاك و اختيار الزجاج و

روى ذلك مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ص أنه قال جميع الثلثين من أمتى

و مما يؤيد القول الأول و يعضده من طريق الروايه

ما رواه نقله الأخبار بالإسناد عن ابن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله ص ليله حتى أكثرنا الحديث ثم رجعنا إلى أهلنا فلما أصبحنا غدونا إلى رسول الله ص فقال عرضت على الأنبياء الليله باتباعها من أممها فكان النبى تجىء معه الثلث من أمته و النبى معه العصابة من أمته و النبى معه نفر من أمته و النبى معه الرجل من أمته و النبى ما معه من أمته أحد حتى إذا أتى أخى موسى فى كعبه من بنى إسرائيل فلما رأيتهم أعجبونى فقلت أى رب من هؤلاء فقال هذا أخوك موسى بن عمران و من معه من بنى إسرائيل فقلت رب فأين أمتى قال أنظر عن يمينك فإذا ظراب مكه قد سدت بوجوه الرجال فقلت من هؤلاء فقيل هؤلاء أمتك أ رضيت قلت رب رضيت و قال أنظر عن يسارك فإذا الأفق قد انسدت بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء قيل هؤلاء أمتك أ رضيت قلت رب رضيت فقيل إن مع هؤلاء سبعين ألفاً من أمتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم قال فأنشأ عكاشه بن محصن من بنى أسد من خزيمه فقال يا نبى الله ادع ربك أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم أنشأ رجل آخر فقال يا نبى الله ادع ربك أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشه فقال نبى الله فداكم أبى و أمى إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا و إن عجزتم و قصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم و قصرتم فكونوا من أهل الأفق و إنى قد رأيت ثم ناساً كثيراً يتهاوشون كثيراً فقلت هؤلاء السبعون ألفاً فاتفق

رأينا على أنهم ناس ولدوا في الإسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فانتهى حديثهم إلى رسول الله ص فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسرقون ولا يتكبرون ولا يتطيرون و على ربهم يتوكلون ثم قال إنى لأرجو أن يكون من تبعنى ربع أهل الجنة قال فكبرنا ثم قال إنى لأرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال إنى لأرجو أن يكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا رسول الله ص «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ».

[سوره الواقعة (٥٦): الآيات ٤١ الى ٥٦]

إشاره

وَ أَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ (٤٢) وَ ظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَ لَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥)

وَ كَانُوا يُصَبِّرُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَ كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠)

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْيَا الضَّالِّينَ الْمُكَذِّبِينَ (٥١) لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (٥٢) فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥)

هَذَا نَزَّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)

القراءه

قرأ ابن عامر «أ إِذَا مِتْنَا» بهمزتين «أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» بهمزتين أيضا و لم يجمع بين استفهامين إلا في هذا الموضع من القرآن و قد ذكرنا مذهب غيره من القراء فيما تقدم و مذهبه أيضا في أمثاله وقرأ أهل المدينة و عاصم و حمزه شرب الهيم بضم الشين و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو علي إن ألحق ألف الاستفهام في قوله «أ إِنَّا» أو لم تلحق كان إذا متعلقا بشئ ء دل عليه قوله «أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» ألا ترى أن إذا ظرف من الزمان فلا بد له من فعل أو

معنى فعل يتعلق به و لا يجوز أن يتعلق بقوله «مِثْنَا» لأنه مضاف إليه و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف و إذا لم يجرز حمله على هذا الفعل و لا على ما بعد أن من حيث لم يعمل ما بعد أن فيما قبلها كما لا يعمل ما بعد لا فيما قبلها فكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله علمت أنه يتعلق بشىء دل عليه قوله «أَنَا لَمَبْعُوثُونَ» و ذلك نحشر أو نبعث و نحوهما مما يدل عليه هذا الكلام و أما الشرب فهو نحو الأكل و الضرب و الشرب كالشغل و النكر و أما الشرب فالمشروب كالطحن و نحوه و قد يكون الشرب جمع شارب مثل راكب و ركب و تاجر و تاجر و رجل و رجل.

اللغة

السموم الريح الحاره التى تدخل فى مسام البدن و مسام البدن خروقه و منه أخذ السم الذى يدخل فى المسام و اليحوم الأسود الشديد السواد باحترق النار و هو يفعل من اللحم و هو الشحم المسود باحترق النار يقال حممت الرجل إذا سخمت وجهه بالفحم و المترف الممتنع من أداء الواجبات طلبا للترفه و هى الرفاهيه و النعمه و الحنث نقض العهد المؤكد بالحلف و الهيم الإبل العطاش التى لا تروى من الماء لداء يصيبها و الواحد أهيم و الأنثى هيماء.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أصحاب الشمال فقال «وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ» و هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم أو الذين يأخذون كتبهم بشمالهم أو الذين يلزمهم حال الشؤم و النكد «فِي سَيِّئَاتٍ وَ حَمِيمٍ» أى فى ریح حاره تدخل مسامهم و خروقههم و فى ماء مغلى حار انتهت حرارته «وَوَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمِيَوْمٍ» أى دخان أسود شديد السواد عن ابن عباس و أبى مالك و مجاهد و قتاده و قيل اليحوم جبل فى جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال «لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ» أى لا بارد المنزل و لا كريم المنظر عن قتاده و قيل لا بارد يستراح إليه لأنه دخان جهنم و لا كريم فيشتهى مثله و قيل و لا كريم أى و لا منفعه فيه بوجه من الوجوه و العرب إذا أرادت نفى صفة الحمد عن شىء نفت عنه الكرم و قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شىء نفت عنه و صفا تنوى به الذم تقول ما هو بسمين و لا كريم و ما هذه الدار بواسعه و لا كريمه ثم ذكر سبحانه أعمالهم التى أوجبت لهم هذا فقال «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ» أى كانوا فى الدنيا متنعمين عن ابن عباس و ذلك أن عذاب المترف أشد ألما و بين سبحانه أن الترف ألهاهم عن الانزجار و شغلهم عن الاعتبار و كانوا يتركون الواجبات طلبا لراحه أبدانهم «وَوَ كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ

الْعَظِيمِ» أى الذنب العظيم عن مجاهد و قتاده و الإصرار أن يقيم عليه فلا يقلع عنه و لا يتوب منه و قيل الحنث العظيم الشرك أى لا يتوبون عنه عن الحسن و الضحاك و ابن زيد و قيل كانوا يحنثون لا يبعث الله من يموت و إن الأصنام أنداد الله عن الشعبي و الأصم «وَ كَانُوا يَقُولُونَ أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» أى ينكرون البعث و النشور و الثواب و العقاب فيقولون مستبعدين لذلك منكبين له أ إذا خرجنا من كوننا أحياء و صرنا تراباً أ نبعث «أ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ» أى أ و يبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا و يحشرون إن هذا البعيد و من قرأ أ و آباؤنا بفتح الواو فإنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام «قُلْ» يا محمد لهم «إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ» أى الذين تقدموكم من آبائكم و غير آبائكم و الذين يتأخرون عن زمانكم «لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ» يجمعهم الله و يبعثهم و يحشرهم إلى وقت يوم معلوم عنده و هو يوم القيامة «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمْ أَهْلِهَا الضَّالُّونَ» الذين ضللتهم عن طريق الحق و جزتم عن الهدى «الْمُكَذِّبُونَ» بتوحيد الله و إخلاص العبادة له و نبوه نبيه «لَا كَلِمَةَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَا يُؤْنِ مِنْهَا الْبُطُونَ» مفسر فى سورة الصافات «فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ» الشجر يؤنث و يذكر فلذلك قال «مِنْهَا» ثم قال «عَلَيْهِ» و كذلك الثمر يؤنث و يذكر «فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ» أى كشرب الهيم و هى الإبل التى أصابها الهيام و هو شدة العطش فلا تزال تشرب الماء حتى تموت عن ابن عباس و عكرمه و قتاده و قيل هى الأرض الرملية التى لا تروى بالماء عن الضحاك و ابن عيينه «هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ» النزل الأمر الذى ينزل عليه صاحبه و المعنى هذا طعامهم و شرابهم يوم الجزاء فى جهنم.

إشاره

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَمْ أَنْتُمْ خَالِقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَ نُشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)

وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَمْ أَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُعْرِمُونَ (٦٦)

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَمْ فَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَمْ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)

أَمْ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرًا وَ مَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)

القراءه

قرأ ابن كثير نحن قدرنا بالتخفيف و الباقون «قَدَرْنَا» بالتشديد و قرأ أبو بكر أ إنا لمغرمون بهمزتين و الباقون بهمزه واحده.

الحججه

قال أبو علي قدرنا في معنى قدرنا و يدل عليه قوله:

و مفرهه عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل

و المعنى قدرت ضربى لساقها فضربتها فخرت و مثله في المعنى:

فإن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها على الضيف نجرح في عراقبيها نصلى.

اللغه

يقال أمني يمى و منى يمى بمعنى و منه قراءه أبى السماك تمنون بفتح التاء و الأصل من المنى و هو التقدير قال الشاعر:

لا تأمنن و إن أمسيت فى حرم حتى تلاقى ما يمى لك المانى

و منه المنيه لأنها مقدره تأتى على مقدار و الحطام الهشيم الذى لا ينتفع به فى مطعم

و لا غذاء و أصل الحطم الكسر و الحطم السواق بعنف يحطم بعضها على بعض قال:

" قد لفها الليل بسواق حطم "

و التفكه أصله تناول ضروب الفواكه للأكل و الفكاهه المزاح و منه حديث زيد كان من أفكه الناس مع أهله و رجل فكه طيب النفس و المغرم الذى ذهب ماله بغير عوض و أصل الباب اللزوم و الغرام العذاب اللازم قال الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما و إذن يعط جزيلا فإنه لا يبالى

و النار مأخوذه من النور قال الحارث:

فتنورت نارها من بعيد بخزازی هيهات منك الصلاة

و الإبراء إظهار النار بالقدح يقال أورى يورى و وريت بك زنادى أى أضاء بك أمرى و يقال قدح فأورى إذا أظهر النار فإذا لم يور قيل قدح فأكبي و المقوى النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد و أقوت الدار خلت من أهلها قال النابغه:

أقوى و أقفر من نعم و غيرها هوج الرياح بها الترب موار

و قال عنتره:

حييت من طلل تقادم عهده أقوى و أقفر بعد أم الهيثم

. المعنى

ثم احتج سبحانه عليهم فى البعث بقوله «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ» أى نحن خلقناكم و لم تكونوا شيئا و أنتم تعلمون ذلك عن مقاتل «فَلَوْ لَا تُصَيِّدُونَ» أى فهلا تصدقون و لم لا تصدقون بالبعث لأن من قدر على الإنشاء و الابتداء قدر على الإعادة ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحه ما ذكره فقال «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ» أى ما تقذفون و تصبون فى أرحام النساء من النطف فيصير ولدا «أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ» أى أ أنتم تخلقون ما تمنون بشرا «أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» فإذا لم تقدرُوا أنتم و أمثالكم على ذلك فاعلموا أن الله سبحانه الخالق لذلك و إذا ثبت أنه قادر على خلق الولد من النطفه وجب أن

يكون قادرا على إعادته بعد موته لأنه ليس بأبعد منه ثم بين سبحانه أنه كما بدأ الخلق فإنه يميتهم فقال «نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ» التقدير ترتيب الأمر على مقدار أى نحن أجرينا الموت بين العباد على مقدار كما تقتضيه الحكمة فمنهم من يموت صيا ومنهم من يموت شابا ومنهم من يموت كهلا و شيخا و هرما عن مقاتل و قيل معناه قدرناه بأن سويتنا فيه بين المطيع و العاصى و بين أهل السماء و الأرض عن الضحاك «وَمَا نَحْنُ بِمَسْرِئِينَ» قيل أنه من تمام ما قبله أى لا يسبقنا أحد منكم على ما قدرناه من الموت حتى يزيد فى مقدار حياته و قيل أنه ابتداء كلام يتصل به ما بعده و المعنى و ما نحن بمغلوبين «عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ» أى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم و تقديره نبذلكم بأمثالكم فحذف المفعول الأول و الجار من المفعول الثانى قال الزجاج معناه إن أردنا أن نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق و لا يفوتنا «وَنُنشِئُكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ» من الصور أى إن أردنا أن نجعل منكم القرده و الخنازير لم نسبق و لا- فاتنا ذلك و تقديره كما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم لا- نعجز عن أحوالكم بعد موتكم و قيل أراد النشأ الثانى أى نشئكم فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفه فإن المؤمن يخلق على أحسن هيئه و أجمل صوره و الكافر على أقبح صورته و قيل إنما قال ذلك لأنهم علموا حال النشأ الأولى كيف كانت فى بطون الأمهات و ليست الثانى كذلك لأنها تكون فى وقت لا- يعلمه العباد «وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى» أى المره الأولى من الإنشاء و هو ابتداء الخلق حين خلقتم من نطفه و علقه و مضغه «فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ» أى فهلا تعتبرون و تستدلون بالقدره عليها على الثانى «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ» أى ما تعملون فى الأرض و تلقون فيها من البذر «أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» أى أ أنتم تنبتونه و تجعلونه زرعاً أم نحن المنبتون فإن من قدر على إنبات الزرع من الحبه الصغيره و أن يجعلها حبوبا كثيره قدر على إعادته الخلق إلى ما كانوا عليه و

روى عن النبى ص أنه قال لا يقولن أحدكم زرعت و ليقل حرثت

«لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ» أى جعلنا ذلك الزرع «حُطَامًا» أى هشيما لا ينتفع به فى مطعم و لا غذاء و قيل تبنا لا قمح فيه عن عطاء «فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» أى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم عن عطاء و الكلبي و مقاتل و قيل معناه تدمون و تتأسفون على ما أنفقتم فيه عن عكرمه و قتاده و الحسن و أصله من التفكه بالحديث و هو التلهى به فكأنه قال فطلتم تتروحون إلى التندم كما يتروح الفكه إلى الحديث بما يزيل الهم و قيل معناه يتلاومون عن عكرمه أى يلوم بعضكم بعضا على التفريط فى طاعه الله «إِنَّا لَمُعْرَمُونَ» أى

تقولون إنا لمغرمون والمعنى أنا قد ذهب مالنا كله و نفقتنا و ضاع وقتنا و لم نحصل على شىء و قيل معناه إنا لمعذبون مجدودون عن الحظ عن مجاهد و فى روايه أخرى عنه أنا لمولع بنا و فى روايه أخرى منه إنا لملقون فى الشر و قيل محارفون عن قتاده و من قرأ أ إنا على الاستفهام حمله على أنهم يقومون فيقولون منكرين لذلك و من قرأ «إنا» على الخير حمله على أنهم مخبرون بذلك عن أنفسهم ثم يستدركون فيقولون «بَيْلٌ نَحْنُ مَخْرُومُونَ» أى مبخوسو الحظ محارفون ممنوعون من الرزق و الخير ثم قال سبحانه منبها على دلالة أخرى «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ» أى من السحاب «أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ» نعمه منا عليكم و رحمه بكم ثم قال «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا» أى مرا شديد المراره و قيل هو الذى اشتدت ملوحته «فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ» أى فهلا تشكرون على هذه النعمه السنيه التى لا يقدر عليها أحد غير الله ثم نبه سبحانه على دلالة أخرى فقال «أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ» أى تستخرجونها و تقدحونها بزنادكم من الشجر «أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا» التى تنقدح النار منها أى أ أنتم أنبتموها و ابتدأتموها «أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ» لها فلا يمكن أحدا أن يقول أنه أنشأ تلك الشجره غير الله تعالى و العرب تقدح بالزند و الزنده و هو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار و فى المثل " فى كل شجر نار و استمجد المرخ و العفار " «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً» أى نحن جعلنا هذه النار تذكره للنار الأخرى الكبرى فإذا رآها الرائي ذكر جهنم و استعاذ بالله منها عن عكرمه و مجاهد و قتاده و قيل معناه تذكره يتذكر بها و يتفكر فيها فيعلم أن من قدر عليها و على إخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأ الثانيه «وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ» أى و جعلناها بلغه و منفعه للمسافرين عن ابن عباس و الضحاك و قتاده يعنى الذين نزلوا الأرض القى و هو القفر و قيل للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين و الحاضرين عن عكرمه و مجاهد و المعنى أن جميعهم يستضيئون بها من فى الظلمه و يصطلون من البرد و ينتفعون بها فى الطبخ و الخبز و على هذا فيكون المقوى من الأضداد فيكون المقوى الذى صار ذا قوه من المال و النعمه و المقوى أيضا الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض فالمعنى و متاعا للأغنياء و الفقراء و لما ذكر سبحانه ما يدل على توحيدده و إنعامه على عبيده قال «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» أى فبرىء الله تعالى مما يقولونه فى وصفه و نزهه عما لا يليق بصفاته و قيل معناه قل

فقد صح عن النبي ص أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم.

[سوره الواقعة (٥٦): الآيات ٧٥ الى ٨٧]

اشاره

فَلَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَفَسِيحٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤)

وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم بموقع النجوم بغير ألف و الباقون «بمواقع النجوم» على الجمع و روى بعضهم عن عاصم أنكم تكذبون بالتخفيف و القراءة المشهوره بالتشديد و فى الشواذ قراءه الحسن و الثقفى فلا قسم بغير ألف و قراءه على (عليه السلام) و ابن عباس و رويت عن النبي ص و تجعلون شكركم.

الحجه

قال أبو عبيده «فلا- أفسم بمواقع النجوم» أى فأقسم و مواقعها مساقطها حيث تغيب و قال غيره أنه مواقع القرآن حين نزل على النبي ص نجوما فأما الجمع فى ذلك و إن كان مصدرا فلاختلاف ذلك فإن المصادر و سائر أسماء الأجناس إذا اختلفت جاز جمعها و من قرأ بموقع فأفرد فلأنه اسم جنس و من قرأ تكذبون فالمعنى تجعلون رزقكم الذى رزقكموه الله فيما قال «و نزلنا من السماء ماءً مباركاً» إلى قوله «رزقاً للعباد» و قال و أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم* أنكم تكذبون فى أن تنسبوا هذا الرزق إلى غير الله تعالى فتقولون مطرنا بنوء كذا فهذا وجه التخفيف و من قرأ «تكدبون» فالمعنى أنكم تكذبون

بالقرآن لأن الله تعالى هو الذى رزقكم ذلك على ما جاء فى قوله تعالى «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» فتنسبونه أنتم إلى غيره فهذا تكذيبكم بما جاء به التنزيل و أما

ما روى من قوله و تجعلون شكركم

فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذى يجب عليكم التكذيب و قد يكون المعنى و تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف و قال ابن جنى هو على و تجعلون بدل شكركم و مثله قول العجاج:

ربيته حتى إذا تمعددا كان جزائى بالعصا أن أجلدا

أى كان بدل جزائى الجلد بالعصا و أما قوله فلا أقسم فالتقدير لأننا أقسم و هو فعل الحال يدل على ذلك أن جميع ما فى القرآن من الأقسام إنما هو حاضر الحال لا وعد الأقسام كقوله «وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ» «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا» و لذلك حملت لا على الزيادة فى قوله «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» و نحوه نعم و لو أريد به الفعل المستقبل للزمت منه النون فليل لأقسمن.

اللغة

القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله فى قسم الصواب دون الخطأ و العظيم هو الذى يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه و هو ضربان عظيم الشخص و عظيم الشأن و الكريم هو الذى من شأنه أن يعطى الخير الكثير فلما كان القرآن من شأنه أن يعطى الخير الكثير بأدلة المؤديه إلى الحق كان كريما على حقيقته معنى الكريم لا على التشبيه بطريق المجاز و الكريم فى صفات الله تعالى من الصفات النفسية التى يجوز أن يقال فيها لم يزل كريما لأن حقيقته تقتضى ذلك من جهة أن الكريم هو الذى من شأنه أن يعطى الخير الكثير فلما كان القادر على الكرم الذى لا يمنعه مانع من شأنه أن يعطى الخير الكثير صح أن يقال أنه لم يزل كريم و المدهن الذى يجرى فى الباطن على خلاف الظاهر كالدهن فى سهوله ذلك عليه و الإسراع فيه يقال أدهن يدهن و داهن يداهن مثل نافق و الدين هو الجزاء و منه

قولهم كما تدين تدان

أى كما تجزى تجزى و الدين العمل الذى يستحق به الجزاء.

الإعراب

«فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ» العامل فى إذا محذوف يدل عليه الفعل الواقع بعد لو لا و هو ترجعونها فى «فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا» و جواب الشرط أيضا هو مدلول قوله فلو لا ترجعونها و لو لا هذه للتخصيص بمعنى هلا و لا يقع بعدها إلا الفعل و يكون التقدير فلو لا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم فلو لا أن كنتم فكرر لو لا ثانيا لطول الكلام.

ثم أكد سبحانه ما تقدم ذكره بقوله «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» و لا زائده و المعنى فأقسم عن سعيد بن جبير و يجوز أن يكون لا ردا لما يقوله الكفار فى القرآن من أنه سحر و شعر و كهانه ثم استأنف القسم فقال أقسم و قيل أن لا تزداد فى القسم فيقال لا و الله لا أفعل و قال امرؤ القيس:

لا و أبيك ابنه العامرى لا يدعى القوم أنى أفر

و المعنى و أبيك و قيل أن المعنى لا أقسم على هذه الأشياء فإن أمرها أظهر و أكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين عن أبى مسلم و اختلف فى معنى «بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» فقيل هى مطالع النجوم و مساقطها عن مجاهد و قتاده و قيل انكدارها و هو انتشارها يوم القيامه عن الحسن و قيل هى الأنواء التى كان أهل الجاهليه إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا فيكون المعنى فلا أقسم بها و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أن مواقع النجوم رجومها للشياطين و كان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه فلا أقسم بها

و قيل معناه أقسم بنزول القرآن فإنه نزل متفرقا قطعا نجوما عن ابن عباس «وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» قال الزجاج و الفراء و هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن و الضمير فى إنه يعود إلى القسم و دل عليه قوله «أُقْسِمُ» و المعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون ففصل بين الصفه و الموصوف بالجملة ثم ذكر المقسم به فقال «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» معناه إن الذى تلوناه عليك لقرآن كريم أى عام المنافع كثير الخير ينال الأجر العظيم بتلاوته و العمل بما فيه و قيل كريم عند الله تعالى أكرمه الله تعالى و أعزه لأنه كلامه عن مقاتل و قيل كريم لأنه كلام رب العزه و لأنه محفوظ عن التغيير و التبديل و لأنه معجز و لأنه يشتمل على الأحكام و المواعظ و كل جليل خطير و عزيز فهو كريم «فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ» أى مستور من خلقه عند الله و هو اللوح المحفوظ أثبت الله فيه القرآن عن ابن عباس و قيل هو المصحف الذى فى أيدينا عن مجاهد «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» معناه فى القول الأول لا- يمسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهاره من الذنوب و فى القول الثانى إلا المطهرون من الشرك عن ابن عباس و

قيل المطهرون من الأحداث و الجنابات و قالوا لا يجوز للجنب و الحائض و المحدث مس المصحف عن محمد بن على الباقر (عليه السلام)

و طاووس و عطاء و سالم و هو مذهب مالك و الشافعى فيكون خيرا بمعنى النهى و عندنا أن الضمير يعود إلى القرآن فلا يجوز غير الطاهر مس كتابه القرآن «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى هذا القرآن منزل من عند الله تعالى الذى

خلق العباد و دبرهم على ما أراد على نبيه محمد ص ثم خاطب سبحانه أهل مكة فقال «أَفِهَذَا الْحَيْدِثِ» الذى حدثناكم به و أخبرناكم فيه عن حوادث الأمور و هو القرآن «أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ» أى مكذبون عن ابن عباس و قيل مدهنون ممالئون للكفار على الكفر به عن مجاهد و قيل منافقون على التصديق به أى تقولون آمنا به و تدهنون فيما بينكم و بين المشركين إذا خلوتهم فقلتم إنا معكم قال مؤرج هو الذى يلين جانبه ليخفى كفره و أصله من الدهن «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ» أى و تجعلون حظكم من الخير الذى هو كالرزق لكم أنكم تكذبون به و قيل و تجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال أصاب الناس عطش فى بعض أسفاره فدعا ص فسقوا فسمع رجلا يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية و قيل معناه و تجعلون حظكم من القرآن الذى رزقكم الله التكذيب به عن الحسن «فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ» أى فهلا- إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت «وَأَنْتُمْ» يا أهل الميت «حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ» أى ترون تلك الحال و قد صار إلى أن تخرج نفسه و قيل معناه تنظرون لا يمكنكم الدفع و لا تملكون شيئا «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ» بالعلم و القدره «وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ» ذلك و لا تعلمونه و قيل معناه و رسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم و لكن لا- تبصرون رسلنا القابضين روحه «فَلَوْ لَا- إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» يعنى فهلا ترجعونها أى فهلا ترجعون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم و تردونها إلى موضعها إن كنتم غير مجزيين بثواب و عقاب و غير محاسبين و قيل غير مدنيين معناه غير مملوكين و قيل غير مبعوثين عن الحسن و المراد أن الأمر إن كان كما تقولونه من أنه لا- بعث و لا- حساب و لا- جزاء و لا- إله يحاسب و يجازى فهلا- رددتم الأرواح و النفوس من حلوقكم إلى أبدانكم إن كنتم صادقين فى قولكم فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا أنه من تقدير مقدر حكيم و تدبير مدبر عليم.

إشارة

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢)

فَنَزَّلُ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَ تَصْلِيَةٌ جَازِمَةٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)

القراءه

قرأ يعقوب

فروح بضم الراء و هو قراءه النبي ص و ابن عباس و أبي جعفر الباقر

و قتاده و الحسن و الضحاك و جماعه و الباقون «فَرَوْحٌ» بفتح الراء.

الحجه

قال ابن جنى هو راجع إلى معنى الروح فكأنه قال فتمسكك روح و ممسكها هو الروح و كما تقول هذا الهواء هو الحياه و هذا السماع هو العيش و هو الروح.

الإعراب

«وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» قال على بن عيسى دخلت كاف الخطاب كما تدخل في ناهيك به شرفا و حسبك به كرما أى لا تطلب زياده على جلاله فالكلام تقديم و تأخير و التقدير مهما يكن من شىء فسلاّم لك من أصحاب اليمين إن جلاله و عظم منزله قال ابن جنى فى الكلام تقديم و تأخير و التقدير مهما يكن من شىء فسلاّم لك من أصحاب اليمين إن كان من أصحاب اليمين و لا- ينبغى أن يكون موضع إن كان إلا- هذا الموضع لأنه لو كان موضعه بعد الفاء يليها لكان قوله «فَسَلَامٌ لَكَ» جوابا له فى اللفظ لا فى المعنى و لو كان جوابا فى اللفظ لوجب إدخال الفاء عليه لأنه لا يجوز فى سعه الكلام أن كان من أصحاب اليمين سلام له فلما وجد الفاء فيه ثبت أنه ليس بجواب لقوله «إِنْ كَانَ» فى اللفظ و إذا ثبت أنه ليس بجواب له فى اللفظ ثبت أن موقع إن كان بعده لا- قبله قال فى إن قيل إنما بدل الفاء التى تكون جوابا لقوله «إِنْ كَانَ» لأجل الفاء التى تدخل جوابا لأنها لا يدخل حرف معنى على مثله قيل إنما تدخل الفاء التى لأنها ليس بجواب لقوله «إِنْ كَانَ» فلو كان جوابا له لما دخلت عليه هذه الفاء فى قوله «وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ» على أن فاء أما قد يكون موقعه بعد الفاء لا يليها و أما لها موضعان من الكلام (أحدهما) أن يكون لتفصيل الجمل نحو قولك جاءنى القوم فأما زيد فأكرمته و أما عمرو فأهنته و منه ما فى الآيه (و الثانى) أن تكون مركبه من أن و ما و يكون ما عوضا من كان و ذلك قولك أما أنت منطلقا انطلقت معك و المعنى إن كنت منطلقا انطلقت معك فموضع أن نصب لأنه مفعول له و أنشد سيويه:

أبا خراشه أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

أى من أجل أن كنت و الضبع السنه الشديده.

المعنى

ثم ذكر سبحانه صفات الخلق عند الموت فقال «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» أى فإن كان ذلك المحتضر الذى بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله و هم

ص: ٣٤٤

السابقون الذين ذكروا في أول السورة «فَرَوْحٌ» أى فله روح و هو الراحه و الاستراحه عن ابن عباس و مجاهد يعنى من تكاليف الدنيا و مشاقها و قيل الروح الهواء الذى تستلذه النفس و يزيل عنها الهم «وَرِيحَانٌ» يعنى الرزق فى الجنة و قيل هو الريحان المشموم من ريحان الجنة يؤتى به عند الموت فيشمه عن الحسن و أبى العالىة و قتاده و قيل الروح الرحمه و الريحان كل نباهه و شرف و قيل الروح النجاه من النار و الريحان الدخول فى دار القرار و قيل روح فى القبر و ريحان فى الجنة و قيل روح فى القبر و ريحان فى القيامة «وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ» يدخلونها «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» أى إن كان المتوفى من أصحاب اليمين «فَسَيَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» أى فترى فيهم ما تحب لهم من السلامه من المكاره و الخوف و قيل معناه فسلام لك أيها الإنسان الذى هو من أصحاب اليمين من عذاب الله و سلمت عليك ملائكة الله عن قتاده قال الفراء فسلام لك إنك من أصحاب اليمين فحذف إنك و قيل معناه فسلام لك منهم فى الجنة لأنهم يكونون معك و يكونون لك بمعنى عليك (سؤال) يقال لم يتبرك باليمين (و الجواب) إن العمل ميسر بها لأن الشمال معسر العمل بها من نحو الكتابه و الأعمال الدقيقه «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ» بالبعث و الرسل و آيات الله «الضَّالِّينَ» عن الهدى الذاهبين عن الصواب و الحق «فَنَزَّلُ مِنَ حَمِيمٍ» أى فنزلهم الذى أعد لهم من الطعام و الشراب من حميم جهنم «وَتَصِيلِيَهُ جَحِيمٍ» أى إدخال نار عظيمه كما قال وَ يَصِيلِي سَعِيرًا فى قراءه من شدد «إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ» أضاف الحق إلى اليقين و هما واحد للتأكيد أى هذا الذى أخبرتك به من منازل هؤلاء الأصناف الثلاثة هو الحق الذى لا شك فيه و اليقين الذى لا شبهه معه و قيل تقديره حق الأمر اليقين «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» أى نزه الله سبحانه عن السوء و الشرك و عظمه بحسن الثناء عليه و قيل معناه نزه اسمه عما لا يليق به فلا تضيف إليه صفه نقص أو عملا قبيحا و قيل معناه قولوا سبحان ربي العظيم و العظیم فى صفه الله تعالى معناه إن كل شىء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغنى الذى لا يساويه شىء و لا يخفى عليه شىء جلت آلاؤه و تقدست أسماؤه.

(٥٧) سورة الحديد مدنيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩)

اشاره

عدد آياتها

تسع و عشرون آيه عراقى و ثمان فى الباقيين.

اختلفا

آيتان «مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ» كوفى و «الْإِنْجِيلَ» بصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله و رسوله
العرباض بن ساريه قال إن النبى ص كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد و يقول إن فيهن آيه أفضل من ألف آيه
و

روى عمرو بن شمر عن جابر الجعفى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك
القائم ع و إن مات كان فى جوار رسول الله ص

الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الحديد و المجادله فى صلاه فريضه أدمنها لم يعذبه الله
حتى يموت أبدا و لا يرى فى نفسه و لا فى أهله سوء أبدا و لا خصاصه فى بدنه.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الواقعه بالتسييح افتتح هذه السوره بالتسييح و عقبه بالدلائل الموجهه للتسييح فقال:

ص: ٣٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)

المعنى

«سَبَّحَ لِلَّهِ» أى نزهه و أثنى عليه بما هو أهله و برأه من كل سوء «ما فى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قال مقاتل يعنى كل شىء من ذى الروح و غيره و كل خلق فيهما و لكن لا تفقهون تسييحهم و تحقيقه أن العقلاء يسبحونه قولاً و اعتقاداً و لفظاً و معنى و ما ليس بعقل من سائر الحيوانات و الجمادات فتسيحها ما فيه من الأدله الداله على وحدانيته و على الصفات التى باين بها جميع خلقه و ما فيه من الحجج على أنه لا يشبه خلقه و أن خلقه لا يشبهه فعبر سبحانه عن ذلك بالتسييح و يجوز أن تكون ما هاهنا بمعنى من كما حكى أبو زيد عن أهل الحجاز أنهم كانوا إذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له فيكون واقعا على العقلاء من الملائكة و الجن و الإنس «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى القادر الذى لا يمتنع عليه شىء المحكم لأفعاله العليم بوجوه الصواب فى التدبير «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى له التصرف فى جميع ما فى السماوات و الأرض من الموجودات بما يشاء من التصرف و ليس لأحد منعه منه و ذلك هو الملك الأعظم فإن كل ما يملكه من عداه فإنه سبحانه هو الذى ملكه إياه و له منعه منه «يُحْيِي وَيُمِيتُ» أى يحيى الأموات للبعث و يميت الأحياء فى الدنيا و قيل يحيى الأموات بأن يجعل النطفه و هى جماد حيوانا و يميت الأحياء إذا بلغوا آجالهم التى قدرها لهم «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يقدر على المعدومات بإيجادها و إنشائها و على الموجودات بتغييرها و إفنائها و على أفعال العباد و مقهوراتهم بالإقذار عليها و سلبهم القدره عليها «هُوَ الْأَوَّلُ» أى أول الموجودات و تحقيقه أنه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الأوقات لأنه قديم و ما عداه محدث و القديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الأوقات «وَ الْآخِرُ» بعد فناء كل شىء لأنه يفنى الأجسام كلها و ما فيها من الأعراض و يبقى

وحده ففي هذا دلالة على فناء الأجسام وقيل الأول قبل كل شىء بلا ابتداء و الآخر بعد كل شىء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال «وَ الظَّاهِرُ» وهو الغالب العالى على كل شىء فكل شىء دونه «وَ البَاطِنُ» العالم بكل شىء فلا أحد أعلم منه عن ابن عباس وقيل الظاهر بالأدلة والشواهد والباطن الخبير العالم بكل شىء وقيل معنى الظاهر والباطن أنه العالم بما ظهر و العالم بما بطن وقيل الظاهر بأدلته والباطن من إحساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء و الآخر بلا انتهاء و الظاهر بلا اقتراب و الباطن بلا احتجاب وقيل الأول بيره إذ هداك و الآخر بعفوه إذ قبل توبتك و الظاهر بإحسانه و توفيقه إذا أطعته و الباطن بستره إذا عصيته عن السدى وقيل الأول بالخلق و الآخر بالرزق و الظاهر بالإحياء و الباطن بالإماتة عن ابن عمر وقيل هو الذى أول الأول و آخر الآخر و أظهر الظاهر و أبطن الباطن عن الضحاك وقيل الأول بالأزلية و الآخر بالأبدية و الظاهر بالأحديه و الباطن بالصمديه عن أبى بكر الوراق وقيل إن الواوات مقحمة والمعنى هو الأول الآخر الظاهر و الباطن لأن كل من كان منا أولا لا يكون آخر و من كان منا ظاهرا لا يكون باطنا عن عبد العزيز بن يحيى وقيل هو الأول القديم و الآخر الرحيم و الظاهر الحكيم و الباطن العليم عن يمان و قال البلخى هو كقول القائل فلان أول هذا الأمر و آخره و ظاهره و باطنه أى عليه يدور الأمر و به يتم «وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ» يصح أن يكون معلوما «عَلِيمٌ» لأنه عالم لذاته «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» لما فى ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شىء بعد شىء من جهته و لما فى الإخبار به من المصلحة للمكلفين و لو لا ذلك لكان يخلقهما فى لحظه واحده لأنه القادر لذاته «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» المعروف فى السماء وقيل استوى على الملك فمن قال بالأول قال استواؤه عليه كونه قادرا على خلقه و إفئائه و تصريفه قال البعيث:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهران

و بشر هذا هو بشر بن مروان وواه أخوه عبد الملك العراق وقيل معناه ثم عمد و قصد إلى خلق العرش و قد مر بيانه «يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا» أى يعلم ما يدخل فى الأرض و يستتر فيها و يعلم ما يخرج من الأرض من سائر أنواع النبات و الحيوان و الجماد لا يخفى عليه شىء منها «وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا» أى و يعلم ما ينزل من السماء من مطر و غير ذلك من أنواع ما ينزل منها و يعلم ما يعرج فى السماء من الملائكة و ما يرفع إليها من أعمال الخلق «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» بالعلم الذى لا يخفى عليه شىء من أعمالكم و أحوالكم «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» من خير و شر «بَصِيرٌ» أى عليم «لَهُ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» يتصرف فيهما كيف يشاء «وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» يوم القيامة يعنى أن جميع من ملكه شيئاً فى الدنيا يزول ملكه عنه و ينفرد سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» أى يدخل ما نقص من الليل فى النهار و ما نقص من النهار فى الليل أى حسب ما دبره فيه من مصالح عباده عن عكرمه و إبراهيم «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى هو عالم بأسرار خلقه و ما يخفونه من الضمائر و الاعتقادات و الإرادات و الكراهات و العزائم فى قلوبهم لا يخفى عليه شىء منها و فى هذا تحذير من المعاصى.

[سوره الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٠]

إشارة

آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أَوْلِيَاءَكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا وَ كَلًّا وَ عَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)

القراءة

قرأ أبو عمرو وحده و قد أخذ بضم الهمزة ميثاقكم بالرفع و الباقون «أَخَذَ» بفتح الهمزة «مِيثَاقَكُمْ» بالنصب و قرأ ابن عامر و كل وعد الله الحسنى بالرفع و الباقون «كُلًّا» بالنصب.

الحجج

قال أبو على حجه من قرأ «وَ قَدْ أَخَذَ» أنه قد تقدم «وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»

و الضمير يعود إلى اسم الله تعالى و حجه من قرأ و قد أخذ أنه على هذا المعنى و أنه قد عرف أخذ الميثاق و أن الله قد أخذه و حجه النصب في «كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» بين لأنه بمنزله زيدا وعدت خيرا و حجه ابن عامر أن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله في قوته إذا تأخر ألا ترى أنهم قالوا في الشعر زيد ضربت و لو تأخر المفعول فوقع بعد الفاعل لم يجز ذلك فيه و مما جاء من ذلك في الشعر قوله:

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع

فرووه بالرفع لتقدمه على الفعل و إن لم يكن شىء يمنع من تسلط الفعل عليه فكذلك قوله و كل وعد الله الحسنى يكون على إرادته الهاء و حذفها كما يحذف من الصفات و الصلات.

المعنى

ثم خاطب سبحانه المكلفين فقال «آمِنُوا بِاللَّهِ» معاشر العقلاء أى صدقوا الله و أقرؤا بوحدانيته و إخلاص العباده له «وَ رَسُولِهِ» أى و صدقوا رسوله و اعترفوا بنبوته «وَ أَنْفِقُوا» فى طاعه الله و الوجوه التى أمركم بالإنفاق فيها «مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ» أى من المال الذى استخلفكم الله فيه بوراثتكم إياه عن قبلكم عن الحسن و نبه سبحانه بهذا على أن ما فى أيدينا يصير لغيرنا كما صار إلينا ممن قبلنا و حثنا على استيفاء الحظ منه قبل أن يصير لغيرنا ثم بين سبحانه ما يكافيهم على ذلك إذا فعلوه فقال «فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» بالله و رسوله «وَ أَنْفِقُوا» فى سبيله «لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ» أى جزاء و ثواب عظيم دائم لا يشوبه كدر و لا تنغيص ثم وبخهم سبحانه فقال «وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» أى و أى شىء يمنعكم من الإيمان بالله مع وضوح الدلائل على وحدانيته «وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ» إلى ما ركب الله فى عقولكم من معرفه الصانع و صفاته «لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ» بما أودع الله فى قلوبكم من دلالات العقل الموصله إلى الإيمان به فإن الميثاق هو الأمر المؤكد الذى يجب العمل به «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى إن كنتم مصدقين بحق فالآن فقد ظهرت أعلامه و وضحت براهينه و المعنى أى عذر لكم فى ترك الإيمان و قد أزاحت العلل و ارتفعت الشبه و لزمتمك الحجج العقليه و السمعيه فالعقلية ما فى فطره العقول و السمعيه دعوه الرسول المؤيده بالأدله المؤديه إلى المدلول و الذى يبين هذا قوله «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ» يعنى محمدا ص

«آيَاتِ بَيِّنَاتٍ» أى حججا منيره و براهين واضحه «لِيُخْرِجَكُم» الله بالقرآن و الأدله و قيل ليخرجكم الرسول بالدعوه و قيل ليخرجكم المنزل و الأول أوجه «مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى من الكفر إلى الإيمان بالتوفيق و الهدايه و الألفاظ و الأدله «وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ» حين بعث الرسول و نصب الأدله و الرأفه و الرحمه واحد و إنما جمع بينهما للتأكيد و قيل الرأفه النعمه على المضروور و الرحمه النعمه على المحتاج و فى هذا دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فإنه بين أن الغرض فى إنزال القرآن الإيمان به ثم حثهم سبحانه على الإنفاق فقال «وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى أى شىء لكم فى ترك الإنفاق فيما يقرب إلى الله تعالى «وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى يفنى الخلق و يبقى هو و المعنى فيه أن الدنيا و أموالها ترجع إلى الله فلا يبقى لأحد فيها ملك و لا أمر كما يرجع الميراث إلى مستحقه فاستوفوا حظكم من أموالكم قبل أن تخرج من أيديكم ثم بين سبحانه فضل من سبق بالإنفاق فى سبيل الله فقال «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أَوْلِيكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قَاتَلُوا» بين سبحانه أن الإنفاق قبل فتح مكة إذا انضم إليه الجهاد أكثر ثوابا عند الله من النفقه و الجهاد بعد ذلك و ذلك أن القتال قبل الفتح كان أشد و الحاجه إلى النفقه و إلى الجهاد كان أكثر و أمس و فى الكلام حذف تقديره لا يستوى هؤلاء مع الذين أنفقوا بعد الفتح فحذف لدلاله الكلام عليه و قال الشعبي أراد فتح الحديدية ثم سوى سبحانه بين الجميع فى الوعد بالخير و الثواب فى الجنة فقال «وَ كُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِ» أى الجنة و الثواب فيها و أن تفاضلوا فى مقادير ذلك «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى لا يخفى عليه شىء من إنفاقكم و جهادكم فيجازيكم بحسب نياتكم و بصائرهم و إخلاصكم فى سرائرهم.

إشاره

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بلى وَ لَكِنَّا كُنَّا نُنْفِسُكُمْ فَتَنَّمْنَا نَفْسَكُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ عَرَّكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ عَرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُوَكِّمُ النَّارَ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَ بئسَ الْمَصِيرُ (١٥)

القراءة

القراءة فى فيضاعفه و الاختلاف فيه قد مضى ذكره فى سوره البقره و قرأ حمزه أنظرونا بقطع الهمزه و فتحها و كسر الظاء و الباقون «أنظرونا» بهمزه الوصل و ضم الظاء و قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب لا تؤخذ منكم بالناء و الباقون بالياء و فى الشواذ قرأه سهل بن شعيب و بإيمانهم بكسر الهمزه و قرأه سماك بن حرب و غرکم بالله الغرور بضم الغين.

الحجه

قال أبو على النظر هو قلب العين إلى الجبهه التى فيها المرئى و المراد رؤيته و مما يدل على ذلك قوله:

فيا مى هل يجزى بكائى بمثلته مرارا و أنفاسى إليك الزوافر

و إنى متى أشرف على الجانب الذى به أنت من بين الجوانب ناظر

فلو كان النظر الرؤيه لم يطلب عليه الجزاء لأن المحب لا يستشيب من النظر إلى محبوبه شيئا بل يريد ذلك و يتمناه و يدل على ذلك قول الآخر:

و نظره ذى شجن و امق إذا ما الركائب جاوزن ميلا

و أما قوله تعالى وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فالمعنى أنه سبحانه لا ينيلهم رحمته و قد تقول نظر إلى فلان إذا كان ينيلك شيئا و يقول القائل أنظر إلى نظر الله إليك يريد أنلنى خيرا أنالك الله و نظرت فعل يستعمل و ما تصرف منه على ضروب (أحدها) أن تريد به نظرت إلى الشىء فتحذف الجار و توصل الفعل و من ذلك ما أنشده أبو الحسن:

ظواهرات الجمال و الحسن ينظرن كما ينظر الأراك الضباء

و المعنى ينظرن إلى الأراك فحذف الجار و الآخر أن تريد به تأملت و تدبرت و هو فعل غير متعد فمن ذلك قولهم اذهب فانظر زيدا أبو من هو فهذا يراد به التأمل و من ذلك قوله انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ* و انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ و قد يتعدى هذا بالجار كقوله أ فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ فهذا خص على التأمل و قد يتعدى هذا يعنى نحو قوله أ و لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ.

فأما قول امرئ القيس:

فلما بدا حوران و الآل دونه نظرت فلم تنظر بعينك منظرا

فيجوز أن يكون نظرت لم تر بعينك منظرا إلى الآل و قد جوز أن يعنى بالنظر الرؤيه على الاتساع لأن تقليب البصر نحو المبصر تتبعه الرؤيه و قد يجرى على الشىء لفظ ما يتبعه و يقترن به كقولهم للمزاده راويه و للقناء عذره و قد يكون نظرت فلم تنظر مثل تكلمت و لم تتكلم أى لم تأت بكلام على حسب ما يراد فكذلك نظرت فلم تنظر بعينك منظرا كما تريد أ و لم تر منظرا يروق و ضرب آخر من نظرت هو أن تريد به انتظرت من ذلك قوله غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ و مثله قول الفرزدق:

نظرت كما انتظرت الله حتى كفاك الماحلين لك المحالا

يريد انتظرت كما انتظرت و قد يكون أنظرت فى معنى انتظرت تطلب بقولك أنظرني التنفيس الذى يطلب بالانتظار فمن ذلك قوله:

أبا هند فلا تعجل علينا و انظرنا نخبرك اليقينا

و من ذلك قوله فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ* إنما هو طلب الإمهال و التسويف فالمطلوب بقوله:

و انظرنا نخبرك اليقينا

تنفيس و فى قوله فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ* تسويف و تأخير و كذلك ما

ص: ٣٥٣

جاء فى الحديث من إنظار المعسر و كذلك قوله «انظرونا نقتبس من نوركم» أى نفسونا نقتبس و انتظروا علينا و ليس تسرع من تسرع إلى تخطئه من قال انظرونا بشىء و لا- ينبغى أن يقال فيما لطف أنه خطأ و قوله فالיום لا تؤخذ منكم فديه حسن التاء لتأنيث الفاعل و يحسن الباء للفصل الواقع بين الفعل و الفاعل و لأن التأنيث غير حقيقى و أما قوله «بأيمانهم» فقد قال ابن جنى هو معطوف على قوله «بين أيديهم» و يكون الظرف الذى هو بين أيديهم معناه الحال فيتعلق بمحذوف أى يسعى كائنا بين أيديهم و إذا كان كذلك جاز أن يعطف عليه الباء و ما جرته أى كائنا بأيمانهم كقوله ذلك بما قدمت يداك و قوله «الغزور» معناه الاغترار و هو مقدر على حذف المضاف أى و غركم بالله سلامه الاغترار أى سلامتكم مع اغتراركم و قال الزجاج الغرور كل ما غر من متاع الدنيا.

اللغة

القرض ما تعطيه غيرك ليقضيه و أصله القطع فهو قطعه عن مالكه بإذنه على ضمان رد مثله و العرب تقول لى عندك قرض صدق و قرض سوء إذا فعل به خيرا أو شرا قال الشاعر:

و يقضى سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم و أزلت

و المضاعفه الزيادة على المقدار مثله أو أمثاله و الاقتباس أخذ النار و يقال قيسته نارا و اقتبسته علما و التربص الترقب و الانتظار.

الإعراب

«من ذا» قال الفراء ذا صلة لمن قال و رأيتها فى مصحف عبد الله منذ الذى و النون موصولة بالذال و الذى قيل إن المعنى من هذا الذى و من فى موضع رفع بالابتداء و الذى خبره على القول الأول و على القول الثانى يكون ذا مبتدأ و الذى خبره و الجملة خبر من كذا ذكره ابن فضال و أقول إن الصحيح أن يكون ذا مبتدأ و «الذى يُقرض الله» صفة و من خبر المبتدأ قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام. «يوم ترى المؤمنين» يتعلق بقوله «و له أجر كريم» و «يوم يقول المنافقون» يتعلق بقوله «ذلك هو الفوز العظيم» و يجوز أن يكون التقدير و اذكر يوم يقول و يجوز أن يكون بدلا من «يوم ترى» «له باب» فى موضع جر صفة لسور «باطنه فيه الرحمة» صفة لباب.

المعنى

ثم حث سبحانه على الإنفاق فقال «من ذا الذى يُقرض الله قرضا حسنا»

أى طيبه به نفسه عن مقاتل وقد تقدم تفسيره فى سورة البقره «فِيضَاعِفَهُ لَهُ» أى يضاعف له لجزء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائه وقال أهل التحقيق القرض الحسن أن يجمع عشره أوصاف أن يكون من الحلال لأن

النبي ص قال إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب

و أن يكون من أكرم ما يملكه دون أن يقصد الردى ء بالإنفاق لقول و لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ و أن يتصدق و هو يحب المال و يرجو الحياه لقوله لما

سئل عن الصدقه أفضل الصدقه أن تعطيه و أنت صحيح صحيح تأمل العيش و تخشى الفقر و لا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقى قلت لفلان كذا و لفلان كذا

و أن يضعه فى الأهل الأوج الأولى بأخذه و لذلك خص الله أقواما بأخذ الصدقات و هم أهل السهمان و أن يكتمه ما أمكن لقوله و إن تُخْفُوها وَ تُؤْتُوها الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ و أن لا- يتبعه المن و الأذى لقوله «لا- تُبْطَلُوا صِدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى» و أن يقصد به وجه الله و لا يرائى بذلك لأن الرياء مذموم و أن يستحقر ما يعطى و إن كثر لأن متاع الدنيا قليل و أن يكون من أحب ماله إليه لقوله «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» فهذه الأوصاف العشره إذا استكملتها الصدقه كان ذلك قرضا حسنا «و لَهْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» أى جزاء خالص لا يشوبه صفه نقص فالكريم الذى من شأنه أن يعطى الخير الكثير فلما كان ذلك الأجر يعطى النفع العظيم وصف بالكريم و الأجر الكريم هو الجنة «يَوْمَ تَرَى» يا محمد «الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيْمَانِهِمْ» على الصراط يوم القيامة و هو دليلهم إلى الجنة و يريد بالنور الضياء الذى يرونه و يمرون فيه عن قتاده و قيل نورهم هديهم عن الضحاك و قال قتاده إن المؤمن يضىء له نور كما بين عدن إلى صنعاء و دون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضىء له نوره إلا موضع قدميه و قال عبد الله بن مسعود و يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل و أديانهم نورا نوره على إبهامه يطفأ مره و يقدر أخرى و قال الضحاك «و بَأْيْمَانِهِمْ» يعنى كتبهم التى أعطوها و نورهم بين أيديهم و تقول لهم الملائكه «بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ» أى الذى تبشرون به اليوم جنات «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» أى مؤبدين دائمين لا تفنون «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى الظفر بالمطلوب ثم ذكر حال المنافقين فى ذلك اليوم فقال «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا» ظاهرا و باطنا «انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ» قال الكلبي يستضىء المنافقون بنور المؤمنين و لا- يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون قالوا انظرونا نقتبس من نوركم أى نستضىء بنوركم و نبصر الطريق فتخلص من هذه الظلمات و قيل إنهم إذا

خرجوا من قبورهم اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المؤمنين فإذا ميزوا بقوا في الظلمه فيستغيثون و يقولون هذا القول «قِيلَ» أى يقال للمنافقين «ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ» أى ارجعوا إلى المحشر حيث أعطينا النور «فَالْتَمِسُوا نُورًا» فيرجعون فلا يجدون نورا عن ابن عباس و ذلك أنه قال تغشى الجميع ظلمه شديده ثم يقسم النور و يعطى المؤمن نورا و يترك الكافر و المنافق و قيل معنى قوله «ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ» ارجعوا إلى الدنيا إن أمكنكم فاطلبوا النور منها فإننا حملنا النور منها بالإيمان و الطاعات و عند ذلك يقول المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا «فَضَّرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ» أى ضرب بين المؤمنين و المنافقين سور و الباء مزيده لأن المعنى حيل بينهم و بينهم بسور و هو حائط بين الجنة و النار عن قتاده و قيل هو سور على الحقيقه «لَهُ بَابٌ» أى لذلك السور باب «بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ» أى من قبل ذلك الظاهر «الْعَذَابُ» و هو النار و قيل باطنه أى باطن ذلك السور فيه الرحمة أى الجنة التى فيها المؤمنون و ظاهره أى و خارج السور من قبله يأتيهم العذاب يعنى أن المؤمنين يسبقونهم و يدخلون الجنة و المنافقون يجعلون فى النار و العذاب و بينهم السور الذى ذكره الله «يُنَادُونَهُمْ» أى ينادى المنافقون المؤمنين «أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» فى الدنيا نصوم و نصلى كما تصومون و تصلون و نعمل كما تعملون «قَالُوا بلى» أى يقول المؤمنون لهم بلى كنتم معنا «وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» أى استعملتموها فى الكفر و النفاق و كلها فتنة و قيل معناه تعرضتم للفتنة بالكفر و الرجوع عن الإسلام و قيل معناه أهلكتم أنفسكم بالنفاق «وَ تَرَبَّصْتُمْ» بمحمد ص الموت و قلم يوشك أن يموت فنستريح منه عن مقاتل و قيل تربصتم بالمؤمنين الدوائر «وَ ارْتَبْتُمْ» أى شككتم فى الدين «وَ غَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ» التى تمنيتموها بأن تعود الدائرة على المؤمنين «حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ» أى الموت و قيل إلقاءهم فى النار عن قتاده و قيل جاء أمر الله فى نصره دينه و نبيه و غلبته إياكم «وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» يعنى الشيطان غرركم بحلم الله و إمهاله و قيل الغرور الدنيا «فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ» أيها المنافقون أى بدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب «وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى و لا من سائر الكفار الذين أظهروا الكفر «مَيَّاوَأَكُمُ النَّارُ» أى مقركم و موضعكم الذى تأوون إليه النار «هِيَ مَوْلَاكُمْ» أى هى أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب و المعنى أنها هى التى تلى عليكم لأنها قد ملكت أمركم فهى أولى بكم من كل شىء «وَ بئسَ الْمَصِيرُ» أى بئس المأوى و المرجع الذى تصيرون إليه.

إشاره

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اَعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُضِيغًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)

القراءه

قرأ نافع و حفص «وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» خفيفه الزاى و الباقون نزل بالتشديد وقرأ رويس و لا- تكونوا بالتاء و الباقون بالياء وقرأ ابن كثير و أبو بكر إن المصدقين و المصدقات بتخفيف الصاد و الباقون بالتشديد.

الحجه

قال أبو على من خفف «مَا نَزَلَ» ففي نزل ذكر مرفوع بأنه الفاعل يعود إلى الموصول و يقوى التخفيف قوله «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ» و من شدد ففاعل الفعل

الضمير العائد إلى اسم الله تعالى و العائد إلى الموصول الضمير المحذوف من الصلّه و من قرأ و لا تكونوا فإنه على الخطاب و النهى و من قرأ «وَلَا يَكُونُوا» بالياء فإنه عطف على تخشع و هو منصوب و يجوز أن يكون مجزوماً على النهى للغائب و من خفف المصدقين و المصدقات فإن معناه أن المؤمنين و المؤمنات و أما قوله «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» فهو فى المعنى كقوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» * لأن إقراض الله من الأعمال الصالحة و حجه من خفف أنه أعم من المصدقين ألا ترى أن المصدقين مقصور على الصدقه و المصدقين يعم التصديق و الصدقه فهو أذهب فى باب المدح و من حجه من ثقل أنهم زعموا أن فى قراءه أبى أن المتصدقين و المتصدقات و من حجته أن قوله «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» اعتراض بين الخبر و المخبر عنه و الاعتراض بمنزله الصفه فهو للصدقه أشد ملائمه منه للتصديق و ليس التخفيف كذلك و من حجه من خفف أن يقول لا نحمل قوله «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ» على الاعتراض و لكننا نعطفه على المعنى ألا ترى أن قوله «إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدَّقَاتِ» معناه إن الذين صدقوا فكأنه فى المعنى إن المصدقين و أقرضوا فحمل و أقرضوا الله على المعنى لما كان من معنى المصدقين الذين صدقوا فكأنه قال إن الذين صدقوا و أقرضوا.

اللغة

يقال أنى يأنى أنى إذا حان و الخشوع لين القلب للحق و الانقياد له و مثله الخضوع و الحق ما دعا إليه العقل و هو الذى من عمل به نجا و من عمل بخلافه هلك و الحق مطلوب كل عاقل فى نظره و إن أخطأ طريقه و القسوه غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق و الأمد الوقت الممتد و هو و المده واحد و الهيج جفاف النبات.

النزول

قيل إن قوله «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» الآية نزلت فى المنافقين بعد الهجره بسنه و ذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا حدثنا عما فى التوراه فإن فيها العجائب فنزلت الر تلمك آيات الكتاب المبين إلى قوله «لِمَنْ الْغَافِلِينَ» فخيرهم أن هذا القرآن أحسن القصص و أنفع لهم من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت آيه الله نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا فَكَفُوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان فنزلت هذه الآية عن الكلبى و مقاتل و قيل نزلت بالمؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا و بين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا و قيل إن الله استبطن قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشره سنه من نزول القرآن بهذه الآية عن ابن عباس و قيل كانت الصحابه بمكه مجديين فلما هاجروا أصابوا الريف و النعمه فتغيروا عما كانوا عليه فقسى قلوبهم و الواجب أن يزدادوا الإيمان

و اليقين و الإخلاص فى طول صحبه الكتاب عن محمد بن كعب.

المعنى

ثم دعاهم سبحانه إلى الطاعة بقوله «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى أما حان للمؤمنين «أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ» أى ترق و تلين قلوبهم «لِتَذَكَّرَ اللَّهُ» أى لما يذكرهم الله به من مواعظه «وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» يعنى القرآن و من شدد فالمراد و ما نزله الله من الحق «وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» من اليهود و النصارى «مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ» أى طال الزمان بينهم و بين أنبيائهم و قيل طال عليهم الأمد للجزء أى لم يعاجلوا بالجزء فاغتروا بذلك «فَقَسَيْتْ قُلُوبُهُمْ» أى فغلظت قلوبهم و زال خشوعها و مروا على المعاصى و اعتادوها و قيل طالت أعمارهم و ساءت أعمالهم فقسيت قلوبهم و ينبغى أن يكون هذا متوجها إلى جماعه مخصوصه لم يوجد منهم الخشوع التام فحثوا على الرقه و الخشوع فأما من وصفهم الله تعالى بالخشوع و الرقه و الرحمه فطبقه من المؤمنين فوق هؤلاء عن الزجاج و من

كلام عيسى (عليه السلام) لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتفسو قلوبكم فإن القلب القاسى بعيد من الله و لا تنظروا فى ذنوب العباد كأنكم أرباب و انظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد و الناس رجالان مبتلى و معافى فارحموا أهل البلاء و احمداوا الله على العافيه

«وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» أى خارجون عن طاعه الله تعالى إلى معصيته أى فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ثم قال «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْمَوتُوتَ بِعَدِّ مَوْتِهَا» أى يحييها بالنبات بعد اليبس و الجدوبه أى فكذلك يحيى الكافر بالهدى إلى الإيمان بعد موته بالضلال و الكفر بأن يلفظ له ما يؤمن عنده و قيل معناه أن الله يلين القلوب بعد قسوتها بالألطف و التوفيقات «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» أى الحجج الواضحات و الدلائل الباهرات «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» فترجعون إلى طاعتنا و تعملون بما أمرناكم به «إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَ الْمُصَدِّقَاتِ» قد مضى الوجه فى اختلاف القراءتين و معناهما «وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» أى و أنفقوا فى وجوه الخير «يُضَاعَفُ لَهُمْ» ذلك القرض الحسن أى يجازون أمثال ذلك «وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» مر معناه «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» أى صدقوا بتوحيد الله و أقروا بنبوه رسله «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» قال مجاهد كل من آمن بالله و رسله فهو صديق و شهيد و قرأ هذه الآيه و الصديق الكثير الصدق المبالغ فيه و هو اسم مدح و تعظيم «وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى و أولئك الشهداء عند ربهم و التقدير أولئك الصديقون عند ربهم و الشهداء عند ربهم ثم قال

«لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ» أى لهم ثواب طاعتهم و نور إيمانهم الذى يهتدون به إلى طريق الجنه و هذا قول عبد الله بن

روى العياشى بالإسناد عن منهال القصاب قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) ادع الله أن يرزقنى الشهاده فقال إن المؤمن شهيد و قرأ هذه الآيه

عن الحرث بن المغيرة قال كنا عند أبى جعفر (عليه السلام) فقال العارف منكم هذا الأمر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد و الله مع قائم آل محمد (عليه السلام) بسيفه ثم قال بل و الله كمن جاهد مع رسول الله ص بسيفه ثم قال الثالثه بل و الله كمن استشهد مع رسول الله ص فى فسطاطه و فيكم آيه من كتاب الله و قلت و أى آيه جعلت فداك قال قول الله (عز و جل) «و الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم قال صرتم و الله صادقين شهداء عند ربكم

و قيل إن الشهداء منفصل مما قبله مستأنف و المراد بالشهداء الأنبياء (عليه السلام) الذين يشهدون للأمم و عليهم و هو قول ابن عباس و مسروق و مقاتل بن حيان و اختاره الفراء و الزجاج و قيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله عن مقاتل بن سليمان و ابن جرير «و الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» يبقون فيها دائمين ثم زهد سبحانه المؤمنين فى الدنيا و الركون إلى لذاتها فقال «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» يعنى أن الحياه فى هذه الدار الدنيا «لَعِبٌ وَ لَهْوٌ» أى بمنزله اللهو و اللعب إذ لا بقاء لذلك و لا دوام و يزول عن وشيك كما يزول اللهو و اللعب قال مجاهد كل لعب للهو و قيل اللعب ما رغب فى الدنيا و اللهو ما ألهى عن الآخره «وَ زِينَةٌ» تترنون بها فى الدنيا و قيل أراد بذلك أنها تتحلى فى أعين أهلها ثم تتلاشى «وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ» أى يفاخر الرجل بها قرينه و جاره عن ابن عباس «وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ» قال يجمع ما لا يحل له تكاثرا به و يتناول على أولياء الله بماله و ولده و خدمه و المعنى أنه يفنى عمره فى هذه الأشياء ثم بين سبحانه لهذه الحياه شها فقال «كَمَثَلِ غَيْثٍ» أى مطر «أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ» أى أعجب الكفار بالنبات الذى لا يكون الكفار بالله لأن الكافر أشد إعجابا بالدنيا من غيره «ثُمَّ يَهِيْجُ» أى يبيس «فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا» و هو إذا قارب اليبس «ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا» يتحطم و يتكسر بعد يسه و شرح هذا المثل قد تقدم فى سورة يونس «وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ» لأعداء الله عن مقاتل «وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ» لأولياءه و أهل طاعته «وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» لمن اغتر بها و لم يعمل لآخرته قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخره و من اشتغل بطلبها فهى له متاع بلاغ إلى ما هو خير منه و قيل معناه و العمل للحياه الدنيا متاع الغرور و أنه كهذه الأشياء التى مثل بها فى الزوال و الفناء.

إشارة

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)

القرءاءة

قرأ أبو عمرو بما أتيكم مقصورا و الباقون بالمد و قرأ أهل المدينة و الشام فإن الله الغنى الحميد لأنهم وجدوا في مصاحفهم كذلك و الباقون «فإنَّ الله هُوَ الْغَنِيُّ» بإثبات هو و كذلك هو في مصاحفهم.

الحجج

قال أبو على حججه من قصر أتيكم أنه معادل به فاتكم فكما أن الفعل للفئات في قوله «فاتكم» فكذلك للآتي في قوله «بما آتاكم» قال الشاعر:

ولا فرح بخير إن أتاه ولا جزع من الحدثان لاع

و حجه من مد أن الخير الذى يأتيهم هو من عند الله و هو المعطى لذلك و فاعل آتاكم هو الضمير العائد إلى اسم الله و الهاء محذوفه من الصلة تقديره بما آتاكموه و قوله «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» ينبغى أن يكون هو فصلا و لا يكون مبتدأ لأن الفصل حذفه أسهل ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب و قد يحذف فلا يخل بالمعنى.

اللغة

أعدت مشتقه من العدد و الإعداد وضع الشىء لما يكون فى المستقبل على ما يقتضيه من عدد الأمر الذى له. الفضل و الإفضال واحد و هو النفع الذى كان للقادر أن يفعله بغيره و له أن لا يفعله و الأسى الحزن و التأسى تخفيف الحزن بالمشاركة فى حاله.

الإعراب

«فِي كِتَابٍ» يتعلق بمحذوف تقديره إلا هى كائنه فى كتاب فهو فى محل الرفع بأنه خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يتعلق بفعل محذوف تقديره إلا قد كتبت فى كتاب فيكون الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال أى لا مكتوبه «لِكَيْلَا تَأْسَوْا» تأسوا منصوب بنفس كى و اللام هى اللام الجاره، «الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ» فى موضع جر على البدل من مختال فخور فعلى هذا لا يجوز الوقف على فخور و يجوز أن يكون محله رفعا على الابتداء و يكون خبره محذوفا كما حذف جواب لو من قوله «لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ» و يكون التقدير الذين يبتخلون فإنهم يستحقون العذاب و يجوز أن يكون محله رفعا أو نصبا على الذم.

المعنى

ثم رغب سبحانه فى المسابقه لطلب الجنه فقال «سَابِقُوا» أى بادروا العوارض القاطعه عن الأعمال الصالحه و سارعوا إلى ما يوجب الفوز فى الآخرة «إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» قال الكلبي إلى التوبه و قيل إلى الصف الأول و قيل إلى النبي ص «وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» أى و سابقوا إلى استحقاق ثواب جنه هذه صفتها و ذكر فى ذكر العرض دون الطول وجوه (أحدها) أن عظم العرض يدل على عظم الطول (و الآخر) أن الطول قد يكون بلا عرض و لا يكون عرض بلا طول (و ثالثها) أن المراد به أن العرض مثل السماوات و الأرض و طولها لا يعلمه إلا الله تعالى قال الحسن أن الله يفنى الجنه ثم يعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء و الأرض و قال غيره إن الله قال عرضها كعرض السماء و الأرض و الجنه المخلوقه فى السماء السابعه فلا تنافى «أَعَدَدْتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى ادخرت و هيئت للمؤمنين «بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» معناه أنه يجزى الدائم الباقي على القليل الفانى و لو اقتصر فى الجزاء على قدر ما يستحق بالأعمال كان عدلا منه لكنه تفضل بالزيادة و قيل معناه أن أحدا لا ينال خيرا فى الدنيا

و الآخره إلا- بفضل الله فإنه سبحانه لو و لم يدعنا إلى الطاعة و لم يبين لنا الطريق و لم يوفقنا للعمل الصالح لما اهتدينا إليه و ذلك كله من فضل الله و أيضا فإنه سبحانه تفضل بالأسباب التي يفعل بها الطاعة من التمكين و الألفاظ و كمال العقل و عرض المكلف للثواب فالتكليف أيضا تفضل و هو السبب الموصل إلى الثواب و قال أبو القاسم البلخي و البغداديون من أهل العدل إن الله سبحانه و تعالى لو اقتصر لعباده في طاعاتهم على مجرد إحساناته السالفه إليهم لكان عدلا فلماذا جعل سبحانه الثواب و الجنة فضلا و في هذه الآيه أعظم رجاء لأهل الإيمان لأنه ذكر أن الجنة معه للمؤمنين و لم يذكر مع الإيمان شيئا آخر «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» أى ذو الإفضال العميم و الإحسان الجسيم إلى عباده ثم قال «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ» مثل قحط المطر و قلة النبات و نقص الثمرات «وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ» من الأمراض و الثكل بالأولاد «إِلَّا فِي كِتَابٍ» يعنى إلا و هو مثبت مذكور فى اللوح المحفوظ «مَنْ قَبِلَ أَنْ نَبْرَأَهَا» قبل أن أى من يخلق الأنفس ليستدل ملائكته به على أنه عالم لذاته يعلم الأشياء بحقائقها «إِنَّ ذِيكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أى إثبات ذلك على كثرته هين على الله يسير سهل غير عسير ثم بين سبحانه لم فعل لذلك فقال «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ» أى فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا «وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» أى بما أعطاكم الله منها و الذى يوجب نفى الأسى و الفرح من هذا أن الإنسان إذا علم أن ما فأت منها ضمن الله تعالى عليه العوض فى الآخره فلا ينبغى أن يحزن لذلك و إذا علم أن ما ناله منها كلف الشكر عليه و الحقوق الواجبه فيه فلا ينبغى أن يفرح به و أيضا فإذا علم أن شيئا منها لا يبقى فلا ينبغى أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخره التى تدوم و لا تبيد و فى هذه الآيه إشاره إلى أربعة أشياء (الأول) حسن الخلق لأن من استوى عنده وجود الدنيا و عدمها لا يحسد و لا يعادى و لا يشاح فإن هذه من أسباب سوء الخلق و هى من نتائج حب الدنيا (و ثانيها) استحقاق الدنيا و أهلها إذا لم يفرح بوجودها و لم يحزن لعدمها (و ثالثها) تعظيم الآخره لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب (و رابعها) الافتخار بالله دون أسباب الدنيا و

يروى أن على بن الحسين (عليه السلام) جاءه رجل فقال له ما الزهد فقال الزهد عشره أجزاء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع و أعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين و أعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضاء و إن الزهد كله فى آيه من كتاب الله «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»

و قيل لبزرجمهر ما لك أيها الحكيم لا تأسف على ما فأت و لا تفرح بما هو آت فقال إن الفائت لا يتلافى بالعبره

و الآتى لا يستدام بالخبره و عن عبد الله بن مسعود قال لئن جمره الحسره أحرقت ما أحرقت و أبتقت ما أبتقت أحب إلى من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» أى متكبر بما أوتى فخور على الناس بالدنيا «الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ» بمنع الواجبات «وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ» و

فى الحديث أن النبى ص سأل عن سيد بنى عوف فقالوا جد بن قيس على أنه يزن بالبخل فقال ص و أى داء أدوى من البخل سيدكم البراء بن معرور

و معنى يزن يتهم و يقرف «وَمَنْ يَتَوَلَّ» أى يعرض عما دعاه الله إليه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ» عنه و عن طاعته و صدقته «الْحَمِيدُ» فى جميع أفعاله ثم أقسم سبحانه فقال «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالدلائل و المعجزات «وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ» المكتوب الذى يتضمن الأحكام و ما يحتاج إليه الخلق من الحلال و الحرام كالتوراه و الإنجيل و القرآن «وَالْمِيزَانَ» أى و أنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذى يوزن به عن ابن زيد و الجبائى و مقاتل بن سليمان و قيل معناه أنزلنا صفه الميزان «لِيُقِيمَ النَّاسُ» فى معاملاتهم «بِالْقِسْطِ» أى بالعدل و المراد و أمرنا بالعدل كقوله الله الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ عن قتاده و مقاتل بن حيان «وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ»

روى عن ابن عمر عن رسول الله ص قال إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد و النار و الماء و الملح

و قال أهل المعانى معنى أنزلنا الحديد أنشأناه و أحدثناه كقوله «وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَائِيهِ أَزْوَاجٍ» و إلى هذا ذهب مقاتل فقال معناه بأمرنا كان الحديد و قال قطرب معنى أنزلنا هنا هيأنا و خلقنا من النزل و هو ما يهيا للضيف أى أنعمنا بالحديد و هيأناه لكم و قيل أنزل مع آدم من الحديد العلاء و هى السندان و الكلبتان و المطرقة عن ابن عباس «فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» أى يمتنع به و يحارب به عن الزجاج و المعنى أنه يتخذ منه آلتان آله للدفع و آله للضرب كما قال مجاهد فيه جنه و سلاح «وَمَنَافِعِ لِلنَّاسِ» يعنى ما ينتفعون به فى معاشهم مثل السكين و الفأس و الإبره و غيرها مما يتخذ من الحديد من الآلات و قوله «وَلِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَنِ يُصِيرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ» معطوف على قوله «لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» أى ليعاملوا بالعدل و ليعلم الله نصره من ينصره موجوده و جهاد من جاهد مع رسوله موجودا و قوله «بِالْغَيْبِ» أى بالعلم الواقع بالاستدلال و النظر من غير مشاهدته بالبصر «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ» على الانتقام من أعدائه «عَزِيزٌ» أى منيع من أن يعترض عليه فى أرضه و سمائه.

وجه اتصال قوله و «ما أصاب من مُصِيبَةٍ» الآية بما قبلها أنه سبحانه لما بين الثواب على الطاعات عقبه ببيان الأعواض على مقاساه المصائب و الملمات فقال لا يذهب علينا عوض من أصابته مصيبه ما فإن كانت من فعلنا نعوضه بالأضعاف من جزائنا و إن كان من فعل عبادنا فباستيفائنا ذلك منهم ثم أكد ذلك بقوله «لِكَيْلَا تَأْسَوْا» الآية لأن المصيبه لو كانت بغير عوض فى العاقبه لازداد الأسى و الحزن فإن الحزن كل الحزن فى الخسران الذى ليس له جبران ثم عقب ذلك بقوله «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» الآية فبين أنه سبحانه لطف لعباده بما يدعو إلى الخشوع و الخضوع و ترك الخيلاء.

[سوره الحديد (٥٧): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

اللغه

التقفيه جعل الشىء فى إثر شىء على الاستمرار فيه و لهذا قيل لمقاطع الشعر

قواف إذ كانت تتبع البيت على إثره مستمره فى غيره على منهاجه و الرهبانيه أصلها من الرهبه و هى الخوف إلا- أنها عباده
مختصه بالنصارى

لقول النبى ص لا رهبانيه فى الإسلام

و الابتداءع ابتداء أمر لم يحتد فيه على مثال و منه البدعه إذ هى إحداث أمر على خلاف السنه و الكفل الحظ و منه الكفل الذى
يتكفل به الراكب و هو كساء أو نحوه يحويها على الإبل إذا أراد أن يرقد فيه فيحفظه من السقوط ففيه حظ من التحرز من
الوقوع.

الإعراب

و رهبانيه منصوب بفعل مضمر يفسره قوله «ابْتَدَعُوهَا» التقدير و ابتدعوا رهبانيه ابتدعوها و قوله «ما كَتَبْنَاها عَلَيْهِمْ» فى محل
النصب لأنه صفة لرهبانيه. «ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ» نصب لأنه بدل من ها فى كتبناها و التقدير كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله أى
اتباع أوامره و لم نكتب عليهم الرهبانيه و لا- فى «لَيْلًا يَعْلَمُ» زائده و أن فى «أَلَّا يَقْدِرُونَ» مخففه من الثقيله و اسمه محذوف و
تقديره أنهم لا يقدرُونَ و لا هنا يدل على الإضمار فى أن مع تخفيف أن.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الأنبياء بقصه إبراهيم (عليه السلام) و نوح (عليه السلام) فقال سبحانه «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَ إِبْرَاهِيمَ» و إنما خصهما بالذكر لفضلهما و لأنهما أبوا الأنبياء «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ» يعنى أن الأنبياء كلهم من
نسلهما و ذريتهما و عليهم أنزل الكتاب ثم أخبر عن حال ذريتهما فقال «فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ» إلى طريق الحق «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» أى
خارجون عن طاعة الله إلى معصيته «ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرِيسُلِنَا» أى ثم اتبعنا بالإرسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء برسل
آخرين إلى قوم آخرين و أنفدناهم رسولا بعد رسول «وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» بعدهم فأرسلناه رسولا «وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ» أى و
أعطينا عيسى بن مريم الإنجيل «وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» فى دينه يعنى الحواريين و أتباعهم اتبعوا عيسى «رَأْفَةً» و هى أشد
الرقه «وَ رَحْمَةً» و إنما أضاف الرأفة و الرحمة إلى نفسه لأنه سبحانه جعل فى قلوبهم الرأفة و الرحمة بالأمر به و الترغيب فيه و
وعد الثواب عليه و قيل لأنه خلق فى قلوبهم الرأفة و الرحمة و إنما مدحهم على ذلك و إن كان من فعله لأنهم تعرضوا لهما «وَ
رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ما كَتَبْنَاها عَلَيْهِمْ» و هى الخصلة من العباده يظهر فيها معنى الرهبه إما فى كنيسة أو انفراد عن الجماعه أو غير
ذلك من الأمور التى يظهر فيها نسك صاحبه و المعنى ابتدعوا رهبانيه لم نكتبها عليهم و قيل إن الرهبانيه التى ابتدعوها هى
رفض النساء و اتخاذ الصوامع عن قتاده قال و تقديره

و رهبانيه ما كتبناها عليهم «إِلَّا» إنهم اتبعوها «ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا» و

قيل أن الرهبانيه التي ابتدعوها لحاقهم بالبرارى و الجبال فى خبر مرفوع عن النبى ص

فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها و ذلك لتكذيبهم بمحمد ص عن ابن عباس و قيل إن الرهبانيه هى الانقطاع عن الناس للانفراد بالعباده «ما كَتَبْنَاهَا» أى ما فرضناها عليهم و قال الزجاج إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله و ابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به فهذا وجه قال و فيها وجه آخر جاء فى التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا أسرابا و صوامع و ابتدعوا ذلك فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع و دخلوا عليه لزمهم تمامه كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه أن يتمه قال و قوله «فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا» على ضربين (أحدهما) أن يكونوا قصرُوا فيما ألزموه أنفسهم (و الآخر) و هو الأ-جود أن يكونوا حين بعث النبى ص فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعه الله فما رعوا تلك الرهبانيه حق رعايتها و دليل ذلك قوله «فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ» يعنى الذين آمنوا بالنبى ص «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» أى كافرون انتهى كلام الزجاج و يعضد هذا ما

جاءت به الروايه عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله ص على حمار فقال يا ابن أم عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانيه فقلت الله و رسوله أعلم فقال ظهرت عليهم الجباره بعد عيسى يعملون بمعاصى الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا و لم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق فى الأرض إلى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا به عيسى (عليه السلام) يعنون محمدا ص فتفرقوا فى غيران الجبال و أحدثوا رهبانيه فمنهم من تمسك بدينه و منهم من كفر ثم تلا هذه الآيه «وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» إلى آخرها ثم قال يا ابن أم عبد أ تدري ما رهبانيه أمتى قلت الله و رسوله أعلم قال الهجره و الجهاد و الصلاه و الصوم و الحج و العمره

و

عن ابن مسعود قال دخلت على النبى ص فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين و سبعين فرقه نجا منها اثنتان و هلك سائرهن فرقه قاتلوا الملوكة على دين عيسى (عليه السلام) فقتلوهم و فرقه لم تكن لهم طاقه لموازاه الملوكة و لا- أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله تعالى و دين عيسى (عليه السلام) فساحوا فى البلاد و تهربوا و هم الذين قال الله لهم «وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» ثم قال النبى ص من آمن بى و صدقنى و اتبعنى فقد رعاها حق رعايتها و من لم يؤمن بى فأولئك هم الهالكون

ثم قال سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى اعترفوا بتوحيد الله و صدقوا بموسى و عيسى (عليه السلام) «اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ» محمد ص عن ابن عباس و قيل معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهرا آمنوا باطنا «يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ» أى يؤتكم

نصيبين «مِنْ رَحْمَتِهِ» نصيباً لإيمانكم بمن تقدم من الأنبياء و نصيباً لإيمانكم بمحمد ص عن ابن عباس «وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ» أى هدى تهتدون به عن مجاهد و قيل النور القرآن و فيه الأدله على كل حق و البيان لكل خير و به يستحق الضياء الذى يمشى به يوم القيامة عن ابن عباس «وَيَغْفِرُ لَكُمْ» أى و يستر عليكم ذنوبكم «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» قال سعيد بن جبير بعث رسول الله ص جعفرًا فى سبعين راكبًا إلى النجاشى يدعوه فقدم عليه و دعاه فاستجاب له و آمن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته و هم أربعون رجلاً ائذن لنا فنأتى هذا النبى فسلم به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله ص و قالوا يا نبى الله إن لنا أموالاً و نحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن أذنت لنا انصرفنا فحجنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ» إلى قوله «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» فكانت النفقه التى واسوا بها المسلمين فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» بما صبروا فخرُوا على المسلمين فقالوا يا معشر المسلمين أما من آمن بكتابكم و كتابنا فله أجران و من آمن منا بكتابنا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا فنزل قوله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ» الآية فجعل لهم أجرين و زادهم النور و المغفرة ثم قال «لِيَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ» و قال الكلبي كان هؤلاء أربعة و عشرين رجلاً قدموا من اليمن على رسول الله ص و هو بمكة لم يكونوا يهوداً و لا نصارى و كانوا على دين الأنبياء فأسلموا فقال لهم أبو جهل بشس القوم أنتم و الوفد لقومكم فردوا عليه و ما لنا لا- نُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْآيَةَ فجعل الله لهم و لمؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام و أصحابه أجرين اثنين فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله ص و يقولون نحن أفضل منكم لنا أجران و لكم أجر واحد فنزل «لِيَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ» إلى آخر السوره و

روى عن رسول الله ص أنه قال من كانت له أمه فعلمها فأحسن تعليمها و أدبها فأحسن تأديبها و أعتقها و تزوجها فله أجران و أيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه (عليه السلام) و آمن بمحمد ص فله أجران و أيما مملوك أدى حق الله و حق مواليه فله أجران أورده البخارى و مسلم فى الصحيح

«لِيَلَّا يَعْلَمَ» أى لأن يعلم و لا مزیده «أَهْلُ الْكِتَابِ» يعنى الذين لم يؤمنوا بمحمد ص و حسدوا المؤمنين منهم «أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» و أن هذه

هى المخففه من الثقيله و التقدير أنهم لا يقدرّون و معناه جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد ص ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم و لا- نصيب لهم فى فضل الله «وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» فأتى المؤمنين منهم أجرين «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين و قيل إن المراد بفضل الله هنا النبوه أى لا يقدرّون على نبوه الأنبياء و لا على صرفها عن من شاء الله أن يخصه بها فيصرفونها عن محمد ص إلى من يحبونه بل هى بيد الله يعطيها من يشاء ممن هو أهلها و يعلم أنه يصلح لها و قيل إنما تدخل لا صلّه فى كل كلام دخل فى أواخره أو أوائله جحد و إن لم يكن مصرحا به نحو قوله «ما مَنَعَكَ أَلَّا تَشِيْجِدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» «وَ مَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ» «وَ حَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» عن الفراء و قيل أن لا- هنا فى حكم الثبات و المعنى لأن لا يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرّون أن يؤمنوا لأن من لا يعلم أنه لا يقدر يعلم أنه يقدر فعلى هذا يكون المراد لكى يعلموا أنهم يقدرّون على أن يؤمنوا فيحوزوا الفضل و الثواب و قيل إن معناه لثلا- يعلم اليهود و النصرارى أن النبى ص و المؤمنين لا يقدرّون على ذلك فقد علموا أنهم لا يقدرّون عليه أى إن آمنتم كما أمركم الله آتاكم الله من فضله فعلم أهل الكتاب خلافه و على هذا فالضمير فى يقدرّون ليس لأهل و قال أبو سعيد السيرافى معناه أن الله يفعل بكم هذه الأشياء لثلا يعلم أى ليتبين جهل أهل الكتاب و أنهم لا يعلمون أن ما يؤتيكم الله من فضله لا يقدرّون على تغييره و إزالته عنكم ففى هذه الوجوه لا يحتاج إلى زياده لا.

(٥٨) سورة المجادلة مدنيه و آياتها ثنتان و عشرون (٢٢)

اشاره

عدد آياتها

إحدى و عشرون آيه مكى و المدنى الأخير و آيتان فى الباين.

اختلافها

آيه «فِي الْأَذْلَيْنِ» غير المكى و المدنى الأخير.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده افتتح هذه السوره بذكر بيان فضله فى إجابته الدعوه كما أجاب دعاء تلك المرأة فقال:

ص: ٣٧٠

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي اِلَى اللّٰهِ وَ اللّٰهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا اِنَّ اللّٰهَ سَمِیْعٌ بَصِیْرٌ (۱) الَّذِيْنَ يُظَاهِرُوْنَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ اُمَّهَاتُهُمْ اِنَّ اُمَّهَاتِهِمْ اِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُوْنَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا وَإِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُوْرٌ (۲) وَ الَّذِيْنَ يُظَاهِرُوْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُوْدُوْنَ لِمَا قَالُوْا فَتَحْرِیْرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَّتَمَّاسَا ذٰلِكُمْ تُوعَظُوْنَ بِهٖ وَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِیْرٌ (۳) فَمَنْ لَّمْ یَجِدْ فَصِيَّامٌ شَهْرِيْنَ مُتَتَابِعِيْنَ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَّتَمَّاسَا فَمَنْ لَّمْ یَسْتَطِعْ فَاِطْعَامٌ سِتِّیْنَ مِسْكِیْنَ ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوْا بِاللّٰهِ وَ رَسُوْلِهِ وَ تَلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ وَ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابٌ اَلِیْمٌ (۴)

اِنَّ الَّذِيْنَ یُحَادُّوْنَ اللّٰهَ وَ رَسُوْلَهُ كُتِبَتْ اَلَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ قَبْلِ اللّٰهِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ اَنْزَلْنَا آیَاتٍ بَیِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابٌ مُّهِیْنٌ (۵)

القراءه

قرأ عاصم «يُظَاهِرُونَ» بضم الياء و تخفيف الظاء وقرأ أهل البصره و ابن كثير يظهرهون بتشديد الظاء و الهاء و فتح الياء وقرأ الباقون يظهرهون بفتح الياء و تشديد الظاء و روى عن بعضهم ما هن أمهاتهم برفع التاء.

الحجه

قال أبو على ظاهر من امرأته و ظهر مثل ضاعف و ضعف و تدخل التاء على كل واحد منهما فيصير تظاهر و تظهر و يدخل حرف المضارعه فيصير يتظاهر و يتظهر ثم تدغم الطاء في الظاء لمقاربتها لها فتصير يظهر و يظهر بفتح الياء التي هي حرف المضارعه لأنها للمطاوعه كما تفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج و وجه الرفع في قوله (ما هن أمهاتهم) أنه لغه بنى تميم قال سيبويه و هو أقيس الوجهين و ذلك أن النفي كالأستفهام فكما لا- يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ينبغى أن لا يغيره النفي عما كان عليه في الواجب و وجه النصب أنه لغه أهل الحجاز و الأخذ بلغتهم في القرآن أولى و عليها جاء ما هذا بَشْرًا.

اللغه

الاشتكاء إظهار ما بالإنسان من مكروه و الشكايه إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه و التحاور التراجع و هي المحاوره يقال حاوره محاوره أى راجعه الكلام و تحاورا قال عترة:

لو كان يدري ما المحاوره اشتكى و لكان لو علم الكلام مكلمى

و المحاده المخالفه و أصله من الحد و هو المنع و منه الحد الحاجز بين الشئين قال النابغه:

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البريه فاحدها عن الفند

الكبت مصدر كبت الله العدو أى أذله و أخزاه.

النزول

نزلت الآيات فى امرأه من الأنصار ثم من الخزرج و اسمها خوله بنت خويلد عن ابن عباس و قيل خوله بنت ثعلبه عن قتاده و مقاتل و زوجها أوس بن الصامت و ذلك أنها كانت حسنه الجسم فرآها زوجها ساجده فى صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها و كان امرءا فيه سرعه و لم يبق لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ما قال و كان الظهار من طلاق أهل الجاهليه فقال لها ما أظنك إلا و قد حرمت على فقالت لا تقل ذلك و ائت رسول الله ص فاسأله فقال إنى أجد أنى أستحيى منه أن أسأله عن هذا قالت فدعنى أسأله فقال سئله فأتت النبى ص و عائشه تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى و أنا شابه غانيه ذات مال و أهل حتى إذا كل مالى و أفنى شبابى و تفرق أهلى و كبرت سننى ظاهر منى و قد ندم فهل من شىء يجمعنى و إياه فتعشنى به فقال ص ما أراك إلا حرمت عليه فقالت يا رسول الله و الذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا و أنه أبو ولدى و أحب الناس إلى فقال ص ما أراك إلا حرمت عليه و لم أومر فى شأنك بشىء فجعلت تراجع رسول الله ص و إذا قال لها رسول الله ص حرمت عليه هتفت و قالت أشكو إلى الله فاقتنى و حاجتنى و شده حالى اللهم فأنزل على لسان نبيك و كان هذا أول ظهار فى الإسلام فقامت عائشه تغسل شق رأسه الآخر فقالت أنظر فى أمرى جعلنى الله فداك يا نبى الله فقالت عائشه أقصرى حديثك و مجادلتك أ ما ترين وجه رسول الله ص و كان ص إذا نزل عليه الوحي أخذته مثل السبات فلما قضى الوحي قال ادعى زوجك فتلا عليه رسول الله ص «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» إلى تمام الآيات قالت عائشه تبارك الذى وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأه لتحاور رسول الله ص و أنا فى ناحيه البيت أسمع بعض كلامها و يخفى على بعضه إذ أنزل الله «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ» فلما تلا عليه هذه الآيات قال له هل تستطيع أن تعتق رقبه قال إذا يذهب مالى كله و الرقبه غاليه و أنى قليل المال فقال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين فقال و الله يا رسول الله إنى إذا لم آكل ثلاث مرات كل بصرى و خشيت أن تغشى عيني قال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا قال لا- و الله إلا- أن تعيننى على ذلك يا رسول الله فقال إنى معينك بخمسه عشر صاعا و أنا داع لك بالبركه فأعانه رسول الله ص بخمسه عشر صاعا فدعا له البركه فاجتمع لهما أمرهما.

المعنى

«قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» أى تراجعك فى أمر زوجها

ص: ٣٧٢

عن أبي العالیه «وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» و تظهر شكواها و ما بها من المكروه فتقول اللهم إنك تعلم حالى فارحمنى فإن لى صبيه صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا و إن ضممتهم إلى جاعوا «وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا» أى تخاطبكما و مراجعتكما الكلام «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» أى يسمع المسموعات و يرى المرئيات و السميع البصير من هو على حاله يجب لأجلها أن يسمع المسموعات و يبصر المبصرات إذا وجدتا و ذلك يرجع إلى كونه حيا لا آفه به ثم قال سبحانه يذم الظهار «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ» أى يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا «مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ» أى ما اللواتى تجعلونهن من الزوجات كالأمهات بأمهات أى لسن بأمهاتهم «إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلِمَدَنَّهُمْ» أى ما أمهاتهم إلا- الوالدات «وَإِنَّهُنَّ» يعنى المظاهرين «لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ» لا يعرف فى الشرع «وَزُورًا» أى كذبا لأن المظاهر إذا جعل ظهر امرأته كظهر أمه و ليست كذلك كان كاذبا «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ» عفا عنهم و غفر لهم و أمرهم بالكفاره ثم بين سبحانه حكم الظهار فقال «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ» يعنى الذين يقولون القول الذى حكيناه «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» اختلف المفسرون و الفقهاء فى معنى العود هنا فقليل إنه العزم على وطئها عن قتاده و هو مذهب مالك و أبى حنيفة و قيل العود هو أن يمسكها بالعقد و لا يتبع الظهار بطلاق و ذلك أنه إذا ظاهر منها فقد قصد التحريم فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه و لا كفاره و إذا سكت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلق فيه فذلك الندم منه على ما ابتدأه و هو عود إلى ما كان عليه فحينئذ تجب الكفاره و هو مذهب الشافعى و استدل على ذلك بما روى عن ابن عباس أنه فسر العود فى الآيه بالندم فقال يندمون و يرجعون إلى الألفه و قال الفراء يعودون لما قالوا و إلى ما قالوا و فيما قالوا معناه يرجعون عما قالوا يقال عاد لما فعل أى نقض ما فعل و يجوز أن يقال عاد لما فعل يريد فعله مره أخرى و قيل إن العود هو أن يكرر لفظ الظهار عن أبى العالیه و هو مذهب أهل الظاهر و احتجوا بأن ظاهر لفظ العود يدل على تكرير القول قال أبو على الفارسى ليس فى هذا ظاهر كما ادعوا لأن العود قد يكون إلى شىء عليه قبل و قد سميت الآخره معادا و لم يكن فيها أحد ثم صار إليها و قال الأ-خفش تقدير الآيه و الذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبه لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم أى فعليهم تحرير رقبه لما نطقوا به من ذكر التحريم. و التقديم و التأخير كثير فى التنزيل و أما ما ذهب إليه أئمه الهدى من آل محمد ص فهو أن المراد بالعود إرادته الوطاء و نقض القول الذى قاله فإن الوطاء لا يجوز له إلا بعد الكفاره و لا يبطل حكم قوله الأول إلا- بعد الكفاره «فَتَحْرِيرُ رَقَبِهِ» أى فعليهم تحرير رقبه «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا» أى من قبل أن يجامعها فیتماسا و التحرير هو أن يجعل الرقبه المملوكه حره بالعق بآن يقول

المالك لمن يملكه أنت حر «ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ» أى ذلكم التغليظ فى الكفاره توعظون به أى أن غلظ الكفاره وعظ لكم حتى تتركوا الظهار قاله الزجاج «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عليم بأعمالكم فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفاره قبل الوطء فيعاقبكم عليه «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا» أى فمن لم يجد الرقبه فعليه صيام شهرين متتابعين قبل الجماع و التابع عند أكثر الفقهاء أن يوالى بين أيام الشهرين الهلاليين أو يصوم ستين يوما و قال أصحابنا أنه إذا صام شهرا و من الثانى شيئا و لو يوما واحدا ثم أفطر لغير عذر فقد أخطأ إلا أنه يبنى عليه و لا يلزمه الاستئناف و إن أفطر قبل ذلك استأنف و متى بدأ بالصوم و صام بعض ذلك ثم وجد الرقبه لا يلزمه الرجوع إليها و إن رجح كان أفضل و قال قوم أنه يلزمه الرجوع إلى العتق و قوله «فَمَنْ لَمْ يَسِدْ تَطْعَ فِإِطْعَامِ سِتِّينَ مِسْكِينًا» أى فمن لم يطق الصوم لعله أو كبر فإطعام ستين مسكينا فعليه إطعام ستين فقيرا لكل مسكين نصف صاع عند أصحابنا فإن لم يقدر فمد «ذَلِكَ» أى افترض ذلك الذى وصفناه «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى لتصدقوا بما أتى به الرسول و تصدقوا بأن الله أمر به «وَ تَلْعَكَ حُيُودُ اللَّهِ» يعنى ما وصفه من الكفارات فى الظهار أى هى شرائع الله و أحكامه «وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى و للجاحدين المتعددين حدود الله عذاب مؤلم فى الآخرة «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى يخالفون أمر الله و يعادون رسوله «كُتِبُوا» أى أذلوا و أخزوا «كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى كما أخزى الذين من قبلهم من أهل الشرك «وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» أى حججا واضحات من القرآن و ما فيه من الأدله و البيان «وَ لِلْكَافِرِينَ» الجاحدين لما أنزلناه «عَذَابٌ مُهِينٌ» يهينهم و يخزيهم فأما الكلام فى مسائل الظهار و فروعها فموضعه كتب الفقه.

إشارة

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ إِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُنَا جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللَّيْلِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ تَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَ التَّقْوَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر وحده ما تكون بالتاء و الباقون بالياء و قرأ يعقوب و سهل و لا أكثر بالرفع و الباقون بالنصب و قرأ حمزه و رويس عن يعقوب ينتجون و الباقون «يَتَنَاجُونَ» و قرأ رويس أيضا فلا تنجوا.

الحجج

قال ابن جنى التذكير فى قوله «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ» هو الوجه لما هناك من الشيعاء و عموم الجنسيه كقولك ما جاءنى من امرأه و ما حضرنى من جاريه و أما تكون بالتاء فلاعتزام لفظ التأنيث حتى كأنه قال ما تكون نجوى ثلاثة و قوله و لا أكثر بالرفع معطوف على محل الكلام قبل دخول من فإن قوله «مِنْ نَجْوَى» فى محل رفع بأنه فاعل يكون و من زائده و القراءة الظاهره أكثر بالفتح فى موضع الجر و قوله (ينتجون) يفتعلون من النجوى و النجوى مصدر كالدعوى و العدوى و مثل ذلك فى أنه على فعلى التقوى إلا أن الواو فيها مبدله و ليست بلام و لما كان مصدرا وقع للجمع على لفظ الواحد فى قوله تعالى: «إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى» أى هم ذوو نجوى و قوله «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ» قال أبو على: ثلاثه يحتمل جره أمرين (أحدهما) أن يكون مجرورا بإضافه نجوى إليه كأنه ما يكون من أسرار ثلاثه إلا هو رابعهم أى لا يخفى عليه ذلك كما قال أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ و يجوز أن يكون ثلاثه جرا على الصفة على قياس قوله تعالى «وَ إِذْ هُمْ

نَجْوَى» فيكون المعنى ما يكون من متناجين ثلاثة و أما النجى فصفه تقع على الكثره كالصديق و الرفيق و الحميم و مثله الغرى و فى التنزيل خَلَصُوا نَجِيًّا و أما قول حمزه ينتجون و قول سائرهم متناجون فإن يفتعلون و يتفاعلون قد يجريان مجرى واحد و من ثم قالوا ازدوجوا و اعتوروا فصحوا الواو و إن كانت على صورته يجب فيها الاعتلال لما كان بمعنى تعاوروا و تزاوجوا كما صح عور و حول لما كان بمعنى أفعال و يشهد لقراءه حمزه

قول النبى ص فى على صلوات الرحمن عليه لما قال له بعض أصحاب أ تناجيه دوننا قال ما أنا انتجيته بل الله انتجاه.

اللغة

النجوى هى أسرار ما يرفع كل واحد إلى آخر و أصله من النجوه الارتفاع من الأرض و النجاء الارتفاع فى السير و النجاء الارتفاع من البلاء.

الإعراب

«هُوَ رَابِعُهُمْ» مبتدأ و خبر فى محل جر بأنه صفه ثلاثة و تقول فلان رابع أربعة إذا كان واحد أربعة و رابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة أربعة بكونه معهم و يجوز على هذا أن يقال رابع ثلاثة و لا يجوز رابع أربعة لأنه ليس فيه معنى الفعل. «حَسِبْتُهُمْ جَهَنَّمَ» مبتدأ و خبر و «يَصْلَوْنَهَا» فى موضع نصب على الحال.

النزول

قال ابن عباس نزل قوله «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» الآية فى اليهود و المنافقين أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين و ينظرون إلى المؤمنين و يتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا- و قد بلغهم عن أقربائنا و إخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل أو مصيبه أو هزيمة فيقع ذلك فى قلوبهم و يحزنهم فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ص فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك و عادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية.

المعنى

ثم بين سبحانه وقت ذلك العذاب فقال «يَوْمَ يَعْتَنُّهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا» أى يحشرهم إلى أرض المحشر و يعيدهم أحياء «فَيَبْتَلِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا» أى يخبرهم و يعلمهم بما عملوه من المعاصى فى دار الدنيا «أَحْصَاءُ اللَّهِ» عليهم و أثبتته فى كتاب أعمالهم «و نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» معناه أنه يعلم الأشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شىء منها و منه قوله «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى علم الله ثم بين سبحانه أنه يعلم ما يكون فى العالم فقال «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ» يعنى جميع المعلومات و الخطاب للنبى ص و المراد جميع المكلفين و هو استفهام معناه التقرير أى أ لم

تعلم وقيل أ لم تر إلى الدلالات المرثيه من صنعته الداله على أنه عالم بجميع المعلومات «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ» بالعلم يعنى أن نجواهم معلومه عنده كما تكون معلومه عند الرابع الذى هو معهم وقيل السرار ما كان بين اثنين و النجوى ما كان بين ثلاثة و قال بعضهم النجوى كل حديث كان سرا أو علانيه و هو اسم للشىء الذى يتناجى به «وَلَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسِيُّهُمْ» أى و لا يتناجى خمسه إلا- و هو عالم بسرهم كسادس معهم «وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا» المعنى أنه عالم بأحوالهم و جميع متصرفاتهم فرادى و عند الاجتماع لا يخفى عليه شىء منها فكأنما هو معهم و مشاهد لهم و على هذا يقال إن الله مع الإنسان حيثما كان لأنه إذا كان عالما به لا يخفى عليه شىء من أمره حسن هذا الإطلاق لما فيه من البيان فأما أن يكون معهم على طريق المجاوره فذلك محال لأنه من صفات الأجسام و قد دلت الأدله على أنه ليس بصفات الأجسام «ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يخبرهم بأعمالهم «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لا يخفى عليه خافيه «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» أى أ لم تعلم حال الذين نهوا عن المناجاة و أسرار الكلام بينهم دون المسلمين بما يغم المسلمين و يحزنهم و هم اليهود و المنافقون «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» يعنى إلى ما نهوا عنه أى يرجعون إلى المناجاة بعد النهى «وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللِّأِثْمِ وَالْعِيْدَانِ» فى مخالفه الرسول و هو قوله «وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» و ذلك أنه نهاهم عن النجوى فعصوه و يجوز أن يكون الإيثم و العدوان ذلك السر الذى يجرى بينهم لأنه شىء يسوء المسلمين و يوصى بعضهم بعضا بترك أمر الرسول و المعصيه له «وَأِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ» و ذلك أن اليهود كانوا يأتون النبى ص فيقولون السام عليك و السام الموت و هم يوهمونه أنهم يقولون السلام عليك و كان النبى ص يرد على من قال ذلك فيقول و عليك و قال الحسن كان اليهودى يقول السام عليك أى إنكم ستسامون دينكم هذا و تملونه فتدعونوه و من قال السام الموت فهو سام الحياه بذهابها «وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ» أى يقول بعضهم لبعض و قيل معناه أنهم لو تكلموا لقالوا هذا الكلام و إن لم يكن منهم قول «لَوْ لَا يَعِذُّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ» أى يقولون لو كان هذا نبيا كما يزعم فهلا يعذبنا الله و لا يستجيب له فينا قوله و عليكم يعنى السام و هو الموت فقال سبحانه «حَسْبُهُمْ» أى كافيههم «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا» يوم القيامة و يحترقون فيها «فَبئسَ الْمَصِيرُ» أى فبئس المرجع و المال جهنم لما فيها من أنواع العذاب و النكال ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللِّأِثْمِ وَالْعِيْدَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» أى لا تفعلوا كفعل المنافقين و اليهود «وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَ التَّقْوَى» أى بأفعال الخير و الطاعه و الخوف من

عذاب الله و اتقاء معاصى الله «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ» أى إلى جزائه «تُحْشَرُونَ» يوم القيامة «إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ» يعنى نجوى المنافقين و الكفار بما يسوء المؤمنين و يغمهم من وساوس الشيطان و بدعائه و إغوائه يفعل ذلك النجوى «لِيُحْزِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً» أى نجواهم لا يضرهم شيئاً و قيل إن الشيطان لا يضرهم شيئاً «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» يعنى بعلم الله و قيل بأمر الله لأن سببه بأمره و هو الجهاد و خروجهم إليه و قيل بأمر الله لأنه يلحقهم الآلام و الأمراض عقيب ذلك «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» فى جميع أمورهم دون غيره و قيل إن الآيه المراد بها أحلام المنام التى يراها الإنسان فى نومه فيحزنه و

ورد فى الخبر عن عبد الله بن مسعود قال قال النبى ص إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه

و

عن ابن عمر عنه قال لا يتناج اثنان دون الثالث.

ص: ٣٧٨

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأْفِسِّحُوا بِنُصْحِ اللَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا فَمَا نَشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدْقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَسْأَلْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥)

القرءاءه

قرأ عاصم وحده «فِي الْمَجَالِسِ» على الجمع و الباكون في المجلس على التوحيد وقرأ أهل المدينة و ابن عامر و عاصم غير يحيى مختلف عنه قيل انشروا فانشروا بالضم و الباكون بالكسر.

الحجه

قال أبو علي في المجلس زعموا أنه مجلس رسول الله ص و إذا كان كذلك فالوجه الأفراد و يجوز أن يجمع على هذا على أن يجعل لكل جالس مجلس أى موضع جلوس و يكون المجلس على إرادته العموم مثل قولهم كثر الدينار و الدرهم فيشتمل على هذا جميع المجالس و مثله قوله إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ و قوله «انشُرُوا» أى قوموا و النشز المرتفع من الأرض قال:

ترى الثعلب الحولى فيها كأنه إذا ما علا نشز أ حصان مجلل

و منه نشوز المرأه على زوجها و ينشز و ينشز مثل يعكف و يعكف و يعرش و يعرش.

اللغه

التفسح الاتساع فى المكان و التفسح و التوسع واحد و فسح له فى المجلس يفسح فسحا و مكان فسيح و فى صفه النبى ص كان فسيح ما بين المنكبين أى بعيد ما بينهما لسعه صلبه و الإشفاق الخوف و رقه القلب و النشوز الارتفاع عن الشىء بالذهاب عنه.

النزول

قال قتاده كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله ص فإذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ص فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض و قال المقاتلان كان رسول الله ص فى الصفه و فى المكان ضيق و ذلك يوم الجمعة و كان ص يكرم أهل بدر من المهاجرين و الأنصار فجاء أناس من أهل بدر و فيهم ثابت بن قيس بن شماس و قد سبقوا فى المجلس فقاموا حيال النبى ص فقالوا السلام عليك أيها النبى و رحمه الله و بركاته فرد عليهم النبى ص ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم

فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ص فقال لمن حوله من المهاجرين و الأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه و عرف الكراهيه في وجوههم و قال المنافقون للمسلمين

ص: ٣٧٩

ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية (و أما) قوله «يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا» الآية فإنها نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ص فيكثرون مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصة عن مقاتل بن حيان و

قال أمير المؤمنين صلوات الرحمن عليه إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى «يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول» الآية كان لى دينار فبعته بعشره دراهم فكلما أردت أن أناجى رسول الله ص قدمت درهما فنسختها الآية الأخرى «أ أشفقتكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات» الآية فقال ص بى خفف الله عن هذه الأمة و لم ينزل فى أحد قبلى و لم ينزل فى أحد بعدى

و قال ابن عمر و كان لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) ثلاث لو كانت لى واحده منهن لكانت أحب إلى من حمر النعم تزويجه فاطمه و إعطاؤه الرايه يوم خيبر و آيه النجوى و قال مجاهد و قتاده لما نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدقوا لم يناجيه إلا على بن أبى طالب عليه أفضل الصلوات قدم دينارا فتصدق به ثم نزلت الرخصة.

المعنى

لما قدم سبحانه النهى عن النجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفسيح لما فى تركه من إيذائهم أيضا فقال «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس» أى اتسعوا فيه و هو مجلس النبى ص عن قتاده و مجاهد و قيل المراد به مجالس الذكر كلها «فأفسيحوا يفسح الله لكم» أى فتوسعوا يوسع الله لكم مجالسكم فى الجنة «و إذا قيل أنشزوا» أى ارتفعوا و قوموا و وسعوا على إخوانكم «فأنشزوا» أى فافعلوا ذلك و قيل معناه و إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة و الجهاد و عمل الخير فانشزوا و لا تقصروا عن مجاهد و قيل معناه و إذا قيل لكم ارتفعوا فى المجلس و توسعوا للداخل فافعلوا فإن رسول الله ص لا يقرب و لا يرفع إلا بإذن الله و أمره و قيل معناه و إذا نودى للصلاة فانهضوا فإن رجلا كانوا يتثاقلون عن الصلاة عن عكرمه و الضحاك و قيل وردت فى قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ص فيكون كل واحد منهم يحب أن يكون آخر خارج فأمرهم الله أن ينشزوا أى يقوموا إذا قيل لهم انشزوا «يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات» قال ابن عباس يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات و قيل معناه لكى يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله ص درجه و الذين أوتوا العلم بفضل علمهم و سابقتهم درجات فى الجنة و قيل درجات فى مجلس رسول الله ص فأمر الله سبحانه أن يقرب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ليبين فضل العلماء على

غيرهم و في هذه الآيه دلالة على فضل العلماء و جلاله قدرهم و قد

ورد أيضا في الحديث أنه قال ص فضل العالم على الشهيد درجه و فضل الشهيد على العابد درجه و فضل النبي على العالم درجه و فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه و فضل العالم على سائر الناس كفضلي على أذناهم رواه جابر بن عبد الله

و

قال علي (عليه السلام) من جاءته منيته و هو يطلب العلم فيبته و بين الأنبياء درجه

«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أي عليم ثم خاطب سبحانه المؤمنين مره أخرى و قال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدْتُمَا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» أي إذا ساررتم الرسول فقدموا قبل أن تساروه صدقه و أراد بذلك تعظيم النبي ص و أن يكون ذلك سببا لأن يتصدقوا فيؤجروا عنه و تخفيفا عنه ص قال المفسرون فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضمن كثير من الناس فكفوا عن المسألة فلم يناج أحد إلا علي بن أبي طالب علي ما مضى ذكره قال مجاهد و ما كان إلا ساعه و قال مقاتل بن حيان كان ذلك ليالي عشرا ثم نسخت بما بعدها و كانت الصدقه مفوضه إليهم غير مقدره «ذَلِكَ» أي ذلك التصدق بين يدي مناجاه النبي ص «خَيْرٌ لَكُمْ» لأن فيه أداء واجب و تحصيل ثواب «وَأَطَهَّرُ» أي و أدعى لكم إلى مجانبه المعاصي و تركها و أزكى لكم تطهرون بذلك بمناجاته كما تقدم الطهاره على الصلاه «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا» ما تتصدقون به «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» يستر عليكم ترك ذلك «رَحِيمٌ» يرحمكم و ينعم عليكم ثم قال سبحانه ناسخا لهذا الحكم «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ» يعني أ خفتم الفاقه يا أهل الميسره و بخلتم بالصدقه بين يدي نجواكم و هذا توبيخ لهم على ترك الصدقه إشفاقا من العيله «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» لتقصيركم فيه «فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و نهاكم عنه «وَرَسُولَهُ» أي و أطيعوا رسوله أيضا «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أي عالم بأعمالكم من طاعه و معصيه و حسن و قبيح فيجازيكم بها ثم قال سبحانه «أَلَمْ تَرَ» يا محمد «إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» و المراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود و يفشون إليهم أسرار المؤمنين و يجتمعون معهم على ذكر مساءه النبي ص و المؤمنين عن قتاده و ابن زيد «مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لَا مِنْهُمْ» يعني أنهم ليسوا من المؤمنين في الدين و الولايه و لا من اليهود «وَ يَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ» أي و يحلفون أنهم لم ينافقوا «وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم منافقون «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا» أي في الآخره «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أي بشس العمل عملهم و هو النفاق و مواله أعداء الله.

ص: ٣٨١

إشاره

اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً فَصِيدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠)

كَتَبَ اللَّهُ لِمَآ غَلَبَنَّا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)

القراءه

قرأ محمد بن حبيب الشموني عن الأعشى عن أبي بكر أو عشيراتهم على الجمع و الباقون «أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» على التوحيد و فى الشواذ قراءه الحسن اتخذوا إيمانهم بكسر الهمزه و روايه بعضهم عن عاصم كتب بضم الكاف فى قلوبهم الإيمان بالرفع.

الحجه

من قرأ إيمانهم حذف المضاف أى اتخذوا إيمانهم جنه و من قرأ كتب فى قلوبهم الإيمان فهو على حذف المضاف أيضا أى كتب فى قلوبهم علامه الإيمان

و من أسند الفعل إلى الفاعل فلتقدم ذكر الاسم على ذلك و يدل عليه قوله «وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ».

اللغة

الجنة السترة التي تقى البليه و أصله الستر و منه المجن الترس و الاستحواذ الاستيلاء على الشىء بالاقطاع له و أصله من حاذه يحوزه حوذا مثل حازه يحوزه حوزا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام الخبر عن المنافقين فقال «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ» التي يحلفون بها «جُنَّةً» أى ستره و ترسا يدفعون بها عن نفوسهم التهمة و الظنه إذا ظهرت منهم الريبه «فَصَيَّدُوا» نفوسهم و غيرهم «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» الذى هو الحق و الهدى «فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» يهينهم و يذلهم و يخزيهم «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ» التي جمعوها «وَ لَا أَوْلَادُهُمْ» الذين خلفوهم «مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ظاهر المعنى «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ» أى يقسمون لله «كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» فى دار الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين فى الدنيا فى اعتقادهم و ظنهم لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق «وَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ» أى و يحسب المنافقون فى الدنيا أنهم مهتدون لأن فى الآخرة تزول الشكوك و قال الحسن فى القيامه مواطن فمواطن يعرفون فيه قبح الكذب ضروره فيتركونه و مواطن يكونون فيه كالمدهوش فيتكلمون بكلام الصبيان الكذب و غير الكذب و يحسبون أنهم على شىء فى ذلك الموضع الذى يحلفون فيه بالكذب «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» فى أيمانهم و أقوالهم فى الدنيا و قيل معناه أولئك هم الخائبون كما يقال كذب ظنه أى خاب أملة «اسْتَيْحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ» أى استولى عليهم و غلب عليهم لشده اتباعهم إياه «فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» حتى لا يخافون الله و لا يذكرونه «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ» أى جنوده «أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» يخسرون الجنة و يحصل لهم بدلها النار «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى يخالفونه فى حدوده و يشاققونه و هم المنافقون «أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ» فلا أحد أذل منهم فى الدنيا و لا فى الآخرة قال عطاء يريد الذل فى الدنيا و الخزى فى الآخرة «كَتَبَ اللَّهُ لِمَآءِغِبِينَ أَنَا وَ رَسُولِي» أى كتب الله فى اللوح المحفوظ و ما كتبه فلا بد من أن يكون أجرى قوله «كَتَبَ اللَّهُ» مجرى القسم فأجابه بجواب القسم قال الحسن ما أمر الله نبيا قط بحرب إلا غلب إما فى الحال أو فيما بعد و قال قتاده كتب الله كتابا فأمضاه لأغلبين أنا و رسلى و يجوز أن يكون المعنى قضى الله و وعد لأغلبين أنا و رسلى بالحجج و البراهين و إن جاز أن يغلب بعضهم فى الحرب «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» أى غالب قاهر لمن نازع أوليائه و يروى أن المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى

ليفتحن الله علينا الروم و فارس فقال المنافقون أ تظنون أن فارسا و الروم كبعض القرى التي غلبتم عليها فأنزل الله هذه الآية ثم قال سبحانه «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى يوالون من خالف الله و رسوله و المعنى لا تجتمع موالاه الكفار مع الإيمان و المراد به الموالاه فى الدين «وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» أى و إن قربت قرابتهم منهم فإنهم لا- يوالونهم إذا خالفوهم فى الدين و قيل إن الآية نزلت فى حاطب بن أبى بلتعه حين كتب إلى أهل مكة يندرهم بمجىء رسول الله إليهم و كان ص أخفى ذلك فلما عوتب على ذلك قال أهلى بمكة أحببت أن يحوطوهم بيد تكون لى عندهم و قيل إنها نزلت فى عبد الله بن أبى و ابنه عبيد الله بن عبد الله و كان هذا الابن عند النبى ص فشرب النبى ص فقال أبق فضله من شرابك أسقها أبى لعل الله يطهر قلبه فأعطاه فأتى بها أباه فقال ما هذا فقال بقيه شراب رسول الله ص جئتكم بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال هلا- جئتنى بيول أمك فرجع إلى النبى ص فقال ائذن لى فى قتله فقال بل ترفق به عن السدى ثم قال سبحانه «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» أى ثبت فى قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الألفاف فصار كالمكتوب عن الحسن و قيل كتب فى قلوبهم علامه الإيمان و معنى ذلك أنها سمه لمن يشاهدهم من الملائكة على أنهم مؤمنون كما أن قوله فى الكفار وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ علامه يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه عن أبى على الفارسى «وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» أى قواهم بنور الإيمان و يدل عليه قوله وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ عن الزجاج و قيل معناه و قواهم بنور الحجج و البراهين حتى اهتدوا للحق و عملوا به و قيل قواهم بالقرآن الذى هو حياه القلوب من الجهل عن الربيع و قيل أيدهم بجبرائيل فى كثير من المواطن ينصرهم و يدفع عنهم «وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» بإخلاص الطاعة و العباده منهم «وَ رَضُوا عَنْهُ» بثواب الجنه و قيل رضوا عنه بقضائه عليهم فى الدنيا فلم يكرهوه «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ» أى جند الله و أنصار دينه و دعاه خلقه «أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ألا كلمه تنبيه أن جنود الله و أولياءه هم المفلحون الناجون الظافرون بالبعيه.

(٥٩) سورة الحشر مدنيه و آياتها أربع و عشرون (٢٤)

اشاره

عدد آياتها

و هي أربع و عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ سورة الحشر لم يبق جنه و لا نار و لا عرش و لا كرسى و لا حجاب و لا السماوات السبع و لا الأرضون السبع و الهوام و الرياح و الطير و الشجر و الدواب و الشمس و القمر و الملائكه إلا صلوا عليه و استغفروا له و إن مات من يومه أو ليلته مات شهيدا

و عن أبى سعيد المكارى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ إذا أمسى الرحمن و الحشر و كل الله بداره ملكا شاهرا سيفه حتى يصبح.

تفسيرها

لما ختم الله سورة المجادله بذكر حزب الشيطان و حزب الله افتتح هذه السوره بقهره حزب الشيطان و ما نالهم بالجلاء من الخزى و الهوان و نصره حزبه من أهل الإيمان فقال:

ص: ٣٨٥

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَ لَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ (٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو ويخربون بالتشديد و الباقون «يُخْرِبُونَ» ساكنه الخاء و خفيفه الراء و فى الشواذ قراءة طلحة بن مصرف يشاقق الله بقافين على الإظهار كالتى فى الأنفال.

الحج

يقال خرب الموضع و أخربته و خربته قال الأعشى:

" و أخربت من أرض قوم ديارا "

و حكى عن أبى عمرو أن الأخراب أن يترك الموضع خربا و التخريب الهدم.

اللغة

الحشر جمع الناس من كل ناحيه و منه الحاشر الذى يجمع الناس إلى ديوان الخراج و الجلاء الانتقال عن الديار و الأوطان للبلاء يقال جلا القوم عن منازلهم جلاء و أجليتهم إجلاء و اللينه النخله و أصله من اللون قلبت الواو ياء لكسره ما قبلها و جمعها ليان قال امرؤ القيس:

و سالفه كسحوق الليان أضرم فيها الغوى السعير

و قال ذو الرمة:

طراق الخوافى واقع فوق لينه بذى ليله فى ريشه يتفرق

فكان اللينه نوع من النخل أى ضرب منه و قيل هو من اللين للين ثمرها.

«مَانِعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ» ارتفع حصونهم بقوله «مَانِعْتُهُمْ» لأن اسم الفاعل جرى خبراً لأن فيرفع ما بعده.

النزول

قيل نزلت السورة في إجلاء بني النضير من اليهود فمنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى الشام عن مجاهد و قتاده و ذلك أن النبي ص لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه و لا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم فلما غزا رسول الله ص بدرًا و ظهر على المشركين قالوا و الله أنه للنبي الذي وجدنا نعته في التوراه لا ترد له رايه فلما غزا غزاه أحد و هزم المسلمون ارتابوا و نقضوا العهد فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود إلى مكه فأتوا قريشا و حالفوهم و عاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحده على محمد ثم دخل أبو سفيان في أربعين و كعب في أربعين من اليهود المسجد و أخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار و الكعبه ثم رجع كعب بن الأشرف و أصحابه إلى المدينة و نزل جبرائيل فأخبر النبي ص بما تعاهد عليه و أبو سفيان و أمره بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلم الأنصاري و كان أخاه من الرضاعه قال محمد بن إسحاق خرج رسول الله ص إلى بني النضير يستعينهم في ديه القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أميه الضمري و كان بين بني النضير و بني عامر عقد و حلف فلما أتاهم النبي يستعينهم في الديه قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقال إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه و رسول الله إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخره و رسول الله ص في نفر من أصحابه فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام و قال لأصحابه لا تبرحوا فخرج راجعا إلى المدينة و لما استبطئوا النبي ص قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسأله عنه فقال رأيتة داخلا المدينة فأقبل أصحاب النبي ص حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر و أمر رسول الله ص محمد بن مسلمه بقتل كعب بن الأشرف فخرج و معه سلكان بن سلامه و ثلاثه من بني الحرث و خرج النبي ص على إثرهم و جلس في موضع ينتظر و جوههم فذهب محمد بن مسلمه مع القوم إلى قرب قصره و أجلس قومه عند جدار و ناداه يا كعب فانتبه و قال من أنت قال أنا محمد بن مسلمه أخوك جنتك أستقرض منك دراهم فإن محمدا يسألنا الصدقه و ليس معنا الدراهم فقال لا أقرضك إلا بالرهن قال معي رهن أنزل فخذ و كانت له امرأه بنى بها تلك الليله عروسا فقالت لا أدعك تنزل لأنى أرى حمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت

إليها فخرج فعانقه محمد بن مسلمة و هما يتحادثان حتى تباعدا من القصر إلى الصحراء ثم أخذ رأسه و دعا بقومه و صاح كعب فسمعت امرأته فصاحت و سمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلا و رجع القوم سالمين إلى رسول الله ص فلما أسفر الصبح أخبر رسول الله ص أصحابه بقتل كعب ففرحوا و أمر رسول الله ص بحربهم و السير إليهم فसार بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن فأمر رسول الله ص بقطع النخل و التحريق فيها فنادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل و تحرقها فأنزل الله «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا» الآية و هي البويره في قول حسان:

و هان على سراه بنى لوى حريق بالبويره مستطير

و البويره تصغير بؤره و هي إره النار أى حفرتها و قال ابن عباس كان النبي ص حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم و أن يخرجهم من أرضهم و أوطانهم و أن يسيرهم إلى أذرعات بالشام و جعل لكل ثلاثه منهم بعير أو سقاء فخرجوا إلى أذرعات بالشام و أريحا إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق و آل حبي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر و لحقت طائفه منهم بالحيرة و كان ابن عباس يسمى هذه السوره سوره بنى النضير و عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ص بعثه إلى بنى النضير و أمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال و عن محمد بن إسحاق كان إجلاء بنى النضير مرجع النبي ص من أحد و كان فتح قريظه مرجعه من الأحزاب و بينهما سنتان و كان الزهري يذهب إلى أن إجلاء بنى النضير كان قبل أحد على رأس سته أشهر من وقعه بدر.

المعنى

«سَيَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» مضى تفسيره «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى يهود بنى النضير «مِنْ دِيَارِهِمْ» بأن سلب الله المؤمنين عليهم و أمر نبيه ص بإخراجهم من منازلهم و حصونهم و أوطانهم «الْأُولِ الْكَافِرِينَ» اختلف في معناه فقول كان جلاؤهم ذلك أول حشر اليهود إلى الشام ثم يحشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضا و ذلك الحشر الثاني عن ابن عباس و الزهري و الجبائي قال ابن عباس قال لهم النبي ص أخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر و قيل معناه لأول الجلاء عن البلخي لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الذمه من جزيره العرب ثم أجلي إخوانهم من اليهود لثلا يجتمع في بلاد العرب دنان و قيل إنما قال

لأول الحشر لأن الله فتح على نبيه ص فى أول ما قاتلهم عن يمان بن رباب «ما ظننتم أن يخرجوا» أى لم تظنوا أيها المؤمنون أنهم يخرجون من ديارهم لشدتهم وشوكتهم «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله» أى وظن بنو النضير أن حصونهم لوثاقتها تمنعهم من سلطان الله وإنزال العذاب بهم على يد رسول الله ص حيث حصنها وهياؤها آلات الحرب فيها «فأتاهم الله» أى فأتاهم أمر الله وعذابه «من حيث لم يحتسبوا» أى لم يتوهموا أن يأتيهم لما قدروا فى أنفسهم من المنع جعل الله سبحانه امتناعهم من رسوله امتناعا منه «وقذف فى قلوبهم الرعب» وألقى سبحانه فى قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الأشرف «يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين» أى يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا لأنهم خربوا ما استحسنا منها حتى لا يكون للمسلمين ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا إليهم عن الحسن وقيل أن معنى تخريبها بأيدي المؤمنين أنهم عرضوها لذلك عن الزجاج وقيل أنهم كانوا يخرجون بيوتهم بأيديهم بنقض الموادع وبأيدي المؤمنين بالمقاتلة «فاعتبروا يا أولى الأبصار» أى فاتعظوا يا أولى العقول والبصائر وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم ومعنى الاعتبار النظر فى الأمور ليعرف بها شىء آخر من جنسها والمراد استدلوها بذلك على صدق الرسول إذ كان وعد المؤمنين أن الله سبحانه سيورثهم ديارهم وأموالهم بغير قتال فجاء المخبر على ما أخبر فكان آية داله على نبوته ولا دليل فى الآية على صحه القياس فى الشريعة لأن الاعتبار ليس من القياس فى شىء لما ذكرناه ولأنه لا سبيل لأهل القياس إلى العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين عله الأصل للآخر فإن عله الربا عند أحدهما الكيل والوزن والجنس وعند الآخر الطعم والجنس وفى الدراهم والدينارين لأنهما جنس الأثمان وقال آخرون أشياء أخر وليس هذا باعتبار إذ لا سبيل إلى المعرفة به «ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء» أى حكم عليهم أنهم يجلبون عن ديارهم وينقلون عن أوطانهم «لعدبهم فى الدنيا» بعذاب الاستئصال أو القتل والسبى كما فعل بنى قريظه لأنه تعالى علم أن كلا الأمرين فى المصلحه سواء وقد سبق حكمه بالجلاء «ولهم فى الآخرة» مع الجلاء عن الأوطان «عذاب النار» لأن أحدا منهم لم يؤمن وقيل أن ذلك مشروط بالإصرار وترك التوبه «ذلك» الذى فعلنا بهم «بأنهم شاقوا الله» أى خالفوا الله «ورسوله» ثم توعد من حذا حذوهم وسلك سبيلهم فى مشاقه الله ورسوله فقال «ومن يشاق الله» أى يخالفه «فإن الله شديد العقاب» يعاقبهم على مشاقتهم أشد العقاب «ما قطعتم من لينة» أى نخله كريمه

من أنواع النخيل عن مجاهد و ابن زيد و قيل كل نخله سوى العجوه عن ابن عباس و قتاده «أَوْ تَرَكَتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا» فلم تقطعوها و لم تقلعوها «فِي إِذْنِ اللَّهِ» أى بأمره كل ذلك سائغ لكم علم الله سبحانه ذلك و أذن فيه ليدل به أعداءه «وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» من اليهود و يهينهم به لأنهم إذا رأوا عدوهم يتحكم فى أموالهم كان ذلك خزيا لهم.

ص: ٣٩٠

إشارة

وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِأَيِّ الْقُرَى وَ التِّيَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَ لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)

القرءاءة

قرأ أبو جعفر كى لا تكون بالتاء دولة بالرفع و الباقون «يكون» بالياء «دولة» بالنصب.

الحجج

قال ابن جنى منهم من لا- يفصل بين الدولة و الدولة و منهم من يفصل بينهما فقال الدولة بالفتح للملك و الدولة بالضم فى الملك و تكون هنا هى التامة أى كى لا يقع دولة أو تحدث دولة و «بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ» إن شئت كانت صفه لدولة و إن شئت كانت متعلقه بنفس دولة أى تداولاً بين الأغنياء و إن شئت علققتها بنفس تكون أى لا يحدث بين الأغنياء منكم و إن شئت جعلتها كان الناقصه و جعلت بين خبرا عنها و الأول أوجه و معناه كى لا تقع دولة فيه أو عليه يعنى على المفاء من عند الله.

اللغة

الفى ء رد ما كان للمشركين على المسلمين بتملكك الله إياهم ذلك على ما شرط فيه يقال فاء يفى ء فيثا إذا رجع و أفأته أنا عليه أى رددته عليه و الإيجاف الإيضاع و هو تسيير الخيل أو الركاب من وجف يجف وجيفا و هو تحرك باضطراب فالإيجاف الإزعاج للسير و الركاب الإبل و الخصاصه الإملاق و الحاجه و أصله الاختصاص و هو الانفراد بالأمر فكأنه انفراد الإنسان عما يحتاج إليه و قيل أصله الفرجه يقال للقمر بدا من خصاص الغيم أى فرجته و منه الخص البيت من القصب لما فيه من الفرج و الشح و البخل واحد و قيل أن الشح بخل مع حرص.

النزول

قال ابن عباس نزل قوله «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» الآية فى أموال كفار أهل القرى و هم قريظه و بنى النصير و هما بالمدينه و فدك و هى من المدينه على ثلاثه أميال و خيبر و قرى رينه و ينبع جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما أراد و أخبر أنها كلها له فقال أناس فهلا قسمها فنزلت الآية و قيل إن الآية الأولى بيان أموال بنى النصير خاصه لقوله «وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ

مِنْهُمْ» الآيه و الثانيه بيان الأموال التي أصيبت بغير قتال و قيل إنهما واحد و الآيه الثانيه بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآيه الأولى و قال أنس بن مالك أهدى لبعض الصحابه رأس مشوى و كان مجهودا فوجه به إلى جار له فتداولته تسعه أنفس ثم عاد إلى الأول فنزل «وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» الآيه

و عن ابن عباس قال قال رسول الله ص يوم بنى النصير للأنصار أن شئتم قسمتتم للمهاجرين من أموالكم و دياركم و تشاركونهم في هذه الغنيمه و إن شئتم كانت لكم دياركم و أموالكم و لم يقسم لكم شىء من الغنيمه فقال الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا و ديارنا و نؤثرهم بالغنيمه و لا نشاركهم فيها

ص: ٣٩١

فنزلت «وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ» الآية

وقيل نزلت في سبعة عطشوا في يوم أحد فجيء بماء يكفي لأحدهم فقال واحد منهم ناول فلانا حتى طيف على سبعتهم و ماتوا ولم يشرب أحد منهم فأثنى الله سبحانه عليهم وقيل نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ص فقال أطعمني فإنني جائع فبعث إلى أهله فلم يكن عندهم شىء فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الأنصار و أتى به منزله و لم يكن عنده إلا قوت صبيه له فأتوا بذلك إليه و أطفئوا السراج و قامت المرأة إلى الصبيه فعللتهم حتى ناموا و جعلوا يعضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ص فظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف و باتا طاويين فلما أصبحا غدوا إلى رسول الله ص فنظر إليهما و تبسم و تلا عليهما هذه الآية و أما

الذى رويناها بإسناد صحيح عن أبى هريره أن الذى أضافه و نوم الصبيه و أطفأ السراج على (عليه السلام) و فاطمه (عليه السلام).

المعنى

ثم بين سبحانه حال أموال بنى النضير فقال «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ» أى من اليهود الذين أجلاهم و إن كان الحكم ساريا فى جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم «فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ» و الإيجاف دون التقريب و قيل الإيجاف فى الخيل و الإيضاع فى الإبل و قيل هما مستعملان فيهما جميعا أى فما أوجفتم عليه خيلا و لا إبلا و المعنى لم تسيروا إليها على خيل و لا إبل و إنما كانت ناحيه من المدينه مشيتم إليها مشيا و قوله «عَلَيْهِ» أى على ما أفاء الله و الركاب الإبل التى تحمل القوم و احدثها راحله «وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ» أى يمكنهم من عدوهم من غير قتال بأن يقذف الرعب فى قلوبهم جعل الله أموال بنى النضير لرسوله خالصه يفعل بها ما يشاء فقسمها رسول الله ص بين المهاجرين و لم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثه نفر كانت بهم حاجه و هم أبو دجانة و سهل بن حنيف و الحارث بن الصمه «وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثم ذكر سبحانه حكم الفىء فقال «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ» أى من أموال كفار أهل القرى «فَلِلَّهِ» يأمركم فيه بما أحب «وَاللِّرَّسُولِ» بتملكك الله إياه «وَالَّذِينَ الْقُرْبَىٰ» يعنى أهل بيت رسول الله و قرابته و هم بنو هاشم «وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ» منهم لأن التقدير و لذى قرباه و يتامى أهل بيته و مساكينهم و ابن السبيل منهم و

روى المنهال بن عمرو عن على بن الحسين (عليه السلام) قال قلت قوله «وَالَّذِينَ الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ» قال هم قربانا و مساكينا و أبناء سبيلنا

و

قال جميع الفقهاء هم يتامى الناس عامه و كذلك المساكين و أبناء السبيل و قد روى أيضا ذلك عنهم (عليه السلام)

و روى محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال كان أبى يقول لنا سهم رسول

الله ص و سهم ذى القربى و نحن شركاء الناس فيما بقى

و الظاهر يقتضى أن ذلك لهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء و هو مذهب الشافعى و قيل إن مال الفى ء للفقراء من قرابه رسول الله ص و هم بنو هاشم و بنو المطلب

و روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال نحن قوم فرض الله طاعتنا و لنا الأنفال و لنا صفو المال يعنى ما كان يصطفى لرسول الله ص من فره الدواب و حسان الجوارى و الدرر الثمينه و الشى ء الذى لا نظير له

ثم بين سبحانه أنه لم فعل ذلك فقال «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» و الدوله اسم للشى ء الذى يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مره و لهذا مره أى لثلا يكون الفى ء متداولاً بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل فى الجاهليه و هذا خطاب للمؤمنين دون الرسول و أهل بيته (عليه السلام) قال الكلبي نزلت فى رؤساء المسلمين قالوا له يا رسول الله خذ صفيك و الربع و دعنا و الباقي فهكذا كنا نفعل فى الجاهليه و أنشدوا:

لك المرباع منها و الصفايا و حكمك و الشيطه و الفضول.

فنزلت الآيه فقالت الصحابه سمعا و طاعه لأمر الله و أمر رسوله ثم قال سبحانه «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» أى ما أعطاكم الرسول من الفى ء فخذوه و ارضوا به و ما أمركم به فافعلوه و ما نهاكم عنه فانتهوا عنه فإنه لا يأمر و لا ينهى إلا عن أمر الله و هذا عام فى كل ما أمر به النبى ص و نهى عنه و إن نزل فى آيه الفى ء

و روى زيد الشحام عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ما أعطى الله نبيا من الأنبياء شيئا إلا و قد أعطى محمدا ص قال لسليمان فَاْمُنْ أَوْ أْمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ و قال لرسول الله ص «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»

«وَأَتَقُوا اللَّهَ» فى ترك المعاصى و فعل الواجبات «إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن عصاه و ترك أوامره و فى هذه الآيه إشارة إلى أن تدبير الأمه إلى النبى ص و إلى الأئمه القائمين مقامه و لهذا قسم رسول الله ص أموال خبير و من عليهم فى رقابهم و أجلى بنى النضير و بنى قينقاع و أعطاهم شيئا من المال و قتل رجال بنى قريظه و سبى ذراريهم و نساءهم و قسم أموالهم على المهاجرين و من على أهل مكه ثم قال سبحانه «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» الذين هاجروا من مكه إلى المدينه و من دار الحرب إلى دار الإسلام «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ» التى كانت لهم «يَبْتَغُونَ» أى يطلبون «فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ» أى و ينصرون دين الله «وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» فى الحقيقه عند الله العظيم المنزله عنده قال الزجاج بين سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ» ثم ثنى سبحانه بوصف الأنصار و مدحهم حتى

طابت أنفسهم عن الفى ء فقال «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ» يعنى المدينة و هى دار الهجره تبوأها الأنصار قبل المهاجرين و تقدير الآيه و الذين تبوأوا الدار من قبلهم «وَ الْإِيمَانَ» لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين و عطف الإيمان على الدار فى الظاهر لا فى المعنى لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ و التقدير و آثروا الإيمان و قيل «مِنْ قَبْلِهِمْ» أى من قبل قدوم المهاجرين عليهم و قيل معناه قبل إيمان المهاجرين و المراد به أصحاب ليله العقبه و هم سبعون رجلا- بايعوا رسول الله ص على حرب الأبيض و الأحمر «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» لأنهم أحسنوا إلى المهاجرين و أسكنوهم دورهم و أشركوهم فى أموالهم «وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا» أى لا- يجدون فى قلوبهم حسدا و حزازة و غيظا مما أعطى المهاجرون دونهم من مال بنى النضير «وَ يُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ» أى و يؤثرون المهاجرين و يقدمونهم على أنفسهم بأموالهم و منازلهم «وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أى فقر و حاجه بين سبحانه أن إيثارهم لم يكن عن غنى عن المال و لكن كان عن حاجه فيكون ذلك أعظم لأجرهم و ثوابهم عند الله و يروى أن أنس بن مالك كان يحلف بالله تعالى ما فى الأنصار بخيل و يقرأ هذه الآيه «وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ» أى و من يدفع عنه و يمنع عنه بخل نفسه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى المنجحون الفائزون بثواب الله و نعيم جنته و قيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه و لم يمنع شيئا أمره الله بأدائه فقد وقى شح نفسه عن ابن زيد و قيل شح النفس هو أخذ الحرام و منع الزكاه عن سعيد بن جبير

و فى الحديث لا يجتمع الشح و الإيمان فى قلب رجل مسلم و لا يجتمع غبار فى سبيل الله و دخان جهنم فى جوف رجل مسلم

و قيل فى موضع قوله «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ» قولان (أحدهما) أنه رفع على الابتداء و خبره «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» إلى آخره لأن النبى ص لم يقسم لهم شيئا من الفى ء إلا- لرجلين أو لثلاثة على اختلاف الروايه فيه (و الآخر) أنه فى موضع جر عطف على الفقراء المهاجرين و على هذا فيكون قوله «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» و ما بعده فى موضع نصب على الحال ثم ثلث سبحانه بوصف التابعين فقال «وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» يعنى من بعد المهاجرين و الأنصار و هم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة عن الحسن و قيل هم كل من أسلم بعد انقطاع الهجره و بعد إيمان الأنصار عن الأصم و أبى مسلم و الظاهر أن المراد و الذين خلفوهم و يجوز أن يكون المراد من بعدهم فى الفضل و قد يعبر بالقبل و البعد عن الفضل

كقول النبى ص نحن الآخرون السابقون

أى الآخرون فى الزمان السابقون فى الفضل «يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» أى

يدعون و يستغفرون لأنفسهم و لمن سبقهم بالإيمان «وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى حقدا و غشا و عداوه سألوا الله سبحانه أن يزيل ذلك بلطفه و هاهنا احتراز لطيف و هو أنهم أحسنوا الدعاء للمؤمنين و لم يرسلوا القول إرسالا- و المعنى أعصمنا ربنا من إرادته السوء بالمؤمنين و لا شك أن من أبغض مؤمنا و أراد به السوء لأجل إيمانه فهو كافر و إذا كان لغير ذلك فهو فاسق «رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» أى متعطف على العباد منعم عليهم.

[سوره الحشر (٥٩): الآيات ١١ الى ١٥]

إشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ إِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِن أُخْرِجُوا لَّا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِن قُوتِلُوا لَّا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأُذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥)

القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو من وراء جدار على التوحيد و الباقون «مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ» على الجمع و فى الشواذ قراءه أبى رجاء و أبى حيه جدر بسكون الدال.

الحجه

قال أبو على المعنى فى الجمع أنهم لا- يصحرون معكم للقتال و لا يبرزون لكم و لا يقاتلونكم حتى يكون بينكم و بينهم حاجز من حصن أو سور فإذا كان كذلك فالمعنى على الجمع إذ ليس المعنى أنهم يقاتلونهم من وراء جدار واحد و لكن من وراء جدر كما لا

يقاتلونكم إلا- فى قرى محصنه فكما أن القرى جماعه كذلك الجدر ينبغى أن تكون جمعا فكان المراد فى الإفراد الجمع لأنه يعلم أنهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد قال ابن جنى و يجوز أن يكون جدار تكسير جدار فتكون ألف جدار فى الواحد كألف كتاب و فى الجمع كألف ضرام و كرام و مثله ناقه هجان و نوق هجان و درع دلاص و أدرع دلاص قال و مثله قوله سبحانه وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا يكون إمام على ما شرحناه.

الإعراب

«لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» أى من رهبتهم من الله فحذف.

«كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى مثلهم كمثل الذين من قبلهم فحذف المبتدأ و كذلك قوله كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ.

المعنى

لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار و الأوطان ثم مدح الأنصار الذين تبوؤا الدار و الإيمان ثم ذكر التابعين بإحسان و ما يستحقونه من النعيم فى الجنان عقب ذلك بذكر المنافقين و ما أسروه من الكفر و العصيان فقال «أَلَمْ تَرَ» يا محمد «إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا» فأبطنوا الكفر و أظهروا الإيمان «يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ» فى الكفر «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى يهود بنى النضير «لَيْسَ أَخْرَجْتُمْ» من دياركم و بلادكم «لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ» مساعدين لكم «وَ لَا نَطِيعُ فِيكُمْ» أى فى قتالكم و مخاصمتكم «أَحَدًا أَبَدًا» يعنون محمدا ص و أصحابه و وعدوهم النصر بقولهم «وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ» أى لندفعن عنكم ثم كذبهم الله فى ذلك بقوله «وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فيما يقولونه من الخروج معهم و الدفاع عنهم ثم أخبر سبحانه أنهم يخلفونهم ما وعدوه من النصر و الخروج بقوله «لَيْسَ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَيْسَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَيْسَ نَصْرُهُمْ» أى و لئن قدر وجود نصرهم لأن ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده «لَيُؤَلِّقَنَّ الْأَذْبَارَ» أى ينهزمون و يسلمونهم و قيل معناه لئن نصرهم من يفى منهم لولوا الأدبار فعلى هذا لا تنافى بين قوله «لَا يَنْصُرُونَهُمْ» و قوله «لَيْسَ نَصْرُهُمْ» فقد أخبر الله تعالى فى هذه الآيه عما لا يكون منهم أن لو كان كيف كان يكون «ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ» أى و لو كان لهم هذه القوه و فعلوا لم ينتفع أولئك بنصرتهم نزلت الآيه قبل إخراج بنى النضير و أخرجوا بعد ذلك و قوتلوا فلم يخرج معهم منافق و لم ينصروهم كما أخبر الله تعالى بذلك و قيل أراد بقوله «لِإِخْوَانِهِمْ» بنى النضير و بنى قريظه فأخرج بنو النضير و لم يخرجوا معهم و قوتل بنو قريظه فلم ينصروهم ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً» أى خوفا «فِي صُدُورِهِمْ» أى فى قلوب هؤلاء المنافقين «مِنَ اللَّهِ» المعنى أن خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله لأنهم يشاهدونكم و يعرفونكم و لا يعرفون الله و هو قوله

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» الحق و لا يعلمون عظمه الله و شده عقابه «لَا يُقَاتِلُونَكُمْ» معاشر المؤمنين «جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ» أى ممتنعه حصينه المعنى أنهم لا يبرزون لحربكم و إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حُدُودٍ» أى يرمونكم من وراء الجدران بالنبل و الحجر «بِأَسْئِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» أى عداوه بعضهم لبعض شديده يعنى أنهم ليسوا بمتفقى القلوب و قيل معناه قوتهم فيما بينهم شديده فإذا لاقوكم جنوا و يفرعون منكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب «تَحَسَّبُ بِهِمْ جَمِيعاً» أى مجتمعين فى الظاهر «وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» أى مختلفه متفرقه خذلهم الله باختلاف كلمتهم و قيل إنه عنى بذلك قلوب المنافقين و أهل الكتاب عن مجاهد «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» ما فيه الرشد مما فيه الغي و إنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم و أهوائهم و داعى الحق واحد و هو العقل الذى يدعو إلى طاعه الله و الإحسان فى الفعل «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً» أى مثلهم فى اغترارهم بعددهم و بقوتهم و بقول المنافقين كمثل الذين من قبلهم يعنى المشركين الذين قتلوا بدر و ذلك قبل غزاه بنى النضير لسته أشهر عن الزهري و غيره و قيل إن الذين من قبلهم قريبا هم بنو قينقاع عن ابن عباس و ذلك أنهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ص من بدر فأمرهم رسول الله ص أن يخرجوا و قال عبد الله بن أبى لا- تخرجوا فإنى آتى النبى ص فأكلمه فيكم أو أدخل معكم الحصن فكان هؤلاء أيضا فى إرسال عبد الله بن أبى إليهم ثم ترك نصرتهم كأولئك «ذاقوا وبال أمرهم» أى عقوبه كفرهم «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة.

إشاره

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)

اللغه

أصل غد غدو إلا أنه لم يأت في القرآن إلا محذوف الواو و جاء في الشعر بحذف الواو و إثباتها:

و ما الناس إلا كالديار و أهلها بها يوم حلوها و غدوا بلاقع

و قال آخر:

لا تقلوها و ادلوها دلوا إن مع اليوم أخواها غدوا.

المعنى

ثم ضرب سبحانه لليهود و المنافقين مثلا- فقال «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ» أى مثل المنافقين فى غرورهم لبنى النصير و خذلانهم إياهم كمثل الشيطان «إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ» و هو عابد بنى إسرائيل عن ابن عباس قال إنه كان فى بنى إسرائيل عابد اسمه برصيصا عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم و يعوذهم فيبءون على يده و أنه أتى بامرأه فى شرف قد جنت و كان لها إخوه فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها و دفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقى أحد إخوتها فأخبره بالذى فعل الراهب و أنه دفنها فى مكان كذا ثم أتى بقيه إخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول و الله لقد أتاني آت فذكر لى شيئا يكبر على ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك و الناس فاستنزله فأقر لهم بالذى فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال أنا الذى ألقيتك فى هذا فهل أنت مطيعى فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لى سجده واحده فقال كيف أسجد لك و أنا على هذه الحالة فقال أكتفى منك بالإيماء فأومى له بالسجود فكفر بالله و قتل الرجل فهو قوله «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ» ضرب الله هذه القصة لبنى النصير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرأوا منهم عند الشده

وأسلموهم وقيل أراد كمثل الشيطان يوم بدر إذ دعا إلى حرب رسول الله ص فلما رأى الملائكة رجع القهقري وقال إني أخاف الله وقيل أراد بالشيطان والإنسان اسم الجنس لا المعهود فإن الشيطان أبدا يدعو الإنسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وإنما يقول الشيطان «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» يوم القيامة ثم ذكر سبحانه أنهما صارا إلى النار بقوله «فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا» يعنى عاقبه الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان و من أغواه من المنافقين و اليهود أنهما معذبان فى النار «وَ ذَلِكُمْ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» أى و ذلك جزاؤهم ثم رجع إلى موعظه المؤمنين فقال سبحانه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» يعنى ليوم القيامة و المعنى لينظر كل امرئ ما الذى قدمه لنفسه أ عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه و يرديه فإنه وارد عليه قال قتاده إن ربكم قرب الساعة حتى جعلها كغد و أمركم بالتدبر و التفكير فيما قدمتم «وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» إنما كرر الأمر بالتقوى لأن الأولى للتوبه عما مضى من الذنوب و الثانيه أ المعاصى فى المستقبل و قيل إن الثانيه تأكيد للأولى «وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ» أى تركوا أداء حق الله «فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ» بأن حرمهم حظوظهم من الخير و الثواب و قيل نسوا الله بترك ذكره بالشكر و التعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذى نسى به بعضهم بعضا كما قال فسلموا على أنفسكم أى ليسلم بعضكم على بعض عن الجبائى و يريد به بنى قريظه و بنى النضير و بنى قينقاع عن ابن عباس «أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» الذين خرجوا من طاعه الله إلى معصيته «لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» أى لا يتساويان لأن هؤلاء يستحقون النار و أولئك يستحقون الجنة «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ» بثواب الله الظافرون بطلبتهم.

إشاره

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)

فضلها

عن أنس بن مالك عن النبي ص قال من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر

و عن معقل بن يسار أن رسول الله ص قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و قرأ ثلاث آيات من آخر الحشر و كل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا و من قاله حين يمسي كان بتلك المنزله

و عن أبي هريره قال سألت حبيبي رسول الله ص عن اسم الله الأعظم فقال عليك بأخر سورة الحشر و أكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد على

و عن أبي أمامه عن النبي ص قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليله فقد أوجبت له الجنة

و عن أنس عن النبي ص قال من قرأ «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ» إلى آخرها فمات من ليلته مات شهيدا.

اللغه

التصدع التفرق بعد التلاؤم و مثله التفطر يقال صدعه يصدعه صدعا و منه الصداع في الرأس و القدوس المعظم بتطهير صفاته من أن تدخلها صفة نقص قال ابن جنى ذكر سيبويه في الصفة السبوح و القدوس بالضم و الفتح و إنما باب الفعول الاسم كسبوط و سمور و تنور و سفود و المهيم أصله مؤيمن على مفعيل من الأمانه فقلبت الهمزه هاء فخم اللفظ بها لتفخيم المعنى.

المعنى

ثم عظم سبحانه حال القرآن فقال «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن و يشعر به مع غلظه و جفاء طبعه و كبر جسمه لخشع لمنزله و تصدع من خشيه الله تعظيما لشأنه فالإنسان أحق بهذا لو عقل الأحكام التي فيه و قيل معناه لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل لكان هذا القرآن يصدعه و قيل إن المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلاله قوله «وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» و هذا وصف للكافر بالقسوه حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشع و يدل على أن هذا تمثيل قوله «وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» أى ليتفكروا و يعتبروا ثم

أخبر سبحانه برؤيته و عظمته فقال «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى هو المستحق للعباده الذى لا تحق العباده إلا له «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى عالم بما يشاهده العباد و عالم بما يغيب عنهم علمه و قيل «عَالِمُ الْغَيْبِ» معناه عالم بما لا يقع عليه الحس من

ص: ٤٠٠

المعدوم و الموجود الذى لا- يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب و غيرها و الشهاده أى عالم بما يصح عليه الإدراك بالحواس و قيل معناه عالم السر و العلانيه عن الحسن و فى هذا وصفه سبحانه بأنه عالم بجميع المعلومات لأنها لا تعدو هذين القسمين و

عن أبى جعفر (عليه السلام) قال الغيب ما لم يكن و الشهاده ما كان

«هُوَ الرَّحْمَنُ» أى المنعم على جميع خلقه «الرَّحِيمُ» بالمؤمنين ثم أعاد سبحانه قوله «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ» يعنى السيد المالك لجميع الأشياء الذى له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه منه و قيل هو الواسع القدره «الْقُدُّوسُ» أى الطاهر من كل عيب و نقص و آفه المنزه عن القبائح و قيل هو المطهر عن الشريك و الولد لا يوصف بصفات الأجسام و لا بالتجزئه و الانقسام و قيل هو المبارك الذى تنزل البركات من عنده عن الحسن «السَّلَامُ» أى الذى سلم عباده من ظلمه و قيل هو المسلم من كل عيب و نقص و آفه و قيل هو الذى من عنده ترجى سلامه عن الجبائى و هو اسم من السلامه و أصله مصدر فهو مثل الجلال و الجلاله «الْمُؤْمِنُ» الذى آمن خلقه من ظلمه لهم إذ قال لَا يَظْلَمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عن ابن عباس و قيل الذى آمن بنفسه قبل إيمان خلقه به عن الحسن و أشار إلى قوله «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآيه و المعنى أنه بين لخلق توحيد و إلهيته بما أقام لهم من الدلائل و قيل معناه المصدق لما وعد المحقق له كالمؤمن الذى يصدق قوله فعلة و قيل هو الذى آمن أولياءه عذابه و قيل هو الداعى إلى الإيمان الآمر به الموجب لأهله اسمه عن أبى مسلم «الْمُهَيِّمُ» أى الأمين حتى لا يضيع لأحد عنده حق عن ابن عباس و الضحاك و الجبائى و قيل هو الشاهد عن مجاهد و قتاده كأنه شهيد على إيمان من آمن به و قيل هو المؤمن فى المعنى لأن أصله المؤيمن إلا أنه أشد مبالغه فى الصفه و قيل هو الرقيب على الشىء يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشىء «الْعَزِيزُ» أى القادر الذى لا يصح عليه القهر و قيل هو المنيع الذى لا يرام و لا يمتنع عليه مرام «الْجَبَّارُ» و هو العظيم الشأن فى الملك و السلطان و لا- يستحق أن يوصف به على هذا الإطلاق إلا- الله تعالى فإن وصف به العباد فإنما يوضع اللفظ فى غير موضعه و يكون ذماً و قيل هو الذى يذل له من دونه و لا تناله يد و قيل هو الذى يقهر الناس و يجبرهم على ما أراد عن السدى و مقاتل و هو اختيار الزجاج فىكون من جبره على كذا إذا أكرهه و قيل هو الذى يجبر الفقير من قولهم جبر الكسير إذا أصلحه عن واصل بن عطا «الْمُتَكَبِّرُ» أى المستحق لصفات التعظيم و قيل هو الذى يكبر عن كل سوء عن قتاده و قيل هو المتعالى عن صفات المحدثين المتعظم عما لا

يليق به «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى تنزيها له عما يشرك به المشركون من الأصنام وغيرها «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ» للأجسام و الأعراض المخصوصه و قيل المقدر للأشياء بحكمته المحدث للأشياء على إرادته «الْبَارِئُ» المنشئ للخلق الفاعل للأجسام و الأعراض «الْمُصَوِّرُ» الذى صور الأجسام على اختلافها مثل الحيوان و الجماد «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» نحو الله الرحمن الرحيم القادر العالم الحى و قد مر بيانه فى سوره الأعراف «يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى ينزهه جميع الأشياء فالحى يصفه بالتنزيه و الجماد يدل على تنزيهه «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

و روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ص اسم الله الأعظم فى ست آيات فى آخر سوره الحشر.

ص: ٤٠٢

(٦٠) سورة الممتحنه مدنيه و آياتها ثلاث عشره (١٣)

اشاره

[توضيح]

و قيل سورة الامتحان و قيل سورة الموده مدنيه و هي ثلاث عشره آيه بالاجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ سورة الممتحنه كان المؤمنون و المؤمنات له شفعاء يوم القيامة.

أبو حمزه الثمالى عن على بن الحسين (عليه السلام) قال من قرأ سورة الممتحنه فى فرائضه و نوافله امتحن الله قلبه للإيمان و نور له بصره و لا يصيبه فقرا أبدا و لا جنون فى ولده و لا فى بدنه.

تفسيرها

وجه اتصالها بما قبلها أنه لما ذكر سبحانه فى سورة الحشر الكفار و المنافقين افتتح هذه السوره بذكر تحريم مولاتهم و إيجاب معاداتهم فقال:

ص: ٤٠٣

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِيَّ وَعِدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسِيْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوْءِ وَوُدُّوا لِمَنْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو يفصل بينكم بضم الياء و فتح الصاد على التخفيف و قرأ أهل الكوفة غير عاصم يفصل بضم الياء و كسر الصاد مشددا و قرأ عاصم و يعقوب و سهل «يَفْصِلُ» بفتح الياء و كسر الصاد مخففا و قرأ ابن عامر يفصل بضم الياء و فتح الصاد مشددا و فى الشواذ قراه عيسى بن عمرو إنا براء منكم على مثال فعال.

الحجج

قال أبو على ذهب أبو الحسن فى هذا النحو [إلى] أن الظرف أقيم مقام الفاعل و ترك على الفتح الذى كان يجرى عليه فى الكلام لجره فى أكثر الكلام منصوبا و كذلك تقول فى قوله «وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ» و كذلك يجىء قياس قوله لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ فاللفظ على قوله مفتوح و الموضع رفع كما كان اللفظ فى قوله وَ كَفَى بِاللَّهِ* و ما جاءنى من رجل مجرورا و الموضع رفع و القول فى قراه ابن عامر يفصل مثل القول فى يفصل و قول عاصم «يَفْصِلُ» حسن و الضمير يرجع إلى اسم الله تعالى و دل عليه قوله «وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ» و كذلك قول من قرأ يفصل و برى ء فى تكسيره أربعة أوجه برآء كالشريف و الشرفاء و هو قراه الجماعة و براء نحو ظريف و ظراف و أبرياء كصديق و أصدقاء و براء كتوام و رباب

و عليه بيت الحارث بن حلزہ:

"فإننا من قتلهم لبراء"

قال الفراء أراد به براء فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفا و أخذ هذا الموضع من أبي الحسن في قوله إن أشياء أصله أشياء و هذا المذهب يوجب ترك صرف براء لأنها همزة التأنيث.

الإعراب

ذهب الزجاج إلى أن التقدير إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء و قيل إن الكلام قد تم عند قوله «أولياء» ثم قال «تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ» على تقدير أ تلقون فحذف الهمزة كقوله وَ تَلِكْ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ و تقديره أ و تلك نعمه و قيل إن قوله «تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» في موضع النصب على الحال من الضمير في لا تتخذوا و الباء مزيده و التقدير تلقون إليهم المودة كما قال الشاعر:

فلما رجت بالشرب هز لها العصا شحيح له عند الإزاء نهيم

أى رجت الشرب و يجوز أن يكون مفعول تلقون محذوفاً و الباء تتعلق به أى تلقون إليهم ما تريدون بالمودة التي بينكم و بينهم و قد كفروا جملة في موضع نصب على الحال من العدو أو من الهاء و الميم في قوله «تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ» و إياكم منصوب بالعطف على الرسول «إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ» جواب الشرط محذوف لدلاله ما تقدمه من الكلام عليه أى إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء و جهادا مفعول له أى للجهاد و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال و ابتغاء مرضاتي معطوف عليه على الوجهين و التقدير للحال خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين مرضاتي. وحده يجوز أن يكون مصدرا محذوف الزوائد و التقدير توحدونه توحيدا أو توحدونه إيحادا فيكون مصدرا وضع موضع الحال و يجوز أن يكون مصدر فعل ثلاثي تقديره يحد وحده و التقدير حتى تؤمنوا بالله واحدا. «إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ» منصوب على الاستثناء و المستثنى منه الضمير المستكن فيما يتعلق به اللام في قوله «فَدُ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» و التقدير ثبت لكم في إبراهيم إلا في قوله «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ».

النزول

نزلت في حاطب بن أبى بلتعہ و ذلك أن ساره مولاه أبى عمرو بن صيفى بن هشام أتت رسول الله ص من مكه إلى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله ص أ مسلمه جئت قالت لا- قال أ مهاجره جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأصل و العشيره و الموالى و قد ذهب موالى و احتجت حاجه شديده فقدمت عليكم لتعطونى و تكسونى

و تحملونى قال فأين أنت من شبان مكة و كانت مغنيه نائحه قالت ما طلب منى بعد وقعه بدر فحث رسول الله ص عليها بنى عبد المطلب فكسوها و حملوها و أعطوها نفقه و كان رسول الله ص يتجهز لفتح مكة فأناها حاطب بن أبى بلتعه و كتب معها كتابا إلى أهل مكة و أعطاهما عشره دنانير عن ابن عباس و عشره دراهم عن مقاتل بن حيان و كساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة و كتب فى الكتاب: من حاطب بن أبى بلتعه إلى أهل مكة أن رسول الله ص يريدكم فخذوا حذرکم فخرجت ساره و نزل جبرائيل فأخبر النبى ص بما فعل فبعث رسول الله ص عليا و عمارا و عمر و الزبير و طلحه و المقداد بن الأسود و أبا مرشد و كانوا كلهم فرسانا و قال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضه خاخ فإن بها ظعينه معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى أدرکوها فى ذلك المكان الذى ذكره رسول الله ص فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فنجوها و فتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على (عليه السلام) و الله ما كذبنا و لا كذبنا و سل سيفه و قال لها أخرجى الكتاب و إلا و الله لأضربن عنقك فلما رأته الجذ أخرجته من ذؤابتها قد أخبأته فى شعرها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ص فأرسل إلى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله و الله ما كفرت منذ أسلمت و لا غششتك منذ نصحتك و لا أحببتهم منذ فارقتهم و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا و له بمكة من يمنع عشيرته و كنت عريرا فيهم أى غريبا و كان أهلى بين ظهرانيتهم فخشيت على أهلى فأردت أن أتخذ عندهم يدا و قد علمت أن الله ينزل بهم بأسه و أن كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله ص و عذره فقام عمر بن الخطاب و قال دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ص و ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفر لهم فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

و روى البخارى و مسلم فى صحيحيهما عن عبد الله بن أبى رافع قال سمعت عليا (عليه السلام) يقول بعثنا رسول الله ص أنا و المقداد و الزبير و قال انطلقوا حتى تأتوا روضه خاخ فإن بها ظعينه معها كتاب فخرجنا و ذكر نحوه.

المعنى

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّيَ وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» خاطب سبحانه المؤمنين و نهاهم أن يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم و يستنصرون بهم و ينصرونهم «تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ» أى تلقون إليهم الموده و تبدلون لهم النصيحة يقال ألقى إليك بسرى و قيل معناه تلقون إليهم أخبار رسول الله ص بالموده التى بينكم و بينهم عن الزجاج «وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ» و هو القرآن و الإسلام «يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ» من مكة «أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ» أى لأن تؤمنوا أو كراهه أن تؤمنوا فكأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم بالله

ربكم الذى خلقكم «إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي» والمعنى أن كان غرضكم فى خروجكم و هجرتكم الجهاد و طلب رضاي فأوفوا خروجكم حقه من معاداتهم و لا تلقوا إليهم بالموده و لا تتخذوهم أولياء «تَسِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» أى تعلمونهم فى السر أن بينكم و بينهم موده و قيل الباء للتعليل أى تعلمونهم بأحوال الرسول فى السر بالموده التى بينكم و بينهم فعل من يظن أنه يخفى على ما يفعله «وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ» لا يخفى على شىء من ذلك فأطلع رسولى عليه «وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ» أى و من أسر إليهم بالموده و ألقى إليهم أخبار رسولى منكم يا جماعه المؤمنين بعد هذا البيان «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» أى عدل عن طريق الحق و جار عن سبيل الرشد و فى هذه الآية دلالة على أن الكبيره لا تخرج عن الإيمان لأن أحد من المسلمين لا يقول إن حاطبا قد خرج من الإيمان بما فعله من الكبيره الموبقه «إِنْ يَتَّقُواكُمْ» يعنى أن هؤلاء الكفار أن يصادفوكم مقهورين و يظفروا بكم «يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالْأَسْوَى» أى يمدوا إليكم أيديهم بالضرب و القتل و يسطوا إليكم ألسنتهم بالشتم و المعنى أنهم يعادونكم و لا- ينفعكم ما تلقون إليهم و لا يتركون غايه فى إلحاق السوء بكم باليد و اللسان «وَوَدُّوا» مع ذلك «لَوْ تَكْفُرُونَ» بالله كما كفروا و ترجعون عن دينكم «لَنْ تَنْفَعَكُمُ أَرْحَامُكُمْ» أى ذوو أرحامكم و المعنى قراياتكم «وَلَا- أَوْلَادُكُمْ» أى لا يحملنكم قراياتكم و لا أولادكم التى بمكه على خيانه النبى ص و المؤمنين فلن ينفعكم أولئك الذين عصيتهم الله لأجلهم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ» الله «بَيْنَكُمْ» فيدخل أهل الإيمان و الطاعه الجنه و أهل الكفر و المعصيه النار و يميز بعضكم من بعض ذلك اليوم فلا يرى القريب المؤمن فى الجنه قريبه الكافر فى النار و قيل معناه يقضى بينكم من فصل القضاء «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى عليم بأعمالكم علم الله سبحانه بما عمله حاطب من مكاتبه أهل مكه حتى أخبر نبيه ص بذلك ثم ضرب سبحانه لهم إبراهيم مثلا فى ترك موالاه الكفار فقال «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أى اقتداء حسن «فِي إِبْرَاهِيمَ» خليل الله «وَالَّذِينَ مَعَهُ» ممن آمن به و اتبعه و قيل الذين معه من الأنبياء عن ابن زيد «إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ» الكفار «إِنَّا بِرَأْوَا مِنْكُمْ» فلا نواليكم «وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى و براء من الأصنام التى تعبدونها و يجوز أن يكون ما مصدره فيكون المعنى و من عبادتكم الأصنام «كَفَرْنَا بِكُمْ» أى يقولون لهم جحدنا دينكم و أنكرنا معبودكم «وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا» فلا يكون بيننا موالاه فى الدين «حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ» أى تصدقوا بوحدانيه الله و إخلاص التوحيد و العباده له قال الفراء يقول الله تعالى أ فلا- تأتسى يا حاطب بإبراهيم و قومه ف تبرأ من أهلكت كما تبرؤا منهم أى من قومهم الكفار «إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» أى اقتدوا بإبراهيم فى كل أموره

إلا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنه ع إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه بالإيمان فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال الحسن و إنما تبين له ذلك عند موت أبيه و لو لم يستثن ذلك لظن أنه يجوز الاستغفار للكفار مطلقا من غير موعدة بالإيمان منهم فنهوا أن يقتدوا به في هذا خاصة عن مجاهد و قتاده و ابن زيد و قيل كان آزر ينافق إبراهيم و يريه أنه مسلم و يعده إظهار الإسلام فيستغفر له عن الحسن و الجبائي ثم قال «وَمَا أُمِّلُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِذَا أَرَادَ عِقَابَكَ وَ لَا يُمْكِنُنِي دَفْعُ ذَلِكَ عَنْكَ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا» أَى و كانوا يقولون ذلك «وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ» أَى إلى طاعتك رجعنا «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» أَى إلى حكمك المرجح و هذه حكاية لقول إبراهيم و قومه و يحتمل أن يكون تعليما لعباده أن يقولوا ذلك فيفوضوا أمورهم إليه و يرجعون إليه بالتوبه «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا» معناه لا تعذبنا بأيديهم و لا ببلاء من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق لما أصابهم هذا البلاء عن مجاهد و قيل معناه و لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن دينك و قيل معناه الطف بنا حتى نصبر على أذاهم و لا نتبعهم فنصير فتنه لهم و قيل معناه أعصمنا من موالاه الكفار فإننا إذا واليناهم ظنوا أننا صوبناهم و قيل معناه لا نخذلنا إذا حاربناهم فلو خذلنا لقالوا لو كان هؤلاء على الحق لما خذلوا «وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا» ذنوبنا «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب و «الْحَكِيمُ» الذى لا يفعل إلا الحكمة و الصواب و فى هذا تعليم للمسلمين أن يدعوا بهذا الدعاء.

اشاره

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مِرَّةً وَ اللَّهُ قَدِيرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِمُوا عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِمِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)

النزول

نزل قوله «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ» الآية في خزاعه و بنى مدلج و كانوا صالحوا رسول الله على أن لا يقاتلوه و لا يعينوا عليه أحدا عن ابن عباس.

المعنى

ثم أعاد سبحانه في ذكر الأسوه فقال «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ» أى فى إبراهيم و من آمن معه «أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أى قدوه حسنه و إنما أعاد ذكر الأسوه لأن الثانى منعقد بغير ما انعقد به الأول فإن الثانى فيه بيان أن الأسوه فيهم كان لرجاء ثواب الله و حسن المنقلب و الأول فيه بيان أن الأسوه فى المعاداه للكفار و قوله «لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ» بدل من قوله «لَكُمْ» و هو بدل البعض من الكل مثل قوله «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَابٌ الْأَيْتِ مَنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» و فيه بيان أن هذه الأسوه لمن يخاف الله و يخاف عقاب الآخرة و هو قوله «وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ» و قيل يرجو ثواب الله و ما يعطيه من ذلك فى اليوم الآخر «وَ مَنْ يَتَوَلَّ» أى و من يعرض عن هذا الاقتداء بإبراهيم و الأنبياء و المؤمنين و الذين معه فقد أخطأ حظ نفسه و ذهب عما يعود نفعه إليه فحذفه لدلاله الكلام عليه و هو قوله «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» أى الغنى عن ذلك المحمود فى جميع أفعاله فلا يضره توليه و لكنه ضر نفسه «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ» أى من كفار مكه «مِرَّةً» بالإسلام قال مقاتل لما أمر الله سبحانه المؤمنين بعداوه الكفار عادوا أقرباءهم فنزلت هذه الآية و المعنى أن موالاه الكفار لا تنفع و الله سبحانه قادر على أن يوفقه للإيمان و تحصل الموده بينكم و بينهم فكونوا على رجاء و طمع من الله أن يفعل ذلك و قد فعل ذلك حين أسلموا عام الفتح فحصلت الموده بينهم و بين المسلمين «وَ اللَّهُ قَدِيرٌ» على نقل القلوب من العداوه إلى الموده و على كل شىء يصح أن يكون مقدورا له «وَ اللَّهُ غَفُورٌ» لذنوب عباده «رَحِيمٌ» بهم إذا تابوا و أسلموا «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» أى ليس ينهاكم الله عن مخالطه أهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال و برهم و معاملتهم بالعدل و هو قوله «أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِمُوا عَلَيْهِمْ» أى و تعدلوا فيما بينكم و بينهم من الوفاء بالعهد عن الزجاج و قيل إن المسلمين استأمروا النبى ص فى أن يبروا أقرباءهم من المشركين و ذلك قبل أن يؤمروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية و هى منسوخه بقوله «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل إنه عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من أهل مكه و لم يهاجر عن قتاده و قيل هى عامه فى كل من كان بهذه الصفه عن ابن الزبير و الذى عليه الإجماع أن بر الرجل من يشاء من أهل الحرب قرابه كان أو غير قرابه ليس بمحرم و إنما الخلاف فى

إعطائهم مال لذكاه و الفطره و الكفارات فلم يجوزه أصحابنا و فيه خلاف بين الفقهاء و قوله «أَنْ تَبَرُّوهُمْ» فى موضع جر بدل من الذين و هو بدل الاشتمال و تقديره لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» أى العادلين و قيل يحب الذين يجعلون لقراباتهم قسطا مما فى بيوتهم من المطعومات ثم قال «إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ» من أهل مكه و غيرهم «وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» أى منازلكم و أملاكم «وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ» أى عاونوا على ذلك و عاضدوهم و هم العوام و الأتباع عاونوا رؤساءهم على الباطل «أَنْ تَوَلَّوْهُمْ» أى ينهاكم الله عن أن تولوهم و توادوهم و تحبونهم و المعنى أن مكاتبكم بينهم بإظهار سر المؤمنين موالاه لهم «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ» منكم أى يوالهم و ينصرهم «فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» يستحقون بذلك العذاب الأليم.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَمَا تَحْنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَيَنْلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)

القراءة

قرأ أهل البصرة ولا- تمسكوا بالتشديد و الباقون «ولا تُمْسِكُوا» بالتخفيف و فى الشواذ قراءه الأعرج فعقبتم بالتشديد و قراءه النخعى و الزهرى و يحيى بن يعمر بخلاف فعقبتم) خفيفه القاف من غير ألف و قراءه مسروق فعقبتم بكسر القاف من غير ألف و القراءه المشهوره «فَعَاقَبْتُمْ» و قرأ مجاهد فأعقبتم.

الحجه

حجه من قرأ «لا تُمْسِكُوا» قوله فإمسكك بمعروفٍ و لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً و أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ و حجه من قال و لا تمسكوا قوله و الَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ يُقَالُ أَمْسَكَتْ بِالشىء و مسكت به و تمسكت به قال ابن جنى روينا عن قطرب قال «فَعَاقَبْتُمْ» أصبتم عقبى منهن يقال عاقب الرجل شيئا إذا أخذ شيئا و أنشد لطفه:

" فعقبتم بذنوب غير مر "

جمع مره فسروه على أعطيتهم و عدتم و قال فى قوله و لَمْ يُعَقَّبْ* لم يرجع و حكى عن الأعمش أنه قال عقبتم غنمتم و قد يجوز أن يكون عقبتم بوزن غنمتم و بمعناه جميعا و روى أيضا بيت طرفه فعقبتم بكسر القاف و حكى أبو عوانه عن المغيرة قال قرأت على إبراهيم «فَعَاقَبْتُمْ» فأخذها على فعقبتم خفيفه و معنى أعقبتم صنعتم بهم مثل ما صنعوا بكم.

النزول

قال ابن عباس صالح رسول الله ص بالحديبيه مشركى مكه على أن من أتاه من أهل مكه رده عليهم و من أتى أهل مكه من أصحاب رسول الله ص فهو لهم و لم يردوه عليه و كتبوا بذلك كتابا و ختموا عليه فجاءت سبيعه بنت الحرث الأسلميه مسلمه بعد الفراغ من الكتاب و النبى ص بالحديبيه فأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم و قال مقاتل هو صيفى ابن الراهب فى طلبها و كان كافرا فقال يا محمد اردد على امرأتى فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا منا و هذه طينه الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ» من دار الكفر إلى دار الإسلام «فَمَا تَحْنُوهُنَّ» قال ابن عباس امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج و لا رغبه عن أرض إلى أرض و لا التماس دنيا و ما خرجت إلا حبا لله و لرسوله فاستحلفها رسول الله ص ما خرجت بغضا لزوجها و لا عشقا لرجل منا و ما خرجت إلا رغبه فى الإسلام فحلفت بالله الذى لا إله إلا هو على

ذلك فأعطى رسول الله ص زوجها مهرها و ما أنفق عليها و لم يردھا عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله ص يرد من جاءه من الرجال و يحبس من جاءه من النساء إذا امتحن و يعطى أزواجهن مهورهن قال الزهري و لما نزلت هذه الآية و فيها قوله «وَلَا تُمَسِّكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ» طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قرنيه بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي

ص: ٤١١

سفيان و هما على شركهما بمكه و الأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جروال الخزاعيه أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حدافه بن غانم رجل من قومه و هما على شركهما و كانت عند طلحه بن عبد الله أروى بنت ربيعه بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر و كان طلحه قد هاجر و هى بمكه عند قومها كافر ثم تزوجها فى الإسلام بعد طلحه خالد بن سعيد بن العاص بن أميه و كانت ممن فرت إلى رسول الله ص من نساء الكفار فحبسها و زوجها خالدًا و أميمه بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحاحه ففرت منه و هو يومئذ كافر إلى رسول الله ص فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبي و كانت زينب بنت رسول الله ص امرأه أبى العاص بن الربيع فأسلمت و لحقت بالنبي ص فى المدينة و أقام أبو العاص مشركا بمكه ثم أتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله و قال الجبائى لم يدخل فى شرط صلح الحديبيه إلا- رد الرجال دون النساء و لم يجر للنساء ذكر و أن أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط جاءت مسلمه مهاجره من مكه فجاء أخوها إلى المدينة فسألا رسول الله ص ردها عليهما فقال رسول الله ص إن الشرط بيننا فى الرجال لا- فى النساء فلم يردها عليهما قال الجبائى و إنما لم يجر هذا الشرط فى النساء لأن المرأه إذا أسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف ترد عليه و قد وقعت الفرقة بينهما.

المعنى

لما قطع سبحانه الموالاه بين المسلمين و الكافرين بين حكم النساء المهاجرات و أزواجهن فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ» بالإيمان أى استوصفوهن بالإيمان و سماهن مؤمنات قبل أن يؤمن لأنهن اعتقدن الإيمان «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ» أى كنتم تعلمون بالامتحان ظاهر إيمانهن و الله يعلم حقيقه إيمانهن فى الباطن ثم اختلفوا فى الامتحان على وجوه (أحدها) أن الامتحان أن يشهدن أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله عن ابن عباس (و ثانيها) ما روى عن ابن عباس أيضا فى روايه أخرى أن امتحانهن أن يحلفن ما خرجن إلا للدين و الرغبه فى الإسلام و لحب الله و رسوله و لم يخرجن لبغض زوج و لا- لالتماس دنيا و روى ذلك عن قتاده (و ثالثها) أن امتحانهن بما فى الآيه التى بعد و هو أن لا يشركن بالله شيئا و لا يسرقن و لا- يزنين الآيه عن عائشه ثم قال سبحانه «فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ» يعنى فى الظاهر «فَلَا تَزْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ» أى لا تردوهن إليهم «لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ» و هذا يدل على وقوع

الفرقة بينهما بخروجها مسلمة و إن لم يطلق المشرك «وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا» أى و أتوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر عن ابن عباس و مجاهد و قتاده قال الزهرى لو لا الهدنه لم يرد إلى المشركين الصداق كما كان يفعل قبل «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» أى و لا- جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوا المهاجرات إذا أعطيتموهن مهورهن التي يستحل بها فزوجهن لأنهن بالإسلام قد بن من أزواجهن «وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ» أى لا تمسكوا بنكاح الكافرات و أصل العصمه المنع و سمى النكاح عصمه لأن المنكوحه تكون فى حبال الزوج و عصمته و فى هذا دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافره سواء كانت حربيه أو ذميه و على كل حال لأنه عام فى الكوافر و ليس لأحد أن يخص الآيه بعابده الوثن لنزولها بسببهن لأن المعبر بعموم اللفظ لا بالسبب «وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ» أى إن لحقت امرأه منكم بأهل العهد من الكفار مرتده فاسألوهما ما أنفقتم من المهر إذا منعوها و لم يدفعوها إليكم كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن إليكم و هو قوله «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ» يعنى ما ذكر الله فى هذه الآيه «حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بجميع الأشياء «حَكِيمٌ» فيما يفعل و يأمر به قال الحسن كان فى صدر الإسلام تكون المسلمه تحت الكافر و الكافره تحت المسلم فنسخته هذه الآيه قال الزهرى و لما نزلت هذه الآيه آمن المؤمنون بحكم الله و أدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم و أبى المشركون أن يقرؤا بحكم الله فيما أمرهم به من أداء نفقات المسلمين فنزل «وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» أى أحد من أزواجكم «إِلَى الْكُفَّارِ» فلحقن بهم مرتدات «فَعَاقَبْتُمْ» معناه فغزوتهم و أصبتم من الكفار عقبى و هى الغنيمه فظفرتهم و كانت العاقبه لكم و قيل معناه فخلقتهم من بعدهم و صار الأمر عن مؤرج و قيل إن عقب و عاقب مثل صغر و صاغر بمعنى عن الفراء و قيل عاقبتهم بمصير أزواج الكفار إليكم إما من جهه سبى أو مجيئهن مؤمنات عن على بن عيسى «فَاتُّوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ» أى نساؤهم من المؤمنين «مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا» من المهور عليهن من رأس الغنيمه و كذلك من ذهبت زوجته إلى من بينكم و بينه عهد فنكث فى إعطاء المهر فالذى ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمه و لا- ينقص شيئا من حقه بل يعطى كملا- عن ابن عباس و الجبائى و قيل معناه إن فاتكم أحد من أزواجكم إلى الكفار الذين بينكم و بينهم عهد فغنتم فأعطوا زوجها صداقها الذى كان ساق إليها من الغنيمه ثم نسخ هذا الحكم فى براءه فنبذ إلى كل ذى عهد عهده عن قتاده و قال على بن عيسى معناه فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل

ما أنفقوا من المهور كما عليهم أن يردوا عليكم مثل ما أنفقتم لمن ذهب من أزواجكم «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» أى اجتنبوا معاصى الله الذى أنتم تصدقون به ولا- تجاوزا أمره وقال الزهرى فكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ست نسوه: أم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى و فاطمه بنت أبى أميه بن المغيره أخت أم سلمه كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت و ارتدت و بروع بنت عقبه كانت تحت شماس بن عثمان و عبده بنت عبد العزى بن فضله و زوجها عمرو بن عبد ود و هند بنت أبى جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل و كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله ص مهور نساءهم من الغنيمه.

[سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٢ الى ١٣]

اشاره

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بَبْهَتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

الإعراب

«مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» أى من بعث أصحاب القبور فحذف المضاف و يجوز أن يكون من تبينا للكفار و التقدير كما يئس الكفار الذين هم من أصحاب القبور من الآخره.

المعنى

ثم ذكر سبحانه بيعه النساء و كان ذلك يوم فتح مكه لما فرغ النبي ص من بيعه الرجال و هو على الصفا جاءته النساء يبايعنه فنزلت هذه الآيه فشرط الله تعالى فى

مبايعتهن أن يأخذ عليهن هذه الشروط و هو قوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى» هذه الشرائط و هي «أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا» من الأصنام و الأوثان «وَأَلَّا يَسْرِقَنَّ» لا من أزواجهن و لا من غيرهم «وَأَلَّا يَزْنِيَنَّ» وَ لَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ» على وجه من الوجوه لا بالواد و لا بالإسقاط «وَأَلَّا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ» أى بكذب يكذبه فى مولود يوجد «بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ» أى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن عن ابن عباس و قال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فذلك البهتان المفتري بين أيديهن و أرجلهن و ذلك أن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها و رجلها و ليس المعنى على نهيهن من أن يأتين بولد من الزنا فينسبهن إلى الأزواج لأن الشرط بنهى الزنا قد تقدم و قيل البهتان الذى نهيهن عنه قذف المحصنات و الكذب على الناس و إضافة الأولاد إلى الأزواج على البطلان فى الحاضر و المستقبل من الزمان «وَأَلَّا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ» و هو جميع ما يأمرهن به لأنه لا يأمر إلا بالمعروف و المعروف نقيض المنكر و هو كل ما دل العقل و السمع على وجوبه أو ندبه و سمي معروفا لأن العقل يعترف به من جهة عظم حسنه و وجوبه و قيل عنى بالمعروف النهى عن النوح و تمزيق الثياب و جز الشعر و شق الجيب و خمش الوجه و الدعاء بالويل عن المقاتلين و الكلبى و الأصل أن المعروف كل بر و تقوى و أمر وافق طاعه الله تعالى «فَبَايَعُهُنَّ» على ذلك «وَأَسْتِغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ» أى اطلب من الله أن يغفر لهن ذنوبهن و يسترها عليهن «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» أى صفوح عنهن «رَحِيمٌ» منعم عليهن

و روى أن النبى ص بايعهن و كان على الصفا و كان عمر أسفل منه و هند بنت عتبة متنقبة متنكره مع النساء خوفا أن يعرفها رسول الله ص فقال أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا فقالت هند إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال و ذلك أنه بايع الرجال يومئذ على الإسلام و الجهاد فقط فقال ص و لا تسرقن فقالت هند إن أبا سفيان رجل ممسك و إنى أصبت من ماله هنأت فلا أدري أ يحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من مالى فيما مضى و فيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ص و عرفها فقال لها و إنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ص و لا تزنين فقالت هند أ و تزنى الحره فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه و بينها فى الجاهليه فقال ص و لا تقتلن أولادكن فقالت هند ربناهم صغارا و قتلتموهم كبارا و أنتم و هم أعلم و كان ابنها حنظله بن أبى سفيان قتله على بن أبى طالب (عليه السلام) يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى و تبسم النبى ص و لما قال و لا- تأتين ببهتان فقالت هند و الله إن البهتان قبيح و ما تأمرنا إلا بالرشد و مكارم الأخلاق و لما قال و لا يعصينك فى معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا و فى أنفسنا أن نعصيك فى شىء

و روى الزهرى عن عروه عن عائشه قالت كان النبى ص

يباع النساء بالكلام بهذه الآية «أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا» و ما مست يد رسول الله ص يد امرأه قط إلا يد امرأه يملكها رواه البخارى فى الصحيح

و روى أنه ص كان إذا بايع النساء دعا بقدر ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن فيه

و قيل إنه كان يبايعهن من وراء الثوب عن الشعبى و الوجه فى بيعه النساء مع أنهن لسن من أهل النصره بالمحاربه هو أخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن فى الدين و الأنفس و الأزواج و كان ذلك فى صدر الإسلام و لثلا يفتق بهن فتق لما وضع من الأحكام فبايعهن النبى ص حسما لذلك ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أى لا تتولوا اليهود و ذلك أن جماعه من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتواصلون إليهم بذلك فيصيرون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك عن المقاتلين و قيل أراد جميع الكفار أى لا تتخذوا كافرا من الكفار أولياء ثم وصف الكفار فقال «فَقَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ» أى من ثواب الآخرة «كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» يعنى أن اليهود بتكذيبهم محمدا ص و هم يعرفون صدقه و أنه رسول قد يسوا من أن يكون لهم فى الآخرة حظ و خير كما يس الكفار الذين ماتوا و صاروا فى القبور من أن يكون لهم فى الآخرة حظ لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله عن مجاهد و سعيد بن جبير و قيل كما يس كفار العرب من أن يحيا أهل القبور أبدا عن الحسن و قيل كما يس الكفار من أن ينالهم خير من أصحاب القبور و قيل يريد بالكفار هاهنا الذين يدفنون الموتى أى يس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من الآخرة كما يس الذين دفنوا الموتى منهم.

النظم

ختم الله سبحانه السوره بالأمر بقطع الموالاه من الكفار كما افتتحها به.

ص: ٤١٦

(٦١) سورة الصف مدنيه و آياتها أربع عشره (١٤)

اشاره

اشاره

و تسمى سورة الحواريين و سورة عيسى (عليه السلام) مدنيه و هى أربع عشره آيه بلا خلاف.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة عيسى (عليه السلام) كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا و هو يوم القيامة رفيقه.

أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة الصف و أدمن قراءتها فى فرائضه و نوافله صفه الله مع ملائكته و أنبيائه المرسلين.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه السوره بقطع موالاه الكفار افتتح هذه السوره بإيجاب ذلك ظاهرا و باطنا ثم بالأمر بالجهاد فقال:

ص: ٤١٧

«سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» مر تفسيره و إنما أعيد هاهنا لأنه استفتاح السوره بتعظيم الله من
جهه ما سبح له بالآيه التي فيه كما يستفتح بيسم الله الرحمن الرحيم و إذا دخل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به «يا

ص: ٤١٨

إشاره

وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

القراءه

فتح أهل البصره و الحجاز و أبو بكر الياء من قوله من بعدى اسمه أحمد و لم يفتحه الباقون و قرأ ابن كثير و أهل الكوفه غير أبي بكر «مُتِمُّ نُورِهِ» مضافا و الباقون متم نوره بالنصب و التنوين.

الحجه

الإضافه ينوى بها الانفصال كما فى قوله إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ وَ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ* و النصب فى متم نوره على أنه فى حال الفعل و فيما يأتى.

الإعراب

قوله «اسْمُهُ أَحْمَدُ» فى موضع جر لكونه وصفا للرسول كما أن قوله «يَأْتِي» فى موضع جر أيضا و تقديره اسمه قول أحمد فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و كذلك قوله يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّوْرَةِ أى يجدون ذكره مكتوبا أ لا ترى أن الشخص لا يكتب كما أن أحمد عباره عن الشخص و الاسم قول و القول لا يكون الشخص و خبر المبتدأ يكون المبتدأ فى المعنى و مفعول قوله «يُرِيدُونَ» محذوف و تقديره يريدون ذم الإسلام أو يريدون هذا القول «لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» أى لإطفاء نور الله «وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ» فى موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم عطف سبحانه بقصه عيسى (عليه السلام) على قصه موسى فقال «وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» أى و اذكر إذ قال عيسى بن مريم لقومه الذين بعث إليهم «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ» المنزله على موسى «وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» يعنى نبينا محمدا ص كما قال الشاعر:

صلى الإله و من يحف بعرشه و الطيبون على المبارك أحمد

و لهذا الاسم معنيان (أحدهما) أن يجعل أحمد مبالغه من الفاعل أى هو أكثر حمدا لله من غيره (و الآخر) أن يجعل مبالغه من المفعول أى يحمد بما فيه من الأخلاق و المحاسن أكثر مما يحمد غيره و

صحت الروايه عن الزهرى عن محمد بن جبير بن المطعم عن أبيه قال قال رسول الله ص إن لى أسماء أنا أحمد و أنا محمد و أنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر و أنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى و أنا العاقب الذى ليس بعدى نبى أوردته البخارى فى الصحيح

و قد تضمنت الآيه أن عيسى بشر قومه بمحمد و نبوته و أخبرهم برسالته و فى هذه البشرى معجزه لعيسى (عليه السلام) عند ظهور محمد ص و أمر لأمته أن يؤمنوا به عند مجيئه «فَلَمَّا جَاءَهُمْ» أحمد «بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالدلالات الظاهره و المعجزات الباهره «قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى ظاهر «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» أى من أشد ظلما ممن اختلق الكذب على الله و قال لمعجزاته سحر و للرسول إنه ساحر كذاب «وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ» الذى فيه نجاته و قيل يدعى إلى الاستسلام لأمره و الانقياد لطاعته «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» الذين ظلموا أنفسهم بفعل الكفر و المعاصى قال ابن جريج هم الكفار و المنافقون و يدل عليه قوله بعد «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ» أى يريدون إذهاب نور الإيمان و الإسلام بفاسد الكلام الجارى مجرى تراكم الظلام فمثلهم فيه كمثل من حاول إطفاء نور الشمس بفيه «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ» أى مظهر كلمته و مؤيد نبيه و معلن دينه و شريعته و مبلغ ذلك غايته «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ» محمدا ص «بِالْبَيِّنَاتِ» من التوحيد و إخلاص العباد له «وَدِينِ الْحَقِّ» و هو دين الإسلام و ما تعبد به الخلق «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» بالحجه و التأييد و النصره «وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» و فى هذه دلالة على صحه نبوه نبينا محمد ص لأنه سبحانه قد أظهر دينه على جميع الأديان بالاستعلاء و القهر و إعلاء الشأن كما وعده ذلك فى حال الضعف و قله الأعوان و أراد بالدين جنس الأديان فلذلك أدخل الألف و اللام

و روى العياشى بالإسناد عن عمران بن ميثم عن عبايه أنه سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» أظهر بعد ذلك قالوا نعم قال كلا فو الذى نفسى بيده حتى لا تبقى قريه إلا و ينادى فيها بشهادته أن لا إله إلا الله بكره و عشيا.

إشاره

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصِيرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)

القرءاءه

قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد و الباقون «تُنْجِيكُمْ» بالتخفيف و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو أنصارا بالتنوين لله بغير ألف و الباقون «أَنْصَارَ اللَّهِ» بالإضافه إلى الله.

الحجه

قال أبو علي حجه من قرأ تنجيكم بالتشديد قوله نَجَّيْنَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا و حجه التخفيف فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ.

اللغه

التجاره طلب الربح في شراء المتاع و استعير هنا لطلب الربح في أعمال الطاعه و الجهاد مقاتله العدو.

الإعراب

إنما جاز تؤمنون بالله مع أنه محمول على تجاره و خبر عنها و لا يصح أن يقال للتجاره تؤمنون و إنما يقال و أن تؤمنوا بالله لأنه جاء على طريق ما يدل على خبر التجاره لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره و إنما انعقاده بالتجاره في المعنى لا في اللفظ و في ذلك توطئه لما بينى على المعنى في الإيجاز و العرب تقول هل لك في خير تقوم إلى فلان فتعوده و أن تقوم إليه و قوله «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» في كونه مجزوما وجهان

(أحدهما) أنه جواب هل أدلكم وهو قول الفراء و أنكره أصحابنا البصريون و قالوا إن الدلالة على التجاره لا توجب المغفره (و الآخر) أنه محمول على المعنى لأن قوله «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» معناه آمنوا بالله و رسوله و جاهدوا فى سبيله و هو أمر جاء على لفظ الخبر و يدل على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود آمنوا بالله و جاهدوا و لا يمتنع أن يأتى الأمر بلفظ الخبر كما أتى الخبر بلفظ الأمر فى قوله فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا المعنى فمد له الرحمن مدا لأن القديم تعالى لا يأمر نفسه و مثل ذلك أسمع بهم و أبصر لفظه أمر و معناه خير و يجوز أن يكون قوله «تُؤْمِنُونَ» مرفوعا بسقوط أن و الموصول و الصله فى موضع جر على البدل من تجاره و تقديره هل أدلكم على تجاره إيمان بالله و قوله «وَ أُخْرَى» فى موضع جر بأنها صفة لموصوف محذوف مجرور بالعطف على تجاره تقديره و على تجاره أخرى محبوبه و قال الزجاج تقديره و لكم تجاره أخرى فعلى هذا يكون أخرى صفة موصوف محذوف مرفوع بالابتداء و تحبونها صفة بعد صفة و نصر خبر مبتدا محذوف تقديره هى نصر من الله. «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» إلى هاهنا بمعنى مع أى مع الله.

المعنى

لما تقدم ذكر الرسول عقبه سبحانه بذكر الدعاء إلى قبول قوله و نصرته و العمل بشريعته فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و هو خطاب للمؤمنين على العموم و قيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم فى أول السوره «هَيْلٌ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» صورته صورته العرض و المراد به الأمر على سبيل التلطف فى الاستدعاء إلى الإخلاص فى الطاعة و المعنى هل ترغبون فى تجاره منجيه من العذاب الأليم و هو الإيمان بالله و رسوله و الجهاد فى سبيل الله بالمال و النفس و ذلك قوله «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ» و إنما أنزل هذا لما قالوا لو نعلم أى الأعمال أفضل و أحب إلى الله لعملناه فجعل الله سبحانه ذلك العمل بمنزله التجاره لأنهم يربحون فيها رضى الله و الفوز بالثواب و النجاه من العقاب «ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى ما وصفته و ذكرته لكم أنفع لكم و خير عاقبه لو علمتم ذلك و اعترفتم بصحته و قيل إن معناه إن التجاره التى دلتكم عليها خير لكم من التجاره التى أنتم مشتغلون بها لأنها تؤدى إلى ربح لا يزول و لا يبيد و هذه تؤدى إلى ربح يزول و يبيد إن كنتم تعلمون مضار الأشياء و منافعها يغفر لكم ذنوبكم فإنكم إن علمتم بذلك «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً» أى مواضع تسكنونها مستلذه مستطابه «فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ» أى إقامة لا تبغون عنها حولا «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» لا ما يعده الناس فوزا من طول البقاء و ولايه الدنيا و سأل الحسن عمران بن الحصين و أباه هريه عن تفسير قوله «وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ» فقالا على الخير سقطت

سألنا رسول الله ص عن ذلك فقال قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوته حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائده على كل مائده سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفه قال و يعطى الله المؤمن من القوه في غداه واحده ما يأتى على ذلك كله

ثم قال سبحانه «وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا» أى و تجاره أخرى أو خصله أخرى تحبونها عاجلا مع ثواب الآجل و هذا من الله تعالى زياده ترغيب إذ علم سبحانه أن فيهم من يحاول عاجل النصر إما رغبه فى الدنيا و إما تأييدا للدين فوعدهم ذلك بأن قال «نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ» أى تلك الخصله أو تلك التجاره نصر من الله لكم على أعدائكم و فتح قريب لبلادهم يعنى النصر على قريش و فتح مكه عن الكلبى و قيل يريد فتح فارس و الروم و سائر فتوح الإسلام على العموم عن عطاء و قريب معناه قريب كونه و قيل قريب منكم يقرب الرجوع منه إلى أوطانكم «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» أى بشرهم بهذين الثوابين عاجلا و آجلا على الجهاد و هو النصر فى الدنيا و الجنة فى العقبى ثم حض سبحانه المؤمنين على نصره دينه فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ» أى أنصار دينه و أعوان نبيه و إنما أضاف إلى نفسه كما يقال للكعبه بيت الله و قيل حمزه بن عبد المطلب أسد الله و المعنى دوموا على ما أنتم عليه من النصره «كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» أى مثل قول عيسى بن مريم «لِلْحَوَارِيِّينَ» و هم خاصه الأنبياء و سموا بذلك لأنهم أخلصوا من كل عيب عن الزجاج و قيل سموا بذلك لباض ثيابهم و قيل لأنهم كانوا قصارين «مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ» و المعنى قل يا محمد إنى أدعوكم إلى هذا الأمر كما دعا عيسى قومه فقال من أنصارى مع الله ينصرنى مع نصره الله إياى و قيل إلى الله أى فيما يقرب إلى الله كما يقال اللهم منك و إليك «قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» أى أنصار دين الله و أولياء الله و قيل إنهم إنما سموا نصارى لقولهم نحن أنصار الله «فَأَمَّنْتُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى صدقت بعيسى «وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ» أخرى به قال ابن عباس يعنى فى زمن عيسى (عليه السلام) و ذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقه قالت كان الله فارتفع و فرقه قالت كان ابن الله فرفعه إليه و فرقه قالوا كان عبد الله و رسوله فرفعه إليه و هم المؤمنون و اتبع كل فرقه منهم طائفه من الناس فاقتتلوا و ظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد ص فظهرت الفرقة المؤمنه على الكافرين و ذلك قوله «فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَضَيُّوا ظَاهِرِينَ» أى عالين غالبين و قيل معناه أصبحت حجه من آمن بعيسى ظاهره بتصديق محمد ص بأن عيسى كلمه الله و روحه عن إبراهيم و قيل بل أيدوا فى زمانهم على من كفر بعيسى عن مجاهد و قيل

معناه فآمنت طائفه من بنى إسرائيل بمحمد ص و كفرت طائفه به فأصبحوا قاهرين لعدوهم بالحجه و القهر و الغلبه و بالله التوفيق.

ص: ٤٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

